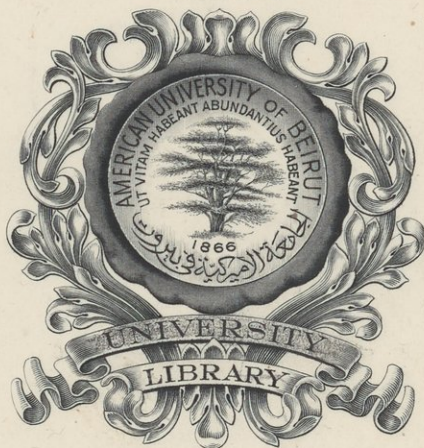




AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEARD

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

[illegible]

yevtushenko

1

أدبَاءُ الْعَرَبِ

في

لِجَاهِلِيَّةٍ وَصَدَاقِ الْأَسْلَامِ

مَبَانِيهِمْ - آثَارُهُمْ - نَفَسُ آثَارِهِمْ

تَأليف

بطرس البستاني

الطبعة الخامسة

67988

مكتبة صادر

بيروت

Gift. Fresh. Class. Cat. June 1948

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

العصر الجاهلي

(٥٠٠ - ٦٢٢)

«يبتدى في تمكن النهضة الشعرية الجاهلية»
«وينتهي بظهور الاسلام والهجرة النبوية»

- الجاهلية : سمي العصر الجاهلي لشيوع الوثنية فيه
نشأة الشعر : يصوب تعيينها . يرجح ان النهضة بدأت قبل الاسلام بقرنين او اكثر .
تمكنت في القرن الاول قبل الاسلام
- عكاظ : سوق بين نخلة والطائف . يجتمع فيها العرب للبيع والشراء . يتناشد الشعراء فيحكم بينهم . النابغة كان حكماً . الاسواق قربت اللهجات . واكسبت لغة قريش كل جميل . واستجشت قرائح الشعراء
- اصل النظم : نظم الانسان مقاطع وتغنى بها ثم رتبها وجعل لها وزناً . الرجز اول النظم
ابواب الشعر : طرق العرب الشعر الفنائي ولم يطرقوا الشعر القصصي لضعف عقائدهم الدينية وليس لهم شعر تمثيلي
- ميزة الشعر : مرآة لعصره الفطري . بعيد عن التكلف . صادق اللهجة . خشن كحياة البدوي . فيه انعام الوصف
- تأثير الشاعر : يحامي عن اعراض قومه ويفضح اعداءهم . تفرح القبيلة اذا نبغ فيها شاعر وتقيم الولائم . العرب شديدو الاعجاب بالشعر لذلك حفظوه ورووه
- صحة الشعر : اختلاف لهجات القبائل ووصول الشعر بلغة قريش وحدها جعلها طه حسين يشك فيه . اسباب النحل عنده : تفاخر الاحزاب ، والدين ، وتنافس الرواة والعلماء في سرد الشواهد الشعرية
- الرد على طه حسين : الشعراء الجاهليون اكثرهم من عدنان . الاسواق وحدثت اللهجات . لغة قريش هي اللغة الادبية الجاهلية ولولا ذلك لما فهم العرب القرآن . لايشتمل الشعر الجاهلي كله على ذكر المفاخر . واكثره لا تعلق له بالهجرة النبوية . اكاذيب الرواة تنبه لاكثرها الاقدمون . الشواهد الشعرية في ابيات متفرقة لا في قصائد . يقبل الشك في بعض الشعر الجاهلي وليس في مجموعه

الجاهلية

اطلق القرآن لفظة الجاهلية على هذا العصر لشيوع الوثنية فيه ، وتغلب الجهل على الحلم^(١) وفي سورة المائدة : « أَفَحُكْمَ الجاهلية يَبْغُونَ » أي الملة الجاهلية . فاصبحت هذه النسبة صفة للعرب الذين عاشوا قبل الاسلام .

نشأة الشعر الجاهلي

من الصعب تعيين الزمن الذي بدأت فيه نهضة الشعر الجاهلي لاندثار منظوم الشعراء الذين نبغوا قبل الشطر الاخير من القرن الخامس على انه من المعقول ان النهضة الجاهلية بدأت قبل الاسلام بقرون او اكثر لان من يقرأ شعر المهمل والشنفرى وتأبط شراً وغيرهم من شعراء القرن الخامس والسادس يرى فيه من البلاغة ما ينفي الحكم بانهم كانوا في طليعة شعراء العرب على ان هذه النهضة لم تتمكن الا في القرن الاول قبل الاسلام

اسواق الجاهلية — عكاظ

كان للعرب في الجاهلية اسواق يختلفون اليها في اوقات معينة للبيع والشراء واشهرها سوق عكاظ وهو نخل بين نخلة والطائف . وقد كانوا يؤمونها من كل صوب في شوال وقيل في ذي الحجة فيقيمون السوق فحواً من شهر ، يبيعون ويشترون حتى اذا انتهوا من متاجروهم انصرفوا الى اللهو والطرب فينشد شعراؤهم على مسمع من الجماهير المحتشدة وينتظرون ويتفاخرون ، ويكون هناك حكم يقضي بينهم ويرجع الواحد منهم على الآخر . وكان النابغة الذبياني اذا اتى عكاظ في الموسم ضربوا له قبة حمراء من ادم وتاتيه الشعراء فتعرض عليه اشعارها ليحكم فيها

وقد اثرت هذه الاسواق تأثيراً حسناً في الشعر لان الشعراء ، كانوا يختارون الالفاظ التي تألفها القبائل على اختلاف لهجاتهم ولا سيما المألوفة في لغة قريش وهي صاحبة الزعامة هناك فاقتربت اللهجات بعضها من بعض واكتسبت لغة قريش كل

٥
جميل من لغات القبائل الاخرى واهملت كل مستهجن . ومن تأثر هذه الاسواق انها
استحشت قرائح الشعراء فأتوا بكل بديع رائع

اصل النظم

الشعر هو الكلام الموزون المقفى ويغلب فيه الخيال المطلق على التفكير
الصحيح . وقالوا انه يتقدم النثر في الظهور وهذا لا يعني ان الانسان القديم تكلم
شعراً ، بل نظمه وتغنى به ورواه لسهولة حفظه قبل ان يشرع بكتابة النثر الفني
المعروف

واما اصل الشعر فقد قيل فيه ان الانسان مفطور على حب الغناء في حزن
وسرور فنظم في بدء الامر بعض مقاطع تغنى بها ثم اخذ يرتب هذه المقاطع ويتفنن
فيها حتى جعل لها اوزاناً

وقيل ان اول بحر اخترع في الشعر العربي هو الرجز على انواعه وينسب الى مَضر
ابن تزار . روي انه سقط عن جملة فكسرت يده وكان صوته جميلاً فاخذ يصيح
وايداه وايداه . . . فاستقر تلحينه الابل في سيرها ونشأ من ذلك ما يسمونه الخداء

ابواب الشعر

طرق العرب ابواب الشعر جميعاً فنظموا في الفخر والحماسة والزهد والحكم
والمديح والهجاء والثناء والعتاب والغزل وكلها من نوع الشعر المعروف بالغنائي . اما
الشعر القصصي فلم يُعَنَّ العرب به كثيراً ، ولعل ضعف عقائدهم الدينية صرفهم عن
نظم الملاحم في آهتهم كما فعل اليونان وغيرهم او لعلمهم نظموا شيئاً من ذلك ولكن
الاسلام عفى عليه لما فيه من الروح الوثنية . وقد خلا الشعر العربي من النوع التمثيلي
كما خلا من الملاحم الالهية وغير الالهية

صيرة الشعر الجاهلي

الشعر الجاهلي مرآة لعصره بفطوته وبعده عن التكلف وتزويق الالفاظ . وهو
لا وحدة في موضوعه فالشاعر الجاهلي اذا اراد النظم استهل قصيدته غالباً بالوقوف

على الاطلاع وبكاء الدمن وذكر الاحبة ثم ينتقل الى وصف ناقته حتى اذا تم تصويرها يشرع بالغرض الذي يرمي اليه دون ان يتكلف حسن التخلص . والشعر الجاهلي فيه بلاغة وإيجاز ، وابهاء وانفة ، صادق اللمجة ، بعيد عن التزلف لا يعرف المبالغة الا قليلاً . وهو في غرابة الفاظه وخشونتها احياناً مثال حياة البدوي وشطف عيشه . واذا وصف الشاعر الجاهلي احاط بالموصوف من جميع جهاته حتى يخرج له صورة جليلة تامة

تأثير الشاعر

كان للشاعر عند العرب تأثير عظيم ومقام سام فهو المدافع عن اعراض قومه والمشير بذكرهم ، والناشر مخازي اعدائهم ، وربما خفض الشعر قبيلة نابية ، ورفع قبيلة خاملة . فبنو انف الناقة كانوا يفوقون من اسمهم وينتسبون لبني قريص حتى قال فيهم الخطيئة :

قَوْمٌ هُمُ الْاَنْفُ وَالْاَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يَسَاوِي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا
فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويدون به اصواتهم في جهارة . وبنو نسيار اخذوا ينتسبون الى عامر بن صعصعة فراراً من الفضيحة بعد ان هجاهم جرير بقوله :

فَقَضِ الطَّرْفَ اِنْكَ مِنْ نَسِيرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا

والحق الرجل الفقير الحامل اكتسب شهرة وازوج بناته العوانس بعد ان اساد بذكره الاعشى في سوق عكاظ . والربيع بن زياد سقطت منزلته عند النعمان ، وكان من ندمائه ، بعد ان عرض به لبيد في شعره وهو غلام مراهق . فتأمل كيف كانت منزلة الشاعر وتأثير شعره في النفوس

وكان العرب اذا نبع في قبيلة شاعر تأتيتها الوفود من القبائل الاخرى مهتة فيعقدون مجالس الطرب ويولون الولاثم . واكبر فخر لقوم ان يمدحهم شاعر غريب وكانوا اذا وقع الشاعر اسيراً في قبيلة احسنوا معاملته ليطلقوا لسانه بمدحهم والتنويه بمكارمهم

شعراء الجاهلية

الشنفرى

(١) ٥١٠ (٩)

- حياته : احد صعاليك العرب وعدائيا . اختلف في مولده . ترك بني سلامان غاضباً .
 حلف ان يقتل منهم مئة فقتل تسعة وتسعين ثم قتلوه وطرحوا ججمته فدخلت
 شظية منها في رجل احداهم فأت فتحت المثة
 آثاره : اشعار متفرقة اشتهر بالامية العرب . الشك في صحة نسبتها اليه
 ميزته : شعره صورة لحياته القطرية الحسنة . ينقل بامانة اخبار غاراته . يقول الحقيقة
 ولا يأنف من ذكر اوساخه . لا يصف مطيته بل يصف شدة عدوه (٢)

حياته

هو احد صعاليك العرب وعدائيا والمشهور ان اسمه ثابت بن اوس الازدي
 والشنفرى لقب له لعظم شقيقه . اختلف في مولده فقيل انه نشأ في قومه الازد ثم اغاظه
 فهجرهم وقيل ولد في بني سلامان او انهم سبوه صغيراً فنشأ بينهم حتى عرف حقيقة
 امره فهرب مضراً لهم الشر واقسم ان يقتل منهم مئة فأخذ يترصد لهم ويقتك بهم
 حتى اذا بلغ عدد القتلى تسعة وتسعين قبضوا عليه وقتلوه وطرحوا ججمته تحقيراً
 له فمر بها رجل منهم ورفسها برجله فدخلت فيها شظية فأماتته وقت به المائة فقتر
 عين الشنفرى بعد موته وبراً بقسمه . ومثل هذه الرواية كثيرة في اخبار العرب فلا
 ينبغي التحويل عليها .

(١) التاريخ المفرد يدل على الوفاة . ونضع علامة الاستفهام دلالة على شكنا في صحة التاريخ

(٢) عدوه : ركضه

أماؤه — لامية العرب

له اشعار متفرقة في كتب الادب وكلها في وصف غاراته وشدة بأسه واشهرها قصيدته المعروفة بلامية العرب وهي ٦٨ بيتاً من البحر الطويل ، لا وحدة في موضوعها كأكثر الشعر الجاهلي . وقد شك بعضهم في نسبتها الى الشنفرى لان اللغويين القدماء لم يستندوا اليها في مناظراتهم ، ونسبها ابن دريد الى خلف الاحمر ، ونسبها غيره لشعراء صدر الاسلام . على ان هذا الشك لا يضير القصيدة من حيث تعابيرها الجاهلية وموافقتها لحياة الشنفرى وما رافقها من شظف عيش وخشونة طباع وقد عني بشرح لامية العرب كثير من العلماء كالمبرد وتعلب والزحشري ودرسها المستشرقون ونقلوها الى لغاتهم

مبتراته — لامية العرب

يمثل لنا الشنفرى في شعره الحشن حياة البدوي الغليظ الطبع ، الذي جافاه قومه فأبت نفسه الحرة ان تحمل الضيم فتركهم وهو يقول في مطلع لاميته :

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيئِكُمْ ، فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَا أَمِيلُ^(١)
فَقَدْ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ ، وَشَدَّتْ إِطْيَاتُ مَطَايَا وَأَرْحُلُ^(٢)

(١) اقام صدر مطيته : اذا سار ، واقيموا هنا بمعنى اصرفوا عني . أميل : اسم تفضل من مال . ومعنى البيت : جدوا في امركم وانتهبوا من رقدنكم فاننا راحل عنكم الى قوم سواكم
(٢) حمت : تهيأت وحضرت وقُدِّرَت . مقمر : مضيء . وهو هنا كناية عن وضوح الامر كما يكشف القمر الظلماء . الطيئة : الحاجة والمكان المتوي القصود . الارحل : جمع رحل وهو مركب البعير وبمترلة البرذعة للحجار . ومعنى البيت : انتهبوا من رقدنكم فهذا وقت الحاجة ولا عذر لكم فان الامر واضح وضوح القمر في الظلام . وهذا البيت تفسير للاول فكأنه يريد ان يظهر لقومه قيمة وجوده بينهم وشدة حاجتهم اليه اذا تركهم وهو يشبه قول الشاعر :

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ ، وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلَمَاءُ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ

وَفِي الْأَرْضِ مَنَآئِلٌ لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى ، وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقَتْلَ مُتَمَرِّلٌ ^(١)

وبعد ان يذكر ان الارض لا تضيق على امرىء عاقل يأخذ في تفضيل السباع التي يعاشرها ، على قومه لانها اكرم للسرى ولان الجاني لا يجذل عندها فيقول :

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدٌ عَمَلَسٌ ، وَأَرْقَطٌ زُهْلُولٌ ، وَعَرَفَاءُ جِيَالٌ ^(٢)
هُمْ الْأَهْلُ ، لَا مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ ذَائِعٌ لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّ يُجْذَلُ ^(٣)

ويستدل من البيت الاخير ان قوم الشاعر خذلوهم في جنائية اقتصروا ^(٤) فرأى في الوحوش اهلاً افضل منهم ، واكرم للسرى واجدله في جريته . ثم ينعت هذه الوحوش بالبسالة ولكنه يفضل نفسه عليها ، فهو يرى انه أبسل منها واعف وفي ذلك يقول مقتضراً ببعده عن الجشع :

وَإِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ ، إِذَا جَشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلٌ ^(٥)

ثم يعين في وصف نفسه فيصور لنا اخلاقه وعاداته احسن تصوير حتى يصل بنا الى وصف غاراته في الليلة المظلمة الباردة فيمثل لنا باليجاز بديع حياة صعاليك العرب وغزواتهم وما يصيبهم من جوع وبرد وخوف قال :

وَلَيْلَةٌ نَحْسٌ يَضْطَلِّي الْقَوْسَ رَبُّهَا ، وَأَقْطَعُهُ اللَّاقِي رِبَهَا يَتَبَلُّ ^(٦)

(١) المنأى : الموضع البعيد . القلى : البغض . المتمرِّل : المكان الذي يعتزل الانسان فيه .
المعنى : ان الرجل الكريم اذا خشي البغض من قوم لا يصبر على الاذى بل يجتهد في البعد عنهم مكاناً يقتل به . (٢) دونكم : غيركم . اهلون : جمع اهل . السيد : الذئب . العملَس : القوي على السير السريع . الارقط : النمر القريب من الغبر او ما فيه سواد يشوبه نقط بياض . الزهلول : الاملس . العرفاء : الضبع الطويلة العرف . وجيَال : من اسماء الضبع . (٣) ذائع : منتشر . جر : عليه جريرة : جنى جنائية طولب بها . يُجْذَل : اي لا يعان ولا ينصر .

(٤) في القصيدة بيت آخر في هذا المعنى وهو قوله :

طَرِيدٌ جَنَائِيَاتٍ تِيَّاسَرْنَ لِحِمَّهٖ ، عَقِيرَتُهُ لَا يَأِيهَا حُمٌّ أَوَّلُ

تياسرن : تقاسمن . عقيرتة : نفسه . لا يأيها : اي لا يجرى جنائية . حُمٌّ : قدر . اول : بنتيت على الضم لقطعهما عن الاضافة وموضعها النصب . والمعنى : ان الشنفرى طريد جنائيات تقاسمت لحمه فبأيها توخذ نفسه اولاً (٥) اجشعهم : احصرهم على الطعام (٦) النحس : هنا البرد . يضطلي : يستدفئ بالنار . الاقطع : جمع قطع وهو السهم القصير العريض النصل . يتبَلُّ : يرمي النبال .

دَعَسْتُ عَلَى غَطْشٍ وَبَغْشٍ ، وَصَحْبَتِي سَعَارٌ ، وَإِرْزِيزٌ ، وَوَجْرٌ ، وَأَفْكَلٌ^(١)
فَأَيَّمْتُ نَسْوَانًا ، وَأَيَّمْتُ إِلْدَةً ، وَعُدْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ ، وَاللَّيْلُ أَلِيلٌ^(٢)

ولا ادري أهذا البيت الاخير اوجز وابلغ في لفظه ومعانيه ام الشنفرى في غزوته ليلاً وعودته قبل الصباح بعد ان أيم النسوان وايم الاولاد ؟

والبدوي يتوخى الحقيقة في اقواله ، فاذا رأى نفسه وسخاً لا يأنف من ذكر قذارته وهكذا حياة الفطرة بعيدة عن العش والتمويه . قال الشنفرى يصف شعره :

بَعِيدٌ بِبَسِّ الدَّهْنِ وَالْفَلْيِ عَهْدُهُ ، لَهُ عَبَسٌ عَافٍ ، مِنْ الْغَسْلِ مُحُولٌ^(٣)

ومما يلفت النظر ان الشاعر لم يصف ناقته في قطعه القفار ، ولا جواده في غزواته اسوة بشعراء الجاهلية ، ذلك بان صعايلك العرب وعدائهم كانوا يعتمدون على اقدامهم اكثر من اعتمادهم على المطايا وفي ذلك يقول الشنفرى مفتخراً بسرعة جريه وسبقه القطا الى الماء :

وَتَشْرَبُ أَسَارِي الْقَطَا الْكُدْرُ ، بَعْدَمَا سَرَتْ قَرَبًا ، أَحْتَاوُهَا تَتَصَلَّصُ^(٤)

والمعنى : ان البرد كان شديداً في تلك الليلة حتى ان المرء يشعل قوسه وسهامه ليستدفئ بها ، واذا اضطل الاعرابي قوسه فليس وراء ذلك في الشدة شيء .

(١) دعست : دست . الغطش : الظلمة . البغش : المطر الخفيف . السعار : حر يحده الانسان من شدة الجوع . ارزيز : جمود من شدة البرد . الوجر : الخوف . الافكل : الرعدة . يقول : سريت في الظلمة والمطر ، يرانقني جوع وبرد وخوف ورعدة . (٢) أيمت : جعلتهن ايامى اي بلا ازواج . أيمت : جعلتهن يتامى الآباء . الالدة : الاولاد . ابدأت : ابتدأت . أليل : مظلم . (٣) الدهن : الطيب . الفلي : تنقية الشعر . العبس : ما يتعلق باذنان الابل من ابوالها وابعارها . عاف : كثير . الغسل : ما يغسل به الرأس . محول : اتى عليه الحول والحول السنة . يقول : ان شعره بعيد العهد بالطيب والتنقية واتى عليه الحول ولم يغسل فاجتمع فيه الوسخ الكثير حتى صار كانه العبيص الذي في اذنان الابل . (٤) الاسار : بقية الشراب في قعر الاناء الواحد . سور القطا : طير تسير جماعات وهي اسرع الطيور واهداها الى المساء . الكدُر : الكامدة اللون . سرت : سارت ليلاً . القرب : السير الى الماء وبيئك وبينه ليلة ومنه ليلة القرب اي ليلة ورود الماء . الاحناء : الجوانب الواحد حنو ، ورواية المبرد : احشاؤها وهي اجود عنده . تتصلص : يسمع لها صوت . والمعنى : ان القطا بعد ان تسير

هَمَمْتُ وَهَمَّتْ ، وَأَبْتَدَرْنَا وَأَسْدَلْتُ ، وَشَمَّرَ مِنِّي فَارِطٌ ، مُتَمَهِّلٌ ^(١)
 وللامية العرب منزلة سامية في الاداب العربية ، وحسبها ان تصور لنا شطراً
 من حياة البدو في الجاهلية واحوال صعاليك العرب

المهلل

٥٣١ (٩)

- حياته : شجاع يحب الخمر واللهو والنساء . نظم القصائد الطوال بعد موت اخيه .
 اول من همل الشعر . اختلف بموته . مات مسناً . انتهت الحرب
 بعد موته
 حرب البسوس : كليب يغني على قومه . يحيي المراعي والمناهل . كلبه الصغير وتسميته به .
 الناقة سراب . جناس يقتل كليلاً . الايام المشهورة
 آثاره : اشعار في رثاء اخيه
 ميزته : الرثاء والنفع . الرقة . مقابلته بالشغرى . حياة كل منها . لين شعراء
 ربيعة . تأثير الاقليم . لا تحصر رقة العاطفة بعصر دون آخر . رثاء
 المهمل . اسلوبه الخاص التكرار والفلو في شروط الصلح . ما اضيف اليه من
 الايات المبتذلة الركيكة . اكذب بيت قاله

طول الليل في طلب الماء واجوافها تفصل من العطش لينسها ، لا تشرب الا فضلاتي اي اني
 اسبقها الى الماء .

(١) هم بالامر : اراده وعزم عليه . ابتدرنا : استبقنا وتسارعنا . أسدلت : ارخت
 اي ارخت جناحيها . شَمَّرَ : رفع الثوب الى وسطه ضد ارخى . فارط : المتقدم . يقول
 عزمت وعزمت القطا على الجري فاستبقنا فارخت جناحيها كمن يرخي ثوبه فتقل جريها
 وكنت كمن شمر ثوبه مصرعاً فتقدمتها ولكن على مهل . وقوله : « مني فاسارط » تجريد

هو ابو ليلى عدي بن ربيعة التغلبي اخو كليب وائل وخال امرئ القيس (?) وجد عمرو بن كلثوم لأمه . قيل سمي مهلهلاً لانه هلهل الشعر اي ارقه وفي ذلك يقول الفرزدق :

ومهلل الشعراء ذاك الاول

وكان المهلهل شجاعاً مقداماً^(١) صبيح الوجه يقضي اوقاته في اللهو ومعاورة الخمر ومحادثة النساء فلقبه اخوه كليب « زير نساء » اي كثير الزيارة لهن . ولم يكن ينظم من الشعر الا بعض ابيات في الغزل والملاهي حتى قتل اخوه فاهابت به عاطفة الحزن فنظم القصائد الطوال في رثاء اخيه . ونشبت حرب البسوس بعد مقتل كليب بين تغلب وبكر فابلى فيها المهلهل بلاء حسناً حتى مات

موته

اختلفت الروايات في موته ، فابن قتيبة يقول في كتابه « الشعر والشعراء » انه مات في اسر عوف بن مالك بن ضبيعة في البحرين ، ومنهم من يقول انه مات عند اخواله من بني يشكر بعد ان شاخ وضجر من الحرب . وابن الكلبي يقول بل قتله عبيدان كانا يخدمانه فلماً منه وكان قد اسن وخرف . ونسب للمهلهل انه لما احسن ان العبدان يريدان قتله اوصاهما ان ينشدا ابنته سليمة بيتاً من الشعر وهو :

مَنْ مَبْلَغُ الاقوامِ انْ مهلهلاً ، لله دركها ودرّ ابيكها

فلما انشدها البيت او ثقت العبدان وقالت : ما اراد ابي الا ان يقول :

مَنْ مَبْلَغُ الاقوامِ انْ مهلهلاً ، اضحى قتيلاً في الفلاة ، مُجَنَّدلاً

لله دركها ودرّ ابيكها ، لا يهرح العبدان حتى يُقتلا

ولا يخفى ما في هذه الرواية من التفكهة والعبث

(١) قال ابن سلام : وزعمت العرب انه كان يتكثر ويدعي في قوله باكثر من فعله

روي ان وائل بن ربيعة قاد قبائل معد كلها يوم خَزَازَى^(١) فهزم جموع اليمن فاجتمعت عليه معد ونادوا به ملكاً عليهم وقدموا له الطاعة فدخله زهو شديد وبغى على قومه حتى بلغ به بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يُرعى حماه . ويقول : « وحش ارض كذا في جوارى . » فلا يهاج . ولا تورد ابل احد مع ابله ، ولا توقد نار مع ناره . وكان له كلب صغير يقذف به في المراعي فيعوي فلا يدخلها احد الا باذنه . ويفعل ذلك في المناهل فلا يردھا احد الا بامرہ . حتى قيل « اغز من كليب وائل » ثم التصق تصغير الكلب باسمه من طول تردادہ في الافواه فصار يعرف بكليب وائل

وكانت جليلة امرأة كليب من بني مِوَةَ بن ذُهل بن شيبان ، ولها عشرة اخوة منهم جَسَّاس وهو اصغرهم . فتزلت عليه يوماً خالة له اسمها البسوس بنت مُنقذ وتزل بالبسوس رجل من جرَم من احوال جَسَّاس اسمه سعد ومعه ناقة اسمها سراب ، فوعت مع ابل جساس وكانت ابله وابل كليب محتلطة لما بينهما من المصاهرة . فابصرها كليب فانكرها ، فرماها بسهم خرق ضرعها فولت الناقة تعج حتى بركت بفناء،^(٢) صاحبها فلما رآها : صرخ : يا لذل ! . . . فسمعت البسوس فخرجت وصاحت « واذلہ ! واجوار جساس ! واجوار مرة ! . . » ثم انشدت تعنف بني مرة :

لَعْمَرِي لَوْ أَصْبَحْتُ فِي دَارِ مُنْقَذٍ ، لَمَا ضِيمَ سَعْدُ ، وَهُوَ جَارٌ لِأَبْيَاتِي
وَلَكِنِّي أَصْبَحْتُ فِي دَارِ غُرْبَةٍ ، مَتَى يَعْدُ فِيهَا الذِّئْبُ ، يَعْدُ عَلَى شَاتِي^(٣)
فَيَا سَعْدُ ، لَا تَغْرُرْ بِنَفْسِكَ وَأَرْتَجِلْ ، فَإِنَّكَ فِي قَوْمٍ عَنِ الْجَارِ أَمْوَاتُ
وَدُونِكَ أَذْوَادِي إِلَيْكَ ، فَإِنِّي مُحَاذِرَةٌ أَنْ يَغْدُرُوا بِبُيَّاتِي^(٤)

(١) اسم جبل قيل امتنعت فيه قبائل معد عن ملوك اليمن وهزمت جموعهم (٢) ساحة

(٣) يعدو : يسطو . الشاة : النعجة . تريد ان ليس احد يدافع عن حقها في جوار جساس

(٤) دونك : اسم فعل بمعنى خذ . أذواد : جمع ذود وهي من النوق ما فوق الاثنيتين ودون

وَيَسِّرْ نَحْوَ جَرْمٍ ، إِنَّ جَرْمًا أَغْرَءٌ وَلَا تَكُ فِينَا لَاهِيًا بَيْنَ نِسَوَاتٍ^(١)
والعرب تسمي هذه الايات بالموثبات لان البسوس لما انشدتها اوغرت الصدور ،
فهب جساس وهو لا يعي من الغضب ، وطلب كليبا في الحمي فطعنه من ورائه طعنة
أرداه بها . فلما وصل الخبر الى المهلهل ، وكان يشرب وهماماً اخا جساس ، قال :
« يد جساس اقصر من ذلك . » وظل يشرب ويقول : « اليوم خمرٌ وغداً امرٌ . »
وشاع مقتل كليب في بني تغلب ، فقامت عليه النوائح وشقت الجيوب ، وعقوت
الحيول . واقام المهلهل زمناً على قبر اخيه يرثيه ولا يفعل شيئاً سوى الوعيد حتى يئس
قومه منه ثم هب للقتال فدارت رحى الحرب بين بكر وتغلب . وايامها المشهورة خمسة :

١ : يوم التَّيْهِي ، وكان لتغلب على بكر

٢ : يوم الذنائب ، انتصرت فيه تغلب وقتل شراحيل اخو جساس

٣ : يوم عنيزة ، تكافأوا فيه

٤ : يوم واردات ، وكان لتغلب على بكر وقتل فيه همام اخو جساس

٥ : يوم تحلاق الهمم ، انتصرت فيه بكر واسر الحارث بن عباد المهلهل ثم

اطلقه بعد ان جز ناصيته

وقيل ان حرب البسوس دامت اربعين سنة ، ولكن لما مات المهلهل خفت
المناوشات ، وكان آخر من قتل فيها جساس قتله ابن اخته الهجرس بن كليب . وذكر
الرواة ان الملك المنذر والد عمرو بن هند ملك العراق هو الذي اصلح بين الفريقين بعد
موت المهلهل ، وقيل غيره

المأمر

اشعار متفرقة في كتب الادب رثا . كلها في اخيه كليب وتوعد قاتليه . وقد

العشرة وقيل الثلاثين . محاذرة : خائفة . تقول : خذ ما لي من النوق بدل ناقتك فاني هنا
اخاف على بناتي الصغار من الغدر

(١) جرم : قبيلة الرجل . تقول : اذهب الى جرم فانها عزيزة تحميك ولا تبقي هنا في

قوم كلهم نساء

نحله القصاصون ديوان شعر ورواية تعرف «بقصة الزير» فيها من ركيك العبارة ،
وسخيف النظم ، وضعف التأليف ما يتبعها منه المهلهل .

مميزته — المراء

4 نسب الى المهلهل شعر في الغزل ولكنه قليل ، وفي الاغاني انه اول من استعمل
الغزل في الشعر ، غير ان ميزته الشعرية ليست في غزله وانما هي في رثائه وتفجعه على
اخيه ، في رقة عاطفته التي اكسبت شعره سهولة وليناً حتى ليدهشنا ان نجد هذا في
شاعر جاهلي قديم عاش هو والشنفرى في عصر واحد بعدما رأينا ما في شعر هذا
البدوي الحشن من متانة وشدة اسر . فكيف تمت الرقة لاحدهما ولزمت الحشونة
الآخر ؟ ..

ولكي نجيب على ذلك يجدر بنا ان ندرس نشأة الاثنين والبيئة التي عاشا فيها
وما رافق حياتهما من المؤثرات الخارجية . فالشنفرى عرفناه لصاً صعلوكاً يعيش بين
الوحوش في الغابات والبراري مطروداً ومكروهاً من قومه يشن الغارات في الليالي
المظلمة الباردة ، فيقتك وينهب ، فلا بدع ان يكون شعره مرآة لحياته الحشنة .
اما المهلهل فقد نشأ في بيت كريم النجار له السيادة على قبائل معد كلها ، فانصرف
الى اللهو والطرب ومحادثة النساء ، ومعاقرة الحمر شأن الامراء امثاله . فليس من
عجب ان تلين طباعه وترق عاطفته . ثم قتل اخوه كليب وما اخوه الا عز بني تغلب
ومجدهم ، فاستولى عليه الحزن والجوع فسالت عاطفته على شعره فجاء رقيقاً مهلهلاً .

وهناك نظرة عامة لا نرى بداً من الاشارة اليها وهي ان اكثر شعراء ربيعة
لا يخلو شعرهم من لين وسهولة ولعل قربهم من امصار العراق والسواحل البحرية
اكسبهم هذه الرقة ، وليس من ينكر تأثير الاقاليم في النفوس فابن الساحل ارق
طباعاً من ابن الجبل ، والساكن في المدن او على مقربة منها آلين عاطفة ممن يعيش بعيداً
عنها . ونحن نعلم ان اطراف جزيرة العرب المتاخمة للعراق والشام والحبش كانت
في العصر الجاهلي اكثر حضارة من غيرها ، ومن المعقول ان تؤثر هذه الحضارة في
نفوس شعرائها فتروق عواطفهم وترق معها الفاظهم .

ومن فاسد الرأي ان نحصر رقة العاطفة في عصر دون آخر فهي تعيش مع العصور كلها وتكون في البدوي كما تكون في الحضري . وقد نجدها في شاعر يعيش في البادية ولا نجدها في آخر يعيش في الامصار . ورب شاعرين يعيشان في عصر واحد واقليم واحد ، ترى في شعر احدهما رقة وفي شعر الآخر خشونة ، كجرير والفردق الشعاعين الامويين فالفردق في شعره لا يقل شدة واسراً عن اخشن شاعر في الجاهلية ، على حين ان جريراً يذوب رقة وعاطفة . واي وجه لاشبه نلقاه في شعر ابي نواس واي تمام وكلاهما عاشا في العصر العباسي الاول وكلاهما اتصلا بالخلفاء وحظيا عندهم ، فكان شعر ابي نواس رقيقاً ليناً ، وشعر ابي تمام متيناً خشناً مع ان الثاني جاء متأخراً عن الاول .

لماذا وقد عرفنا ذلك فلا نعجب اذا قرأنا شعراً رقيقاً في الجاهلية بل يجب ان ندرس العوامل التي أثرت في نفس الشاعر فمحتة الرقة والسهولة . وقد عرفنا العوامل التي أثرت في نفس المهمل فأرقت عاطفته وهلمت شعره . فاذا هو يسمعنا في رثاء اخيه شبيه الماء سلاسة وعذوبة ، مثال ذلك « رائيته » الحسناء التي قالها بعد ان دفن اخاه واقام على قبره يرثيه ، واليك بعض منتخبات منها :

أَهَاجَ قَدَاءَ عَيْنِي الْأَذْكَارُ ؟ هُدُوءًا ، فَالْدُمُوعُ لَهَا أَنْجِدَارُ ؟ ^(١)
وَصَارَ اللَّيْلُ مُشْتِمِلًا عَلَيْنَا ، كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ
وَبِتُّ أَرَأَيْتُ الْجُوزَاءَ ، حَتَّى تَقَارَبَ مِنْ أَوَارِثِلَهَا أَنْجِدَارُ ؟ ^(٢)
أَقْلَبُ مُقَلَّتِي فِي إِثْرِ قَوْمٍ ، قَبَايِنَتِ الْبِلَادُ بِهِمْ فَعَارُوا ؟ ^(٣)

(١) في كتب اللغة هاج : ثار وتحرك . وهاجه اثاره وحركه . ولم يرد هاج الا بمعنى ايبس . فتكون الهزة هنا للاستفهام وقد وقع الوصل بين البيت الاول والثاني لاتفاقها في الانشاء لان البيت الثاني وان تكن جملة الشطر الاول منه خبرية لكن لم يرد بها الاخبار بل اظهار النحس والحزن ، وهو مجاز مركب يقصده نقل الجملة من الاخبار الى الانشاء .
القذاء والقذى : ما يقع في العين فيوجعها . الهدوء : الهزيع من الليل يهدأ فيه الناس اي ينامون .
الانحدار : السيلان . يقول : ان ذكر كليب اثار قذى عيني ليلا فسات الدموع منها .
(٢) الجوزاء : برج في السماء . انحدار : هبوط (٣) قباينت : تباعدت . غاروا : اختفوا عن العين

وَأَبْكِي وَأَنْجُومَ . مُطَلَّعَاتُ كَأَنَّ لَمْ تَحْوَهَا عَنِّي الْبَحَارُ (١)
 عَلَى مَنْ لَوْ نَعِيتُ وَكَانَ حَيًّا لَقَادَ الْحَيْلَ يَجْجُبُهَا الْعُبَارُ (٢)

ومن قصيدة له يرثيه :

كَلِيبُ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا إِنْ أَنْتَ حَلَيْتَهَا فَيَمَنْ يُحَلِّيَهَا
 كَلِيبُ أَيُّ فَقْرٍ عَزٍّ وَمَكْرُومَةٍ تَحْتَ الصَّفَاةِ الَّتِي يَفْلُوكُ سَافِيهَا (٣)
 نَعَمِ الْأَنْعَاءُ كَلِيبًا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ مَالَتْ بِنَا الْأَرْضُ أَمْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا (٤)
 لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا هَبَطَتْ وَأَنْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَأَنْجَابَتْ بَيْنَ فِيهَا (٥)

والمهمل اسلوب خاص في رثائه وتفجعه تظهر فيه تعابيره الشخصية ، فهو
 إذا ألم عليه الحزن صعد الزفرات مكررة وبدا لك منه غلو في تهديده بني بكر
 وضربه عليهم معجزات الشروط ليرضى بمصالحتهم ، واليك أمثلة من تعابيره الخاصة :

دَعَوْتُكَ يَا كَلِيبُ ، فَلَمْ تُجِئْنِي وَكَيْفَ يُجِئْنِي الْبَلَدُ الْقَقَارُ (٦)
 أَجِئْنِي يَا كَلِيبُ ، خَلَكَ ذَمُّ ضَمِينَاتِ النَّفُوسِ لَهَا مَرَارُ (٧)
 أَجِئْنِي يَا كَلِيبُ ، خَلَكَ ذَمُّ ، لَقَدْ فُجِعَتْ بِفَارِسِهَا تَرَارُ (٨)

ثم يقول :

أَتَقْدُوا يَا كَلِيبُ مَعِيَ إِذَا مَا جَبَانُ الْقَوْمِ أَنْجَاهُ الْفَرَارُ (٩)

(١) مطلعات : طالعة . يقول : ابكي في ليل طويل كأن نجومه الطالعة لا تقرب
 في البحار (٢) لقاد الحيل : مجاز مرسل أي لقاد فرسانها (٣) سافيا : ترابها المتذري المتبدد
 (٤) الرواسي : الجبال الثابتة (٥) انجابت : انكشفت (٦) البلد الققار : الخالي من ادم .
 (٧) ضمينات النفوس : النفوس الغوالي التي يرض بها أي يبتل بها . يقول : دعوتك يا كليب
 فأجب ندائي فانت غال علينا والنفوس الغوالي ترار وتدعى للحاجة اليها . وقوله « خلاك
 ذم » احتراس لطيف ، ينفي به الذم عن اخيه لسكونه عنه (٨) قبيلنا بكر وتقلب تنسيان
 إلى ربيعة بن ترار بن معد بن عدنان (٩) أي أتقدوا معي إلى الحرب

أَتَعْدُو يَا كَلِيبُ مَعِيَ إِذَا مَا حُلِقُ الْقَوْمُ يَشْحَذُهَا الشِّفَارُ ^(١)

ومن ذلك قوله يتفجع ولا يرى نظيراً لفقْد كليب في كل ما يذكره :

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِيبٍ إِذَا خَافَ الْمَعَارُ مِنَ الْمَغِيرِ ^(٢)

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِيبٍ إِذَا طُرِدَ الْيَتِيمُ عَنِ الْجَزُورِ ^(٣)

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِيبٍ إِذَا بَرَزَتْ مُجَبَّأَةُ الْخُدُورِ ^(٤)

ومن قصيدة يذكر فيها شروطه ليقبل الصلح ، وفيها التكرار والمغلاة

في الطلب :

ذَهَبَ الصُّلْحُ أَوْ تَرُدُّوْا كَلِيبًا أَوْ تَخْلَوْا عَلَى الْحُكُومَةِ حَلًّا ^(٥)

ذَهَبَ الصُّلْحُ أَوْ تَرُدُّوْا كَلِيبًا أَوْ أَذِيقَ الْعِدَاةَ شَيْبَانَ تُكَلًّا ^(٦)

ذَهَبَ الصُّلْحُ أَوْ تَرُدُّوْا كَلِيبًا أَوْ تَنَالَ الْعِدَاةُ هُونًا وَذَلًّا

ذَهَبَ الصُّلْحُ أَوْ تَرُدُّوْا كَلِيبًا أَوْ تَذُوقُوا الْوَبَالَ وَرِدًّا وَنَهْلًا ^(٧)

ذَهَبَ الصُّلْحُ أَوْ تَرُدُّوْا كَلِيبًا أَوْ تَمِيَاوَا عَنْ الْحَلَالِ غَزْلًا ^(٨)

ونرى ان نكتفي بما اوردناه من الامثلة فان فيها ادلة واضحة على اسلوب

المهلل في التكرار وحب المغلاة . ولعل الرواة استغلوا هذه الحاصة في الشاعر فاضافوا

اليه ما ليس له لاننا نقرأ في اشعاره ابياتاً كثيرة فيها اسفاف وابتذال لا يصح

نسبتهما اليه مهما بلغ شعوره من اللين والهلهلة مثال ذلك :

(١) حلق القوم : اي رقايم وهو مجاز . شحذ السكين : احدها . الشفار جمع

شفرة : النصل . وقوله هنا يشحذها اي يبرحها (٢) المدل : المثل والنظير . المعار : من

وقفت عليه الفارة . المغير : من شنها . المعنى : مهما اشتدت الفارة على الاعداء وخافوا

فلا يعادل ذلك فقد كليب (٣) الجزور : ما يذبح من الشاء ويريد به الطعام (٤) الخدور جمع

خدر : خباء المرأة ، وقوله مجبأة الخدور اي النساء الحرائر . قال ابو هلال العسكري :

ان المهمل يكرر هذا الشطر في اكثر من عشرين بيتاً (٥) الحكومة : القضاء بالامر وفصل

الخصومة . وبرادجها هنا الاحتكام لل سيف (٦) شيبان : قبيلة حساس (٧) الوبال : الشدة

وسوء العاقبة . الورد : الاقبال على المساء . النهل : اول الشرب (٨) الحلالل : جمع

حليلة وهي الزوجة . عزلا مصدر عزل : تنحى (لازم) اي ان يبتعدوا عن نساءكم ابتعاداً

ذَهَبَ الصَّلْحُ أَوْ تَرَدُّوا كَلِيًّا أَوْ تَخَلُّوا عَلَى الْحُكُومَةِ حَلًّا
 ذَهَبَ الصَّلْحُ أَوْ تَرَدُّوا كَلِيًّا أَوْ تَنَالِ الْعُدَاةُ هُونًا وَذَلًّا
 وقوله :

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِيبٍ إِذَا طَالَتْ مُقَاسَاةُ الْأُمُورِ
 عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِيبٍ إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُ الزَّمْهِرِ
 عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلِيبٍ إِذَا وَثَبَ الْأُمُتَارُ عَلَى الْمَيْمِ
 وقوله :

أَلْعَزْمُ وَالْعَزْمُ كَانَا مِنْ طَبَائِعِهِ مَا كُلُّ الْآثَةِ يَا قَوْمُ أَحْصِنِيهَا
 فكان هذه الابيات وغيرها دسًا لتقلقلها واضطرابها وما فيها من ركاكة
 وابتذال . وهذا ما جعل الرواة يزعمون ان الاضطراب والاختلاط من صفات شعر
 المهمل ، قال ابن سلام : « وانما سمي مهملًا لهلهة شعره كهلهة الثوب وهو
 اضطرابه واختلافه . من ذلك قول النابغة :

أَتَاكَ بِقَوْلِ هَلْهَلِ النَّمِجِ كَاذِبٌ

ومن غلوه الفاحش قوله :

وَأَوَّلَا الرِّيحُ أُسْمِعَ مَنْ بِحَجَرٍ صَلِيلٍ الْبَيْضُ تَقَرَّعُ بِالذُّكُورِ^(١)
 وقد قيل انه اكذب بيت قاله العرب . وبين حجر وهي قصبية اليامة ،
 ومكان الموقعة عشرة ايام .

عمرته

٤ يتبين لنا مما تقدم ان المهمل شاعر العاطفة في رثائه وتفجعاته المتصاعدة تكراراً
 شاعر الغلو في تهديده وادعائه . وهو يمثل احسن تمثيل رقة الشعر في قبائل ربيعة ،
 وتأثير الاقليم والنشأة وعيشة الترف في البدوي ، وما للعوامل النفسانية حزناً او
 سروراً من اثر في العاطفة ، وفي الشعر الذي يستقطر من تلك العاطفة . ويعد من
 الطبقة الثانية بين شعراء الجاهلية

(١) البَيْضُ : جمع بيضة وهي الخوذة . الذكور جمع ذكر : اصلب السيوف وأشدّها يساً

المعلقات

هي اجود ما وصل اليها من الشعر الجاهلي ، وتسمى السُّمُط اي العقود . قال ابو زيد القرشي في كتابه « جمهرة اشعار العرب » ان ابا عبيدة قال : اصحاب السبع التي تسمى السُّمُط : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والاعشى ، ولييد ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة . وقال المفضل : من زعم ان السبع التي تسمى السُّمُط لغير هؤلاء فقد ابطل . فاسقط من اصحاب المعلقة عنتره والحارث بن حلزة واثبت الاعشى والنابغة . واعتمد ابو زيد القرشي على ابي عبيدة والمفضل في ترتيب اصحاب المعلقة فجعلهم سبعة في مقدمة كتابه ولكنه خالف ذلك عند ذكر القصائد ، فأضاف اليهم عنتره فصاروا ثمانية . وجعلهم التبريزي عشرة مضيفاً الى من ذكرنا اسماءهم قصيدة عبيد بن الابرص . وجعلهم الزوزني في شرحه المشهور سبعة وهم : امرؤ القيس ، وطرفة ، وزهير ، ولييد ، وعمرو بن كلثوم ، وعنتره ، والحارث بن حلزة . وهذا ما رأينا ان نتبعه نحن

تعليقنا على البيت الحرام

اختلف في تسميتها بالمعلقة فزعم بعضهم ومنهم ابن عبد ربه وابن رشيق وابن خلدون ، ان العرب لشدة اعجابهم بها كتبوها في التَّبَاطِي^(١) بماء الذهب وعلقوها على الكعبة فلذلك سميت المذھبات . اما النخاس وهو معاصر لابن عبد ربه فقد انكر تعليقها على البيت الحرام وزعم ان حماداً الراوية هو الذي جمع السبع الطوال وقال للناس هذه هي المشهورات . وقيل : بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول علقوا لنا هذه لتكون في خزانته . ويرجح اليوم انها اُتت المعلقة لتبنيها بالسُّمُط التي تعلق بالاعناق وقد دعت المذھبات لانها تستحق ان تكتب بماء الذهب لنفاستها

١ (١) القبايطي : ثياب بيض رقاق من كتان سميت بذلك نسبة الى إقباط مصر الذين كانوا تعايطون نسجها

اصحاب المعلقة السبع

(١) امرؤ القيس

(٩) ٥٦٥

- حياته : ولدني نجد . ابوه ملك بني اسد . نشأ ميالاً الى اللهو والترف . تهتك بشعره ففضب عليه والده فطرده . تطوافه في القبائل ينظم ويشرب ويلهو . مقتل والده . سعيه للاخذ بالنار . ذهابه الى القيصر . رجوعه وموته في انقرة . سبب عطف القيصر عليه
- آثاره : ديوان شعر مطبوع . اشهر ما فيه المعلقة نظمها لحادثة جرت له مع ابنة عمه . ثم وصف الفرس والصيد والمطر
- ميزته : ابتكار المعاني والتعابير . رقة الغزل . القصص الغرامي والتعجب . سعة خياله . وصفه الدقيق للفرس والصيد والمطر . تشابيه المبتكرة للطبيعة
- شعره الوصفي : مقابلة بين اربع قصائد له ، تظهر منها وحدة في التفكير والتعبير ، وتبدو ميزة الشاعر وشخصيته
- درس تاريخي : والدة امرؤ القيس ليست اخت كليب والمهازل . خلو شعره من ذكرهما وذكره لغيرهما . عدم افتخاره بانتصارات تغلب . اللامية الاخرى نظمت في البلاد العربية ولم تنظم في القسطنطينية تفزلاً بابنة القيصر ، نظمها بعد موت والده . امرؤ القيس زار بلاد الروم اكثر من مرة . معرفته الالفاظ الرومية . معارفه في بلبك وحمص
- صحته شعره : ضياع شعره . الشك في صحته بعض ابيات من المعلقة . نخله اشعاراً ليست له . ما تنانته وعدم صحته . رد على طه حسين واثبات صحته المعلقة والقصائد الثلاث التي قالها جميعاً

هو امرؤ القيس بن حنجر الكندي ولد في نجد وابوه ملك على بني اسد وغطفان
وقيل ان امه فاطمة بنت ربيعة اخت كليب والمهمل، وقد اختلف في اسمه والمشهور
انه يدعى جندحاً وله كنيستان وهما ابو وهب وابو الحرث، وثلاثة القاب وهي
ذو القروح ^(١) والذائد ^(٢) والملك الصَّلِيل ^(٣)

نشأ امرؤ القيس ميالا الى الترف والاهو شأن اولاد الملوك . ونظم الشعر فتياً
وكان يتهتك في غزله ويفحش في سرد قصصه الغرامية فغضب عليه والده ونهاه فلم
ينته فطرده فراح يطوف احياء العرب في جماعة من اصحابه ، يصطاد ويشرب الخمر
وينظم الشعر وتقني له القيان . وفيما هو بدءون من ارض الشام اتاه نعي ابيه وكان
بنو اسد قد خرجوا عليه وقتلوه . فهب امرؤ القيس للاخذ بثأره ^(٤) واخذ يستنجد
القبائل ، فلم تنجده الا قليلا . فسار الى القيصر يوستينيانوس في القسطنطينية فعطف
عليه ووعد بان يساعده على الاتيآر لوالده ولكن طال الامر بالشاعر وهو ينتظر
دون جدوى ، فضجر ، وقفل راجعاً فلما بلغ انقرة اصيب بداء فمات . وقد ذكر
ذلك المؤرخ الرومي « نونز » . وجاء في مخطوط قديم ان القيصر لما علم بموته حزن
كثيراً واقام له تمثالا شاهده المأمون لما غزا بلاد الروم .

ويُعزى عطف القيصر على امرؤ القيس لانه كان نصرانياً مثله . على ان هذا
وحده لم يكن كافياً لاهتمام يوستينيانوس بمساعدة الملك الطريد لولا طموحه الى منافسة
الاكاسرة وبسط سيطرته على جزيرة العرب . ويظهر ان عقبات قامت دون بغيته
فلم يستطع تحقيقها .

وقد احاطت بحياة امرؤ القيس وموته طائفة من الاساطير فرائنا ان نضرب
عنها صفحاً لعدم فائدتها .

(١) لقوله : وبُذلت قرحاً دائماً بعد صحة (٢) لقوله : أذود القوافي عني زيادا
(٣) لطوافه على القبائل مستنجدا (٤) روي انه كان على شراب لما جاءه خبر ابيه فقال :
اليوم خمر وغدا امر . وقد ذكر هذا المثل ايضاً للمهمل لما نعي اليه اخوه

ديوان شعر طبع مراراً وقد شرحه البطليوسي النحوي المتوفى سنة ١١٠٠ م .
و ٤٩٩ هـ . وله المعلقة المشهورة وهي اولى المعلقات تحتوي على ثمانين بيتاً من البحر
الطويل نظمها على اثر حادثة جرت له مع ابنة عمه عنيزة ، وكان يهواها فوصف الحادثة
ثم انتقل الى وصف الفرس والصيد والبرق والمطر .

ميرته

هو اسبق الشعراء الى ابتكار المعاني والتعابير واول من وقف على الطول
واستوقف وبكى واستبكى في مطلع معلقته اذ يقول :

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَيْنٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْلٍ (١)
وهذا المطلع من احسن الابتداءات عند العرب يقاربه في الحسن مطلع لاميته
الثانية :

أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَثْهَا أَطْلَلُ أَلْبَالِي وَهَلْ يَعْنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي (٢)
وهو اول من قيد الاوابد اذ يقول في المعلقة :

وَقَدْ اغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بِمَنْجَرْدٍ قِيدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٍ (٣)
واول من ادخل في الشعر الغزل الرقيق والقصص الغرامي واتبعه الشعراء من

(١) قفا : قيل خاطب صاحبيه او خاطب واحدا وأخرج الكلام مخرج الخطاب مع اثنين .
السقط : منقطع الرمل حيث يستدق من طرفه . اللوى : رمل يعوج ويلتوي . الدخول
وحول : موضعان (٢) عم : فعل امر من وعم يعم أي نيم . الخالي : الماضي . العصر
والعصر واحد . المعنى : يحبي الشاعر طلال حبيبته ثم يعود الى نفسه فيسألها متحسرا وهل
يعمن طلال اصبح في غير عهده وتفرق أهله وخلا من ساكنيه ؟ . (٣) اغتدى وغدا واحد .
الوكنات : واحدها وكنة : عش الطائر . المنجرد : الماضي في السير وقيل بل هو قليل
الشعر وهو صفة للجواد . الاوابد : الوحوش . الهيكل : العظيم الجرم . يقسول : وقد
اغتدي والطير بعد مستقرة في اعشاشها على جواد ماض في السير قليل الشعر يقيد الوحوش
بسرعة لحاقه اياها عظيم الالواح والجرم

بعده . وكان يتعهر في ذكر اخباره مع النساء فهو من هذا القبيل فاسق متمتلك .
وفن القصص الغرامي ومحادثة النساء قليل في الشعر الجاهلي ، فلا نجد بعد امرئ
القيس الا في شعر المنخل الشكري ولا سيما قصيدته « الرائية » في المتجردة امرأة
النعمان . ولكن هذا الفن شاع في صدر الاسلام وكان حامل لوائه عمر بن ابي ربيعة
والعرجي والفَرَزْدَق .

وسبق امرؤ القيس الشعراء الى اشياء عديدة ، ولعل كثرة اسفاره وسعت
خياله وساعدته على الاستنباط ، فاجاد الاستعارة والتشبيه ، فهو الذي شبه النساء
بالظباء والبيض ، والحيل بالعقaban والعصي . وبرع في الوصف الدقيق على الجاز في
التعبير وجزالة في الالفاظ . ولا بد من القول ان ميزة امرئ القيس قائمة على اربع
قوائد وصلت اليها من شعره الوصفي ، ففيها تظهر لنا ابتكاراته وتعاييره الخاصة
ومقدرته على تصوير الموصوف . على ان سائر شعره وان كان قليلا لا يخلو من
فوائد تاريخية سنأتي على ذكرها

شعره الوصفي — اربع قصائد

اكثر ما يتناول امرؤ القيس في شعره الوصفي النساء والصيد والفرس والناقة
والطير . وانك لتجد في معاني هذه الاوصاف وتعاييره وحدة في التفكير تدل
على ميزة الشاعر وشخصيته وهذا مثال من غزله القصصي :

قال في معلقته :

وَبَيْضَةُ خَدَرٍ لَا يُرَامُ خَبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوِ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلٍ ^(١)
تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا إِلَيْهَا وَمَعْشَرًا عَلَيَّ حِرَاصًا لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي ^(٢)

(١) أي ورب بيضة خدر يعني ورب امرأة لظمت خدرها . قيل والنساء يشبهن بالبيض
من ثلاثة اوجه : احدها بالصحة ، والثاني في الصيانة لان الطائر يصون بيضه ويحضنه ،
والثالث في صفاء اللون وتقاؤه لان البيض يكون صافي اللون نقيه اذا كان تحت الطائر .
(٢) احراس : جمع حارس أو جمع حرس . المعشر : القوم . الحراس : جمع حريص . يسرون :
ضد يظهرون . يقول : تجاوزت في ذهابي اليها أهوالاً كثيرة وقوماً يبرسونها حراساً على قتلي
لو قدروا عليه في خفية . وفي ذلك اشارة الى انه ملك والملوك لا يقدر على قتلهم علانية

فَقَالَتْ : يَمِينُ اللَّهِ مَا لَكَ حِيلَةً وَمَا إِن أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي (١)

وقال في «لاميته» التي مطلعها «الأعم صباحاً» :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ خَالًا عَلَى خَالٍ (٢)

فَقَالَتْ : سَبَّكَ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي أَلَسْتَ تَرَى السُّمَارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي (٣)

فَقُلْتُ : يَمِينُ اللَّهِ لَا أَنَا بَارِحٌ وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي (٤)

فانت ترى في سرد هاتين القصتين ، صلة ظاهرة ووحدة في المعاني والتعبير ، تبدو لنا فيها طريقة الشاعر في القصص الغرامية . فهو في الأولى وفي الثانية تجاوز الى من يهوى اهوالا وحراساً يحيطون بها ، وهو في الأولى وفي الثانية يحمل الحبيبة تتخوف من زيارته وتلومه وتعنفه ، وهو في الأولى وفي الثانية يستعمل الحلف في قوله : يمين الله وهذا ما اخبر عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

علمه غروره المرحمة ابا بقية من شعراء

وصف الفرس والصيد

واليك امثلة من وصف الفرس والصيد ، واكثر ما يصف امرؤ القيس فرسه في غدوه الى الصيد وانطلاقه وراء الطرائد . قال في المعلقة :

(١) اليمين : الحلف . النواية : الضلالة . تنجلي : تنكشف . يقول : قالت أحلف بالله ما لك حيلة أي عذر او حجة في ان تفضخني بزيارتك ليلاً . وما ارى ضلال العشق وعماه منكشفاً عنك . (٢) حباب الماء : نفاخاته التي تعلقه . يقول : صعدت اليها بلطف وخفية كما يصعد حباب الماء بعضه على بعض دون ان يحدث جلبية . ووجه الشبه هنا لطف الوصول الى الحاجة . وامروؤ القيس اول من طرق هذا المعنى واشكره وسلم الشعراء به اليه ولم ينازعه اياه احد . (٣) سباه الله : دعاء عليه أي ابعده وغربه . السمار : جمع سامر وهو المجالس والمحدث ليلاً . احوال : جمع حول وهي الجهات المحيطة بالشخص . يقول : انها ذعرت من مجيئه اليها ليلاً وقالت أبعدك الله الا ترى المتسامرين والناس يحيطون بي من كل جانب . (٤) الاوصال : جمع وصل او وصل وهو مجتمع العظام او كل عضو على حدة لا يكسر ولا يوصل به غيره

وَقَدْ اغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا
كُمَيْتٌ يُزِلُّ اللَّبَدَ عَنْ حَالِ مَشْيِهِ
عَلَى الذَّبَلِ جَيَّاشٌ كَانَ أَهْتَرَامَهُ
دَرِيرٌ كَحُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرَهُ
لَهُ أَیْطَلَا ظِيٍّ ، وَسَاقَا نَعَامَةٍ
ضَالِيعٌ إِذَا اسْتَدْبَرَتْهُ سَدَّ فَرْجَهُ
(١) بِمَنْجُودٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٌ
(٢) كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُنْتَزِلِ
(٣) إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيَّةٌ ، غَلِيٌّ مَرْجَلٌ
(٤) تَتَابَعُ كَقَمِيَّةٍ بِحَيْطٍ مُوَصَّلِ
(٥) وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ ، وَتَقْرِيبُ تَنْثُلِ
(٦) بِضَافٍ فُؤَيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ

(١) اغتدى وغدى واحد . الوكنات واحدها وكنة : عش الطائر . المنجود : الماضي في السير وقيل بل هو قليل الشعر . الاوابد : الوحوش . الهيكَل : العظم الجرم . يقول : وقد اغتدى والطير بعد مستقرة في اعشاشها على جواد ماض في السير قليل الشعر يقيد الوحوش بسرعة لحاقه اياها ، عظيم الالواح والجرم . (٢) الكميت : ما لونه بين السواد والحمرة . يزل : يزلق . اللبد : ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج ويعرف باللبادة . الحال : مقعد الفارس من ظهر الفرس . المتن : الظهر . الصفواء : الحجر الصلب الاملس . المنتزل : النازل . يقول : هذا الفرس الكميت يزلق لبدته عن ظهره لاغلاسه واكتناز لحمه وهما يحمدان من الفرس ، كما يزل الحجر الصلب الاملس امطر النازل عليه او الانسان النازل عليه (٣) الذبل : الضمور والضعف . الجيَّاش : اسم مبالغة من الجيشان وهو الجياج والغليان . الاهتزام : صوت الفرس في سرعة السير ، وقيل بل صوت تكسر صهيله في صدره . جاش : غلى ، من غلت القدر . حمية : حرارة نشاطه . المرجل : القدر يقول : هو شديد الغليان على ضعفه وضموره وكان صوت تكسر صهيله في صدره اذا جاشت فيه حرارة نشاطه ، غليان قدر . (٤) الدرير : بمعنى اسم الفاعل من الدر ، صفة للفرس الذي يدر الجري اي يديمه ويتابعه ويسرع فيه . الحذروف : حصاة مثقوبة او آلة مستديرة من جلد او خشب يجعل الصبي في ثقبها خيطاً ويديرها على رأسه . أمره : احكم قتله . المعنى : ان هذا الفرس يتابع السير السريع كأنه الحذروف في دورانه اذا احكم قتل خيطه وكان الخيط موصلاً . (٥) الايطل : الخاصرة . الارخاء : ضرب من عدو الذئب يشبه خبب الدواب . السرحان : الذئب . التقريب : ضرب من العدو يكون بوضع الرجل موضع اليدين . التثفل : ولد الثعلب . شبه خاصرتي جواده بخاصرتي الغزال في الضمور وساقيه بساقي النعام في الانتصاب والطول ، وعدوه بارخاء الذئب ، وتقريبه بتقريب ولد الثعلب فجمع اربعة تشبيهات في بيت واحد . (٦) الضاليع : العظم الاضلاع والمثفخ الجين . استدبرته : نظرت الى مؤخره . الفرج : الفضاء بين اليدين والرجلين . ضاف : طويل سابغ ، صفة لموصوف محذوف وهو ذيل الفرس . فويق : تصغير فوق للتقريب . الاعزل : الذي يميل عظم ذنبه الى احد الشقين . يقول :

كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بَنَحَهُ عَصَارَةُ حَنَاءَ بَشِيبٍ مُوَجَّلٍ ^(١)
 فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نَعَاجَهُ عَذَارَى دُورٍ فِي مَلَاءٍ مُدَّيْلٍ ^(٢)
 فَالْحَقْنَا بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزِيلِ ^(٣)
 فَعَادَى عَدَاءَ بَيْنِ ثُورٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكًا وَأَمَّ يَنْضَحُ بِمَاءٍ فَيَغْسِلُ ^(٤)
 فَظَلَّ طُهَاءُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيفٍ شَوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ ^(٥)

وقال من قصيدة اخرى :

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا وَمَاءُ النَّدَى يَجْرِي عَلَى كُلِّ مِذْنَبٍ ^(٦)

هذا الفرس عظيم الاضلاع متنفخ الجبين اذا نظرت اليه من خافه رأيتَه قد سدَّ الفضاء الذي بين رجلَيْهِ بذنبه السابغ الطويل الذي قرب من الارض وهو غير مائل الى احد الشقين . فسجوغ ذنبه من دلائل عتقه وكرمه ، وشرط كونه فوق الارض لانه اذا بلغ الارض وطئه برجلَيْهِ واستواء عسب ذنبه ايضاً من دلائل العتق والكرم

(١) الهاديّات : المتقدّمات والاولائل ويريد بها اوائل الطرائد . النحر : العنق .
 المرجل : المرحل . المشرح : بالمشط . شبه دماء اوائل الصيد في نحر هذا الفرس بعصارة الحناء في شعر الاشيب المشرح . وقيد بالمرجل لان الخضاب لا يفعل في الشيب كله الا بعد الترجيل .
 وكان من عاداتهم ان يخبضوا صدر الجواد بدم الطرائد بعد صيدها . (٢) عن : عرض وظهر . السرب : القطيع . النعاج : يراد بها هنا اناث بقر الوحش . العذارى : الابكار مفردتها عذراء . الدوار : حجر كان عرب الجاهلية ينصبونه ويطوفون حوله تشبهاً بالطائفتين حول الكعبة اذا نأوا عنها . الملاء : جمع ملاءة وهي القطعة من القماش اذا كانت ذات لفتين . المذيل : طويل الذيل . يقول : فعرض لنا قطع من بقر الوحش كأن انائه عذارى يطفن حول الدوار . وشبه الهى في بياض الوانها بالعذارى لانهن مصونات في الحدور لا يقرب ألوانهن حر الشمس . وشبه طول اذنانها بالملاء المذيل وحسن مشيها بحسن تخبثر العذارى . (٣) الجواهر : المتخلفات . الصرة : الجماعة . تزيل : اي تزيل على حذف احد التائين ، ومعناها تتفرّق . يقول : انه لشدة جريه يدرك اوائلها وواخرها مجتمعة لم تتفرّق بعد : (٤) فعادى عداء : اي فوالى موالاة . الدراك : المتابعة . نضج : عرق . يقول : فوالى بين ثور ونعجة في طلق واحد فادركها قبل ان يعرق عرقاً مفرداً يغسل جسده . (٥) الطهارة : جمع طاه اي الطابخ . منضج : شاو اللحم او طابخه . الصفيف : المصقوف على الحجارة لبنضج . القدير : اللحم المطبوخ في القدر . يقول : ظلّ الطابخون وهم بين منضج شواء مصقوفاً على الحجارة في النار ، وطابخ اللحم في القدر على عجل . (٦) الشطر الاول تقدم شرحه في المعلقة . الندى : ما يسقط آخر الليل من المطر . المذنب : المسيل

بِمَنْجَرِدٍ قَيْدِ الْاَوَابِدِ لَاحَهُ^(١)
 عَلَى الْاَيْنِ جِيَّاشٌ كَانَ سَرَاتَهُ^(٢)
 لَهُ اَيْطَلَا ظَنِي ، وَسَاقًا نَعَامَةً ،
 فَيَتَنَا نِعَاجٌ يَرْتَعِنُ خَمِيْلَةً^(٣)
 فَاَذْرَكَ لَمْ يَجْهَدْ وَلَمْ يَثْنِ شَاوُهُ^(٤)
 فَعَادَى عَدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْمَةٍ^(٥)
 تَمْشُ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنًا^(٦)
 كَانَ دِمَاءُ الْهَادِيَاتِ يَنْجَرُهُ^(٧)
 طِرَادُ الْهَوَادِي كُلِّ شَاوٍ مُغْرَبٍ^(٨)
 عَلَى الضَّرِّ وَالتَّغْدَاءِ سَرَاحُهُ مَرْقَبٍ^(٩)
 وَصَهْوَةٌ عَيْرٌ قَائِمٌ فَوْقَ مَرْقَبٍ^(١٠)
 كَمَشِيٍّ أَعْذَارَى فِي الْمَلَاءِ الْمُهْدَبِ^(١١)
 يَمُرُّ كَحَذْرُوفِ الْاَوَادِ الْمُتَقَبِّ^(١٢)
 وَيَبْنِ شُبُوبٌ كَالْقَضِيْمَةِ قَرْهَبٍ^(١٣)
 إِذَا نَحْنُ قُمْنًا عَنْ شَوَاءٍ مُضَهَّبٍ^(١٤)
 عُصَارَةٌ حَتَاءَ بَشِيبٍ مُحَضَّبٍ^(١٥)

(١) بمنجرد قيد الاوابد تقدم شرحه . لاح العطش والسفر فلاناً غيره . والطراد :
 اللحاق . الشاو : المدى والغاية . مغرب : بعيد او يمن في الصيد . يقول : ان هذا
 الجواد غيره لحاقه لاوائل الصيد ، وهو يمن في كل غاية بعيدة المدى ، أو غيره لحاقه لاوائل
 الصيد في كل مدى بعيد . (٢) الأين : التعب والاعياء . سراته : أعلى ظهره . الضمر : الخزال .
 التمداء : كثرة الجري . السريحة : الشجرة العظيمة . المرقب : الموضع المشرف برقع عليه
 الرقيب . يقول : هذا الفرس على اعيائه شديد الغليان وكان أعلى ظهره من الخزال والركض
 الشديد شجرة عالية يتخذها الرقيب مرقباً . فهو يشبه علو ظهره بعلو الشجرة العظيمة .
 (٣) الشطر الاول تقدم شرحه . الصهوة : ما اسهل من ناحيتي سرة الفرس او مقعد الفارس
 منه . العير : الحمار الوحشي . يقول : مقعد الفارس منه في علوه كصهوة حمار وحشي قائم
 على موضع عال . وهي مبالغة في العلو وقد كرر لفظة مرقب في قافيتين متجاورتين .
 (٤) ارنى ورعى واحد . الخميلة : المنهبط من الارض وهي كريمة طيبة للنبات ، والموضع
 الكثير الشجر . المهدب : ذو هدايا وهو ما استرسل من اطراف الاثواب . وقد تقدم
 شرح البيت . (٥) فادرك : اي فادرك الفرس النعاج . يجهد : يتعب . يثني شأوه : يعطفه ويرد
 بعضه على بعض أي انه ادرك غايته في طلق واحد . المتقب والمتقوب واحد وقد مر شرح المعجز
 (٦) الشطر الاول مر شرحه . الشبوب : الثور المسن . الفضيمة : الصحيفة البيضاء
 والجلد الابيض . قربه : المسن الكبير الجسم . وقد شبه الثور لبياضه بالصحيفة البيضاء
 او الجلد الابيض . (٧) تمش : تسبح . اعراف جمع عرف وهو شعر عنق الفرس . المذهب :
 الذي لم يدرك نضجه . يقول : انهم قاموا عن الصيد ولم يبلغوا به النضج للعجلة ومسحوا ايدهم
 بأعراف خيولهم . (٨) مر شرحه

وَأَنْتَ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ
بِضَافٍ فَوَيْقِ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَصْهَبٍ^(١)
وقال من قصيدة غيرها :

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا
لَيْثٌ مِنَ الْوَسْمِيِّ رَائِدُهُ خَالٍ^(٢)
تَحَامَاهُ أَطْرَافُ الرِّمَاحِ تَحَامِيَا
وَجَادَ عَلَيْهِ كُلُّ أَسْحَمٍ هَطَّالٍ^(٣)
يَبْجِلُزَةً قَدْ أَتَرَزَ الْجَرِيُّ لَحْمَهَا
كُنَيْتُ كَأَنَّهَا هِرَاوَةٌ مِنْوَالٍ^(٤)
ذَعَرْتُ بِهَا سِرْبًا نَقِيًّا جُلُودُهُ
وَأَكْرَعُهُ وَشِي الْبُرُودِ مِنَ الْحَالِ^(٥)
وَعَادَيْتُ مِنْهُ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَفْجَةٍ
وَكَانَ عَدَائِي إِذْ رَكِبْتُ عَلَى بَالِي^(٦)
وله من قصيدة ايضاً :

وَقَدْ أَغْتَدِي قَبْلَ الْعَطَاسِ بِهَيْكَلٍ
شَدِيدٍ مُشَكَّ الْجَنْبِ فَعَمَ الْمُنْطَقُ^(٧)
كَأَنَّ غُلَامِي إِذْ عَلَا حَالٌ مَشِيهِ
عَلَى ظَهْرٍ بَازٍ فِي السَّمَاءِ مُحَلِّقٍ^(٨)

(١) الاصهب : ما يخالط بياضه حمرة وقد مرَّ شرح البيت . (٢) الليث : هنا النبات المتسبب عن المطر وهو مجاز مرسل . الوسمي : مطر الربيع الاول سمي به لانه يسم الارض بالنبات . رائد الليث : الذي يطلبه لاهله . خال : منفرد . يقول : انه يسير صياحا الى نبات اطعمه مطر الربيع وطالب هذا النبات يكون منفردا لانه في مكان لا يقصده احد . (٣) تحاماه أي تحاماه : تتجنبه وتبتعد عنه . الاسحم : الاسود صفة لموصوف محذوف وهو الغيم . يقول : هو مكان لا يقصده احد لان الكلا فيه بين حيين متقادين وكلاهما بحميمه ويتجنب دخوله ، والمطر يهود عليه فهو خصب . (٤) بجلز : اي بفرس صلبة اللحم . وهي متعلقة باغتدي . أترز : أليس . الهراوة : العصا . المنوال : ما ينسج عليه الخائف . شبه فرسه بعصا الخائف لضمورها ودقتها وقد اشبع النون في كانها وهو جائز عندهم . (٥) الاكرع : جمع كراع وهو من الدواب ما دون الكعب . الوشي : نقش الثوب ويكون من كل لون . البرود : جمع بُرْد : ثوب مخطط . الحال : برد يني . يقول : ذعرت بفرسي قطيما من بقر الوحش نقي الجلد وكان اكرعه في تلوينها وشي البرود اليمينية . (٦) يريد ان يقول انه كان علي استعداد لهذا العداء . (٧) العطاس : اول ظهور الصباح . الهيكل : العظيم الجرم صفة للفرس . شديد مشك الجنب : أي شديد مفرز الجنب . فعم : ممتلئ . المنطق : موضع النطاق وهما موضع الحزام . يعني ان جواده صلب الجنب ممتلئ الجوف . (٨) الحال : مقعد الفارس من الفرس

فَقُلْتُ لَهُ : صَوَّبْ وَلَا تُجْهِدْهُ فَيَذْرَكَ مِنْ أَعْلَى الْقَطَاةِ ، فَتَرْتَقِ (١)
فَأَذْرَكُهُنَّ ثَانِيًا مِنْ عَنَانِهِ كَغَيْثِ الْعِشِيِّ الْأَقْهَبِ الْمُتَوَدِّقِ (٢)
فَصَادَ لَنَا عَيْرًا وَثَوْرًا وَخَاضِبًا عَدَاءَ وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيَعْرِقِ (٣)

هذه امثلة اربعة من اربع قصائد تُظهر لنا وحدة التفكير في الشاعر وطرقه الشخصية في التعبير عن افكاره ، فهو مهما اتسع عليه مجال الوصف والخيال لا بد له من ان يحوم على اشياء خاصة به فيردها او يعبر عنها بالفاظ تدل عليها . ونحن في هذه الامثلة لم نزاع ترتيب الابيات في القصائد الاربع بل اقتصرنا على ذكر المتشابه منها لان الغاية التي نتوخاها هي اظهار صورة واضحة عن اسلوب الشاعر في وصف جواده وصيده فقد رأينا كيف يقتدي والطير في وكناتها بمنجود قيد الاوابد هيكل كميت جياش . درير كخذروف الوليد له ايطلاطي وساقا نعامه . ضليع اذا استدبرته سد فرجه بضاف فوق الارض . ثم يرينا دماء الهاديات بنجره عصارة حناء بشيب مرجل او مخضب . ونعاج السرب كعذارى دوار في ملاء مزيل او مهدب . ويرينا جواده مراراً يعادي عداء بين ثور ونعجة ، ويدركهن ثانياً من عنانه ثم يعود ولم ينضح بماء فيغسل او فيعرق .

واذا وصف غلامه على ظهر فوسه قال : يزل الغلام الحُف عن صهواته . او يذريه من اعلى القطاة فيزلق . واذا جلس لاكل الصيد قامت الطهاة الى خدمته والطهاة لا ترافق الا الامراء والملوك ، ولكنه لا يأكل الصيد الا على عجل : صفيف شواء . او قدير معجل او اذا نحن قمنا عن شواء مضضب .

(١) صَوَّبَ الْفَرَسَ : ارسله في الجري . ولا تجهدته : أي ولا تعبه . فيذرك : من اذراه عن الفرس صرعه . الْقَطَاةُ : العجز ومقعد الرديف من الدابة . يقول : لا تحمل على العدو الشديد فيصرعك . (٢) ثَانِيًا مِنْ عَنَانِهِ : أي عاطفاً له راداً بعضه على بعضه . الْأَقْهَبُ : الابيض فيه كدرة . الْمُتَوَدِّقُ : المتقطر . معنى البيت : ادرك الفرس الوحش قبل ان يجهد وكأنه في سرعة جريه سحاب العشي الكدر المتقطر . وقد أشبع النون في أدركهن . (٣) الْعَيْرُ : حمار الوحش . الْخَاضِبُ : الظليم اذا أكل الربيع فاحمرت ساقاه والظلم ذكر النعام . يَنْضَحُ : يرشح . يقول : ان هذا الفرس صاد لنا حمار وحش وثورا وخاضباً ، وقد والى بينها موالاة أي تباعاً وعاد ولم يرشح جسمه بماء فيعرق

وقوله :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ

وقوله :

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصُوبَ الْعَمَامِ وَرِيحَ الْخَزَامَى وَنَشْرَ الْقَطْرِ^(١)
يَعْلُ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا غَرَدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرَّ^(٢)

وقوله :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرَهَا الْعَنْابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي^(٣)

وقوله :

كَأَنَّ عُيُونَ الْوَحْشِ حَوْلَ حَبَائِنَا وَأَرْحَلِنَا ، أَلْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبْ^(٤)

وقوله :

كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ ، نَاقِفُ حَنْظَلٍ^(٥)

(١) القطر : عود يُتبخر به (٢) يُعلّ : يسقى تباعاً . المستحِر : المفرد في السحر . يقول : كأن أنيابها لنظافتها وطيب رائحتها سقيت تباعاً المدام ومطر الغمام ، ورائحة الخزام والقطر . وقيد ذلك بقوله : إذا غرد الطائر المستحِر إشارة الى ان فيها لا تنغير رائحته في الصباح كما تنغير رائحة الافواه . ومن امثال العرب نومة الضحى تخلف الفم أي تغير رائحته . (٣) الحشف : التمر اليابس العتيق . والضمير في وكرها عائد الى الفتخاء في بيت سابق . والفتخاء عقاب لينة الجناح تصطاد الطيور وتأتي بها الى وكرها . فهو يشير في هذا البيت الى كثرة ما تأتي به الفتخاء من الطرائد حتى تفضل قلوبها عن الفراخ فلا تأكلها . وقيل ان الجوارح لا تأكل قلوب طرائدها . وقد شبه قلوب الطير عند يسبها بالتمر العتيق اليابس ، وشبهها بالعناب اذا كانت جديدة رطبة . وهو تشبيه مكفوف حسن (الترتيب .

(٤) الارحل جمع رحل : مركب البعير وبمثلة البرذعة للحجار . الجزع : الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض . وقد اراد في هذا البيت الإشارة الى كثرة ما اصطادوا من بقر الوحش فشبه عيونها وهي مائتة بالجزع لانقلابها حتى يرى فيها البياض والسواد . وقوله لم يثقب : ايغال وتحقيق التشبيه لان الجزع اذا لم يثقب كان اشبه بالعيون . (٥) البين : الفراق . تحمّلوا : ارتحلوا . سمرات : جمع سمرة وهي شجرة من الفضا وهوكل شجر يعظم وله شوك . ناقف حنظل : الحنظل : نبت يمتد على الارض كالبطيخ وهو شديد المرارة . وناقفه : الذي يشق ثمره ويستخرج بزره فتدمع عيناه لمرارته . شبه نفسه يوم فراقهم بناقف الحنظل لشدة بكائه

درس تاريخي

قلنا في ترجمة امرئ القيس « وقيل ان امه فاطمة بنت ربيعة ، اخت كليب والمهمل ، » وهذا هو المشهور عنه ، غير اننا لا يسعنا ونحن ندرس شعره ، الا ان ننظر الى هذا النسب بشيء من الاحتياط والشك . فليس في اشعار المملك الضليل ما يدلنا على هذه القربى حتى نؤمن بها ، فلو كان كليب والمهمل خاليه لما استنكف ان يذكرهما مفتخراً ، او ان يشير الى المواقع التي انتصر فيها التغلبيون على البكرين في حرب البسوس .

وربّ معترض يقول : ان شعر امرئ القيس ضاع اكثره لتقدم العهد ولم يصل اليها منه غير القليل . ونحن نسلم بذلك ، ولكن هذا القليل كان كافياً للدلالة لو صحت القربى . فلامرئ القيس قصيدة يفتخر بها ويذكر احواله واعمامه اذ يقول :

خَالِي ابْنُ كَبْشَةَ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهُ ، وَأَبُو يَزِيدَ وَرَهْطُهُ أَتْعَامِي

فمن هذا خاله ابن كبشة ؟ . انه غير كليب والمهمل ، فما كان ابنا ربيعة ينتسبان يوماً الى « كبشة » ولو اراد امرؤ القيس احدهما لذكر اسمه واستقام له وزن البيت . ولكنه يشير الى سواهما لانهما ليسا بجاليه .

على ان هذا لا يمنع ان يكون والد امرئ القيس تزوج فاطمة بنت ربيعة . ولكن الشاعر ليس منها بل من ضرة لها . ولعل فاطمة هذه هي التي تعشقه امرؤ القيس وتغزل بها في معلقته اذ يقول :

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْدَ هَذَا التَّدْلِيلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمِلِي (١)
أَغْرَكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكَ قَاتِلِي وَأَنْتِ مَعَهَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ ؟

وحبه لامرأة ابنيه مشهور وقيل ان والده طرده من اجل ذلك

وزعم الرواة ان امرأ القيس أحب ابنة القيصر وانها هي التي اشار اليها بقوله :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا تَامَ أَهْلَاهَا سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ

وقيل ان اباها علم بأمرها فزوجه اياها . اما نحن فنرى ان القصيدة نظمت بعد موت والده ولكن قبل سفره الى القسطنطينية ، ودليلنا على ذلك ان الشاعر يقول قبل ان يسمو اليها :

تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَذْرَعَاتِ وَأَهْلِهَا يَثْرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظْرُ عَالٍ^(١)
فأين يثرب من القسطنطينية ؟ ...

ويقول ايضاً في مكان آخر :

فَأَصْبَحْتُ مَغْشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا عَلَيْهِ قَتَامٌ ، كَاسِفَ اللَّوْنِ وَالْبَالِ^(٢)
يَعِطُ غَطِيطَ الْبُكَرِ شَدَّ خَنَاقُهُ لِيَقْتُلَنِي وَأَلْمَزَ لَيْسَ يِقْتَالِ^(٣)
أَيَقْتُلَنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ^(٤)
وَلَيْسَ بِيذِي سَيْفٍ فَيَقْتُلَنِي بِهِ وَلَيْسَ بِيذِي رُمَحٍ وَلَيْسَ بِنَبَالِ^(٥)
أَيَقْتُلَنِي وَقَدْ قَطَرْتُ فُودَاهَا كَمَا قَطَرَ الْمَهْنُوءَةُ الرَّجُلُ الطَّالِي^(٦)

(١) تنوّر : نظر النار من بعيد . أذرعَات : بلد في الشام ينسب اليه الخمر . يثرب : مدينة الرسول . يقول : نظرت نارها من اذرعَات وهي في يثرب فابتهجت لمرآها لان ادنى شيء من دارها هو امر عظيم عندي . وهذا البيت فيه غلو لان بين المكانين بمد ايام . قال ابن رشيقي ولكنه اقل غلوًا من بيت المهلهل :

ولولا الريح أسمع من بحجرٍ صليلَ البَيْضِ تُقرعُ بالذكور

لان حاسة البصر اقوى من حاسة السمع وأشد ادراكًا . (٢) بعْلها : زوجها . القَتَام : الفبار الاسود او السواد والظلام . يقول : اصبحت لها عشيقةً واصبح زوجها وقد عرف بامرنا ، مسود الوجه مغير اللون ، مكسور الخاطر . (٣) غطّ البعير : هدر في الشقيقة . البكر من الابل كالفتي من الناس . يقول : اقبل زوجها يهدر هائجاً هياج البكر اذا شد خناقه ، وهو يريد قتلي ولكن هذا الرجل لا يجرؤ ان يقدم على القتل . وقد عرف المرء بأل للدلالة على انه معين في الكلام السابق . (٤) المشرفي : السيف . مسنونة زرق : سهام حادة . أغوال جمع غول : حيوان وهمي كان العرب يتصورونه بشكل مخيف فظيع . (٥) النبال : رمي النبال . (٦) قطر البعير : طلاه بالقطران . المهنوءة : الناقة المطاية بالقطران . يقول : أيقتلني وانما افضل شيئاً غير اني شغيت قلبها الجريح اذ طليته ببلسم الحب كما تطلّي الناقة الجرباء بالقطران فتدول عنها الآلام . وليس بمستكر على شاعر في الجاهلية ان ياتي بهذا المشبيه الحسن فالشبابيه تختلف باختلاف العصور والامكنة وما نراه اليوم قبيحاً

وَقَدْ عَلِمْتَ سَلَمِي، وَإِنْ كَانَ بَعْلَهَا، بَأَنَّ أَلْفَتِي يَهْدِي وَلَيْسَ بِفَعَالٍ^(١)
وَمَاذَا عَلَيْهِ إِنْ ذَكَرْتُ أَوَانِسًا. كَغَزَلَانٍ رَمَلٍ، فِي مَحَارِيبِ أَقْوَالِي^(٢)

فأنت ترى ان امراً القيس يتغزل بأنسة متروجة والرواة يحدثنوننا ان ابنة
القيصر كانت غربة وقد تزوجها امرؤ القيس . وهبها كانت ذات بعل فليس من
المعقول ان يسخر الشاعر بزوجها ويحتقره ، وهو صهر القيصر ، او ينسب اليه الضعف
والخنوع والمذلة ، وهو اعز منه جانباً ، في كنف ملك يفرع اليه امرؤ القيس طريداً
مستنجداً ينشد عرشه الهاوي .

ودليلنا على انه نظم القصيدة بعد موت والده هو قوله :

فَلَوْ أَنِّي أَسْعَى لِأَذْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي ، وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ أَمَالٍ
وَأَكْتَمًا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ أَلْمَجْدُ أَلْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي^(٣)

فهو يشير هنا الى سعيه لاسترجاع ملك ابيه .

وحدثنا الرواة ان امرؤ القيس سافر الى القسطنطينية مستغيثاً بقيصر ولم يذكروا
له غير هذه السفارة الى بلاد الروم . على اننا نعتقد ان الشاعر عرف تلك البلاد
قبل التجائه الى مليكها ، واطلع على حضارتها فأثرت في خياله الشعري فوسعته ،
وظهر هذا التأثير في تشابيهه اللطيفة ، وابتكاره للمعاني والالفاظ . ودليلنا على
ان معرفته لبلاد الروم لا تقتصر على الزيارة الاخيرة ، قوله في معلقته :

مُهْفَهْقَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُقَاصَّةٍ تَرَائِبُهَا مَضْفُوءَةٌ كَالسَّجْنَجِلِ^(٤)

مكروهاً كان بالامس مستحباً حسناً . وفي هذا البيت اشباع كما لا يخفى ، والاشباع مألوف في
شعر المتقدمين

(١) يهذي : يتكلم كلاماً غير معقول . (٢) محارب جمع محراب : صدر المكان وهنا
مستعار لصدر القصيدة . الاوانس جمع آنسة : وهي الطيبة النفس او التي يونسك حديثها ،
وتطلق على المتروجة وغير المتروجة ، ولكن كتاب اليوم خصوصاً بالعزبة اصطلاحاً .
يقول : واذا كان يخشى تشيبي بزوجه فما ضره اذا انا شبيت بها وهي من تلك الاوانس
المحاكية غزلان الرمل اللواتي انزل بهن واذكرهن في صدور قصائدي . (٣) المؤتل :
الاصيل العريق . (٤) المهفهقة : اللطيفة الخصر الضامرة البطن . المفاضة : المرأة العظيمة

فاستعماله لفظة السجندل وهي رومية الاصل ينبي اختلاطه بالاروام قبل
نظم المعلقة وقبل مقتل ابيه . وله قصيدة يصف بها سفره الى قيصر مستنجداً على
بني اسد ، يقول فيها :

لَقَدْ أَنْكَرْتَنِي بَعْلَبُكَ وَأَهْلَهَا وَلَآبَنُ جُرَيْجٍ فِي قُرَى حِمَصٍ أَنْكَرَا

فانكار بعلبك واهلها ، وانكار ابن جريج له دليل على انه يعرف تلك البلاد
وله فيها معارف وخلان .

صحة شعره

ولا بد لنا ، ونحن ندرس شعر امرى القيس ، ان ننظر فيه الى صحيحه من منجوله
فقد نسب الى الملك الضليل ما ليس له كما نسب الى غيره من الشعراء الاقدمين . ولسنا
نزعم اننا نبليغ الحقيقة كلها في درسنا هذا . اذ ان من الصعب الوصول الى نتيجة
تامة في مثل هذه الامور . على اننا نرجو ان نأتي بشيء لا يخاو من فائدة
من المعلوم ان شعر امرى القيس ضاع اكثره لبعده ايامه ولم يصل منه الا التزر
اليسير . ولكن هذا التزر اليسير لم يسلم من النحل والاصطناع .
فالرواة انفسهم يشكّون في صحة هذه الابيات من المعلقة ويضيفونها الى تأبط
شراً وهي :

وَقَرَبَةُ أَقْوَامٍ جَعَلْتُ عَصَامَهَا عَلَى كَاهِلٍ مَتَّى ذُلُولٍ مُرَحَّلٍ ^(١)
وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ قَطَعْتُهُ بِهِ الدِّثْبُ يُعَوِّي كَالْخَلِيعِ الْمُعِيلِ ^(٢)

البطن المسترخية اللحم . الترائب جمع تريبة : عظام الصدر او ما بين الشدين والترقوتين .
السجندل : المرأة ، رومية معربة . يقول : هي امرأة دقيقة الخصر غير عظيمة البطن ولا
مسترخية اللحم وصدرها براق اللون مصقول كالمرآة

(١) القرية : الجراب يحمل فيه الماء . العصام : وكاء القرية اي رباطها . الكاهل :
اعلى الظهر . المرحل : العتاد الحمل . يقول : انه تعود خدمة الرفقاء في السفر بحمله قرية
الماء على ظهره . (٢) الجوف : باطن الشيء . العير : الحمار . الخاليع هنا : المقامر .
المعيل : الذي كثر عياله . وتشبيه الوادي ببطن الحمار بني على اسطورة قديمة رواها الزوزني
في شرحه المعلقة وهي : ان رجلاً من بقية عاد اسمه حمار كان متمسكاً بالنوحيد فساغر بنوه

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى إِنَّ شَأْنَنَا قَلِيلُ الْغِنَى إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلَ^(١)
 كِلَانَا إِذَا مَا نَالَ سَيْنَا أَفَاتَهُ وَمَنْ يَحْتَرِثَ حَرْثِي وَحَرْثَكَ يَهْزِلَ^(٢)

ونحن نرى ان حمل القربة وقطع الاودية الحالية ومعاشرة الذئاب والافتقار وهزال العيش شيء اولى بصعلوك يعيش في الهراي والغابات كالشغفرى وتأبط شرأ منه بملك كامرى القيس، انيق العيش وافر النعمة تتبعه الطهارة والخدم في حله وترحاله

ونسبت اليه قصيدة في التهديد مطلعها :

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْأَثْمِدِ وَنَامَ الْحَلْبِيُّ وَلَمْ تَرَ قَدْ^(٣)

وهي في «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص» لامرئ القيس بن عابس الكندي احد الصحابة . ولعل وحدة الاسم بين الشاعرين جعلت بعض الرواة يضيفونها الى الملك الضليل ويزعمون انه يهدد بها بني اسد ، على حين انه ليس فيها ما يشير الى مقتل ابيه او الى بني اسد الذين قتلوه . ومثلها الابيات التي لقب من اجلها بالذائد وهي :

أَذُودُ الْقَوَائِي عَنِّي ذِيَادَا ذِيَادَ غَلَامٍ جَرِيءٍ جَرَادَا^(٤)

فصابتهم صاعقة فاهلكتهم فأشرك بالله وكفر بعد التوحيد فأحرق الله امواله وواديه فلم يثبت بعده شيئاً وقد غيّر الشاعر اللفظ الى ما وافقه في المعنى لاقامة الوزن . المعنى : رب واد كوادى الحمار في الخلاء من النبسات والانس طويته سيراً وكان الذئب يعوي فيه من فرط الجوع كاللقامر الذي كثر عياله بالنفقة وهو يصبح بهم ويخاصمهم اذ لا يجد ما يرضيهم به (١) شأنا : امرنا . قول : اي تموّل على حذف التاء . وقول الرجل : صاود ذا مال . يقول : فقلت له ان كنت غير متموّل فامري وامرك سيان في قلة الغنى . (٢) أفاته : افنقه وبذره . الحرث : في الاصل اصلاح الارض والقاء البذر فيها وهو مستعار هنا للسعي والكسب . يقول : كل واحد منّا اذا ظفر بشيء افنقه ، ثم قال : ومن سعي سعبي وسعيك افتقر وعاش مهزول العيش . (٣) الاثم : اسم موضع . يخاطب نفسه هنا على سبيل التجريد او الالتفات . (٤) أذود : أدفع . الجراد : الجنادب التي تجرد الارض . يقول : ادفع الاشعار واردها عني اذا كثرت فعلى غلام جريء يدفع عنه الجراد اذا كثر عليه

فَلَمَّا كَثُرْنَ وَعَيْنُهُ تَحَيَّرَ مِنْهُنَّ شَيْ حَيَادًا^(١)
فَأَعْرَلُ مَرْجَانَهَا جَانِبًا وَأَخَذَ مِنْ دُرِّهَا الْمُسْتَجَادَا^(٢)

فابن الكلبي يقول انها لامرئ القيس بن بكر وغيره يزعم انها لامرئ القيس ابن عابس . وهذا الاختلاف بين الرواة راجع كما لا يخفى الى تشابه الاسماء والتباسها . على اننا لا نرى في الابيات الثلاثة ما يحملنا على نسبتها الى شاعر جاهلي فهي في اعتقادنا مصنوعة في الاسلام للاستشهاد بها على ان شعراء الجاهلية كانوا يعنون بتنقية اشعارهم فيطرحون منها الرديء ويختارون الحسن .

واضيفت الى امرئ القيس اشعار بعد رجوعه من القسطنطينية ومرضه حتى موته في انقرة . ولكننا لا نستطيع ان نطمئن الى صحتها لظهور الاصطناع على اكثرها . مثال ذلك ، مارواه الاغاني : من ان الشاعر رأى قبر امرأة ماتت وهي غريبة فدفنت في سفح جبل يقال له عسيب فسأل عنها واخبر بقصتها فقال :

أَجَارَتْنَا إِنَّ أَلَمَرَّارَ قَرِيبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

فتفنن الرواة ظاهر في اختراع القصة والبيتين . والاعجب ان عسيباً جبل بعالية نجد لا في انقرة من بلاد الروم .

ونسبت الى امرئ القيس ممانات مع شعراء عصره ، هي اقرب الى التفككة منها الى الصحة . منها ممانته للحارث بن التوأم اليشكري التي يقول في مطلعها :

أَحَارَ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهْنًا^(٣)

فيجيبه التوأم مجزأً : كَنَارَ مَجُوسَ تَسْتَعِرُ اسْتِعَارًا

ومنها ممانته لعبيد بن الابصر وهي اشبه باحاجي كتأب المقامات والغازهم ولا ريب انها منحولة . قال عبيد في مطلعها :

(١) عَيْنُهُ : أثقلته وارتققته . (٢) المرجان : الخرز الاحمر او صغار اللؤلؤ لا كجاره ، ويراد بها هنا الابيات الضعيفة غير الجيدة . (٣) احار : ترخيم احارث . هب البرق : اومض . وهناً : ليلاً

مَا حَيَّةٌ مَيَّةٌ قَامَتْ بِمَيَّتَيْهَا دَرْدَاءُ مَا أَنْبَتَتْ سِنًا وَأَضْرَأَا (١)
فَأَجَابَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

تِلْكَ الشَّعِيرَةُ تُسْقَى فِي سَنَائِلِهَا فَأَخْرَجْتَ بَعْدَ طَوْلِ أَلْمَكْثِ أَكْدَاسًا

على ان هذه الاشعار المصطنعة في الاسلام ليس من شأنها ان تحملنا على مجازاة الدكتور طه حسين في زعمه بان شعر امرئ القيس كله منحول ، لان الحجاج التي ادلى بها لا تكفي الاقناع بصحة دعواه . فهو يرى ان امرأ القيس يعني ولا بد ان تكون لغته عينية ، ونحن نعلم ان امرأ القيس ولد في نجد ولغة نجد عدنانية . وهو يظن « ان لغة قريش لم تكن سائدة في نجد وغيرها من البلاد العربية ايام امرئ القيس ، وانها انما اخذت تسود في اواسط القرن السادس للمسيح وقت لها السيادة بظهور الاسلام » . على ان الظن لا يكفي وحده للشك ، اصف الى ذلك ان اللغة العدنانية كثيرة اللهجات ولغة قريش احداها واختلاف اللهجات في اللغة الواحدة لا يؤثر في احكامها ومفرداتها . وقد تكلمنا على هذا مفصلاً في حديثنا عن اسواق الجاهلية (الصفحة ٤) وصحة الشعر الجاهلي (الصفحة ٧) ويتنا الاسباب التي جعلت لغة قريش لغة الشعر والخطابة . اما ان يزعم الدكتور ان سيادة هذه اللغة لم تقم الا في اواسط القرن السادس فلا دليل لديه يؤيد زعمه غير الظن وما اضعفه من دليل ! واغرب من هذا قوله : « ان وصف اللهو مع العذارى في المعلقة وما فيه من فحش اشبه بان يكون من انتحال الفرزدق منه بان يكون جاهلياً . فالرواة يحدثننا ان الفرزدق خرج في يوم مطير الى ضاحية البصرة فاتبع آثاراً حتى انتهى الى غدير واذا فيه نساء يستحجن فقال : ما اشبه هذا اليوم بيوم دارة جُلجل ، وولي منصرفاً . فصاحت النساء به : يا صاحب البغلة ، فعاد اليهن فسألنه وعزمن عليه ليحدثنهن بمحدث دارة جُلجل . فقص عليهن قصة امرئ القيس وانشدهن قوله :

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ وَلَا سِيَّامَ يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلجل

والذين يقرأون شعر الفرزدق ويلاحظون فحشه وغلظته وانه قد ليم على هذا

الفحش وعلى هذه الغلظة لا يجدون مشقة في ان يضيفوا اليه هذه الابيات فهي بشعره
اشبه . اهـ

فانت ترى ان الدكتور طه حسين يريد ان يضيف قسماً من المعلقة الى الفرزدق
لا لشيء الا لان الفرزدق روى بيت امرى القيس ، ولان الفرزدق كان يتعهر في
شعره . ونحن نعلم ان الفرزدق كان ينتحل شعر غيره ، بل كان من ابرع المنتحلين
ولم نعلم انه نحل شعره احداً من الناس . فروايتـه لبيت امرى القيس حجة على
الدكتور لا حجة له

ولا ندري لماذا يريد ان ينفي الفحش عن شعر امرى القيس او عن الشعراء الجاهلي
والرواة مجمعون على ان الملك الضليل كان يتعهر في غزله وكان غيره من الشعراء
الجاهليين يفحش ايضاً . فللناطقة في المتجردة شعر لا يقل تعهراً عن شعر امرى القيس
وللاعشى ايضاً ، ولطرفة في وصف القينة مثل ذلك او قريب منه

ولكن الدكتور طه حسين لا يحصر غزل امرى القيس في الفرزدق وحده بل
يضيف قسماً منه الى عمر بن ابي ربيعة ، وهو القسم الذي يصف به الشاعر الجاهلي
خليلته وزيارته اياها وتجشمه الاخطار للوصول اليها . وحجة الدكتور في ذلك ان
القصص الغرامية احتكر فنه ابن ابي ربيعة ولم ينازعه فيه احد ، ولو جاء ابن ابي ربيعة
مقلداً ل اشار احد النقاد الى هذا التقليد فهم لم يحسم لانه لغز ابيات متعده

ونحن نسلم بان ابن ابي ربيعة احتكر القصص الغرامية في عصره ، ولكننا
لانظمثن الى القول بانه اخترعه اختراعاً ولم ينظم فيه شاعر قبله . وليس في سكوت
النقاد ما يبرهن على صحة هذه الدعوى . وفي شعراء الجاهلية من طرق هذا الفن غير
امرى القيس وهو المنخل اليشكري . ولكن الدكتور لم يجد مشقة في ان يرفض
قصيدة المنخل اليشكري في المتجردة كما يرفض قصيدة النابغة فيها ايضاً . على حين
انه يسلم بكثير مما جاءنا من الشعر عن العصر الذي عاش فيه المنخل والنابغة لقربهما
من الاسلام ، وهو لا ينكر على النابغة الا هذه القصيدة ، ولا غرو ان ينكرها
وينكر قصيدة المنخل اليشكري معها لانهما تنقضان رأيه في نفي الفحش والغزل
القصصي عن الشعر الجاهلي عموماً وعن شعر امرى القيس خصوصاً هذا الشعر لا شك ان

وقد ظهر الضعف على الدكتور طه حسين لما وصل في درسه المعلقة ، الى وصف
 الفرس والصيد فقال : « بقي الوصف ، ولا سيما وصف الفرس والصيد ، ولكننا
 نقف فيه موقف التردد ايضاً . واللغة هي التي تضطرننا الى هذا الموقف . فالظاهر
 ان امرأ القيس كان قد نبغ في وصف الخيل والصيد والسييل والمطر . والظاهر
 انه قد استحدث في ذلك اشياء كثيرة لم تكن مألفة من قبل . ولكن اقال هذه
 الاشياء في هذا الشعر الذي بين ايدينا ام قالها في شعر آخر ضاع وذهب به الزمان
 ولم يبق منه الا ذكر والا جمل مقتضبة اخذها الرواة فنظموها في شعر محدث
 ولقوه وضافوه الى شاعرنا القديم ؟ . هذا مذهبنا الذي نرجحه فنحن نقبل ان
 امرأ القيس هو اول من قيد الاوابد وشبه الخيل بالعصي والعقبان وما الى ذلك ،
 ولكننا نشك اعظم الشك في ان يكون قد قال هذه الابيات التي يرويها الرواة .
 واكبر الظن ان هذا الوصف الذي نجده في المعلقة وفي اللامية الاخرى فيه شيء من
 ربح امرئ القيس ولكن من ربحه ليس غير . اهـ »

فالضعف في هذه الاقوال لا يحتاج الى ايضاح فهو ظاهر في ترده ، وظاهر في
 قوله ان الرواة اخذوا جملاً مقتضبة من شعر امرئ القيس ونظموها ، وظاهر في زعمه
 ان الوصف الذي نجده في المعلقة وفي اللامية الاخرى فيه شيء من ربح ^{مجدد} امرئ القيس .
 على ان الضعف كل الضعف في قوله ان اللغة اضطره الى هذا التردد . فاي اختلاف
 نجده في لغة المعلقة واللامية الاخرى على تنوع اقسامهما ؟ ... نحن نرى اقسام
 المعلقة كلها واقسام اللامية الاخرى كلها متساوية في قوة السبك وجزالة الالفاظ
 وبداعة التعبير والتفكير . واذا كان القسم الغزلي ألين الفاظاً واسهل تعبيراً من
 الاقسام الاخرى فلأن الشاعر البدوي كان يحسن اختيار الالفاظ فتراه يرق ويسهل
 في التشبيب ويقسو ويشدد في سواه ، او قل انه كان يتكلم بعاطفته فيشتد تعبيره
 باشتدادها ويلين بليتها . ومعلوم ان اللفظ الذي يستعمل في وصف الناقص والفرس
 والسييل والبرق لا يحسن استعماله في وصف الحبيبة ومحادثتها . فلا نرى اذن من مسوغ
 لتردد الدكتور بسبب اللغة ووقوفه موقف الحائر منها

اما نحن فلا نرى مجالا للشك في المعلقة ، لان الادلة القاطعة التي اوردها

(ناقص)

وشهرة « قفا نبك » حتى ضرب بها المثل، واتفاق الرواة على حفظها وروايتها ونسبتها الى امرئ القيس ينفي عنها دعوى الاصطناع في الاسلام . ولا نشك ايضاً في صحة القصائد الثلاث التي اوضحنا بالمقابلة بينها وبين المعلقة ، ما فيها من اتفاق يدل على وحدة ناظمها وطرقه الشخصية في التعبير والتفكير

منزلة K

هو في مقدمة شعراء الطبقة الاولى ، وابعدهم شهرة ، واسبقهم الى الاختراع والابتكار . فقد رأيت مما تقدم ما لشعره من الميزات الكثيرة من حيث الجزالة والروعة والايجاز، ولطف التشبيه والاستعارة ودقة الوصف، ولا سيما وصف الفرس والصيد والمطر . وقد اتفق الرواة على تفضيله . ونسب الى النبي محمد قوله فيه : « امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء وقائدهم الى النار » وذكروا عن الامام علي انه فضله بقوله : « كان اصحهم بادرة واجودهم نادرة »

وصفة القول ان امرأ القيس كان امير الدولتين : دولة الشعر ودولة آل كندة

طرفته بن العبد

(الرابع الثالث من الفرع السادس)

حياته : نشأ يتيم الاب ميالاً الى اللهو والتبذير . جور اعمامه عليه وعلى امه ووردة . افاقه امواله . هيامه على وجهه ونظمه المعلقة . عودته ورعيه ابل اخيه معبد . ذهاب الابل . خبره مع ابن عمه مالك . اتصاله بعمرو ابن هند . هجوه لمعد عمرو . هجوه لمعمرو بن هند واخيه قابوس . كتاب عمرو لعامل البحرين وصحيفة المتلمس . مقتل طرفه

درس تاريخي : الشك في رواية مقتل لاسباب منها : ارسال طرفة ليقتل في البحرين وهي بلاده ، عدم قتله في العراق ، تلكؤ عامل البحرين عن الحرب هو وطرفة ، انتظاره العامل الجديد ليقتلها معاً ، ارسال جارية اسمها خولة الى سجن الشاعر ، عدم مطابقة البيت الذي يخاطب به طرفة عمرو بن هند لحقيقة الحال

آثاره : ديوان جمعت فيه اشعاره اشهرها المعلقة
ميزته : معلقته ، متعددة الاغراض ، استلها بوصف الاطلال والحدوج ، فوصف الناقة ، فوصف معيشته وكرمه ، فماتته لابن عمه مالك ، فالافتخار بنفسه ، فذكر آرائه في الموت والحياة ، الفوائد التاريخية ، حكمه نتيجة تأثراته النفسية ، هجوه وسخرية واستخفافه ، مقلته

مبا

هو عمرو بن العبد البكري وطرفة لقب غلب عليه . ولد في البحرين ونشأ يتيم الاب في بيت غني ، كريم المجدد ، فانصرف الى اللهو والحمر والنساء ، ينفق عليها بغير حساب ، فضيق عليه اعمامه وأبوا ان يقسموا ماله ، وجاروا على امه وردة اخت المتلمس الشاعر ، فظلموها حقها ، فهددهم طرفة بهذه الابيات وهي من اوائل نظمه :

مَا تَنْظُرُونَ يَحَقُّ وَرْدَةٌ فِيكُمْ صَغُرَ الْبَنُونَ ، وَرَهْطٌ وَرْدَةٌ غُيِبَ^(١)
قَدْ يَبْئُثُ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ صَغِيرُهُ حَتَّى تَظُلُّ لَهُ الدِّمَاءُ تَصَبَّبَ^(٢)
وَالْأَظْلَمُ فَرَقَ بَيْنَ حَيٍّ وَائِلٍ بَنَكَرَ تُسَاقِيهَا الْمَنَايَا تَغْلِبَ^(٣)

على ان جور اعمامه لم يمنعه من الاسراف واللهو فظل ينفق من ماله على اصحابه وخلّانه حتى لم يبق له شيء ، فسخطت عليه عشيرته وابتعدت عنه ، فاصبح معزولاً كالبعير الجرب ، والى ذلك يشير في معلقته :

(١) الرهط : القوم ما دون العشرة وليس فيهم امرأة . (٢) تصبَّب اي تشبَّب على حذف التاء . (٣) أشار في هذا البيت الى حرب البسوس

وَمَا زَالَ تَشْرَايِي الْخُمُورَ وَلَذَّتِي وَيَبِيعِي وَإِنْفَاقِي، طَرِيفِي وَمُتَلَدِي^(١)
إِلَى أَنْ تَحَامَشِي الْعَشِيرَةَ كُلَّهَا وَأَفْرَدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمَعْبَدِ^(٢)

وساء طرفة ان يعرض عنه اهله فتركههم مدة قضاها بالغزو والتطواف ثم عاد اليهم نادماً ، صفر اليدين فحمله اخوه مَعْبَد على رعاية ابله فأهملها ، وانى لمثله ان يحسن رعايتها ، فأنبهه مَعْبَد وقال له : « ترى ان أخذت تردّها بشعرك هذا ؟ » فقال طرفة : « لا اخرج حتى تعلم ان شعري يردّها » . ولم يطل الامر حتى اخذت الابل فألح عليه اخوه بردها ، فلجأ طرفة الى ابن عمه مالك ليعينه على استرجاعها من أخذها وكانوا قوماً من مضر ، فانتهره مالك بعنف فتألم الشاعر ونظم معلقته او قسماً منها ، واصفاً حاله وجور اهله عليه ، وعرض فيها لذكر سيدين من اقربائه فمدحهما بكثرة المال والولد اذ يقول :

فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ قَيْسَ بْنَ خَالِدٍ وَأَوْ شَاءَ رَبِّي كُنْتُ عُمَرَو بْنَ مَرْثَدٍ
فَأَصَبْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَزَارَنِي بَنُونَ كِرَامٌ سَادَةٌ لِمُسَوْدٍ^(٣)

فدعاه احدهما عمرو ، وكان له سبعة اولاد فأمرهم فدفعت كل واحد الى طرفة عشرأً من الابل ، ثم امر ثلاثة من ابناؤه فدفعوا اليه مثل ذلك ، فردَّ ابل اخيه وقد ردّها بشعره كما قال . واقام ينفق من الباقي حتى نفذ . فاتصل بعمر بن هند ملك العراق وكان صهره عبد عمرو بن بشر وخاله المتلمس الشاعر من رجال الحاشية ، فقرب الملك طرفة لاجوابه بشعره .

ولكن الشاعر الفتى كان تياهاً فخوراً بنفسه ، فشغب باخت الملك غير مبالٍ ،

(١) التشراب : الشرب الكثير . الطريف : المال المستحدث . المتلد : المال الموروث .

يقول : ما زال شرب الخمر ، واللذة والبيع والانفاق ، اشياء تلازمني كاشها طريقي ومتلدي او كاشها بمنزلة الطريف والمتلد من الحريض على الاموال . فيكون الطريف والمتلد خبراً لما زال . واذا قدرنا الخبر محذوفاً أي ما زالت هذه الاشياء ديدني يكون طريقي ومتلدي مفعولاً لانفاقي . (٢) تحامشي : تجنبني . المعبد : المطلي بالقطران لجربه وهو يبعد ويعزل لئلا يعدي الابل السليمة . يقول : ما زلت افعل ذلك حتى تجنبني عشيري كلها وابعدني عنها كما يبعد الجمل الاجرب المطلي بالقطران عن الابل السليمة . (٣) لمسود : أي لوالد مسود يعني نفسه

فأبعده عمرو بن هند عن حاشيته وجعله في حاشية أخيه قابوس فلم يجد منه ما تعود
من الاكرام فهجاه وهجا اخاه الملك هجاء مرّاً . من ذلك قوله :

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو رَغَوْتُ حَوْلَ قُبَيْتَا تَخَوُّ (١)
لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ بْنَ هِنْدٍ لَيَخْلُطُ مُلْكُهُ نَوَكُ كَثِيرُ (٢)

الكن لم يجزؤ احد ان ينقل هذا الهجاء الى عمرو

وشكت ذات يوم اخت طرفة شيئاً من امر زوجها عبد عمرو فهجاه طرفة

بآيات منها :

وَلَا خَيْرَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ لَهُ غَنًى وَأَنَّ لَهُ كَشْحاً ، إِذَا قَامَ ، أَهْضَمًا (٣)

وهذا ما يسميه علماء البيان تركيد الهم بما يشبه المدح . فانه بعد ان ذم
الخير عنه جاء بالاستثناء . كمن يريد ان يذكر له حسنة يمدح بها ، فاذا به لا يرى فيه
من الحسن غير كثرة المال ولطف الخصر . ومن الهجاء المرّ ان تصف رجلاً بما توصف
به النساء .

واتفق ان عمرو بن هند خرج للصيد ذات يوم فانقطع في نفر من اصحابه
وفيه عبد عمرو ، حتى اصاب حملاً ففقره فقال لعبد عمرو انزل واذهب فعالجه
فاعياه فضحك الملك وقال : لقد ابصرك طرفة حيث يقول وانشد : « ولاخير فيه . »
فغضب عبد عمرو وقال : لقد قال في الملك اقبح من هذا وانشده : « فليت لنا
مكان الملك عمرو . » فحقق عمرو بن هند على طرفة ولكنه كره ان يعجل عليه
اشفاقاً من هجاء المتلمس ، فلبث يتحين الفرص ليتخلص من الاثنين معاً ، وهو
يؤانسها حتى اطمأنا اليه . فكتب الى عامله في البحرين ، وقال لها : انطلقا اليه
وخذا جوائزكما

فحملا الكتابين وسارا حتى بلغا النجف فقال المتلمس لطرفة : تعلمن والله ان
ارتياح عمرو لي ولك ، لامر عندي مريب . واني لا انطلق بصحيفة لا ادري ما فيها .

(١) الرغوث : كل مرضعة ويراد بها الناقة هنا . (٢) النوك : الحمق . (٣) الكشح :
ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهو اقصر الاضلاع وآخرها . الاهضم : اللطيف

فقال طرفة : « انك لتسيء الظن وما تخاف من صحيفة ان كان فيها الذي وعدنا والا رجعنا فلم نترك منه شيئاً . » فابى المتلمس ان يجيبه وعدل الى حيث رأى غلاماً آمن الخيرة فدفع اليه الصحيفة ليقرأها له ، فلما نظر الغلام فيها قال : « تكلت المتلمس أمه » فاخذ المتلمس الصحيفة وقذفها في البحيرة فضرب المثل بصحيفته . ثم قال لطرفة : « تعامن والله ان الذي في كتابك مثل الذي في كتابي » فقال طرفة : « لئن كان اجترأ عليك ما كان بالذي يجترئ علي » . وابى ان يطيعه ، فتركه المتلمس وهرب الى الشام .

وسار طرفة حتى اتى البحرين وكان صاحبها ابو كرب ربيعة بن الحرث وهو من اقرباء طرفة ، فلما قرأ الكتاب قال : « اتعلم ما أمرت به فيك ؟ » قال طرفة : « نعم أمرت ان تجيزني وتحسن الي » فقال : « ان بيني وبينك لحولة انا لها راع . فاهرب من ليلتك هذه ، فاني قد أمرت بقتلك . فاخرج قبل ان تصبح ويعلم بك الناس » فابى طرفة وقال : « اشتدت عليك جائرتي واحببت ان اهرب واجعل لعمر بن هند علي سبيلاً ، كأني اذنبت ذنباً . والله لا افعل ذلك ابداً » فأمر بحبسهم ثم كتب الى عمرو بن هند يقول : « ابعث الى عمك من تريد فاني غير قاتل الرجل » . فarrisل عمرو بن هند رجلاً من بني تغلب يقال له عبد هند واستعمله على البحرين . وكان رجلاً شجاعاً ، وامره بقتل طرفة وقتل ربيعة بن الحرث . فقدمها عبد هند ولبت اياماً فاجتمعت بكر بن وائل فهتت به . وكان طرفة يحضهم . فانتمدب له رجلاً من الحوثر يقال له ابو ريشة فقتله وقتل معه العامل السابق . وكان قبره معروفاً بهجر في ارض بني قيس بن ثعلبة

درس تاريخي

هذه هي الرواية المشهورة عن مقتل طرفة ، وقد تناقلتها كتب الادب في شيء من الاختلاف . اما نحن فلا يسعنا الا ان ننظر اليها بشك واحتياط لظهور الاصطناع عليها . فان سير حوادثها بين التكلف ، من هجاء طرفة لعمر بن هند ، الى هجائه عبد عمرو ، الى اشفاق ملك العراق من قتله في قاعدة ملكه خوفاً من المتلمس ،

الى ارساله ليقتل في البحرين وهي مسقط رأس الشاعر وبلاد قومه ، الى صحيفة المتلمس ورفض طرفة ان يفض صحيفته ، الى امتناع صاحب البحرين عن قتل الشاعر لانه من اقربائه ، وجبسه اياه ، ثم انتظاره ان يرسل عمرو بن هند عاملاً جديداً ليقتله ويقتل طرفة معه ، الى مجيء العامل وهو من بني تغلب اعداء البكرين الى قعود بني بكر عن انقاذ شاعرهم في عقر دارهم ، الى غير ذلك مما يصعب الاطمئنان اليه . فلقد كان بوسع عمرو بن هند ان يفتك بالشاعرين معاً في العراق ، بدلا من ان يرسلهما الى البحرين . ولقد كان ينبغي له ان يخشى هجاء المتلمس اخيراً كما خشيه اولاً بعد ان نجا هذا من الشرك الذي نصب له . ولقد كان بوسع صاحب البحرين ان ينجو وطرفة دون ان ينتظر قدوم العامل الجديد ليقتلها معا

وزعم الرواة ان نسيبه صاحب البحرين ، بعث اليه في سجنه ، بحارية اعمها خولة فردها وقال في ذلك ابياتاً مطلعها :

أَلَا أَعْتَرِ لِي نِيَّ الْيَوْمَ يَا خَوْلَ أَوْ غُضِي فَقَدْ تَزَلَتْ حَدْبَاءُ مُحْكَمَةِ الْعُضْرِ ^(١)

ومنها البيت المشهور يخاطب به عمرو بن هند :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضَنَا حَتَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

ولا يخفى ما في ارسال الجارية الى السجن من التكلف . وقد جعل الرواة اعمها خولة وهو اسم المرأة التي يشب بها طرفة في معلقته . فكأنهم ارادوا ان يؤنسوه بذكر من يهوى قبل موته ، وفي ذلك ما فيه من التفكهم والاعراب .

وليس في البيت الذي يخاطب به عمرو بن هند ما يدل على حقيقة الحال لان منلك العراق لم يُفَنِّ قبيلة الشاعر حتى يصح قول طرفة :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضَنَا

على اننا وان كنا نشك في رواية قتله فلا ريب عندنا بان الشاعر مات صغير السن ، ولما يبلغ الثلاثين من عمره ، فعرف بالعلام القليل ، وبابن العشرين ، يؤيد ذلك رثاء اخته الخرنق له اذ تقول :

عَدَدَنَا لَهُ سِتًّا وَعَشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَفَّاهَا أَسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمًا^(١)
فُجِعْنَا بِهِ أَمَا رَجَوْنَا إِيَابَهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ لَا وَلِيدًا وَلَا قَحْمًا^(٢)

أَمَارُهُ

لطرفه ديوان جمعت فيه اشعاره اشهرها المعلقة ، ثم « رائية » مطلعها :
أَصْحَوْتَ الْيَوْمَ أَمْ شَاقَّتْكَ هِرْ وَمِنْ أَلْجَبِ جُنُونٌ مُسْتَقِرٌّ^(٣)
ولم يذكر له ابن سلام غير هاتين القصيدتين ، وروى مطلعها ، ولكنه عرف
له قصائد اخرى لم يدل عليها

واضيفت اليه قصيدة « ميمية » ذكر الاصمعي انها منجولة ومطلعها :
سَأَلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا بِخَزَازَى يَوْمَ تَخْلَقُ اللَّيْمُ^(٤)
ونحن يهمنا من شعر طرفه معلقته ففيها تظهر ميزته ، وعليها المعول في درس
حياته ، واخلاقه ، وآرائه في الحياة والموت . وسنعرض ايضاً لايات من غير المعلقة
لا يُستغنى عنها في هذا البحث

مِيزَتُهُ — المعلقة

معلقة طرفه هي الثانية في المعلقة ، وهي كسائر الشعر الجاهلي متعددة الاغراض
والمرامي . ولا يبعد ان يكون الشاعر قد نظمها في اوقات وامكنة مختلفة ،
فقرأه يستهلها بوصف اطلال خولة وحدوجها ، ثم ينتقل الى وصف الناقة ، فوصف
معيشته وكرمه ، فعاتبة ابن عمه مالك ، فالافتخار بنفسه ، فذكر آرائه في الموت
والحياة ، الى غير ذلك من الاغراض التي لا يتألف منها وحدة في الموضوع . وقد

(١) الحجة : السنة . توفاهما : استكملها . ضخم : كبير . (٢) إيباه : رجوعه .
فجع : شيخ هرم . (٣) هر : اسم امرأة . (٤) تخلق : مبالغة في الخلق . اللمم جمع
لِمة : الشعر المجاور لشحمة الاذن . وتخلق اللمم هنا : يوم من ايام بكر وتغلب خلق فيه
البكريون رؤوسهم لتعرفهم نساؤهم اذا سقطوا جرحى فتسقيهم الماء ، وتجهز بضرب الخشب
على جرحى تغلب

شرحت هذه المعلقة مراراً وترجمت الى اللغات الاجنبية . واليك منتخباً منها :

الفزل — وصف الفراق

لَا إِحْوَلَةَ أَطْلَالَ بَيْرَقَةَ تَهْمِدُ تَلُوْحُ كِبَايَ أَلَوْشَمِ فِي ظَاهِرِ أَيْدٍ^(١)
وَقُوفًا بِهَا صَحِيحِي عَلَيَّ مَطِيْهُمُ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلِدُ^(٢)

وهنا ينتقل الشاعر الى ذكر حدود المالكية فيشبهها بالسفن ثم يأخذ في وصف تلك السفن حتى اذا انتهى عاد الى وصف من يهوى . وهذه خاصة في الشاعر الجاهلي تجعله لا يترك الموصوف حتى يصوره من جميع جهاته . قال طرفه :

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوَّةٌ خَلَايَا سَفِينٍ يَا نَوَاصِفَ مِنْ دَدٍ^(٣)
عَدُولِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنْ يَجُورُ بِهَا أَلْمَلَاخُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي^(٤)
يَشْقُ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْرُومَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ الثَّرْبُ الْمَقَابِلُ يَا لَيْدٍ^(٥)

(١) خولة : اسم امرأة . البرقة : مكان اختلط ترابه بمجارة او حصى . تهمد : اسم موضع . الوشم : غرز ظاهر البدن وغيره بالابر و وحشو المغازر بالكحل . يقول : ان آثار هذه الديار تلعب كآثار الوشم في ظاهر الكف . (٢) وقوفاً : منصوبة على الحال اي بدت اطلال خولة كالوشم في حال وقف اصحابي مطيهم علي اي لاجلي . اسى : حزناً نصبت على اخاهم فعول له . تجلد : تصبر . يقول : اخم وقفوا عليه رواحلهم بأمرونه بالصبر وينهونه عن الجزع . وقد ورد هذا البيت في معاقبة امرئ القيس وقافيته تجمل بدلاً من تجلد . والتجمل : الاعتصام بالصبر الجميل . (٣) الحدود جمع حدج : مركب النساء . المالكية : نسبة الى بني مالك وهي خولة . الخلايا جمع خلية : السفينة العظيمة . السفين جمع سفينة . النواصف جمع ناصفة : اما كن تتسع من نواحي الاودية . دد : واد في الطريق من البصرة الى البحرين . يقول : كأن مراكب خولة المالكية غدوة فراقها بنواحي وادي دد ، سفن عظام . شبه الابل وعليها الهوادج بالسفن . (٤) عدولية نسبة الى عدولى : قرية في البحرين اشتهرت ببناء السفن . ابن يامن : ملاح مشهور من هجر وهي ارض البحرين مشهورة بتمرها . يجور : ضد يهتدي . يقول : هذه السفن التي تشبهها تلك الابل ، من صنع قرية عدولى ، او من صنع ابن يامن في هجر . وشبه سوق الابل تارة على الطريق وتارة على غير الطريق ، باجراء الملاح السفينة مرة على سمت الطريق ومرة عادلاً عن ذلك السمت . (٥) حباب الماء : امواجه الواحدة : حبابة . الحيزوم : الصدر . الثرب والتراب واحد . المقابيل : الذي يلعب

ولهذه الايات قيمة تاريخية تفيدنا ما كان في البحرين من ملاحه وصناعة سفن .
وليس اولى من طرفه بوصف السفن والملاحين وهو ربيب السواحل البحرية . ونستفيد
منها ايضاً لعب الفيل وفي ايامنا ما يشابهه .

ثم يعود الشاعر الى وصف من يهوى فلا يتعدى في وصفه ، عنقها وتغرها
ووجهها قال :

وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ ، شَادِنٌ ، مُظَاهِرٌ سَمَطِي لَوْلُوْ ، وَزَرْجِدٌ ^(١)
مَخْذُولٌ تَرَاعِي رَبَّابًا بِحِمْلَةٍ ، تَنَاولُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ ، وَتَرْتَدِي ^(٢)
وَتَبْسِمُ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مُنَوَّرًا تَحْلَلُ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصَ لَهُ نَدٍ ^(٣)

الفيل وهو ضرب من اللعب يكون بان يجمع التراب او الرمل فيدفن فيه شيء كالخاتم او
غيره ، ثم يقسم المغاليل التراب بيده نصفين ويسأل صاحبه عن الدفين في ايها فان اصاب ربح ،
وان اخطأ خسر .

(١) الاحوى : الذي في شفتيه حوّة اي سمرة ، والانشى حواء . ينفض : يتناول ماداً
عنقه . المرء : غر الاراك . الشادن : الغزال الذي قوي واستغنى عن امه . المظاهر : اللباس
ثوباً فوق ثوب او سمطاً فوق سمط . السمط : الخيط الذي نظمت فيه الجواهر . يقول :
في الحي حبيب احوى كالغزال اذا مدّ عنقه ليتناول غر الاراك . يصف بذلك طول عنقه .
ثم صرح بانه يريد انساناً وقال قد لبس عتدين من لؤلؤ وزرجد . شبهه بالطبي في ثلاثة
اشياء : في كحل العينين وحوّة الشفتين وحنن الجسد . وقد اجتمع في استعارة الشادن
للحبيب (الترشيح في قوله : « ينفض المرء » . والتجريد في قوله « مظاهر سمطي لؤلؤ وزرجد »
(٢) خذول : اي ظمية خذلت اولادها . تراعي ربّاباً : ترعى معه . البرير : اقطع من
الظباء بقى الوحش . الحميلة : ارض منبثة او ارض ذات شجر . تناول : تتناول .
البرير : غر الاراك المدرك البالغ ، الواحدة بريرة . ترتدي : تلبس الرداء . يقول : هذه
الظمية التي يشبهها الحبيب ، خذلت اولادها أي تركتهن وذهبت مع صواحبها في قطع من الظباء
ترعى معها في الحميلة ، وتتناول اطراف الاراك وترتدي باغصانه اي ان الاغصان تلوي
وتلتف عابها عندما تتناولها . شبه طول عنق الحبيب وحسنه بعنق الظمية عندما تمده لتناول
غر الاراك ، وهو لا يختلف عن قوله في البيت السابق : ينفض المرء شادن . (٣) اللمى :
الذي يضرب لون شفتيه الى السواد والانشى لمياء . منور : صفة لموصوف محذوف اي اقحوان
منور وهو ما خرج نوره أي زهره الابيض . حرّ كل شيء : خالصه . الدعص : الكثيب
من الرمل . الندي : ما يكون دون الاشلال . يقول : تبسم الحبيبة عن تغر ألى الشفتين
كأنه اقحوان خرج نوره في دعص ندى وهذا الدعص بين رمل خالص لا يخالطه تراب .

سَقَتُهُ إِيَّاهُ الشَّمْسُ إِلَّا لِثَابِتِهِ أَسْفَ ، وَلَمْ تَكْدِمِ عَلَيْهِ ، بِإِثْمِدِ^(١)
وَوَجْهَهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِذَاءَهَا عَلَيْهِ ، نَقِيُّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَّحِدْ^(٢)

وصف الناقة

وهنا ينتقل فجأة الى ناقته التي ينفي بها الهم عند حضوره:

وَأِنِّي لَأَمْضِي أَلْهَمَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بَعُوجًا مِرْقَالِ تَرُوحُ وَتَعْتَدِي^(٣)

فيمعن في وصفها متناولا اعضاءها عضواً عضواً ، مشبهاً عظامها بالواح التابوت ،
وعَدوها بعدو النعامة ، وشعر ذنبها في بياضه بجناحي نسر ابيض ، واخلافها بقربة
بالمة لانقطاع لبنها ، وفخذها ببالي قصر منيف أملس ، واضلاعها المتصلة بفقارها
بالقسي ، وابطيها في السعة بيتين من بيوت بقر الوحش . وشبهها وشبه مرفقيها
وبعدهما عن جنبها بسقاء يحمل في يديه دلوين ، وعلوها بقنطرة رجل رومي . وشبه
جنبها بسقف اسند بعضه الى بعض ، واثار التسع^(٤) في ظهرها بنقر في الصخرة
الملساء . ثم شبه هذه الآثار في تلاقيها وتباعدها ببناثق بيض في قميص مقدود . وشبه
عنقها في ارتفاعه وانتصابه بسكّان^(٥) سفينة جارية في نهر دجلة ، وجمجمتها بالسندان ،
وطرف الجمجمة بالمجرد في دقته وصلابته ، وخدها بقوطاس الرجل الشامي في

واذا جعله ندياً ليكون الاقحوان غضاً ناضراً ، شبه به بياض ثغرها وبريقه . وجرّ دعص على
انه بدل من الرمل

(١) إِيَّاهُ الشَّمْسُ : شعاعها . اللثة : مفرز الاسنان . اسف : أي ذر عليه . ائكدم :
العض . الاغد : الكحل . يقول : سقى شعاع الشمس ثغرها أي كأن الشمس اعارت ضوءها
ثم استثنى لثاته لان العرب لا تستحسن بريقها واذا تستحسن سمرتها ، وهذه اللثة ذر عليها
الكحل ، ولم تعض باسنانها على شيء ، يؤثر فيها . وتقديره أسف ياغد ولم تكدم عليه بشيء .
ونساء العرب تذر الاغد على الشفاء والثلاث فيكون ذلك اشد للامعان الاسنان . (٢) المتخذد:
التشنج والتفضن . يقول : ولها وجه كأن الشمس كسته ضياءها فاستعار لضياء الشمس اسم
الرداء بجامع الشمول ثم ذكر ان وجهها نقي اللون غير متشنج ومتفضن . (٣) الاحتضار
والحضور واجد . العوجاء : الناقة التي لا تستقيم في سيرها لفرط نشاطها . المرقال : مبالغة
مرقل من الارقال وهو بين السير والمدو . تروح وتعتدي : اي تواصل سير الليل بسير
النهار . (٤) التسع : سير تشد به الاحمال . (٥) السكّان : دفة السفينة .

انكساره ومشفرها بالجند الياني في لينه ، وعينها في صفاتها وبريقها بالمرآة وبالماء في
نقرة صخر ، وحجاجيتها^(١) وغوؤور عينها فيها بكهفين اي مغارتين . ثم شبه عينها
في حسنها بعيني بقرة وحشية مذعورة لها ولد ، واذنيها في تيقظها باذني ثور وحشي
منفرد كثير الحذر ، وقلبها في صلابته بمرداة اي صخرة تكسر بها الصخور . وشبه
ما يحيط به من الاضلاع بججارة عريضة محكمة .

ولا يخفى ما في هذا القسم من الفوائد التاريخية عن العصر الجاهلي

ارسطو

لذنه وآراؤه

وبعد ان يتم وصف ناقته وتصويرها يفرغ الى نفسه فيصف معيشته في
السلم والحرب ، فاذا هو يحب اللهو والعبث كما يحب الحرب ، واغاثة الملهوف ،
واذا هو مبذر يكره جمع المال لان الموت لا يفرق بين الكريم والبخل ، والكريم
خير من البخل . وفي هذا القسم يطلعنا طرفة على آرائه في الحياة والموت ، وعلى
اضطهاد عشيرته له ، وعلى غير ذلك مما يتعلق بحياته . وهو اهم اقسام المعلقة ، لان
به تظهر خصائص الشاعر تمام الظهور . قال :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا: مَنْ قَتَى! خَلْتُ أَنِّي خ عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدْ^(٢)
فَإِنْ تَبَغْيِي فِي حَلَقَةِ الْقَوْمِ تَلْقَنِي خ وَإِنْ تَلْتَمِسْنِي فِي أَخْوَانِي تَضْطِدْ
وَإِنْ يَلْتَقِ الْخَلِي الْجَمِيعُ تُلَاقِنِي خ إِلَى ذُرَّةِ الْبَيْتِ الشَّرِيفِ الْمَصْدَدِ^(٣)
لِنَدَامَايَ بَيْضٌ كَالنَّجُومِ وَقَيْنَةٌ تَرُوحُ إِلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَمُجَسَّدِ^(٤)

وبعد ان يصف القينة وصوتها يعود الى وصف معيشته :

وَمَا زَالَ تَشْرَايِي الْخُمُورَ وَلَذَّتِي خ وَبَيْغِي وَإِنْفَاقِي ، طَرِيفِي وَمُتَلَدِّي^(٥)

(١) الحجاج : العظم المشرف على العين . (٢) مَنْ قَتَى : اي من قتي يدفع شراً . اتبلد :
التحير وارتدد . (٣) المصدد : الذي يقصده الناس . يقول : وان اجتمع الخي للافتخار تلاقيني انتمي
الى أعلى الشرف المقصود . (٤) بيض كالنجوم : اي احرار مشهورون . القينة : الجارية المغنية .
البرد : ثوب مخطط . المجسد : الثوب المصبوغ بالفساد وهو الزعفران . (٥) تقدم شرحه

أَلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا ، X وَأَفْرَدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُبْدِ (١)
 رَأَيْتُ بَنِي غَبْرَاءَ لَا يُنْكِرُونَنِي ، وَلَا أَهْلُ هَذَاكَ الْطَرَفِ الْمُمَدَّدِ (٢)
 أَلَا أَيُّهَذَا الرَّاجِرِي أَشْهَدُ الْوَعَى X وَأَنْ أَحْضَرَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي؟ (٣)
 فَإِنْ كُنْتُ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِّي (٤) فَدَعْنِي أَبَادِرُهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدَيَّ (٥)
 وَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى (٦) وَجَدَّكَ أَلَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عُودِي (٧)
 فَفِيْنَهُنَّ سَبْقِي الْعَاذِلَاتِ بِشَرْبَةٍ كَمَيْتٍ مَتَى مَا تُعَلِّ بِأَلْمَاءِ تُرِيدُ (٨)
 وَكَرِّي ، إِذَا نَادَى الْمُضَافُ ، مُحَنْبًا كَسِيدَ الْغَضَا ، نَبْهَةً ، الْمُتَوَرِّدِ (٩)
 وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالْذَّجْنُ مُعْجِبٌ ، بِبَهْكَتِهِ تَحْتَ الْخَبَاءِ الْمَعْمَدِ (١٠)

(١) تقدم شرحه . (٢) الغبراء : صفة الارض جعلت كلاسماً لها . وبنو غبراء : الفقراء الذين
 لصقوا بالارض لسدة النقر . الطرف : البيت والجمع الطروف . وقوله الممدد : كناية عن العظم .
 يقول : لما تحامتن عشيرتي رأيت الفقراء لا ينكرون احساني والاغنياء لا ينكرون صحبتي لانهم
 يبدون فيها شرفاً لهم . واما قوله : هـذاكَ بادخال هاء التانيه على اسم الاشارة المقرون
 بالكاف فنادر في كلام العرب . (٣) الوعى : اصله صوت الابطال في الحرب ثم جعل اسماً
 لها . يقول : الا ايها الرجل الذي يلومني على حضور الحرب وحضور اللذات هل تخلدني ان
 كففت عنها . (٤) استطاع يسطيع : لغة في استطاع . ابادرها : عاجلها واسبقها . يقول : ان
 الموت لا بد منه فلا معنى لابتخل وترك اللذات . (٥) وجدك : الواو للقسم أي وحظك .
 احفل : ابالي . العود جمع عائد : الزائر في المرض . وقوله : متى قام عودي : اي متى
 ذهبوا يائسين من حياتي اي متى مت . (٦) سبقي العاذلات : اي قبل ان ينتبهن . كميت :
 الاحمر الضارب الى السواد صفة للخمر . متى ما تُعَلِّ بِأَلْمَاءِ : اي متى مزجت علاها حباب .
 وهذه احدى لذاقه التي يجب الحياة من اجلها (٧) كرى : عطفي . المضاف : الخائف
 والمذعور . محباً : صفة للفرس المحذوف وهو الذي في يده الخناء . ونصب محباً لانه مفعول
 به من كرى ، وجملة اذا نادى المضاف اعتراضية . السيد : الذئب . الغضا : شجر ، وذئب
 الغضا اخبث الذئب . المتورد : الذي يطلب ورد الماء . يقول : ان الخصلة الثانية في لذة
 الفتى هي ان اسرع الى نخدة الخائف المتلجئ الى فاعطف عليه فرساً في يده الخفاء يمدو عدو
 ذئب الغضا ، اذا نبهته وهو يريد الماء . (٨) يوم الدجن : يوم فيه غيم وندى او مطر كثير .
 البهكنة : المرأة الحسنه الخلقة والسمينة الناعمة . الخباء : المضرب . المعمد : المرفوع
 بالعمد . يقول : الخصلة الثالثة ان اقصر يوم المطر بمحادثه امرأة ناعمة حسناء تحت بيت
 مرفوع بالعمد ، وقوله : والدجن معجب اي يعجب الانسان

أرى الموت أعداء الصوفى
بصداً نوحاً ما أترجى اليوم من غد
٥٥

ومنها :

خاتمة شرح الحات مصر

- (١) كَرِيمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ
أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بَخِيلٍ بِمَالِهِ
(٢) كَقَبْرِ عَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدٍ
تَرَى جُثُوثَيْنِ مِنْ ثَرَابٍ عَلَيْهِمَا
(٣) أَرَى أَلْمُوتَ يَغْتَامُ الْكِرَامَ وَيَضْطَفِي
أَرَى أَلْعَيْشَ كَثَرًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ
(٤) لَعْمَرِكَ إِنَّ أَلْمُوتَ ، مَا أَخْطَأَ الْفَتَى ،
عَنَابِهِ لَا يَهْمُ عَمَهُ وَفَخْرَهُ
مَتَى مَا يَأْتِي بَصَدَ لِحَفَةِ
- (٥) سَتَعْلَمُ ، إِنْ مُتْنَا عَدَاً ، أَتَيْنَا الصَّدِي
كَقَبْرِ عَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدٍ
(٦) صَفَائِحُ صُمٍّ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدٍ
عَقِيلَةٍ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ
(٧) وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالْدَّهْرُ ، يَنْقُدُ
أَكَا طُولِ الْمُرُخَى وَثِنْيَاهُ بِأَلَيْدٍ
(٨)

- فَمَالِي أَرَانِي وَابْنَ عَمِّي مَالِكًا
وَأَيَّاسَنِي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ طَلَبْتُهُ
(١) مَتَى أَدُنُّ مِنْهُ يَنَاءً عَنِّي وَيَبْعُدُ
كَأَنَّا وَضَعْنَاهُ إِلَى رَمْسٍ مُلْحَدٍ
(٢) عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ قُلْتُهُ غَيْرَ أَنَّنِي
نَشَدْتُ وَلَمْ أَغْلِلْ حَمُولَةَ مَعْبِدٍ
(٣)

- (١) الصدي : العطشان . يقول : انا كريم يروي نفسه ايام حياته وستعلم ان متنا غداً
أبنا العطشان ، يريد انه يموت ريان وعاذله يموت عطشان . (٢) النحام : الحريص على جمع
المال . (٣) الفوي : الضال . (٤) الجثث : المتلف . (٥) جثوتين : كومتين . (٦) الصفايح : الحجارة
العارض . (٧) المنضد : المرصوف بعضه فوق بعض ، وهذا البيت تفسير لسابقه . (٨) يقاتم :
يقاتل . (٩) العقيلة : كريمة المال والنساء . (١٠) الفاحش : البخيل . يقول : ارى الموت يعم
الاجواد والبخلاء فيضطفي الكرام وكرائم اموال البخلاء المتشدين في الحرص . (١١) ينقد :
يفنى . شبه البقاء بكثرة تنقصه الايام والدهر كل ليلة ، وما لا يزال ينقص فان ماله الى النفاد
(١٢) لعمرك : اللام للقسم . العمر والعمر واحد ولا تفتح عينه الا في القسم . ما : مصدرية
زمانية والمعنى : ان الموت مدة تجاوزته الفتى بمتلة حبل يطول للدابة تزعى فيه وطرفاه بيد
صاحبه . شبه الموت بالبخل والفتى بالدابة التي لا تقلت منه . (١٣) يقول : قطني مالك من
كل خير رجوته منه كأننا وضعنا ذلك الطلب الى قبر رجل مدفون ، يريد انه يائس من خير
مالك كما ان الميت لا يرجى خيره . (١٤) نشد المفقود : طلبه . انقل : اترك . (١٥) الحمولة : الابل .
معبد : اخوه . يقول : لم يكن مني ذنب غير انني طلبت ابل اخي المفقودة ولم اتركها فجعل يلومني

وَقَرَّبْتُ بِالْقُرْبَى ، وَجَدَكَ إِنِّي
 وَإِنْ أَذْغَ لِلْجُلَى أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهَا
 وَإِنْ يَقْدُوا بِالْقَدَحِ عَرْضَكَ أَسْتَقِيمُ
 بَلَا حَدَثٍ أَحَدْتُهُ وَكَمْ حَدِيثُ ،
 فَلَوْ كَانَ مَوْلَايَ أَمْرًا هُوَ غَيْرُهُ
 وَلَكِنْ مَوْلَايَ أَمْرٌ هُوَ خَانِي
 وَظَلَمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً X
 مَتَى يَكُ أَمْرٌ لِلنَّكِيَّةِ أَشْهَدُ (١)
 وَإِنْ تَأْتِكَ الْأَعْدَاءُ بِالْجَهْدِ ، أَجْهَدُ (٢)
 بِشَرْبِ حِيَاضِ الْمَوْتِ ، قَبْلَ التَّهْدِيدِ (٣)
 هِجَايِي ، وَقَدْ فِي بِالشَّكَاةِ ، وَمُطَرِدِي (٤)
 لَقَرَجَ كَرْبِي أَوْ لَا نَظَرَ فِي غَدِي (٥)
 عَلَى الشُّكْرِ ، وَالْتِسَالِ ، أَوْ أَنَا مُفْتَدٍ (٦)
 عَلَى الْعَمْرِ مِنْ وَقَعِ الْحَسَامِ الْمُتَهَنِّدِ (٧)

فانت ترى كيف ان طرفه ، يشرح لنا مذهبه في اللهو واللذة ، واستهانته الموت ، لولا حبه الحمر ، وتلبية الصريخ ، ومحادثة النساء . وانت تلمس فيه يأس الشاعر وزهده في الحياة ، والمال . لان الموت لا مهرب منه يأتي الكريم ولا يعف عن البخيل . وخير للانسان ان يموت ريان من ملذات الحياة ، من ان يموت صادياً . وهو مذهب من لا يطمع في الخلود ، ولا يعلم كنه الموت وانما يخشى الظما في لحده .

ولا يقتصر طرفه على وصف معيشته وابداء آرائه ، وانما يطلعنا على شطر عظيم من حياته ، وهو جور قومه عليه ، واضطهادهم له ، واعراض ابن عمه مالك عن مساعدته في ارجاع الابل المفقودة لاخيه معبد . فيبدو لنا حزينا متظلماً يبث هذا ذهب حيا في ناسي حقم بالدمى والتعمر فيه

(١) القُرْبَى : اسم من القُرب والقَرابة . النكيسة : المبالغة في الجهد . يقول : اني قربت نفسي اليك بما بيننا من القرابة ، واقسم بحظك انه متى حدث لك امر يستدعي بذل المجهود احضره وانصرك . (٢) الجلى : الامر العظيم . بالجهد : بالمشقة . يقول : وان تدعني للامر العظيم اكن من المحامين عنك ، وان يأتك الاعداء بالمشقة اجتهد في دفعهم عنك واعانتك . (٣) القذع : الفحش والسباب . التهديد : التهديد . يقول : وان افحش الاعداء القول فيك قتلهم ، دون ان اشغل بتهديدهم . والباء في شرب زائدة . (٤) يقول : أجفى من غير حدث اساءة احدثها ثم اهجى وأشكى وأطرد ، كأنني يحدث اساءة استحق عليها العقاب . (٥) مولاي : اراد به ابن عمه . انظرني : امهني . يقول : لو كان ابن عمي غير مالك لكن فرج همي او لامهني زمانا افرج به كربى . (٦) يقول : ولكن ابن عمي يضيق علي سواء شكرته على آلائه ، او سألته بره وعطفه ، والا انا مفتدٍ منه اي متروك عنه التحاماه (٧) المضاضة : الحرقمة والتأثير

هجوهم
نما + فكهة من عمرو بن قنبر
جعل قلبه صعباً

شكايته وآلامه ، ولكن نفسه الكبيرة تأبى إلا ان تظهر عظمتها ، على ما فيها من يأس وألم ، فيشرع في الافتخار واصفاً شجاعته ، ذاكراً لابن عمه انه يوسع به ان يحجب عرضه ويرد الاعداء عنه .

هجوهم وسخرتهم

اجمع الرواة على ان طرفه كان حديد اللسان جريء الهجاء ، ويزعمون ان استخفافه بالناس قرب اجله . غير ان هذه الحاصة لا نجدها في المعلقة على تعدد اغراضها . فينبغي لنا ان نلتصقها في غير المعلقة . وقد عرفت ان ما وصل اليها من شعر طرفه ، قليل جداً واكثره لا يعول عليه . ولكننا نأخذ شواهد على هذه الميزة في الشاعر ، انتقاده لشعر خاله المتلمس . وكان طرفه غلاماً يلعب مع اترابه فسمع خاله يقول :

وَقَدْ أَتَنَاسَى أَلْهَمَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِنَاجٍ ، عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ ، مُكْدَمٌ (١)

والصيعرية سمعة للنوق فقال طرفه : « استنوق الجمل » فارسلها مثلاً ، وضحك القوم فغضب المتلمس ونظر الى لسان طرفه فقال : « ويل لهذا من هذا » يعني رأسه من لسانه . ونأخذ ايضاً هجوه لعمرو بن هند واخيه قابوس :

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ قَمَرٍ رَغَوْنَا حَوْلَ قَبِيْنَا تَخَوَّرُ
لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ بْنَ هِنْدٍ لَيَخْلُطُ مُلْكُهُ نَوَكُ كَثِيرُ

وهجوه لصهره عبد عمرو :

وَلَا خَيْرَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ لَهُ غَنًى وَأَنَّ لَهُ كَشْحًا ، إِذَا قَامَ ، أَهْضَمًا

فن هذه الامثلة الصغيرة يمكننا ان نتبين خاصة الهجاء في طرفه وما فيها من استخفاف وهزه . ولعل الاستخفاف والهزه من ابرز خصائص هذا الشاعر ، فهما ظاهران في لهوه وعبشه ، ظاهران في زهده بالحياة والمال ، ظاهران في هجوه وانتقاده

(١) التاجي : البعير المربع ينجو براكبه . الصيعرية : سمعة توسم بها النوق في اليمن دون الجبال . المكدم : الموسوم

باب الثامن في المقارنات مقدر

الحكم في شعره

وقد نعجب لهذه الحكم البالغة التي نقرأها في المعلقة وغير المعلقة من شعر طرفة ، ونكبرها على غلام لعوب مستهتر لا يحفل بغير لذاته . ولكننا اذا نظرنا الى ما اصاب الشاعر على صغر سنه ، من ضيق وارهاق واضطهاد ، نعلم ان هذه الروائع الحكمية جاءت وليدة تأثراته النفسية . فهو لولا جور اهله عليه لما قال :
وْظَلَمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْخُسَامِ الْمُهَيَّبِ
ولولم يُلَمَّ على اسرافه لما قال :

أَرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخِيلٍ بِإِلَهِ كَقَبْرِ عَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدٍ
ولولم يُخَنِّه صهره عبد عمرو ويش به الى عمرو بن هند لما اصعنا في هجائه :
وَأَنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ ، مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حَصَاةٌ ، عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلُ (١)
ولولم يلق من الايام غرائبها لما اختتم معلقته بقوله :

سَتَبْدِي لَكَ الْآيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا ، وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ
وهو لم يوتر بأنه لسان صير لاخير لما قال :
صحة شعره ولو شاء ربي

قال ابن سلام : « ومما يدل على ذهاب العلم وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة وعبيد ، والذي صح لها قصائد بقدر عشر وان لم يكن لها غيرهن فليس موضعها حيث وضعها من الشهرة والتقدمة ، وان كان ما يروى من الغناء (٢) لها فليسا يستحقان مكانهما على افواه الرواة . ونرى ان غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير ، غير ان الذي نالهما من ذلك اكثر . وكانا اقدم الفحول فلعل ذلك لذلك ، فلما قلَّ كلامهما حمل عليهما حمل كثير . اهـ »

فهو يرى ان شعورهما ناله من الضياع اكثر من شعر غيرهما لانهما اقدم الفحول وان الرواة فحلوها شيئا كثيرا لما قلَّ كلامهما ، ولكنه يعترف بصحة معلقة طرفة

(١) الحصة هنا : العقل . العورات جمع عورة : كل امر يستحي منه . (٢) الغناء في الاصل : الباقي من ورق الشجر المخالط زبد السيل . وهو هنا الساقط من الشعر

شعره ما درج وارجي لوالده
 أنفي اليوم إجماع الميه أم فخر
 وصحة رائيته «أصحت اليوم . . .» وبعض قصائد حسان له لم يشر إليها .
 ونحن في درسنا شعر طرفة اعتمدنا على المعلقة أكثر من غيرها ، وهي ثابتة له
 لم يشك في صحتها احد حتى ان الدكتور طه حسين نفسه ، على ضعف ثقته بالشعر
 الجاهلي نفى النحل عن هذه المطولة ، الا القسم الذي وصف به الشاعر ناقته ،
 فقد رابه ما فيه من الالفاظ الغريبة ، والمعاني الغامضة فزعم ان أكثر هذه الاوصاف
 اقرب الى ان يكون من صنعة العلماء باللغة منه الى شيء آخر . ومما زاد في ريبة ان
 طرفة من شعراء ربعة : « فكيف شدّ عنهم جميعاً فقوي مثبته واشتد اسره وآثر من
 الاغراب . لم يؤثر اصحابه ودنا شعره من شعر المخزيين ؟ » ولكننا نزعّم ان الدكتور
 مخطئ . بزعمه ، فليس في وصف الناقة شيء من تكلف العلماء ، وانما هو كسائر
 اقسام القصيدة ، ظاهر السداوة في الفاظه وتعايره ، ظاهر الطبعية في تشابيهه
 واستعاراته . واما ان يكون الشاعر قد شدّ عن شعراء ربعة في متانتهم وشدة
 اسره ، فليس ذلك بعجيب ولكل قاعدة شذوذ . واذا نظرنا الى حياة طرفة وما
 رافقها من ضيم وشظف عيش ، بعد ان طرده اهله فهام على وجهه يأوي الى المغاور
 والجبال ، ويشن الغارات على الاحياء ، لم نعجب لشدة شعره وغرابة الفاظه .
 بيد ان هذا الاغراب مقصور على وصف الناقة ، واما سائر اقسام المعلقة ففيه رقة
 ولين وان كانا على غير ضعف . فطرفة لم يشدّ عن شعراء ربعة الا قليلاً . فهو رقيق
 في غزله ، رقيق في شكواه وبث الآله .

منزهة
 تسلّم يوم فرغ عمره الحسنة الشعرية عنده
 ١٢

وضعه ابن سلام في الطبقة الرابعة لقلة شعره بايدي الرواة ولكنه قال فيه :
 انه اشعر الناس واحدة وهي قوله : « لحولة أطلال . . . » . وقال ابن قتيبة : هو اجود
 الشعراء طويلة . وقال ابن رشيق : طرفة افضل الناس واحدة عند العلماء وهي المعلقة .
 وقال ابو عبيدة : مر لبيد يجلس في الكوفة وهو يتوكأ على عصا فاحقه فتى من
 اهل المجلس وسأله : من اشعر العرب ؟ فقال : الملك الضليل ، يعني امراً القيس .
 فسأله : ثم من ؟ فقال : الغلام القليل ، يعني طرفة . فسأله : ثم من ؟ فقال : الشيخ

أبو عقيل ، يعني نفسه . ومهما يكن من أمر هذه الرواية فإنه يستدل منها ومما تقدمها من الأقوال ، أن طرفة فُضِّلَ بعلقتها على سائر الشعراء . وهذا التفضيل يعود إلى ما فيها من آراء في الحياة ، وحكم جليلة ، وفوائد تاريخية ، عدا جمال الوصف وبراعة التشبيه ، وقوة التعبير . وحسب صاحبها فضلاً أن يكون غلاماً في العشرين .

زهير

(السنوات الأولى للإسلام)

حياته : الاختلاف في نسبه . حظه من الشعر . حولياته . مدحه لهرم .
أخلاقه . إيمانه بالبعث . عمر طويلاً . مات في الإسلام ولم يسلم .
نبؤه بظهور الإسلام . استعاذة النبي من لسانه
آثاره : ديوان شعر أكثره في مدح هرم بن سنان والحرث بن عوف . أشهر ما فيه المعركة . نظمها على أثر حرب داحس والغبراء . فمدح المصلحين هرماً والحرث

حرب داحس والغبراء : فرس قيس بن زهير . الغبراء : فرس جميل بن بدر . تراهننا عليها فأكمن حمل من رد داحساً فسبقته الغبراء . فكأنات الحرب
ميزته : متانة شعراء مضر . الهدوء . القصص والتصوير الحسي . التناسق والترتيب .
تخير المعاني والألفاظ . تأنيه في النظم . حكيمته . غزله . وصف الفراق وتصويره . مدحه . مبالغته . تجنبه الغسلو القبيح . وضع الأوصاف الحسنة كلها في ممدوحه . وصف الحرب . تصوير فظائنها وويلاتها . هجاؤه يؤلم ولا يقذع بتهكم وينصح معاً . الحكم . موقف زهير من الحياة وموقف طرفة . انقض كلالها الحياة . شتمها زهير ، وأثر اللذة فيها طرفة . مترلته

هو زهير بن ابي سلمى ^(١) اختلف في نسبه ، ف قيل انه من غطفان ، وقيل انه من مزينة ، ولكنه تزل ارض غطفان وتزوج منهم واقام فيهم .
ولم يجتمع لشاعر في الجاهلية حظ من الشعر كما اجتمع لزهير . فقد كان ابوه ربيعة شاعراً ، وخاله بشامة بن العذير الغطفاني شاعراً ، واختاه سلمى والخنساء ^(٢) شاعرتين ، وابناه كعب وبجير شاعرين ، وحفيده عتبة بن كعب شاعراً ، وابن حفيده العوام بن عتبة شاعراً ، وكان زوج امه اوس بن حجر شاعراً مشهوراً فروى له زهير ونظم الشعر ففاقه ، واخل ذكره .

واشتهر زهير بتهذيب شعره فروي انه كان ينظم القصيدة في اربعة اشهر ، ويهذبها في اربعة ، ويعرضها على اخصائه في اربعة . وكانت تسمى قصائده الحوليات قالوا وهي اربع :

٤٧٨

قَفْ بِالْدِّيَارِ اَلَّتِي لَمْ يَعْفُهَا اَلْقَدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا اَلْاَرْوَاحُ وَالْدِّمُ ^(٣)

اِنَّ اَلْحَلِيْطَ اَجَدَّ اَلْبَيْنَ فَانْفَرَقَا وَعَلَى اَلْقَلْبُ مِنْ اَسْمَاءَ مَا عَلَقَا ^(٤)

بَانَ اَلْحَلِيْطُ وَلَمْ يَأْفُوا لِمَنْ تَرَكُوا وَزَوَّدُوكَ اَسْتِيَاْقًا اَيَّةً سَلَكَوا ^(٥)

(١) سلمى بضم السين في زهير بن ابي سلمى وحده وهي مفتوحة فيما عداه . (٢) الخنساء اخت زهير هي غير قاضر بنت عمرو بن الشريد اخت صخر الشاعرة المشهورة . (٣) لم يعفها : لم يحبها ويدرس اثرها . الارواح : جمع ربح . الدم جمع ديمة : المطر الدائم مع سكون . يقول مخاطباً نفسه على سبيله التجريد : قف بالديار التي لم يحب آثارها تقادم العهد . ثم عارفتك كلامه السابق مستدركاً فقال : بلَى غيرهما الرياح والامطار ، وهذا اسلوب لطيف في البيان يعرف بالرجوع وهو العود الى الكلام السابق بالنقض لنكته اريد بها هنا اظهار التوله والخيرة (٤) الحليط : العشير المخالط في الدار . اجد البين : اجتهد في الرحيل . انفرقا : انفعل من الفرقه . علق : احب . علق : احب . وقوله : ما علقا : مبالغة في شدة الحب ، لما في لفظه من الاجام . (٥) بان : بعد . لم يأفوا : لم يرحموا . وقوله اية سلكوا : اية حرة سلكوا بحذف المضاف اليه . نقول : بعد الاصحاب المخالطون بمن احب ولم يرقوا لي ، وجعلوا زادي الاشتياق اليهم اية جهة سلكوا

لَمَنْ ظَلَّ بِرَأْمَةٍ لَا يَرِيحُ عَقَا . وَخَلَا لَهُ حُقْبٌ قَدِيمٌ (١)

وقد خص زهير خير قصائده بمدح هرم بن سنان لحوده . وكرم اخلاقه . وروى الاصمعي ان هرماً كان قد حلف ان لا يعده زهير الا اعطاه ، ولا يسأله الا اعطاه ، ولا يسلم عليه الا اعطاه عبداً او وليدة او فرساً ، فاستجيا زهير مما كان يقبل منه فكان اذا رآه في ملا قال : « انعموا صباحاً غير هرم ، وخيركم استثنيت » بجزالة

وكان زهير حكيماً ، وقوراً ، متروياً ، متعففاً في شعره ، مؤمناً بالبعث والحساب يدل على ذلك قوله :

فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفْسِكُمْ لِيَخْفَى ، وَمَهْمَا يُسْكَمِ اللَّهُ يَعْلَمَ
يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعْجَلُ ، فَيُنْقَمَ (٢)
وغير زهير حتى سئم الحياة وتكاليفها ، فقال :

سَمِئْتُ تَسْكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا ، لَا أَبَا لَكَ ، يَسْأَمُ

ومات في السنوات الاولى للإسلام ، ولم يسلم ، وقد اربت سنه على التسعين وزعم الرواة انه تنبأ بظهور الاسلام قبل بعثة النبي ووصى ابنه كعباً ويجيراً ان يسلم ، وزعموا ايضاً ان النبي رآه فاستعاذ بالله من شيطانه فما لأك بيتاً بعد ذلك حتى مات . ومثل هذه الروايات لا يمكن التعويل عليها .

أثاره

ديوان شعر مطبوع ومشروح ، اكثره في مدح هرم بن سنان وقومه ، ومدح الحارث بن عوف . وقليل منه في الهجاء والفخر ، يتخلل ذلك جميعاً كثير من الحكم

(١) الظلل : ما كان له شخص على وجه الارض . والرسم : اثر لا شخص له . رامة : موضع . لا يريح : لا يبرح . عفا : امحى . خلا : مضى . الحقب : الدهر . المعنى : يسأل نفسه متجاهلاً لمن هذا الظلل برامة لا يبرح ثابتاً شخصه على حين انه امحى ودرس وفض عليه دهر طويل . (٢) اي يؤخر عقابه ويرقم في كتابه ، فيدخر ليوم الحساب ، او يجعل في الدنيا قبل المصير الى الآخرة فينتقم من صاحبه

واشهر شعره المعلقة ، وهي الثالثة في المعلقات ، سُرحت وطُبعت مراراً وترجمت للغات الاجنبية . وقد نظمها زهير على اثر حرب داحس والغبراء ^(١) . ومدح بها هرم بن سنان والحارث بن عوف اللذين اصلحا بين القبيلتين المتحاربتين عيس وذبيان ، وتحملاديات القتلى الذين لم يُثار لهم . وقيل ان هذه الديات بلغت ثلاثة آلاف بعير .

صبرته

عُرف شعراء مُضَرٌ وزهيرٌ منهم ، بالمتانة وشدة الاسر ، كما عُرف شعراء ربيعة بالركة واللين . ونحن في درسنا شعر زهير وغيره من الشعراء المضريين ، تبدو لنا هذه الخاصة التي لا يكثر وجودها في الشعراء الربيعيين . وما زهير في شعره الا مثال لمتانة السبك وقوة التعبير ، على غير خشونة وغلاظة .

وشعره صورة ناطقة عن اخلاقه ، فالرزانة والتعقل والهدوء ، ترافقه في جميع اغراضه ، سواء كان متغزلاً ، او مادحاً ، او هاجياً ، او مقنعراً ، او متهدداً . وهو في شعره مصور بارع ، يتابع الوصف القصصي متمهلاً ، مترفقاً في موضع الرفق ، مشتدّاً في موضع الشدة ، فيخرج لك صوراً حسية تكاد تلمسها لمس اليد ، وهذه الصور على اختلاف الوانها حسنة التناسق والترتيب ، متخيرة المعاني ، ملبسة ثوباً من الالفاظ نقيّاً ، يلائمها كل الملازمة ، مما يدل على ان الشاعر لم يكن يندفع الى النظم

(١) داحس : فرس لقيس بن زهير سيد بني عيس . والغبراء : حجرة الحِمَل بن بدر سيد بني فزارة من ذبيان . تراهن عليها الاميران فلما كان يوم السباق بعث حمل بن بدر من يكمن لداحس ويرد وجهته عن الغاية اذا جاء سابقاً . وارسل الفرسان فبرز داحس عن الغبراء حتى شارف الغاية ودنا من الكمين فوثبوا عليه وردوه ، فسبقت الغبراء . وفي ذلك يقول قيس بن زهير :

وما لاقيت من حمل بن بدر واخوته على ذات الاصاد
هم فخرُوا علي بغير فخر وردوا دون غايته جوادي

وبعث حذيفة بن بدر ابنه مالكا الى قيس بن زهير . يطلب منه حق السبق وكان مئة بعير فابى قيس دفعها وقتل مالكا فنشبت الحرب بين القبيلتين ، وكثرت فيها القتلى حتى اصلح بينهما . (٢) مضر بن تزار اخو ربيعة بن تزار وكلاهما ابو قبيلة تعرف باسمه

بقوة ملكته الشعرية ، الا بعد ان يعد له العدة . ولعل هذا الثاني ، هو الذي جعل الرواة ينسبون اليه القصائد الحوليات

وليس بعجيب ان تخرج الحكمة من فم شاعر عرف بالرزانة والتعقل كزهير ، فيسمعنا منها طائفة جليلة تمثل لنا شخصيته المادئة المتروية .

منتخبات من شعره

واليك منتخبات تظهر لك ميزة زهير وخصائصه في ابواب الشعر وفنونه

الغزل

زهير في غزله كسائر شعراء الجاهلية ، يبتدىء بذكر الديار الحالية ، ووصف فراق الاحبة ، ثم ينتقل فجاءة الى غرض آخر ولكنه في وصف الفراق لا يخرج عن ميزته الخاصة في التصوير الحسي ، والاسلوب القصصي ، واليك مثالا عن ذلك قوله في معلقته :

أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلَّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَأَلْمَسْتُمُ^(١)
وَدَارُهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمٍ^(٢)

(١) ام اوفى : كنية امرأة الشاعر . الدمنة : ما اسود من آثار الدار بالبحر والرماد وغيرهما . حومانة الدراج : ماء بنجد على طريق البصرة الى مكة . المثلثم : موضع قريب منه . وقوله : « امن ام اوفى » يريد امن منازل ام اوفى فحذف المضاف . يقول : امن منازل الحبيبة ام اوفى دمنة في هذين الموضعين ، لا تردسوا لي اذا كلمتها . وهذا الكلام مخرج في معرض التوجع او الشك ليدل على ان الشاعر لبعد عهده بالدمنة وفرط تغيرها لم يعرفها معرفة قطع وتحقيق . (٢) دار : معطوفة على دمنة . الرقمتان : موضعان مرقعان احدهما قرب المدينة ، والثاني قرب البصرة . المراجع جمع مرجوع : المجدد والمكرر . النواشر جمع ناشر : العرق . المعصم : موضع السوار من الزند . يقول : امن منازل دار بالرقمتين . يريد انها تحمل الموضعين عند الانتجاع ولم يرد انها تسكنها جميعاً لان بينها مسافة بعيدة . وقوله : « ودارها بالرقمتين » يريد وداران لها . فاجترأ بالافراد عن التثنية لعدم الالتباس . يقول : امن منازل داران بالرقمتين ثم شبه رسوما وقد كشفت الامطار عنها التراب « يوشم في المعصم مجدد . ونشيه الاطلال بالوشم ورد في مطلع معلقة طرفه

بِهَا أَلَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمَشِينَ خَلْفَةً / وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْشَمٍ ^(١)
 وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً ، / فَلَايَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ ^(٢)
 أَثَانِي سَفْعًا فِي مُعَرَّسٍ مَرَجَلٍ / وَنَوِيًّا كَجِذْمٍ الْخَوْضِ لَمْ يَتَشَلَّمِ ^(٣)
 فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِيهَا : / أَلَا أَنْعِمَ صَبَاحًا ، أَيُّهَا الرَّبِيعُ ، وَأَسْلَمِ ^(٤)
 تَبَصَّرَ ، خَلِيلِي ، هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانٍ / تَحْتَلِزُ بِالْعُلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثَمٍ ؟ ^(٥)
 عَلَوْنَ بِأَنْطَاطٍ عِتَاقٍ ، وَكِلَّةٍ / وَرَادٍ حَوَاشِيهَا ، مُشَاكِهَةً الدَّمِ ^(٦)
 جَعَلَنَ أَقْتَنَانَ عَنْ يَمِينٍ ، وَخَزَنَهُ ، / وَكَمْ بِالْقَتْنَانِ مِنْ مُجِلٍّ وَمُحْرَمٍ ^(٧)

(١) العَيْن جمع العَيْنَاء : الواسعة العَيْن ، صفة للبقرة الوحشية المحذوفة لدلالة الصفة عليها . الارام : جمع رَم : الظبي الابيض . خلفه : أي يَخْلِف بعضها بعضاً اذا مضى قطع جاء قطع آخر . الاطلاء جمع طَلَا : ولد الظبية والبقرة الوحشية . مجثم : الرَبَض . يقول : هذه الدار بقر وحش واسعات العيون وظباء بيض يمشين بها خالقات بعضها بعضاً واولادها تنهض من مراتبها لترضعها اماتها . (٢) الحجة : السنة . اللاي : الجهد والمشقة وهي منصوبة على الحال من ضمير عرفت . يقول : وقفت بدار أم اوفى بعد مضي عشرين سنة فلم اعرفها الا بعد جهد ومشقة لبعد المهد بها . (٣) الاثاني جمع الاثنية : وهي حجارة تنصب فتوضع عليها القِدر . السفع : السود يخاطها حمرة . المعرس : المسترل ، من التعريس وهو التزول وقت السحر ، واستمير هنا للمكان الذي يُنصب فيه القدر . المرجل : القدر . النووي : ضمير يحفر حول المضرب ليجري فيه ماء المطر ، ويصنع له حاجز لئلا يدخل الماء البيت . الجِذْم : الاصل . لم يَتَشَلَّم : لم يتهدم . وقد نصب اثاني على البدل من الدار ونوياً على العطف على الاثاني . يقول : عرفت من الدار حجارة سوداً تنصب عليها القدر وضميراً كأنه اصل حوض ، بقي غير متهدم . (٤) الربع : موضع التزول ربيعاً وهو هنا الدار مطلقاً . انعم صباحاً : طِبَّ عَيْشًا فِي صَبَاحِكَ ، من النعمة . (٥) الطعان جمع الظمينة : المرأة في الهودج . العلياء : الارض المرتفعة . جُرْثَم : ماء لبني اسد . وقوله : تبصَّرَ خليلي : أي انظر . (٦) الانطاط جمع النسط : وهو ضرب من الثياب يبسط . العتاق : الكرام . الكلة : الستر . وراد جمع ورد : وهو الاحمر . الحواشي : الجوانب . مشاكهة : مشاجرة . والباء في قوله : « علون بانطاط » للتعدية ، فكأنه يقول : أعلن انطاطاً . المعنى : ان هؤلاء النسوان طرحن على الهوادج انطاطاً كراماً وستراً رقيقاً ، ثم وصف تلك الثياب بانها حمر الحواشي كأنها الدم . (٧) القنن : جبل لبني اسد . الحزن : الارض الغليظة المرتفعة . المجل : من لا عهد له ولا حرمة . المحرم : من له حرمة عهد وذمة . يقول : جعلت الطعان

ظَهَرَ مِنَ السُّوْبَانِ ثُمَّ جَزَعَنهُ ✓ عَلَى كُلِّ قَيْنِي قَشِيْبٍ وَمَقَامٍ (١)
 وَوَرَّكَنَ فِي السُّوْبَانِ يَعْلُوْنَ مَتْنَهُ ✓ عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ الْمُتَّعِمِ (٢)
 كَأَنَّ قُتَاتَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ . تَزَلْنَ بِهِ ، حَبُّ الْفَنَّا لَمْ يُحْطَمْ (٣)
 بَكَرْنَ بُكُورًا ، وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ ، ✓ فَهِنَّ لَوَادِي الرَّسِّ ، كَالْيَدِ لِلْفَمِ (٤)
 فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَمَامُهُ . وَضَعْنَ عَصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَّعِمِ (٥)
 وَفِيهِنَّ مَلْهُىً لِلطَّيْفِ ، وَمَنْظَرٌ أُنِيقٌ لَعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ (٦)

فمن هذا المثال تبدو لك طريقة زهير في غزله ، وما فيه من هدوء وتعفف ،
 على عاطفة صادقة في تصوير التيماء وحرقة لبعده من يهواه . وكأني به لما عرف

في سفرها ، هذا الجبل وارضه الغليظة عن يمينها ، وفي هذا الجبل كثير من الاعداء الذين ليس
 لهم عندنا عهد حرمة وذمة ، وكثير من الاولياء الذين لهم عندنا حرمة عهد .

(١) السوبان : اسم وادٍ . جزعنه : قطعنه . القيني : نسبة الى القين وهو كل صانع
 ويريد بالقيني هنا الرجل . قشيب : جديد . مقام : موضع . يقول : علون من وادي
 السوبان ثم قطعنه على كل رجل جديد موضع . (٢) ورَّكَنَ : ثبَّتَ ارجلهن ووضعن اوراكهن
 في السرج ليسترحن . متنه : ظهره . الدلُّ : الفنج . الناعم : طيب العيش ، من النعمة .
 المتنعم : المتكفل بالنعمة . يقول : وملنَّ على ركاتهن في هذا الوادي في حال علوهن ظهره
 وعليهن غنج الانسان الطيب العيش المتكالف بالنعمة . (٣) القنات : اسم لما انفتحت من
 الشيء اي تقطع وتنفق . العين : الصوف المصبوغ . الفنا : شجر له حب احمر يسمى عنب
 الثعلب . شبه ما تساقط من الهواجر من تنف الصوف المصبوغ ، في حال النزول ، بهذا الحب
 الاحمر ، وقبده بقوله : لم يحطمْ ، لان هذا الحب اذا حطمْ لا يظسل على لونه من الحمرة ،
 فلا يبقى وجه الشبه تاماً . (٤) بكرن : سرن بكرة . استحرن : سرن سحراً .
 الرِّس : ماء ونخل لبني اسد . يقول : خرجن بكرة وسرن سحراً وهن قاصدات لوادي
 الرس لا يخطئنه كاليد الفاصدة للفم لا تخطئه (٥) الجام جمع جم وجمعة : وهو ما اجتمع من
 الماء في البئر والحوض وغيرها . عصي جمع العصا . ووضع العصا : كناية عن الاقامة
 لان المسافرين اذا اقام وضع عصاه . الحاضر : المقيم . المتخيم : الذي نصب خيمته . وقوله :
 زرقاً جماء اي صافياً . (٦) الملهى : اللهو ومكانه . اللطيف : الذي يتلطف في طلب اللهو .
 الانيق : المعجب فهو فعيل بمعنى مفعول كالحكيم بمعنى المتحكم والسميع بمعنى المسمع . المتوسم :
 المتتبع لمحاسن الشيء ، او علاماته وسماته . يقول : في هؤلاء النسوان ملهى للمتلف في طلب
 اللهو ، وفيهن منظر معجب لعين الناظر اليهن ، المتتبع لمحاسنهن

الدار وحياها غشيت عيناه من فرط البكاء حتى لا يبصر أمامه ، وألحت عليه الصباة والوجد ، فخيّل إليه انه قريب العهد من فراق الاحبة . فقال لصاحبه : تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تسير في العلياء . . . ولم يكتف بذلك ، بل اخذ يرافق الظعائن في انتقالها من مكان الى آخر حتى اوصلها الى وادي الرس ، موضع نزولها ، فوصف لك سيرها ادق وصف بأسلوبه القصصي ، المملوء بالصور المادية . وحسبك منه هذا التشبيه الحسي الرائع لما اراد ان يدخلهن وادي الرس : « فهن لوادي الرس ، كاليد للغم » .

المدح

ثم ينتقل فجأة الى مدح صاحبيه اللذين اصلحا بين المتحاربين ، فيقول :

سَعَى سَاعِيَا غَيْظَ بَنِ مُرَّةَ ، بَعْدَمَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْدَمِّ (١)
فَأَقْسَمْتُ بِأَبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالُ بَنُوهُ ، مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ (٢)
يَمِينًا لِنَعْمِ السَّيْدَانِ وَوُجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُزِمِ (٣)
تَدَارَكْتُمَا عَنَسًا وَذُبْيَانِ ، بَعْدَمَا تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطَرَ مَنْشِمِ (٤)

(١) غيظ بن مرة : بطن من ذبيان كان منه الساعيان وهما هرم بن سنان والحرث بن عوف . تبزل : تشقق . بالدم : باراقة الدم ، حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه . يقول : سعى هذان السيدان بالصلح بعد ان تشقت اللفة والمودة بين القبيلة ، بسبب اراقة الدماء بين عبس وذبيان . (٢) البيت : الكعبة . جرهم : قبيلة قديمة كان منها ولاة الكعبة قبيل قريش . (٣) السحيل : الحبل الذي يقتل قتلا واحداً . المبرم : الذي جمع بين مفتولين فقتلا حبلًا واحداً . استعار الاول للرخاء واللين والثاني للشدة . يقول : اقسمتُ يميناً (أي اقسمتُ قسماً) لنعم السيدان اني في حال الرخاء وفي حال الشدة . (٤) تفانوا : افنوا مضمهم بعضاً . منشم : اسم عطارة كانت بمكة ، اشترى منها قوم شيئاً من العطر وتحالفوا على مقاتلة العدو وجعلوا آية الخلف غمس الايدي في العطر فقاتلوا حتى قُتلوا عن آخرهم . فتشاءمت العرب بعطرها وضرب المثل بشوئمه . يقول : تلافيتما امر هاتين القبيلتين بعد ان تفانوا ، واني القتل على آخرهم كإتيانه على آخر المتعطين بعطر منشم والشاعر هنا يريد المبالغة في هول الحرب لا حقيقة التفاني

وَقَدْ قُلْتُمَا : إِنْ نَذَرِكِ السَّلَامَ وَاسْعَا
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ
عَظِيمَيْنِ فِي عَلِيَا مَعْدَةٍ ، هُدَيْتُمَا ،
تَغْنَى الْكُلُومُ بِالْمِثْنِ ، فَأَصْبَحَتْ
يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ

بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنْ أَلْقَوْلِ نَسْلَمٍ^(١)
بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمٍ^(٢)
وَمَنْ يَسْتَسَحُّ كُنْزاً مِنَ الْمَجْدِ ، يَعْظُمُ^(٣)
يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمٍ^(٤)
وَلَمْ يُهَرِّقُوا بَيْنَهُمْ مِلَّةً مَحْجَمٍ^(٥)
مَغَانِمُ شَيْءٍ مِنْ إِفَالٍ مُزْنَمٍ^(٦)

وله فيها من قصيدة أخرى :

فَرِحْتُ بِمَا خُبِرْتُ عَنْ سَيِّدَيْكُمْ ،
وَأَيُّ اللَّهِ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ ،

وَكَانَا أَمْرَيْنِ كُلُّ أَمْرٍ هَمًا يَغْلُو^(٧)
فَأَبْلَاهُمَا خَيْرُ أَلْبَاءِ الَّذِي يَبْلُو^(٨)

- (١) السلم : الصلح يذكر ويؤنث . وقوله : نسلم : اي نسلم من تفاني العشائر .
(٢) المعقوق : العصيان وقطيعة الرحم . المأتم : الائم : الهاء في منها وفيها عائدة للسلم .
يقول : فاصبحتما من السلم على خير منزل بعيدين في اقامتهما من العقوق والائم بقطيعة الرحم .
(٣) معد بن عدنان : ابو العرب المستعربة . عليا معد : شرفها . الاستباحة : وجود الشيء مباحا .
يقول : ظفرتما بالصباح في حال عظمتكما في الرتبة العليا من شرف معد . ثم دعا لهما فقال :
هديتما الى طريق الصلاح والفلاح . ثم قال : ومن وجد كثرأ من المجد مباحا واستأصله
عظم امره بين الكرام . (٤) تغنى : تمضى . الكلوم : الجراح . المئين جمع مئة : اي المئين
من الابل . ينجمها : يدفعها نحوماً اي اقساطاً . يقول : تمضى الجراح وتزال بالمئين
من الابل فاصبحت الابل يدفعها اقساطاً من هو بريء الساحة ، يريد بذلك الساعين بالصلح .
(٥) يهرقوا : لغة في يريقوا . المحجم : آلة الحجام وهو ما يمس به الدم . يقول : ان
المدوحين دفعا الغرامات مع انهما لم يسفكا ملء محجم من الدم . (٦) التلاد : المسال القديم
الموروث . الافال جمع افيل : الصغير السن من الابل . المزنم : العلم بزنة وهي علامة
كانت تجعل على كرام الابل وهي ان تقشر جلدة ظاهر الاذن ثم تقفل . يقول : جعلتم لهم
من مالكم الموروث مغانم متفرقة من كرام الابل الصغيرة المزنة . وقوله : افال مزنم لا مزنة
حملاً على اللفظ لان فعلاً من الابنية التي تشترك فيها الاحاد والجموع . (٧) أراد بالسيد بن
هرم بن سنان والحارث بن عوف . وقوله : فرحت بما خبرت أي من حملها ديات القتلى .
(٨) ابلى : صنع . يقول : رأى الله ما فعلا حسناً فصنع لها خير الصنيع الذي يتبلى به
عباده . وجملة فابلها دعا .

تَدَارَكْتُمَا الْأَحْلَافَ قَدْ ثَلَّ عَرْشُهَا ،
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ .
إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ بِالنَّاسِ أَجْحَفَتْ ،
رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ
هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْبَلُوا الْمَالَ يُخْلُوا ،
وَفِيهِمْ مَقَامَاتُ حَسَانٍ وَجُوهُهُمْ ،
عَلَى مُكَثَرِيهِمْ رِزْقٌ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ
وَأِنْ جِثَّتْهُمْ أَلْقَيْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ

وَذَيْبَانُ قَدْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النَّعْلُ^(١)
سَبِيلُكُمْ فِيهِ ، وَإِنْ أَحْزَنُوا ، سَهْلُ^(٢)
وَنَالَ كِرَامَ الْمَالِ فِي الْجَنَّةِ ، الْأَسْلُ^(٣)
قَطِينًا بِهَا ، حَتَّى إِذَا نَبَتِ الْبَقْلُ^(٤)
وَأِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا ، وَإِنْ يَنْسِرُوا يُغْلُوا^(٥)
وَأَنْدِيَّةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ^(٦)
وَعِنْدَ الْمُفْلِينَ السَّاحَةُ وَالْبَذْلُ^(٧)
مَجَالِسَ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْبَهْلُ^(٨)

(١) تداركتما : انتقل الى مخاطبة السديين اي تداركتما بالسلم . الاحلاف : اسد
وغطفان وطبي . ثلَّ عرشها : هدم عزاها . ذيبان : قبيلة الممدوحين وهي من غطفان ايضاً
ولكن الحرب ابعدتها عنها . زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا (النعل) : مثل ، اي وقعوا في ضلال وحيرة .
(٢) احزنوا : ساروا في الحزن وهو ما غلظ من الارض ، وهو هنا بمعنى وقعوا بأمر شديد .
يقول : فاصبحتما من السلم على خير منزل تزلتموه وانتم في رخاء وان كانوا قد وقعوا في
امر شديد . وقد ورد صدر هذا البيت في معلقته . (٣) الشهباء : البيضاء ، كني بلونها عن
كثرة الثلج وعدم النبات . اجحفت : اضرَّت . المال : الابل . الحجره : السنة الشديدة
البرد التي تجرح الناس في بيوتهم . يقول : ان الناس في هذه السنة يأكلون كرام ابلهم لانهم
لا يجدون اللبن لعدم النبات . (٤) بيوتهم : اي بيوت قوم الممدوحين . القطين : الساكن
في الدار . يقول : ان الفقراء يلزمون بيوت هؤلاء القوم ويعيشون من اموالهم حتى يخلص
الناس وينبت البقل . (٥) هنالك : أي في تلك الشدة . ان يُسْتَخْبَلُوا : اي ان تستعار
ابلهم للانتفاع بها . يخبَلُوا : يعبروا ابلهم . ينسروا : يلعبوا بالمنسر . يغْلُوا : يجمعوا
الثلث غالباً . يقول : في تلك السنة الشديدة يعبرون ابلهم لمن يطلبها للانتفاع بها ، ويعطون
من يسألهم ، واذا لعبوا بالمنسر يقامرون على سان الابل الغالية الثمن . (٦) المقامات :
المجالس ، اراد بها اهلها على سبيل المجاز المرسل ، ولذلك وصفها بالحسان الوجوه . الاندية :
المجالس . ينتابها : يأتيها مرة بعد مرة . يقول : وفيهم اهل مقامات حسان الوجوه ولهم
اندية يبت فيها جميل القول ويعمل به . (٧) مكثريهم : اغنياهم . يعترهم : يقصدهم .
المفلين : الفقراء منهم . يقول : يقوم اغنياهم برزق من يقصدهم من الفقراء ، ويبذل
فقراؤهم بمقدار جهدهم وطاقتهم . (٨) اراد اخم اهل حلوم وآراء يستفيد منها الجاهل اذا
حضر مجالسهم

وَأِنْ قَامَ فِيهِمْ حَامِلٌ قَالَ قَاعِدٌ : رَشَدْتَ فَلَا غُرْمَ عَلَيْكَ وَلَا خَذُلٌ^(١)
 سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لَكِي يَذَرُكُوهُمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا ، وَلَمْ يُلِيمُوا ، وَلَمْ يَأْلُوا^(٢)
 وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَتْهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ^(٣)
 وَهَلْ يُنْبِتُ الْحَطِيءُ إِلَّا وَشِيجُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ^(٤)

وله من قصيدة يدح بها حصن بن حذيفة بن بدر :

وَأَبْيَضُ فَيَاضٌ يَدَاهُ عَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَفِيهِ ، مَا تُعِبُ فَوَاضِلُهُ^(٥)
 بَكَرَتْ عَلَيْهِ غُدْوَةٌ فَوَاضِلُهُ قُوداً لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَاضِلُهُ^(٦)
 يُفَدِّينُهُ طَوْرًا ، وَطَوْرًا يَلْمَنُهُ ، وَأَعْيَا ، فَمَا يَذَرِينَ أَيْنَ مَخَاضِلُهُ^(٧)
 فَأَقْصَرَنَ مِنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مُرْزَاٍ عَزُومٍ عَلَى آلِ أَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ^(٨)
 أَخِي ثِقَّةٌ لَا تُتْلَفُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَاسْكَنَهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ^(٩)

(١) الحامل : الكافل والضامن . يقول : ان تحمل احدهم حمالة ، قال له القاعد وهو الذي لم يتحمل ، اصببت في عملك ، فلا نخذلك ولا ندعك تتحمل انغرامة وحدك . (٢) لم يليموا : لم يأتوا ما يلامون عليه . لم يألوأ : لم يقصروا في السعي . يقول : جري على اثرهم قوم يريدون ادراك منزلتهم فلم يستطيعوا ، ولكنهم لم يأتوا عملاً يلامون عليه ، في السعي لادراك منزلتهم ، ولم يقصروا في هذا السعي ، فهم معذورون في عدم الوصول اليها لانها أعلى من أن تبلغ . (٣) يقول : مجدهم قدم متوارث . (٤) الحطبي : (الرمح نسبة الى الخط وهي جزيرة في البحرين . الوشيج : القنا الملتف في منبته واحده وشيجة . يقول : لا تثبت (قناسة) الا القنأة . ولا تغرس (النخل) الا بحيث تثبت وتصلح ، وكذلك لا يولد الكرام الا في موضع كريم . (٥) وأبيض : يريد به رجلاً نقياً من العيوب . فَيَاضُ : كثير العطاء . معتفيه : الذين يأتونه ويسألونه . ما تعب : لا تقطع . فواضله : عطاياه لانها تفضل كل عطاء . (٦) الصريم جمع صريمة : رملة تقطع من معظم الرمل . العواذل : اللاتي يلمنه على انفاق ماله . (٧) اعيا : صعب واعجز . المختال : مواضع الختل اي الخداع . يقول : يقن له : فدينك بانفسنا وآبائنا ليستترلنه فيقبل عذلهن ولكنه صعب عليهن واعجزهن فما يذرين اين هي المواضع التي يخدعنه بها . (٨) المرزأ : المصاب بماله كثير الكرمه وقوله : اقصرن منه : اي كففن عن عذله بعد ان اعياهن . (٩) اخي ثقة : اي يوثق بما عنده من الخير . النائل : العطاء . يقول : لا يتلف ماله بشرب الخمر ولكن يتلفه بالعطاء .

تَرَاهُ ، إِذَا مَا جِئْتَهُ ، مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُغْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ ^(١)
ومن قصيدة له في مدح هَرَم :

أَغْرُ أْبَيْضُ ، فَيَاضُ ، يُفْسِكُ عَنْ
وَذَاكَ أَحْزَمُهُمْ رَأْيًا إِذَا نَبَأُ
فَضَلَ الْجِيَادَ عَلَى الْخَيْلِ الْبِطَاءِ ، فَلَا
قَدْ جَعَلَ الْمُبْتَقُونَ الْخَيْرَ مِنْ هَرَمٍ
إِنْ تَلَقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا
وَلَيْسَ مَانِعَ ذِي قُوَّتِي وَذِي رَحِمٍ
لَيْثٌ يَبْعَثُ يَضْطَادُ الرَّجَالَ ، إِذَا
يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا ، حَتَّى إِذَا أَطْعَنُوا
أَيْدِي الْعَنَاقِ ، وَعَنْ أَعْنَاقِهَا ، الرَّبَقَا ^(٢)
مِنَ الْخَوَادِثِ غَادَى النَّاسَ أَوْ طَرَقَا ^(٣)
يُغْطِي بِذَلِكَ مَمْنُونًا وَلَا تَرَقَا ^(٤)
وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ ، طَرَقَا
تَلَقَّى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا ^(٥)
يَوْمًا ، وَلَا مُغْدِمًا مِنْ خَابِطٍ وَرَقًا ^(٦)
مَا كَذَّبَ أَلَيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ ، صَدَقَا ^(٧)
ضَارَبَ ، حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا ، أَعْتَقَا ^(٨)

(١) متهللاً : طلق الوجه باشاً . (٢) الاغر : اليبض وهنا بمعنى المشهور . اليبض : المنقى من العيوب . العنقة جمع العاني : الاسير الذليل . الربق جمع الرَبْقَة : حبل طويل فيه حلق تجعل فيه رؤوس البهائم لئلا ترضع اماتها ، فاستمارها هنا للاغلال . وقوله يفكك : اي يفك كثيرًا . يقول : انه بمن على اسراه فيطلقهم ويفادي اسرى غيره بماله . (٣) النبأ : الخبر الشديد الوقع . طرق : جاء ليلاً . يقول : هذا الممدوح احزم الناس رأياً عند امر ينوب في الصباح او في الليل . (٤) فضل : مفعول مطلق أي فضل الناس فضل الجياد على الخيل البطاء . الممنون : المقطوع . (الترق : الذي يغطي بعد الجري . يقول : هو في الناس بمنزلة الجواد من الخيل يعطيك ما عنده من الجري دون ان يقطعه او يغطي فيه . (٥) على علاته : يريد عل قلة مال او عدم . يقول : ان تلقه على ذلك تجده سرحاً كريماً فكيف به وهو على غير هذه الحال . (٦) ولا معدما من خابط : يريد ولا معدماً خابطاً ، ومن زائدة لاستغراق معنى الجنس . الخابط : طالب المعروف . الورق : هنا المعروف . وهذا مثل اصله ان الرجل يضرب الشجر ليوقع ورقه فيعلمه الماشية فسمي كل طالب معروف خابطاً . المعدم : المانع . وصفه بانه يعطي القريب والبعيد . (٧) عشر : اسم موضع . كذب : تراجع . الاقران جمع قرن : الصاحب في القتال . يقول : هو كلاسد في اقدامه وشجاعته ، واذا الاسد تراجع عن اقرانه ولم يصدق الحملة فهذا الممدوح يصدقها . (٨) يقول : اذا ارتقى المتقاتلون بالنبال دخل هو تحت الرمي فجعل يطعنهم فاذا تطاعنوا ضاربهم بالسيف فاذا تضاربوا

هَذَا وَلَيْسَ كَمَنْ يَغِيَا بِخُطَّتِهِ وَسَطَ النَّدِيِّ إِذَا مَا نَاطِقٌ نَطَقًا^(١)
لَوْ نَالَ حَيٍّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةِ وَسَطِ السَّمَاءِ ، لَنَالَتْ كَفُّهُ الْأَفُقَا^(٢)

قال ابن سلام : « كان زهير اشدهم مبالغة في المدح » . وهذا لا يعني انه كان
يخرج الى الغلو الممقوت ، فزهير ارصن من ان يلجأ الى السخف والكذب في اقواله ،
فقد رأيت كيف جعل الشرط مانعاً لما اراد المغالاة في مدح هرم :

لَوْ نَالَ حَيٍّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةِ وَسَطِ السَّمَاءِ لَنَالَتْ كَفُّهُ الْأَفُقَا

ولو : حرف امتناع لامتناع . اي امتناع نيل الافق لامتناع شرط نيل وسط
السما . واذا كان يبالغ في المدح فلانها هي مبالغة مقبولة ، تجعله يصف بمدوحه بجميع
الحلال الحسنة ، من كرم ، وشجاعة ، وحلم ، وطيب مختد ، وبلاغة في المنطق ،
الى غير ذلك مما رأيت في هذه المنتخبات ، من ضروب الاوصاف الحسنة التي تحلى بها
ممدوحه . وزهير في مدحه كزهير في غزله ، مصور يقص عليك باليجاز كيف تدارك
صاحبه عساً وذيان بعد تغانيهما ، وكيف دفعا الديات نجوماً ، وهما بريشان من
الدم ، حتى اصبحا من السلم على خير موطن . وهو يحدثك في مكان آخر عن ممدوحه ،
فيؤيكه في الصريم وحوله عواذله قعود يفدينه طوراً وطوراً يلمنه حتي اذا
اعياهن اقصرن عنه .

ولست ارى ابلغ من هذا البيت في المدح :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتُهُ ، مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُغْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

بالسيوف اعتنق قرنه والتزمه ، يريد انه يزيد عليهم في كل حال . وكان كثير من النقاد
يجبون بهذا البيت ذاكرين انه جمع كل انواع القتال

(١) الخطة : الحديث والقصة . الندي : مجلس القوم . بعد ان وصفه بالكرم والشجاعة
وصفه بالبلاغة في المحافل . (٢) بمنزلة أي بدرجة أي بقدر يسير . يقول : لو نال انسان
وسط السماء بقدر يسير لنالت كف هرم الافق كله

خشى زهير أن ينقض الصلح فتعود الحرب بين عبس وذبيان ، فأنشأ يحذر
 الاقوام ناصحاً رادعاً . وبماذا يحذرهم الا بأن يصور لهم الحرب افطع تصوير ،
 ويصف لهم وخيم مغباتها . وقد وفق لبلاغ أماربه كل التوفيق ، فأتى بصور
 بارزة تتوالى دراكاً ، مختلفة الالوان ، غير انها متفقة في تمثيل الحرب واهوالها ،
 ونتائجها وغلاتها :

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ ، وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجَمِ (٢)
 مَتَى تَبْعُوهَا ، تَبْعُوهَا ذَمِيمَةً ، وَتَضُرُّ ، إِذَا ضُرَيْتُمْوهَا فَتَضُرُّمُ (٣)
 فَتَعْرُكُكُمْ عَرَكُ الرِّحَى بِثِفَالِهَا ، وَتَلْقَحُ كِشَافاً ، ثُمَّ تُنْتِجُ ، فَتُثْمِنُ (٤)

(١) علمنا ان هرم بن سنان والحارث بن عوف تحملا الديات واصلحا بين المنحاريين
 فاطمان الناس الى الصلح ودخلوا فيه الا حصين بن ضمضم المري . وكان احد العباسيين ورد
 ابن حابس قتل اخاه هرماً قبل الصلح . فاقسم حصين ان لا يغسل رأسه حتى يقتل القاتل او
 رجلاً من بني عبس ثم من بني غالب اهل ورد . ولم يطلع احداً على قسمه
 فكان ان اقبل رجل من بني عبس وتزل بحصين فقال له هذا : « من انت ايجا الرجل ؟ »
 قال : « عبي » فقال : « من اي عبس ؟ » فلم يزل ينتسب حتى انتسب الى غالب . فقتله
 حصين . فهاج بنو عبس ، واتهموا القوم بالخيانة وركبوا نحو الحارث بن عوف يريدون
 قتله . فلما بلغه ذلك بعث اليهم بمئة من الابل معها ابنه ، وقال للرسول : « قل لهم : الابل
 احب اليكم أم انفسكم ؟ » فاقبل الرسول حتى قال لهم ذلك . وكان فيهم الربيع بن زياد
 وهو ذو رأي ودهاء فقال : « يا قوم ، ان اخاكم قد ارسل اليكم يقول : الابل احب
 اليكم ام ابني تغفلونه مكان قتيلكم » فقالوا : « بل نأخذ الابل ونصالح قومنا » وهكذا
 كان . فأنشأ زهير معلقته ، وحذر بها الاحلاف من شر الخيانة ، ووصف الحرب ونتائجها .

(٢) ذقتم : جربتم . المرجم : المظنون . يقول : ليست الحرب الا الذي علمتموه وجربتموه
 وليس امرها بالحديث المظنون ، وانما هو شيء عرفتموه وخبرتموه . (٣) ذميمة : غير محمودة .
 تضر : تشدد ، ومنها الضرى : شدة الحرب . ضريتموها : جعلتموها تشدد . تضرم :
 تفتنل . (٤) الرحي : الطاحون . الثفال : خرقه او جلدة تجعل تحت الرحي ليقع عليها
 الطحين . والباء في قوله : بثفالها بمعنى مع . تلقح : تحمّل من حملت المرأة فهي حامل .
 كشافاً : لقاح النعجة مرتين في السنة . تنتج : بصيغة المجهول تلد . تثم : تلد توأمين . يقول :
 فتعرككم عرك الرحي الحب ، وخصها بالثفال لان الثفال لا ييسط الا عند الطحن . وجعل

فَتَشِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ ✓ كَأَحْمَرَ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ ، فَتَقْطِعْ (١)
فَتَغْلِلَ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا ✓ قَرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمٍ (٢)

تَحْصِيَةُ الْمَسَائِفِ

ويبدو لك زهير في هذه الابيات ، على رصانته وهدوئه ، عنيفاً شديداً ، في
تصوير الحرب وويلاتها ، وما مثله الا مثل المرشد الحكيم ، يترفق في نصحه ،
عند صغار الامور ، ويعنف ويقسو عند كبارها .

هَجَاؤُهُ

يهجو زهير ويؤلم ، ولكنه قلما يُقذع (٣) . وربما كان لهجائه خاصة لا تجدها في
غيره وهي نصح المهجو وارشاده الى اصلاح ما افسد . واليك مثالا من ذلك قوله
يهجو آل حصن (٤) :

وَمَا أَذْرِي ، وَسَوْفَ إِخَالُ أَذْرِي ، أَقَوْمَ آلِ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءً ؟ (٥)

انواع الشر المتولدة من الحرب بمتزلة الاولاد الناشئة من الامهات وبالغ في وصفها باستتباع
الشر بشيئين : احدهما جعله اياها لاقحة كشافاً ، والاخر اتآمها .

(١) أشأم : فيها قولان : احدهما ان أشأم صفة للمصدر فكانه قال غلمان شوأم أشأم .
والثاني ان يكون المعنى غلمان امرى أشأم . كلهم مبتدأ واحمر عاد خبر . واراد به احمر
ثمود : وهو لقب لعاقرة ناقة صالح وانما قال احمر عاد لاقامة الوزن او وهم فيه فاختطأ . وقال
المبرد : لم يغلط لان ثمود يقال لهم عاد الاخرة . يقول : فتلد لكم غلمان الشوأم كل واحد
منهم يماثل في الشوأم عاقرة الناقة . ثم تُرْضِعُ الحرب هؤلاء الغلمان ونقطهم . اراد بذلك ان
امرها يطول فلا تنكشف سريماً . (٢) القفيز : نوع من المكاييل . يقول : تغل لكم هذه
الحرب من الاضرار اكثر مما تغل قري العرّاق الخصب من مكاييل حبوب ودراهم .
(٣) يقذع : يفحش . (٤) كان رجل من بني عبد الله بن غطفان اتى قوماً من آل حصن
فأكرموه واحسنوا جواره وكان مولعاً بالقمار فنهوه عنه فأبى الا المقامرة فقسّم مرة فردوا
عليه ، ثم قمر اخرى فردوا عليه ، ثم قمر الثالثة فلم يردوا عليه فترحل عنهم الى قومه وزعم
انهم اغاروا عليه . فهجاهم زهير ثم لما علم الحقيقة ندم وكان يقول : « ما خرجت في ليلة
ظلماء الا خفت ان يصيبني الله بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتهم » . (٥) القوم : الرجال دون
النساء . وقوله : وسوف اخال ادري : أي سأبحث عن حقيقة امرهم .

فَإِنْ قَالُوا : أَلَتَسَاءُ مُجَبَّاتٌ ، فَحَقَّ لِكُلِّ مُحَصَّنَةٍ هِدَاءٌ ^(١)
وَأَمَّا أَنْ يَقُولَ بَنُو مَصَادٍ : إِلَيْكُمْ ! إِنَّنَا قَوْمٌ بَرَاءٌ ^(٢)
وَأَمَّا أَنْ يَقُولُوا : قَدْ وَفَيْنَا ، فَعَادَتُنَا أَلْوَفَاءُ ^(٣)
وَأَمَّا أَنْ يَقُولُوا : قَدْ أَبَيْنَا ، فَشَرُّ مَوَاطِنِ الْحَسَبِ ، أَلَأَبَاءُ ^(٤)
وَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ : يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءٌ ^(٥)

قيل : كان عمر بن الخطاب يعجب بالبيت الأخير . وقال ابن رشيق : « معي زهير قاضي الشعراء بهذا البيت . » وقد ورد بعده بيتان لم نظمثن اليهما لما فيهما من اسفاف ولين ، وهما :

فَذَلِكُمْ مَقَاطِعُ كُلِّ حَقٍّ ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ لَكُمْ شِفَاءٌ ^(٦)
فَلَا مُسْتَكْرَهُونَ لِمَا مَنَعْتُمْ وَلَا تُغْطُونَ إِلَّا أَنْ تَشَاوُوا ^(٧)

ثم يقول بعدهما :

جَوَارٌ شَاهِدٌ عَدْلٌ عَلَيْكُمْ وَسَيَّانٍ أَلْكَفَالَةُ وَالتَّلَاءُ ^(٨)
بَابِيَّ الْجِيرَتَيْنِ أَجْرُ ثَمُوهُ فَلَمْ يَصْلُحْ لَكُمْ إِلَّا الْأَدَاءُ

(١) المحصنة : ذات الزوج وهي البكر ايضاً . الهداء : زفاف العروس الى زوجها .
وقوله : مجبات ، منصوبة على الحال . يقول : فان قال بنو حصن : نحن النساء مخبات . فينبغي ان يزوجن اذاً ويهدين الى بعولتهن لانهن لا يصلحن لغير ذلك . (٢) بنو مصاد : من بني حصن . اليكم : تنحوا عنا . (٣) وفينا : اي نفى بما عندنا . (٤) ابينا : ابينا الوفاء . يقول : وان قالوا : نأبى الوفاء ، فهذا ليس من الشرف في شيء لان للحسب خصالاً عديدة وشراً اباء الحق . (٥) يقول : لا يقطع الحق المختلف فيه الا ثلاث خصال : حلف اليمين . والنفار : اي التقاضي الى حكم . والجلاء : البينة والاقرار . (٦) شفاء : اي شفاء من الالتباس والشك . (٧) يقول : انتم غير مكرهين على اعطاء ما منعت من مال الرجل ، اغدا تدفعون ذلك اذا شئتم . ولا يخفى ما في هذا الكلام من الضعف بعد الشدة . (٨) التلاء : الحوالة . يقول : ان تزول هذا الرجل عنكم يشهد عليكم . وسَيَّانٍ من كفل كفالة ومن جعل حوالة من ذمة فقد وجب للجار حق بهذين جميعاً . وقيل : التلاء : ان يكتب رجل لآخر على سهم . « فلان جار لفلان » وقد فسر هذا المعنى بالبيت التالي .

وَجَارٍ سَارَ مُعْتَمِدًا إِلَيْكُمْ أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ ؟ (١)
فَجَاوَرَ مُكْرَمًا حَتَّى إِذَا مَا دَعَاهُ الصَّيْفُ وَأَنْقَطَعَ الشِّتَاءُ (٢)
ضَمِنْتُمْ مَالَهُ ، وَغَدَا جَمِيعًا عَلَيْكُمْ نَقْصُهُ وَآلَةُ النَّمَاءِ (٣)

ومنها في الحُتَام :

فَمَهْلًا ، آلَ عَبْدِ اللَّهِ ا عَدُّوا مَحَازِي لَا يُدَبُّ لَهَا الصَّرَاءُ (٤)
أَرُونَا سُنَّةَ لَا عَيْبَ فِيهَا يُسَوِّي بَيْنَنَا فِيهَا الشَّوَاءُ (٥)
فَإِنْ تَدْعُوا السَّوَاءَ فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ بَنِي حِصْنٍ بَقَاءُ (٦)
وَيَبْقَى بَيْنَنَا قَذْعٌ ، وَتُلْفُوا إِذَا قَوْمًا بِأَنْفُسِهِمْ ، أَسَاوُوا (٧)
وَتُوقَدُ نَارُكُمْ سَرَرًا ، وَيُرْفَعُ لَكُمْ فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ ، لَوَاءُ (٨)

فهذا هجاء موجه ولكنه عفيف ، وفيه كثير من التهكم والازدراء ،
ولكن فيه كثير من النصيح والارشاد . وترى الحكمة مسيطرة عليه ، فما تسد
باب الصلح بل تتركه مفتوحاً .

(١) أَجَاءَتْهُ الْمَخَافَةُ وَالرَّجَاءُ : يشرح حال الجار فيقول : هل صيره اليكم خوفه من
غيركم ورجاؤه فيكم . (٢) أي جاوركم مكرماً مدة الشتاء فلما اقبل الصيف رحل عنكم .
وكانوا يتجاورون في الشتاء لشدة الزمان وعدم الحصب . (٣) اي : ضمنت ماله فحق عليكم
ان تكون الزيادة له وان تموا ما ينقص منه . والناء : الزيادة . (٤) آل عبد الله :
حي من كلب ومنهم بنو حصن . عَدُّوا : اصرفوا . الصَّرَاءُ : الاستخفاء والشجر
الملتف . يقال : دب الصَّرَاءُ : اذا مشى مستخفياً وختل صاحبه . (٥) السَّوَاءُ : العدل .
يقول : ارونا شريعة لا تعاب عليكم يسوي العدل بيننا . (٦) يقول : فان تدعوا العدل
فلا بقاء بيني وبينكم أي لا يبقى بعضنا على بعض . (٧) القذع : القبيح من القول .
يحذرهم منه ويقول : تُلْفُوا . أي توجدوا انكم اسأتم الى انفسكم . (٨) وتوقد ناركم
سَرَرًا : مثل معناه : يظهر امركم في الناس . وقوله : وَيُرْفَعُ لَكُمْ فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ
لَوَاءُ . مثل ايضاً معناه : يشهر غدركم في المحافل . وجاء في الحديث : « لكل غادر
لواء يوم القيامة » .

الحكم في الشعر الجاهلي كالقصص ، مندججة في النوع الغنائي ، ولذلك جعلناها منه لما ذكرنا ابواب الشعر وانواعه . والحكم في الجاهلية وليدة حوادث الدهر وتجاربه . فقد رأينا في طرفه ، غلاماً ساخراً لاهياً ، وحكيماً عاقلاً معاً . وزى الآن في زهير ، شيخاً جليلاً عرك الايام فذاق حلوها ومرها ، وبدا له ما فيها من خير وشر . فاذا هو يقف من الحياة وبغضها ، موقف طرفه . ولكن طرفه أثر اللذة لانه غير مخلد ، وزهير ستم الحياة لطولها ، وستمها لانها تحبط خبط عشواء ، وستمها لانه مجهل ما يستر عنه الغد . فكلا الشاعرين ابغض الحياة ، وكلاهما حائر فيها فاليك ما يقول الشيخ الحكيم :

لَسَمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ
وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ
رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ
وَمَنْ لَا يُصَانِعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ،
وَمَنْ يَجْعَلَ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَجْعَلُ بِفَضْلِهِ
وَمَنْ يَجْعَلَ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
(١) ثَمَنَيْنِ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ
وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمِ
ثِمْنُهُ وَمَنْ تُخْطِئُ يُعَمَّرُ فَيَهْرَمُ
يُضْرَسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسِمِ
يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يُشْتَمُ
عَلَى قَوْمِهِ ، يُسْتَفَنُّ عَنْهُ وَيُدْمَمُ
يَكُنْ حَمْدُهُ ذِمًّا عَلَيْهِ ، وَيَنْدَمُ

(١) ثمت : ملئت . تكاليف الحياة : مشاقها . لا ابا لك : كلمة جافية أي لا ابا لك حراً ، وهنا يراد بها التنبية . (٢) العمي : الجاهل . وأخذ على زهير قوله : « قبله » لانه تطويل يستغنى عنه (٣) أي رأيت المنايا تحبط خبط عشواء ، والعشواء : موث الاعشى وهي التي لا تبصر ليلاً . ويريد بها الناقة التي تضرب بيدها ليلاً على غير هدى . شبه بها المنايا في اصابتها الناس على غير نسق وترتيب . (٤) يصانع : يداري . يضرس : يُعَضُّ بالاضراس . المنسم : خف البعير : أي من لا يداري الناس قهروه وأذلوه . (٥) يفره : يكثره ، من وقّر . يقول : من جعل احسانه بين عرضه وكسلام الناس صان عرضه ومن لا يتق الشتم يشتم . (٦) ذا فضل : ذا مال وفضل .

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ
يُهْذَمُ ، وَمَنْ لَا يَذْدُ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ
وَكَاثِنٍ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ
لِسَانُ أَفْتَى نِصْفٍ وَنِصْفٌ فَوَادُهُ
وَإِنْ سَفَاهَ الشَّيْخُ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ
يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْذَمٍ (١)
يُهْذَمُ ، وَمَنْ لَا يُظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ (٢)
وَإِنْ خَالَهَا تَخَنَّى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ (٣)
زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ (٤)
فَلَمْ يَنْبَقْ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ (٥)
وَإِنْ أَفْتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ (٦)

وقد رأينا ان نجترى بهذه الايات من حكمياته في المعلقة ، وهي في اعتقادنا اولى من غيرها بالاثبات .

مفرته

هو احد الثلاثة المقدمين في الجاهلية وهم : امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير . وقد اختلف في تقديم احدهما على صاحبيه . وروى عمرو بن عبدالله الليثي : ان عمرو ابن الخطاب قال : « زهير اشعر الشعراء لانه كان لا يعاظم (٧) في الكلام ، وكان يتجنب وحشي الشعر ، وكان لا يدح احداً الا بما هو فيه . » وروي ايضاً عن عمرو انه كان يقول : « اشعر الشعراء صاحب من ومن ومن . . . » وقال ابو عبيدة : « اشعر الناس اهل الوبر خاصة وهم : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة . » وسأل عكرمة

(١) الزجاج جمع زُجّ : الحديد المركب في عقب الرمح . العوالي جمع عالية : طرف الرمح الاعلى . اللهزم : السنان الطويل . كان العرب اذا التفتوا للحرب اداروا زجاج الرماح وسعى الساعون في الصلح فان اخفق المسمى اشروعوا الاسنة واقتتلوا . يقول : من ابى الصلح ذللت له الحرب . وقد سكن ياء العوالي لضرورة الشعر . (٢) يذد : يدافع . الحوض : هنا مستعار للحريم والمال . (٣) الخليفة : الصفة حسنة كانت او سيئة . (٤) كائن : كم . يقول : كم صامت يعجبك صمته فستحسسه وانما تظهر زيادته ونقصانه عند تكلمه . (٥) هذا كقول العرب : المرء بأصغريه : قلبه ولسانه . (٦) السفاه : الترق والجهل . الحلم : ضد السفاه . وقوله : يحلم : اقواء جرت به القافية وحركة الجر المجاورة في لفظة السفاه والصواب يحلم . (٧) يعاظم : يأتي بالتضمن أي ان تعلق قافية البيت بما بعده على وجه لا يستعمل بالافادة ، وهو عيب في الشعر .

ابن جرير اباه : « من اشعر الناس ؟ » ففضل زهيراً في الجاهلية . وقال ابن سلام : « من قدم زهيراً احتج بأنه كان احسنهم شعراً ، وابعدهم من سخف ، واجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الالفاظ ، واشدهم مبالغة في المدح ، واكثرهم امثالا في شعره . »

لا فيتبين لنا من كل ذلك ، ان زهيراً في مقدمة شعراء الطبقة الاولى . ومنهم من يفضلهم عليهم جميعاً . وهو كما رأيناه في شعره ، متين السبك غير خشن ، واضح المعاني ، موجز التعبير ، متناسق الافكار ، رصين الاسلوب . يؤثر القصص في سرد افكاره ، والتصاوير الحسنة في ابراز موصوفاته . ترافقه الحكمة والرزانة في جميع فنون الشعر وابوابه . فهو رزين في غزله ووصفه ومدحه ، حكيم في هجائه ونصحه وتحذيره . ولا بدع ان يقل سخفه فذاك راجع الى ترويه في النظم واناته .

وقصارى القول ان زهيراً شاعر حكيم ، ومصور بارع حريص على اتقان صورته وتوحيد الوانها .

لبيد

٦٦١ م و ٤١ هـ (?)

- | | |
|---------|---|
| حياته : | كرمه ونذره . هجاؤه للربيع عند النعمان . تعميره . اسلامه . سأمه . من الحياة . نظمه الشعر في الاسلام وماذا يروى له . محاربته في جيش الحرت الاعرج القساني |
| آثاره : | ديوانه ومعلقته |
| ميزته : | اجادته بوصف الديار الخالية . غزله وشدته . قطعه صلة من هجره . وصفه سرعة الناقة وتشبيهاته القصصية الرائعة . ميزة الحكم والمواعظ في غير معلقته . موت اخيه . تأثير الحزن في شعره . رثاؤه لاختيه . قأسيه ووعظه لنفسه . ايمانه بالله . رثاؤه لاختيه في الاسلام . منزلته . |

حياته

هو ابو عقيل أميد بن ربيعة العامري . وكان ابوه يعرف « بريعة المُقْتَرين »^(١) لجوده وسخائه . فنشأ لبيد كريماً مثله . وقيل انه نذر في الجاهلية ان لا تهب الصبا الا اطعم . وظل على نذره في الاسلام .

وقد بدت دلائل النجابة على الشاعر منذ حداثة سنه . ومما يروى عنه وهو غلام : انه وفد في رهط من بني عامر على النعمان بن المنذر ، فوجدوا عنده الربيع ابن زياد العبسي ، وكان الربيع ينادم النعمان ، فظعن في العامرين وذكر معايبهم لعداء بينهم وبين بني عبس . فجافى النعمان وفد بني عامر واهمل امرهم . فخرجوا من عنده غضاباً . فعرض عليهم لبيد ان يهجو الربيع في حضرة النعمان ، فاستخفوا به لصغر سنه . فألح عليهم حتى رضوا . فلما اصبحوا دخلوا به على النعمان ، والربيع يؤاكله ، فقام لبيد يرتجز ويقول :

أَكُلُّ يَوْمٍ هَامَتِي مُقَرَّعَهُ يَا رَبَّ هَيَّجَا هِي خَيْرٌ مِنْ دَعَةٍ^(٢)
يَا وَاهِبَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ مِنْ سَعَةٍ إِلَيْكَ جَاوَزْنَا بِلَاداً مُسَمَّعَةً^(٣)
نَحْنُ بَنُو أُمِّ الْبَيْنِ الْأَرْبَعَةِ ، سُيُوفُ حَقٍّ ، وَجَفَانٌ مُتَرَعَةٌ^(٤)
نَحْنُ خِيَارُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةٍ ، الضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَعَةِ^(٥)
وَالْمُطْعَمُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدْعَدَةَ مَهَلًا ! أَيْتَ اللَّغْنِ لَا تَأْكُلْ مَعَهَا^(٦)

ثم قال بعدها بيتين لا يجمل ذكرهما ، فكره النعمان منادمة الربيع وطرده ، ثم قضى حوائج بني عامر .

(١) المقترين : الفقراء . (٢) الهامة : الرأس . مقرعة : مخلوقة ، من القزع ، وهو ان يملق رأس الصبي وتترك مواضع منه متفرقة غير مخلوقة تشبيهاً بقزع السحاب اي بقطعه . الهيجاء : الحرب واصحابها بالهمز . الدعة : الراحة . المعنى : ان الغلام الشاعر يفضل الحرب على الراحة وتزيين الرأس . (٣) مسبعة : ذات سبع كثيرة . وقوله : يا واهب الخير : خطاب للنعمان . (٤) الجفان : القصاع ومفردها جفنة . مترعة : مملوءة . وقوله : سيوف حق وجفان مترعة : أي ابطال حروب وقراءة ضيفان . (٥) خيار الشيء : افضله . الهام جمع الهامة : الرأس . الخيضة : البياضة التي تلبس على الرأس في الحرب . (٦) المددعة : المترعة . أيت اللعن : دعاء في الجاهلية وتحية للملوك : أي أبيت ان تفعل ما تلعن به .

وَعَمَرَ لِبَيْدٍ حَتَّى ادْرَكَ الْإِسْلَامَ فَانْتَحَلَهُ دِينًا ، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنَ الْبَادِيَةِ إِلَى الْكُوفَةِ
وَأَقَامَ فِيهَا حَتَّى مَاتَ . وَكَانَ مَوْتُهُ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ أَنْ جَاوَزَ الْمِئَةَ ، وَسَمُّهُ
الْحَيَاةُ كَمَا سَمُّ مِنْهَا زَهِيرٌ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ :

وَلَقَدْ سَمَّيْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَوَّلَهَا وَسُؤَالَ هَذَا النَّاسِ : كَيْفَ لِبَيْدٍ ؟

وَزَعَمَ الرُّوَاةُ أَنَّ لِبَيْدًا لَمْ يَقْلُ شَعْرًا فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا بَيْتًا وَاحِدًا وَهُوَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ لَمْ يَأْتِنِي أَجْلِي حَتَّى كَسَانِي مِنَ الْإِسْلَامِ سِرْبَالًا
وَقِيلَ بَلْ هُوَ :

مَا عَاتَبَ الْخُرَّ الْكَرِيمَ كَتَفِهِ وَالْعَرَّةَ يُضِلُّهُ الْجَلِيسُ الصَّالِحُ
وَرَوَوْا : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ الْمَغِيرَةَ بْنِ سُعْبَةَ فِي الْكُوفَةِ :

« أَنْ اسْتَنْشِدَ مِنْ عِنْدِكَ مِنْ شَعْرَاءَ عَصْرِكَ مَا قَالُوهُ فِي الْإِسْلَامِ » فَارْسَلَ إِلَى لِبَيْدٍ
وَاسْتَنْشَدَهُ ، فَكَتَبَ لِبَيْدٍ « سُورَةُ الْبَقَرَةِ » فِي صَحِيفَةٍ ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْمَغِيرَةَ وَقَالَ :

« أَبْدَلَنِي اللَّهُ هَذِهِ فِي الْإِسْلَامِ مَكَانَ الشَّعْرِ » .

وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنَّ يَطْمِئِنُّ الرُّوَاةُ وَمَنْ أَخَذَ عَنْهُمْ ، إِلَى سَكُوتِ لِبَيْدٍ عَنْ نَظْمِ
الشَّعْرِ فِي الْإِسْلَامِ ، عَلَى حِينِ أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مُشَقَّةً فِي أَنْ يُضِيفُوا إِلَيْهِ اشْعَارًا قَالَهَا
بَعْدَ إِسْلَامِهِ ، فزَعَمُوا أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ مِائَةَ حِجَّةٍ وَعِشْرًا قَالَ :

أَلَيْسَ فِي مِائَةٍ قَدْ عَاشَهَا رَجُلٌ ، وَفِي تَكَامُلِ عَشْرِ بَعْدَهَا ، عُمُرًا
وَأَنَّهُ قَالَ لَمَّا بَلَغَ مِائَةَ وَعِشْرِينَ :

وَلَقَدْ سَمَّيْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَوَّلَهَا وَسُؤَالَ هَذَا النَّاسِ : كَيْفَ لِبَيْدٍ ؟
غَلَبَ الرِّجَالُ ، فَكَانَ غَيْرَ مُغْلَبٍ ، دَهْوٌ جَدِيدٌ دَائِمٌ مَعْدُودٌ ،
يَوْمٌ أَرَى يَأْتِي عَلَيَّ وَلَيْلَةٌ ، وَكِلَاهُمَا بَعْدَ الْمَضَاءِ يَعُودُ
وَهُمْ يَقُولُونَ أَنَّ لِبَيْدًا عَاشَ تِسْعِينَ سَنَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَسَائِرَ عُمُورِهِ فِي الْإِسْلَامِ ،
فَهَذِهِ الْآيَاتُ إِذَا قِيلَتْ بَعْدَ إِسْلَامِهِ .

وَيُرَوُّونَ لِلْبَيْدِ قَوْلَهُ مَخَاطِبًا ابْنَتِيهِ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ :

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ ؟

إِذَا حَانَ يَوْمًا أَنْ يَمُوتَ أَبُو كُتَيْبٍ فَلَا تَخْمُسُوا وَجْهًا وَلَا تَخْلِقُوا شَعْرًا
وَقُولُوا: هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَيْسَ جَارُهُ مُضَاعًا ، وَلَا خَانَ الصَّدِيقَ ، وَلَا غَدَرَ
إِلَى الْخَوَلِ ، ثُمَّ انْسَمُ السَّلَامَ عَلَيْهِمَا ، وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ^(١)

فكيف يمكن التوفيق بين ما يروون له من الشعر في الاسلام ، وزعمهم انه لم
يقبل فيه غير بيت واحد ؟ . . . اما نحن فنرى ان لبيداً نظم الشعر في الاسلام كما
نظمه في الجاهلية ، ومن تدبر اشعاره بروية ، استروح في بعضها نفحة قرآنية لا تخفى
مشال ذلك قوله :

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَفْلٌ وَيَا ذِينَ اللَّهِ رَيْثِي وَالْعَجَلُ^(٢)
أَحْمَدُ اللَّهِ ، وَلَا نِدَاءَ لَهُ ، يَدْيِهِ الْخَيْرُ ، مَا شَاءَ فَعَلَ^(٣)
مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ أَهْتَدَى نَاعِمَ آبَالٍ ، وَمَنْ شَاءَ أَضَلْ

فمثل هذا الشعر لا يقوله الا شاعر عرف الاسلام ، وتأثر بالقرآن .
وزعم ابن قتيبة وغيره : ان الحارث الاعرج الغساني وجه الى المنذر بن ماء
السما مائة فارس وأمر عليهم لبيداً ، فساروا الى عسكر المنذر واظهروا انهم
اتوه داخلين في طاعته . فلما تمكنوا منه قتلوه ، وركبوا خيلهم ، فلحقهم القوم
فقتلوا اكثرهم ونجا لبيد ، فاتى ملك غسان فاخبره ، فحمل الغسانيون على عسكر
المنذر فهزموهم ، فكان ذلك يوم حليمة .

والكن الرواة يجمعون على ان لبيداً كان حدثاً لما قدم النعمان في وفد من
بني عامر . وبين النعمان ابي قابوس وابن ماء السما نحو نصف قرن ، فكيف
كان لبيد فارساً مغوراً على عهد المنذر بن ماء السما ، ثم كيف اصبح
غلاماً مقرّع اللثة على عهد النعمان بن المنذر ؟ . . . أليس هذا من خلط الرواة

(١) الى الخول : اي زورا قبوري كل يوم وافعل ما امرتكما حتى يمضي الخول فحسبكما
ثم السلام عليكما . ولفظ اسم : هنا زائد . (٢) النفل : الغنيمة والهبّة . الريث : البطء
(٣) الند : المثل والنظير .

واضاهيلهم ؟ . فليبد بن ربيعة لم يعرف المنذر ولا الحارث الغساني . وانما عرف النعمان وكان صبيّاً .

أثاره

اشعار وصل اليها منها قدر يسير فجمعت في ديوان وطبعت « بفيناً » ثم ترجمت الى الالمانية . وفي جملة هذه الاشعار مطولته وهي المعلقة الرابعة .

مميزته

لا ينبغي ان نلتبس ميزة لبيد في المعلقة وحدها ، فهي لا تغنيننا عن سائر شعره لتبين خصائصه ، ونذكر منزلته . فالمعلقة تبدي لنا شطراً من حياة رجل بدوي كريم ، كلف بالمجد والمعالي ، ولكنها لا ترينا ذلك الشيخ الحكيم الذي يحسن وعظ نفسه وتعزيتها عند نزول المصائب .

فلا بد لنا اذاً من ان ندرس مع المعلقة شيئاً آخر من شعره لنعرف من هو لبيد ، وما هي ميزته الشعرية .

اما المعلقة فلها شأن ادبي لا يستهان به ، وان تكن دون المعلقات الثلاث التي مورت بنا . وهي في متانة لفظها وصلابة ابياتها ، تمثل الحياة البدوية الساذجة ، وتمثل الشعور المضري احسن تمثيل ، وقد بدأها لبيد بوصف الديار الحالية وتعرضها للامطار فاجاد الوصف وفاق غيره . قال :

عَفَّتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَفَقَّأُهَا بَجْنَى ، تَأَبَّدَ غَوَّلُهَا فَرَجَاهُهَا^(١)
فَمَدَّافِعُ الرِّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا خَلَقًا ، كَمَا ضَمِنَ الْوُحْيَ سَلَامُهَا^(٢)

(١) عَفَّتْ : اندرست وامسحت . المَحَلُّ : ما حل فيه لايام معدودة . المَقَام : ما طالت الاقامة به . ومها بدل من الديار . مَنَى : موضع في ديار بني عامر . تأبَّد : توحَّش . الغول والرجام : موضعان . يقول : درست الديار ببني وامسح ما كان منها للحلول وما كان منها للاقامة ، وتوحَّش الموضعان المذكوران لبعدهما عن الاحبة . (٢) المدافع جمع مدفع : يجري الماء . الرِّيَّان : اسم جبل . الخَلَق : القديم البالي وهو منصوب على الحال . الوحي جمع الوحي : الكتابة . السَّلام : الحجارة ومفردها سَلْسِمَة . يقول : وبحجاري المياه عرَّت رسمها السيول فاصبح بالياً الا بقية من الاثار تبدو كالكتابة في الحجارة :

دِمْنٌ تَجْرَمُ بَعْدَ عَهْدِ أُنْسِهَا حَجِجْ خَلُونَ ، حَلَالُهَا وَحَرَامُهَا ^(١)
 رَزِقَتْ مَرَايِعَ النُّجُومِ ، وَصَابَهَا وَدَقُ الرِّوَاعِدِ جُودُهَا فَرَهَا مُهَا ^(٢)
 مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ وَغَادٍ مُدَجِّنٍ وَعَشِيَّةٍ مُتَجَاوِبِ إِرْزَامُهَا ^(٣)
 فَعَلَا فُرُوعُ الْإِيْهَقَانِ ، وَأُطْفَلَتْ بِالْجَلْهَتَيْنِ ظَبَاوُهَا وَنَعَامُهَا ^(٤)
 وَالْعَيْنُ سَاكِنَةٌ عَلَى أَطْلَانِهَا عُوْذًا ، تَأْجِلُ بِالْقَضَاءِ بِهَامُهَا ^(٥)
 وَجَلَا السُّيُولُ عَنِ الطُّوْلِ كَانَهَا زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا ^(٦)

(١) الدمن جمع دمنة : ما بقي من آثار القوم بعد رحيلهم كالرماد والبحر وغيرهما .
 تجرم : انقضى فلم يبقَ منه باقية . الحجج جمع حجة : السنة . خلون : مضين . حلالاتها
 وحرامها : أي أشهر الحل فيها والأشهر الحرم ، وفي السنة أربعة أشهر حرم كان يحرم بها
 القتال وهي : المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة . يقول : هي دمن تركها أهلها ،
 فانقضى بعد ارتحالهم سنون خلون بكاملها . وحجج مرفوعة على انها فاعل تجرم . (٢) مراييع
 النجوم : الانواء الربيعية مفردها مربع . الودق : المطر . الجود : المطر الغزير . الرهام :
 المطر اللين . يقول : رزقت الديار الأمطار الربيعية وأصابها مطر ذو رعود ، من غزير ولين .
 (٣) السارية : السحابة الماطرة ليلا . الغادي : السحاب المطر بالفداة . المدجن :
 المطبق الافاق . العشية : السحابة الماطرة عشيا . الارزام : رغاء الناقة ، استماره لصوت
 الرعد . يصف في هذا البيت انواع السحب التي امطرت الديار . (٤) الإيهقان : ضرب من
 النبات يطول ، وهو عريض الورق احمر الزهر يوكل ، واحدته إيهقانه . أو هو الجرجير
 البري . أطفلت : صارت ذوات اطفال . الجلهتان : جانبا الوادي . يقول : كان من تأثير
 هذه الامطار في الديار ان طالت فروع الإيهقان ، واطفلت ظباؤها ونعامها بعد ان امنت
 فيها لحولها من السكان . وقوله : ظباؤها ونعامها يريد : اطفلت ظباؤها وباضت نعامها لان
 النعام تبيض ولا تلد الاطفال ولكنه عطف النعام على الظباء لزوال اللبس ، ومنه قول الشاعر :
 وزججن الحواجب والعيونا . اي وكحلن العيون . (٥) العين جمع عيناء : صفة للبقرة
 الوحشية الواسعة العينين . ساكنة : قائمة . اطلانها : اولادها مفردها طلا : العوذ : الخديشة
 النتاج مفردها عاخذ . تأجل : تصير أجالا : جمع إجل وهو القطيع من بقر الوحش . البهام
 جمع بهيمة : ولد الضأن ، وهو هنا ولد البقرة الوحشية . يقول : والبقر الواسعات العيون
 اقامت على اولادها ترضعها حال كونها حديثات النتاج ، واولادها تصير قطعانا في قلسك
 الصحراء . والمعنى ان الديار صارت مفتي للوحوش بعد ان كانت مفتي للانس . ونصب عوذا
 على الحال من العين . (٦) جلا : كشف . زبر جمع زبور وهو الكتاب . تجد :
 تجدد وتعيد . المتون جمع متن : وهو الظاهر ويراد به هنا الكتابة التي تكون في الزبور .

أَوْ رَجَعُ وَاسِمَةٌ أُسِفَ نَوُورُهَا كَيْفَ تَعْرِضُ فَوْقَهُنَّ وَشَامُهَا^(١)

ثم يتخلص الى الغزل بسؤال الديار عن اهلها :

فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا ، وَكَيْفَ سُؤْلَانَا ضَمًّا خَوَالِدَ مَا يَبِينُ كَلَامُهَا^(٢)

فيوجز في وصف الفراق وذكر صاحبه نوار ، ثم ينتقل على عجل الى وصف ناقته التي تساعد بالاسفار على قطيعة من صرمت حباله . وهو في غزله كما في سواه صلب حزم لا يلين اسره ولا ترق الفاظه ، ولا يبالي ان يقطع مودة من هجره :

فَأَقْطَعُ لُبَانَةً مَنْ تَعْرِضُ وَضَلُّهُ وَلَشَّرُ وَاصِلِ خَلَّةٍ صَرَامُهَا^(٣)
بَطْلِيحِ أَسْفَارِ تَرَكْنَ بَقِيَّةً مِنْهَا فَأَحْنَقَ صُلْبُهَا وَسَنَامُهَا^(٤)

وهنا يأخذ في وصف ناقته ، وهو اروع اقسام المعلقة ، ولكنه لا يصف

ومفعول جلا محذوف والتقدير : وجلت السيول التراب عن الطلول . يقول : كشفت الامطار التراب عن تلك الآثار الباقية فظهرت بعد انحائها كأنها كتابة محتها طوال الايام ثم جددت رسمها الاقلام .

(١) الرجوع : الترديد والتجديد . الواسمة : التي تصطنع الوشم . أسف : ذر عليه . النُّوُور : الكحل الذي تدره الواسمة على المغارز . الكفف : جمع كفة وهي كل شيء مستدير . تعرض : ظهر . الشام : جمع وشم . يقول : وكأن تلك الآثار بعد ان كشفتها الامطار ، تجدد وشم اعادته واشمة فذرت كحلها على كف او دوائر ظهر فوقهن الشام . وقد ورد تشبيه الطلول بالوشم في معلقتي طرفة وزهير . (٢) الصُّم : جمع أصم وهو الحجر الصلب المصمت . الخوالد : الاثافي والجبال والحجارة سميت بذلك لبقائها بعد دروس الاطلال . سايين : ما يظهر . يقول : فوقفت اسأل الديار عن اهلها وما الغائدة من سؤال تلك الخوالد التي لا تحير جواباً . (٣) اللبانة : الحاجة . تعرض الشيء : تعوَّج ، والجميل في الجبل سار شيئاً وشمالاً لصعوبة الطريق . ويراد به هنا تعذر الوصول وصعوبته . الخلَّة : المحبة والصداقة . الصرَّام : القطارع . يقول مخاطباً نفسه على سبيل التجريد : فاقطع حاجتك من حبيب تعذر عليك وصله . ثم أردف قائلاً : وشر الناس من وصل مودة ثم قطعها . ويروى وخير واصل خلَّة صرَّامها . وهو عندنا اوقع . والمعنى : خير الناس من وصل مودة ثم عرف كيف يقطعها ان لم يستقد منها . (٤) بطليح : صفة الناقة التي اتعبها السير واضعفها ، والباء متعلقة بقوله : «فاقطع» احنق : ضمر . الصلب : عظم في الظهر ذو فقاره السنام : حذبة على ظهر البعير . يقول : فاقطع لبانتك بنساقة مارست الاسفار المتعبة فتركت منها بقية من اللحم والقوة واضعفت صلبها وسنامها .

اعضاءها كما فعل طرفة ، بل يجعل همه في تصوير سرعتها فيتسع خياله لثلاثة تشبيهات رائعة روية ، يورد اثنين منها في اسلوب قصصي فكه . فشبها اولاً بالسحابة الحمراء خفت بهار ريح الجنوب فدفعها امامها فاسرعت في جريها وهي خالية من الماء :

فَلَهَا هَبَابٌ فِي الزَّمَامِ كَأَنَّهَا صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجُنُوبِ جَهَامُهَا^(١)

ثم شبها باتان وحشية نشيطة غار عليها قرينها من الفحول ؛ فدفعها امامه يسوقها سوقاً عنيفاً ، حتى اعتزل بها في اعالي الآكام فسلخا ستة اشهر في الشتاء والربيع يريعيان الرطب صائمين عن الماء :

حَتَّى إِذَا سَلَخَا جُمَادَى سِتَّةَ جَزْءًا ، فَطَالَ صِيَامُهُ وَصِيَامُهَا^(٢)

فلما هبت رياح الصيف واشتد الحر ونبت الشوك فاصاب حوافرهما ، انطلقا مسرعين يطلبان الماء ، وخيم عليهما غبار كأنه دخان نار موقدة ، وكان العير يعدو وراء الاتان فما يدعها تتأخر عنه لئلا تفلت منه ، وظلا في عدوهما حتى بلغا الماء فورداه .

وهنا ينتقل الى التشبيه الثالث سائلاً نفسه : أفنلك الاتان تشبه ناقتي في سرعتها ؟ ام تشبهها بقرة وحشية افترس السبع ولدها فاسرعت في السير تبحث عنه :
أَفَنِيْلَكَ ! أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ خَذَلَتْ وَهَادِيَةُ الصَّوَارِ قَوَامُهَا^(٣)

(١) هباب : نشاط . الصهباء : الحمراء صفة للسحابة المحذوفة . خف : اسرع . الجنوب : ريح الجنوب وهي التي تحالف الشمال في مهبها . الجهام : السحاب الذي اراق ماءه او الذي لا ماء فيه . يقول : فلها على ضموها وكلالها ، نشاط في السير حال قودها بالزمام فكأنها في سرعتها سحابة حمراء لا ماء فيها ، خفت فدفعتها الجنوب فاسرعت . (٢) جمادى : الشتاء . ستة : اي ستة اشهر وهي بدل من جمادى . الجزء : الاكتفاء بالرطب عن الماء . والرطب : الرعي الاخضر من البقل والشجر . صيامه وصيامها : أي عن الماء . (٣) وحشية : بقرة وحشية . مسبوعة : اصابها السبع بافتراس ولدها . خذلت : تركت ولدها . الهادية : المتقدمة والمتقدم . الصوار : القطيع من بقر الوحش . قوام الشيء : ما يقوم به ويعتمد عليه . المعنى : ان البقرة الوحشية تركت ولدها وذهبت ترعى مع القطيع معتمدة على الفحل الذي يتقدم للقطيع بافتراس السبع ولدها فجذت في السير تطلبه .

خَنَسَاءٌ ، ضَيَّعَتِ الْفَرِيرَ فَلَمْ يَرَمْ عُرْضَ الشَّقَائِقِ ، طَوَّفَهَا وَبَغَامَهَا ^(١)
لِمَعْقَرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوُهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ لَا يُحْنُ طَعَامُهَا ^(٢)
صَادَقْنَ مِنْهَا غِرَّةٌ فَأَصْنَبَهَا إِنَّ أَلْمَنِيَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا ^(٣)

وظلت في طلبه حتى ادركها الليل فأمطوتها السماء ديمةً مدراراً « في ليلة كَفَرِ
النجوم ظلامها » ^(٤) فلجأت الى شجرة في الرمل تتقي باغصانها البرد والمطر فسا
تقيها ، وكشبان الرمل تنهال عليها :

حَتَّى إِذَا أَنْخَسَرَ الظَّلَامُ وَأَسْفَرَتْ بَكَرَتْ تَرْلٌ عَنْ آثَرِ أَزْلَامُهَا ^(٥)
عَلَيْهِتْ تَرْدَدُ فِي نِهَاءِ صَعَائِدٍ سَبْعًا تَوَّامًا كَامِلًا أَيَّامُهَا ^(٦)

ولكنها يئست من ولدها بعد ان طال بحثها عنه ، وجف ضرعها بعد امتلائه ؛
ثم راعها الرماة بكلايبهم فجدت في العدو ؛ فطاردها الكلاب فلم ترَ بداً من ان
تدافع عن نفسها فقابلتهن بقرنها :

(١) خنساء : متأخرة ارنبة الانف ، وكل بقرة خنساء . الفرير : ولد البقرة الوحشية
وجميعه : فرار . لم يرم : لم يبرح ، من رام يرم . عرض الشقائق : ناحيتها . الشقائق :
جمع شقيقة وهي ارض صلبة بين رملتين . طوافها : طوافها . وهو فاعل يرم . بغامها : صياحها
الى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها . يقول : هذه الوحشية الخنساء ضيعت ولدها
فضمت تطلبه ولم يبرح طوافها وبغامها نواحي الشقائق . (٢) المعقر : الملقى على التراب .
القهد : الابيض ، وولد البقرة ، وهو على المعنى الاول صفة لمعقر وعلى المعنى الثاني بدل منه .
تنازع : تجاذب . الشلو : العضو وبقيصة الجسد جمعه اشلاء . الغبس : التي لونها كلون
الرماد وهي صفة للذئب المحذوف . كواسب : نكسب ما تأكله . يحن : ينقطع .
يقول : هي تطوف وتبغم لولد ملقى على التراب تجاذبت بقية جسده ذئاب غبس لا تزال
تصيد ونكسب ما تأكله فما ينقطع طعامها . (٣) الغرة : الغفلة . تطيش : تخطيء . يقول :
صادفت الذئب غفلة من البقرة عن ولدها فأصنبتا بافتراسه ، ثم اردف كلامه بحكمة فقال :
ان المناسيا لا تخطئ سهامها . (٤) كَفَر : ستر . (٥) انخسر : انكشف . اسفرت :
دخلت في الاسفار اي الصباح . ترل : تزلق . ازلامها : قوائمها . (٦) عليها : اخذت
تذهب وتجيء حيرة وجزعاً . تردد : تتردد . نهاء : جمع نهى وهو انقدير . صعائد : اسم
مكان . توأم : جمع توأم . يقول : بقيت حائرة جازعة تتردد في غدران صعائد سبع
ليالٍ توأم اي بايامها .

فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابَ فَضَرَجَتْ بِدَمٍ وَغُودَرَ فِي الْمَكْرِ سَحَامَهَا ^(١)
وبعد ان ينتهي من تشابهيه الثلاثة يعود الى نفسه فيصفها باباء الضيم والشمم
اذ يقول :

أَوْ لَمْ تَكُنْ تَذَرِي نَوَارَ بَأَنِّي وَصَّالٌ عَقْدَ حَبَائِلٍ جَذَامُهَا ^(٢)
تَرَاكَ أَمَكَّةً ، إِذَا لَمْ أَرْضُهَا أَوْ يَغْتَيِّ بَعْضَ النَّفُوسِ حِمَامُهَا ^(٣)
ثم ينصرف الى وصف حياته في هذونها واضطرابها ، فهو في السلم صاحب لهو
وطرب يشرب الخمر ويغلي ثمنها ، ويدفع بها شدة البرد والريح :
بَصْبُوحٍ صَافِيَةٍ ، وَجَذَبِ كَرِينَةٍ بِمَوْتَرٍ تَأْتَاهُ إِنْهَا مُهَا ^(٤)

واذا كان طرفه يلذ له ان يسبق العاذلات بشربة كميت ، فليمد يله ان يبادر
الدجاج باصطباحها :

بَادَرْتُ ، حَاجَتَهَا ، الدَّجَاجَ بِسُخْرَةٍ لِأَعْلَ مِنْهَا ، حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا ^(٥)
وهو كريم جواد ينحر الجزور ، ويطعم الفقراء والمساكين . وهو في الحرب
شجاع باسل يحمي الحي ، ويرقب الاعداء على جبل قريب من جبالهم وراياتهم تحمله
فوس سريعة الجري ؛ يتوشح بلجامها ليظل متأهباً لركوبها .

نَقَصَّدَتْ : قَتَلَتْ . مِنْهَا : اِي مِنَ الْكَلَابِ . كَسَابَ : اِسْمُ كَلْبَةٍ مَبْنِي عَلَى
الْكُسْرَةِ . الْمَكْرَ : مَوْضِعُ الْكُرِّ . سَخَامَ : اِسْمُ كَلْبٍ وَالهَاءُ عَائِدَةٌ لِلْكَلَابِ . يَقُولُ :
قَتَلْتُ هَذِهِ الْبَقْرَةَ كَسَابَ فَضَرَجْتُهَا بِالدَّمِ ، وَتَرَكْتُ سَخَامًا صَرِيحًا فِي الْمِيدَانِ . (٢) نَوَارَ :
اِسْمُ الْحَيَّةِ مَبْنِي عَلَى الْكُسْرِ وَقَدْ يُعْرَبُ . حَبَائِلُ : جَمْعُ حَبَالَةٍ وَهِيَ الشَّرْكُ ، اِسْتَعَارَهَا لِلْمُودَةِ .
جَذَامُهَا : قِطَاعُهَا . يَرِيدُ اَنَّهُ يَصِلُ مِنْ يَسْتَحِقُّ الصَّلَاةَ وَيَقْطَعُ مِنْ يَسْتَحِقُّ الْقُطِيعَةَ . (٣) يَغْتَيِّ :
يَجْبَسُ اَوْ يَأْتِي . حِمَامُهَا : مَوْتُهَا وَارَادَ بَعْضَ النَّفُوسِ نَفْسَهُ . وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا التَّعْبِيرِ مِنْ قُوَّةِ
وَعِظَمَةِ . (٤) الصَّبُوحُ : الشَّرْبُ فِي الصَّبَاحِ . الْكَرِينَةُ : الْجَارِيَةُ الْعَوَادَةُ . بِمَوْتَرٍ : أَيِ
ذِي اَوْتَارٍ . تَأْتَاهُ : تَصِلُحُهُ « تَدَوَّرَتْ » . يَقُولُ : اِدْفَعِ الْبَرْدَ وَالرَّيْحَ عَنِّي بِاصْطِبَاحِ خُمْرَةٍ
صَافِيَةٍ ، وَسَمَاعِ عَوَادَةٍ تَجْذِبُ اَوْتَارَ عَوْدِهَا وَتَصِلُحُهُ بِاِحْمَامِهَا . (٥) اَعْلَ : اُسْقَى ثَانِيَةً اَوْ
مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . يَقُولُ : سَبَقْتُ صَبَاحَ الدِّيكِ فِي السَّحْرِ لِحَاجَتِي اِلَى الْخَمْرِ ، وَلَا أُسْقَى مِنْهَا
ثَانِيَةً اَوْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حِينَ يَسْتَقِظُ النَّيَامُ . وَالهَاءُ فِي نِيَامِهَا عَائِدَةٌ اِلَى السَّحْرَةِ . وَحَاجَتَهَا
مَنْصُوبَةٌ عَلَى اِنْفَاءِ مَفْعُولٍ لِاحْلِهِ .

وبعد ان وصف فرسه بالبحار ، اخذ يفتخر بقومه ، فارانا فيهم كرمًا ونجدة وامانة :

وَإِذَا الْأَمَانَةُ قُسِمَتْ فِي مَعْشَرٍ أَوْفَى بِأَوْفَرٍ حَظًّا قَسَامُهَا ^(١)
فقد رأيت ان معلقة لبيد مثلت لنا شطراً من حياة البدوي الابي النفس ،
العالى الهمة ، الصادق في تصوير اخلاقه ، ولكنها لم تمثل لنا ميزة الحكم في الشاعر ،
فهذه نجدها خصوصاً في رثائه لاختيه أربد ^(٢) ، ووعظه نفسه لتتأسى وتعتصم
بالصبر الجميل . وقد أثرت عاطفة الحزن في الشاعر فأرقت رثاءه ، فلست ترى فيه
تلك الصلابة التي تجدها في ابيات المعلقة .

رثاؤه وحكمه

قال لبيد يرثي اخاه :

بَلِينَا وَمَا تَبَلَى النُّجُومُ الطَّوَالِغُ وَتَبَقَى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ ^(٣)
وَقَدْ كُنْتُ فِي أَكْثَافِ دَارٍ مُضَيَّةٍ فَفَارَقَنِي جَارٌ بِأَرْبَدٍ نَافِعٌ ^(٤)

فانت ترى ما في هذين البيتين من لوعة وأسى ومن عاطفة صادقة ، ومن رثاء
ساذج لا تكلف فيه ولا مغالاة ... ففارقني جارٌ بأربد نافع ! ...

(١) أوفى : وفى ولم ينقص . يقول : واذا قُسمت الامانات بين الناس كان القسم
لاوفر لنا . والباء باوفر زائدة . (٢) أربد : اخو لبيد لاه ، ذهب في وفد من بني
عامر الى المدينة بعد ظهور دعوة محمد ليدخلوا في الدين الجديد ، ولكنه عاد ولم يُسلم وبيننا
هو في الطريق انقضت عليه صاعقة فقتلته وفي ذلك يقول لبيد :

فَجَمَعَنِي الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْأَرْبَدِ
يَا عَيْنُ هَلَّا بِكَ يَتِ أَرْبَدًا ذَا قُصَمَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَبَدٍ (١)
إِنْ يَشْغَبُوا لَا يُبَالِ شَغْبُهُمْ أَوْ يَقْصِدُوا فِي الْخُصَامِ يَقْتَصِدُ (٢)

(١) الكبد : الامر الشاق . (٢) يشغبوا : هيجوا الشر . يقصدوا : يعتدلوا)
(٣) المصانع : القرى والمباني من القصور والحصون . (٤) الاكثاف : جمع كثف وهو الجانب
دار مضنة : أي دار يطن بها ويحرص على سكانها . والباء في قوله : باربد للتجريد .
كما تقول : اقبل بزيد أسد فزيد هو الاسد .

على ان عقل الشاعر الحكيم ما لبث ان سيطر على عاطفته ، فحبسها عن الإرتان والتفجع ، وسما بصاحبه الى المثل الاعلى ، الى الحكمة السامية ، التي تجعل الانسان يقوى على ضعفه ، فاذا بنا نرى من لبيد واعظاً موشداً يعزى نفسه بانواع الامثال الحكمية ، ويقابل مصيئته بمصائب الناس فتهون عليه ويخف جزعه ، ولماذا يجزع وكل امرئ في هذه الحياة الدنيا سيموت ...

فَلَا جَزَعٌ أَنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا لَهُ الدَّهْرُ فَاجِعٌ ^(١)
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضُوئِهِ يَخُورُ رَمَادًا بَعْدَ مَا هُوَ سَاطِعٌ ^(٢)
وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ أَلْوَدَائِعُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ : فَعَامِلٌ يُتَبَّرُ مَا يُبْنَى ، وَآخَرُ رَافِعٌ ^(٣)
فَمِنْهُمْ سَعِيدٌ آخِذٌ بِنَصِيصِهِ ، وَمِنْهُمْ شَقِيٌّ ، بِالْمَعِيشَةِ قَانِعٌ
أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَأَخْتَ مَنِيَّتِي لِرُومِ الْعَصَا تُخَنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ ^(٤)
أُخْبِرْتُ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ أَدَبٌ ، كَأَنِّي ، كُلَّمَا قُمْتُ ، رَاكِعٌ ^(٥)
فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السَّيْفِ أَخْلَقَ جَفَنُهُ تَقَادُمُ عَهْدِ الْقَيْنِ ، وَالنَّصْلُ قَاطِعٌ ^(٦)
فَلَا تَبْعَدَنَّ ، إِنَّ أَلْمَنِيَّةَ مَوْعِدُ عَلَيْنَا ، فَدَانِ لِلطُّلُوعِ وَطَالِعٌ ^(٧)

(١) الجزع : ضد الصبر . فاجع : موجه . (٢) الشهاب : هنا شعلة من النار ساطعة .
يجور : يصير . (٣) يتبر : يخرب ويهدم . (٤) تراخت : ابطأت او تباعدت .
يقول : اليس مصيري ان ابطأت منيتي ان اشيخ فادب على العصا . (٥) الراكع : المنحني
الخافض الرأس ، ومنه ركع المصلي في الصلاة : خفض رأسه بعد قومة (قراءة حتى تنال
راحته ركبتيه . يقول : فاذا ابطأت منيتي كبرت واصبحت ، شأن الشيوخ ، اخبر اخبار
العصور الماضية ، وكلما قمت دبيت منحنياً على العصا كاني راكع . ونحن غيل الى الاعتقاد انه يريد
الركوع في الصلاة ، فيستدل من هذا البيت ان الشاعر نظم قصيدته بعد اسلامه . لان الركوع
في الصلاة لم يعرف في الجاهلية . ومن المشهور ان لبيداً اسلم على اثر موت اخيه بين السنة
الثامنة والتاسعة للهجرة . (٦) اخلق : أبلى . جفنه : عمده . القين : الحداد . يقول : فاصبحت
بعد ما كبرت كالسيف بلي قرابه ، لبعد عهده بجداه ، ولكن نصله بقي قاطعاً . يريد ان
نفسه على شيخوخته ، تبقى اية شريفة . (٧) فلا تبعدن : خطاباً لـ اخيه أي لا تموتن . دان :
قريب . الطلوع : الغياب وهي من الاضداد . طالع : غائب .

أَعَاذِلُ مَا يُدْرِيكَ ، إِلَّا تَطْنِيًّا ،
أَأَجْزَعُ بِمَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بِالْفَتَى ؟
أَعْمَرُكَ ، مَا تَدْرِي الصُّوَارِبُ بِالْحَدَى

إِذَا رَحَلَ السَّقَّارُ ، مَنْ هُوَ رَاجِعُ ^(١)
وَأَيُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصِبْهُ أَقْوَارِعُ ؟ ^(٢)
وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ ، مَا اللَّهُ صَانِعُ ^(٣)

ومن قوله في الحكيم :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ، مَا خَلَا اللَّهَ ، بَاطِلٌ
وَكُلُّ أَنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا سَيَعْلَمُ سَعْيُهُ ،
أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ : مَاذَا يُجَاوِلُ ؟
حَبَائِلُهُ مَبْثُوثَةٌ فِي سَبِيلِهِ ،
إِذَا الْمَرْءُ أَسْرَى لَيْلَةً خَالَ أَنَّهُ

وَكُلُّ نَعِيمٍ ، لَا مَحَالَةَ ، زَائِلٌ ^(٤)
دُورِيَّةٌ ، تَصْفُرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ ^(٥)
إِذَا كُشِفَتْ عِنْدَ الْإِلَهِ الْأَحْصَائِلُ ^(٦)
أَنْجَبُ فَيَقْضَى ، أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ ^(٧)
وَيَفْنَى إِذَا مَا أَخْطَأَتْهُ الْحَبَائِلُ ^(٨)
قَضَى عَمَلًا ، وَالْمَرْءُ ، مَا عَاشَ ، عَامِلٌ ^(٩)

(١) التطنّي : الاعتماد على الظن . السقّار : المسافرون ومفرده سافر . وقوله : أعاذل : خطاب لمن يلومه على صبره . (٢) (تقوارع : المصائب التي تفرح الانسان ، مفردها القارعة . الفتى : الزجل الكريم بصرف النظر عن العمر . يقول لعاذله : أأجزع لما احدث بي الدهر وانا الرجل الكريم ، واي كريم لم تنزل به المصائب . (٣) الصوارب بالخصى : الضاربات الطيور بصغار الحجارة . زاجرات الطير : (الواقي يصحن به فان طار الى بين الضاربة او الزاجرة فيسمن ، وان طار الى شالها فشوئ وهو ضرب من العرافة . يقول : اقسام بعمر لا تدري المتكهنات بالغيب ما يصنع الله . وفي هذا البيت ايمان كبير بالله يدل على اسلامه وانكاره العقائد الجاهلية . (٤) الباطل : هنا بمعنى الهالك . لا محالة : لا بد . (٥) دورية : تصغير داهية ، والتصغير هنا للتعظيم أي داهية عظيمة وهي الموت . واصفرار الانامل كناية عن الموت . (٦) سعيه : نتيجة عمله . ومنه في سورة النجم : « ليس للانسان ألا ما سعى » أي ما عمل او نوى . الحصائل : جمع حصيلة وهي ما يحصله الانسان من شيء وهي هنا بمعنى نتائج الاعمال . يقول : سيعلم كل امرئ عمله اذا كشفت عند الاله نتائج الاعمال . (٧) ألا تسألان : خطاب لصاحبيه . النجب : الوقت والمدة . ومنه قضى نجبه أي مات . المعنى : ماذا يريد الانسان من هذه الحياة أصلا وباطلها ام مدة منها ستقضى ؟ . (٨) حبايله : أي أشراك الموت . مَبْثُوثَةٌ : منتشرة . يفنى : يجرم . يقول : ماذا يجاول المرء من هذه الحياة واسباب الموت منتشرة في طريقه فان وقع باحدها هلك عاجلا والافانه يُعمر طويلا فيهرم حتى يفنى ويموت . (٩) اسرى : ذهب ليلا . يقول : اذا المرء سافر ليلة خيل اليه انه قضى عملا واستراح

فَقُولَا لَهُ ، إِنْ كَانَ يَنْقَسِمُ أَمْرُهُ : أَلَمْ يَعْظُكَ الدَّهْرُ ! أَتَمْكَّ هَابِلُ ! ^(١)
 فَتَعْلَمَ أَنْ لَا أَنْتَ تُذَرِكُ مَا مَضَى ، وَلَا أَنْتَ ، مِمَّا تَحْذَرُ أَنْفُسُ ، وَائِلُ ^(٢)
 أَرَى النَّاسَ لَا يَذَرُونَ مَا قَدَرُوا أَمْرَهُمْ ، بَلَى ، كُلُّ ذِي رَأْيٍ إِلَى اللَّهِ وَاسِلُ ^(٣)

ففي هذه الايات وما قبلها ايمان وطيد ، وحكم سامية تعلو الى ما وراء الطبيعة حتى تتصل بالعزة الالهية ، لذلك لا نعتقد ان لبيداً قالها في جاهليته ووثنيته ، وفيها كثير من تعاليم الدين الاسلامي . وهذا ما يجعلنا ننفي بغير مشقة زعم الرواة ان لبيداً لم يقل غير بيت واحد في الاسلام .

عمرته

قال ابو زيد القرشي : « لبيد افضلهم في الجاهلية والاسلام ، واقلهم لغواً في شعره . » وجعله ابن سلام في الطبقة الثالثة وقال فيه : « وكان عذب المنطق رقيق حواشي الكلام » وروي ان النابغة نظر اليه وهو صبي ، مع اعمامه على باب النعمان بن المنذر فقال له : « يا غلام ، ان عيناك لعينا شاعر ، أفقرض الشعر ؟ » قال : نعم . قال : « فانشديني . » فانشده :

أَلَمْ تُلِمِّمْ عَلَى الدَّمَنِ الْخَوَالِي لَسَلَمَى بِالْمَذَائِبِ فَأَلْقَالَ ^(٤)

فقال له النابغة : « انت اشعر بني عامر . زدني . » فانشده :

طَلُّ لَحْوَلَةٍ بِالرُّسَيْنِ قَدِيمٌ بِمَعَاقِلِ فَأَلَا تَعْمِينَ ، وَشُومُ ^(٥)

ولكن المرء عامل مدة حياته والحياة جهاد . (١) يقسم امره : ينظر فيه كيف يفعل اي انه حائر في امره . أَلَمْ : ألياً : الهزة للتوبيخ ولما نافية جازمة . هَابِلُ : ناكل ، يقال هبلته أمه أي ثكلته وتستعمل « أمه هابل » للدعاء على الشخص وللإعجاب به . يقول لصاحبيه : اذا رأيتم المرء حائراً في امره فقولوا له : ثكلتك أمك ألم يعظك الدهر . (٢) وائل : ناجح ، أي انت لا تستطيع ارجاع ايامك التي مضت ، ولا انت ناجح من الموت الذي تحذره . (٣) واسل : ذو وسيلة . يقول : ارى الناس لا يعرفون مبلغ شأخهم في هذه الدنيا ، ثم قال : بلى شأن الرجل العاقل ان يتخذ الى الله وسيلة فكون سبب نجاته ، وهذه الوسيلة هي صالح الاعمال (٤) تُلِمِّم : من ألم أتى وتزل . الدمن : آثار الديار . الخوالي : الخالية من أهلها . المذائب والقفال : موضعان . (٥) الرُّسَيْنِ ومعاقل والانعمان : مواضع . وشوم : جمع وشم وهو مناقش على

فقال له : « انت اشعر بني هوازن ^(١) . زدني » فانشدته معلقته . فقال له :
« اذهب فانت اشعر العرب . »

وسواء صحت هذه الرواية او لم تصح ، فمقالة اميد في الشعر جليلة ، فهو وان
يكن قصر في معلقته عن امرئ القيس في التشايبه والاستعارات ، ووصف الجواد
والمطر ، وعن طرفة في وصف اعضاء الناقة ، وعن زهير في وصف الفراق والحرب ،
فانه فاقهم جميعاً بوصف الديار الحالية ، وبتشبيهاته القصصية في وصف سرعة الناقة .
وهو يمتاز في رثائه المحلى بالمواعظ ، وفي تلك الحكم السامية التي تدل على ايمان
بالله مكين ...

عمرو بن كلثوم

(انقره السادس)

حياته : ساد قومه في الخامسة عشرة . الخلاف بين بكر وتغلب . اخذ الرهائن .
هلاك التغلبيين ظمأ . التقاضي الى عمرو بن هند . عمرو بن كلثوم ينشد
قسماً من معلقته مفتخراً . زيارة عمرو بن كلثوم وامه لعمر بن هند
وامه . هند تستخدم ليلي . مقتل عمرو بن هند . كيف اسر ابن كلثوم
عند يزيد بن عمرو . محاربته الغساسنة ثم النعمان ابا قابوس . هجوه
النعمان . وصيته لابنائه ، وصحة نسبتها . موته وعمره ١٥٠ سنة

آثاره : اشهرها المعلقة . نظمت في واقعتين : يوم التقاضي ، وبعد مقتل عمرو بن هند
. يرقه - المعلقة : وصف الخمرة . التفرل . الفخر . صورة طبق الاصل عن جده المهلهل .
الرقعة واللين . الغلو والتكثير والتكرار والكذب . فخر عاطفي محض لاسلطة
المعل علىه . انسجام معلقته . رثتها الموسيقية . منزلتها القوية والادبية والتاريخية

اليوم بالكحل . شبه آثار الديار بالوشوم . (١) هوازن : القبيلة الجامعة التي ينتمي اليها
بنو عامر

هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب التغلبيّ من اهل الجزيرة ، وامه ليلي بنت المهلهل اخي كليب وائل ، وابوه كلثوم من سادات تغلب . نشأ عمرو شديد العجب بنفسه ، فخوراً باجساد ابيه واخواله ، فساد قومه صيباً في الخامسة عشرة من عمره

الخلاف بين بكر وتغلب

عرفنا في كلامنا على المهلهل وحرب البسوس ، ان الملك المنذر ، والد عمرو بن هند ، اصلح بين العشيرتين بعد نضال دام اربعين سنة ، ولكنه خشي ان تعودا الى القتال فأخذ من كل حي منهما مائة غلام رهينة ، حتى اذا اعتدت احدهما على الاخرى اقاد^(١) من الرهائن .

ولما تولى الملك عمرو بن هند هذا حذو ابيه في الارتهان من العشيرتين . وكان ان سير ذات يوم ركباً من تغلب وبكر الى جبال طيء في امر من اموره ، فترلوا في ارض لبني شيان . احلاف البكريين ، فقبل انهم اجلوا التغلبيين عن الماء ، ودفعوهم الى مفازة فتاهوا وماتوا عطشاً . وقيل بل هبت عليهم عاصم في بعض مسيرهم فهلك التغلبيون وسلم البكريون . فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وطلبوا ديات ابنائهم من بني بكر ، فأبت ادائها ، فاحتكموا الى عمرو بن هند فقال لهم : « ما كنت لاحكم بينكم حتى تأتوني بسبعين رجلاً من اشراف بكر بن وائل فاجعلهم في وثاق عندي ، فان كان الحق لبني تغلب دفعتهم اليهم ، وان لم يكن لهم حق خليت سبيلهم . » ففعلوا وتواعدوا ليوم يعينه ، يجتمعون فيه .

ولما كان يوم التقاضي ، انتدبت تغلب للدفاع عنها اشرافها وسيدها عمرو بن كلثوم ، وانتدبت بكر للدفاع عنها احد اشرافها النعمان بن هرم .

وكان عمرو بن هند يوثر التغلبيين على البكريين ، فيجري بينه وبين النعمان جدال غضب له الملك فطرد النعمان من حضرته ، وانشد عمرو بن كلثوم قصيداً من

(١) أقاد الاميرُ القاتل بالقتيل : قتله به قوداً اي قصاصاً

مطلوته فافتخر على خصومه ، ثم وقف الحرث بن حِزْرة البكري فرد عليه بمطلوته واستمال الملك بدهائه ، فحكم للبكرين .

فقله عمرو به هضم

كان بنو تغلب من أشد العرب في الجاهلية حتى قيل : « لو أبطأ الإسلام لأكلت بنو تغلب الناس . » وروي ان عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائمه : « أتعلون احداً من العرب تأنف امه من خدمة امي ؟ » قالوا : « لا نعلمها الا ليلي أم عمرو بن كلثوم » قال : « ولم ذلك ؟ » قالوا : « لان اباهامهمل ربيعة ، وعمها كليب وائل اعز العرب ، وبعلمها كلثوم بن عتّاب فارس العرب ، وابنها عمرو بن كلثوم سيد قومه . » فأرسل عمرو بن هند الى عمرو بن كلثوم يستأذنه ، ويسأله ان يُزِيرَ أُمَّهُ أُمَّهُ ، فاقبل عمرو بن الجزيرة في جماعة من بني تغلب ، واقبلت ليلي في ظعن من نساء تغلب . وامر عمرو بن هند برواقه فضرب ما بين الحيرة والفرات ، وارسل الى وجوه اهل مملكته فحضروا . ودخل عمرو بن كلثوم رواقه ، ودخلت امه ليلي قبة هند أم الملك عمرو ، وعمه امرئ القيس الشاعر .

وكان عمرو بن هند قد اوعز الى امه ان تنجي الحُدم وتستخدم ليلي اذا دعا بالطُرف^(١) . فلما دعا بها قالت هند : « يا ليلي ناوليني ذلك الطبق » فقالت : « لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها . » فاعادت عليها ، فلما ألت صاحت ليلي : « واذّلاه يا تغلب ! » فسمعها عمرو بن كلثوم ، فثار الدم في وجهه ، فقام الى سيف لعمر بن هند معاق بالرواق وليس سيف هناك غيره ، فضرب به رأس الملك حتى قتله ، ونادى في بني تغلب فانتهبوا جميع ما في الرواق وساروا نحو الجزيرة . والى هذه الحادثة يشير في القسم الثاني معلقته :

بِأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ نَكُونُ لِقِيلِكُمْ فِيهَا قَطِينًا
تَهْدِدُنَا وَتُوْعِدُنَا ، رُوَيْدًا أَمْ مَتَى كُنَّا لِأَمِّكَ مُقْتُونِينَ

(١) الطُرف : جمع طرفة وهي اللحجة ، ويراد بها هنا ما يقدم بعد الطعام من حلوى وفاكهة .

وفي ذلك يقول أفنون بن صريم التغلبي مقتخراً بفعل عمرو بن كلثوم :

لَعَمْرُكَ ، مَا عَمَرُو بَنِي هِنْدٍ ، وَقَدْ دَعَا لِنَخْدَمَ لِيَلِي أُمَّهُ ، بِمَوْقٍ
فَقَامَ ابْنُ كُلْثُومٍ إِلَى السَّيْفِ مُصَلِّئاً ، فَأَمْسَكَ مِنْ نَدْمَانِهِ بِالْمُخَقِّ (١)
وَجَلَّلَهُ عَمَرُو عَلَى الرَّأْسِ ضَرْبَةً بِذِي شُطْبٍ ، صَافِي الْحَدِيدَةِ ، رَوْنَقٍ (٢)

وضرب المثل بعمرو بن كلثوم في الفتك فقليل : « أفتك من عمرو بن كلثوم ».

اسره

اغار عمرو بن كلثوم على بني قيم في البحرين ، ثم مال على حي من بني قيس ابن ثعلبة فأصاب مالا واسارى وسبايا ، حتى اذا انتهى الى بني حنيقة في اليامة ، خرج اليه منهم بنو سُحَيْمٍ وعليهم يزيد بن عمرو بن شمر وكان شديداً جسيماً فحمل على عمرو فطعنه ، فصرعه عن فرسه ، واسره وشده في القِدِّ (٣) ثم قال له : « انت الذي تقول :

مَتَى نَعْتِدُ قَرِينَتَنَا بِبَحْلٍ تَجِدُ الْخَيْلَ أَوْ تَقْصِرَ الْقَرِينَا (٤)
اما اني سأقرونك الى ناقتي هذه فاطرد كما جميعاً . » فعز على عمرو بن كلثوم ان يحقر ويهان ، فصاح : « يا لربيعه ! أُمُثْلَةٌ ! » (٥) فاجتمع قوم يزيد فنهوه ولم يكن يريد ذلك انما اراد تبكيته . فسار به حتى اتى قصراً بخجر من قصورهم ، وضرب عليه قبة ، ونحّر له وكساه ، وسقاه الخمر فلما اخذت برأسه انشأ يحده :
أَجْمَعَ صُحْبَتِي ، السَّحَرُ ، أَرْتَحَلَا وَلَمْ أَشْعُرْ بِيَيْنٍ مِنْكَ هَالَا (٦)

(١) مصلحاً : مجرداً . الندمان : المنادم على الشراب . المخنق : العنق لانه موضع
حبل الخنق . (٢) جلله ضربة : جعل الضربة غطاء له . بذى شطب : بسيف ذي طرائق
في مثنه . رونق : اي ذي رونق ، ورونق السيف : طلاوقه . (٣) القيد : قيد من جلد
يقيد به الاسير . (٤) انظر تفسيره في المعلقة . (٥) المثلثة : (التنكيل والتشنيع بالقتل . وقوله :
يا لربيعه ، وهي القبيلة الجامعة التي ينتسب اليها بنو قنبل ، لان قبائل البحرين وما يليها اكثرهم
من ربيعة بن تزار ، فهو يستغيث بأنسابه واعداؤه في وقت واحد . (٦) يقول : نوى صحبتي
(اسفر عند السحر ولم اشعر ببعد عنك يخيفني .

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ هَالَةٍ فِي مَعَدٍ أَشْبَهَ حُسْنَهَا ، إِلَّا أَهْلًا لَا ^(١)
 أَلَا أَيْلَغَ بَنِي جُشَمَ بْنَ بَكْرٍ وَتَغْلِبَ كُلَّمَا أَتَىا حِلَالًا ^(٢)
 بِأَنَّ الْمَاجِدَ الْقَرْمَ بْنَ عَمْرٍو ، غَدَاةَ نَطَاعٍ ، قَدْ صَدَقَ أَقْتَالًا ^(٣)
 كَتَيْبَتُهُ مُلَمَلَمَةٌ رَدَاحٌ ، إِذَا يَوْمُونَهَا تُفْنِي التِّبَالَ ^(٤)
 جَزَى اللَّهُ الْأَغَرَ يُزِيدُ خَيْرًا وَأَقَاهُ الْمَسْرَةَ وَالْجَمَالَ ^(٥)

مُحَارِبَةُ النِّعْمَانِ

وظل المناذرة يناوئون بني تغلب ومجاربونهم برجالهم ، واحلافهم حتى اضطرهم المنذر الرابع اخو عمرو بن هند الى الجلاء عن الجزيرة ، فاتوا ارض الشام وعليها القساسنة ، فمروهم عمرو بن ابي حُجْر الغساني ، وقال ابن الاثير : بل خرج ملك غسان وهو الحرث بن ابي شمر ، فلم يستقبلوه ، فاغتاظ وطلب سيدهم عمرو بن كلثوم وتوعده ، فاقتتلوا فانهمز بنو غسان وقتل اخو الحرث في عدد كبير . فقال عمرو بن كلثوم :

هَلَّا عَطَفْتَ عَلَى أَخِيكَ إِذَا دَعَا بِالشُّكْلِ ، وَيَلْ أَيْيَكَ يَا بَنَ أَيْ سِمِرَا

ثم رجع بنو تغلب الى الجزيرة ، وعلى الحيرة ابو قابوس النعمان بن المنذر الرابع ، فارسل لمحاربتهم جيشاً على رأسه ابنه المنذر ، فكسروهم بنو تغلب ، وقتل المنذر بن النعمان ، وقَاتَلَهُ مُرَّةٌ اخو عمرو بن كلثوم . والى هذه الحادثة ، والى مقتل عمرو بن هند يشهد الاخطل التغلبي بقوله مفتخراً على جرير :

أَبْنِي كُلَيْبٍ ، إِنَّ عَمِّيَّ أَلَلَدَا قَتَلَا أَلْمُلُوكَ ، وَفَكَّرَا أَلْأَغْلَالَ ^(٦)

(١) هالة : يريد بها قبيلة ممدوحه . وقوله : أشبهه حسنها : اي أشبه به حسنها .
 (٢) الحلال : جمع حلة وهي مجتمع الناس . (٣) القرم : السيد العظيم . غداة نطاع : أي غداة الحرب التي يطعننا الاعداء فيها . (٤) الكتيبة : القطعة من الجيش مجتمعمة . مللمة : مجموعة . رداح : ثقيلة جرارة . (٥) الاغر : الكريم الافعال والمشهور . (٦) اللذا : اللذان . الاغلال : القيود .

وقال الفرزدق يرد على جرير في هجائه الاخطل :

قَوْمٌ هُمْ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنُودَ عَمْرَأَ، وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى النَّعْمَانِ ^(١)

ثم ارسل النعمان يتوعد عمراً ، فاخذ عمرو يهجو ويعيده امه سلمى ، وكانت ابنة صائغ . فمن قوله :

لَحَا اللَّهُ أَدْنَانَا إِلَى اللُّؤْمِ زُلْفَةً وَأَلَامَنَا خَالًا وَأَعْجَزَنَا أَبَا ^(٢)
وَأَجْدَرَنَا أَنْ يَنْفُخَ الْكَبِيرَ خَالَهُ يَصُوغُ الْقُرُوطَ وَالشُّوفَ يَثْرِبًا ^(٣)

صورته

عاش عمرو بن كلثوم حتى بلغ من الكبر عتياً ^(٤) ، وشبعت نفسه من الغزوات والانتصارات ، وذاق من الدهر حلوه ومره ، فلما حضرته الوفاة جمع بنيهِ واوصاهم :

« يَا بَنِيَّ ، قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْعُمُرِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَنْزِلَ بِي مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا عَيَّرْتُ أَحَدًا بِشَيْءٍ إِلَّا عُيِّرْتُ بِمِثْلِهِ ، إِنْ كَانَ حَقًّا فَحَقًّا ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا فَبَاطِلًا . وَمَنْ سَبَّ سُبًّا ، فَكُفُّوا عَنْ الشَّتْمِ ، فَإِنَّهُ أَسْلَمَ لَكُمْ . وَأَحْسِنُوا جَوَارِكُمْ يَحْسُنْ تَنَاوُكُكُمْ . وَامْنَعُوا مِنْ ضَمِيرِ الْغَرِيبِ ، قُرْبَ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ ، وَرَدِّهِ خَيْرٌ مِنْ خُلْفٍ ^(٥) . وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَعُوا ^(٦) ، وَإِذَا حَدَّثْتُمْ فَأَوْجِزُوا ، فَإِنَّهُ مَعَ الْإِكْثَارِ يَكُونُ الْإِهْذَارُ ^(٧) . وَأَشْجَعُ الْقَوْمِ الْعَطُوفُ ^(٨) بَعْدَ الْكَوْرِ ، كَمَا أَنَّ أَكْرَمَ الْمَنَائِيَا الْقَتْلُ . وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا رَوِيَّةَ لَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَلَا فِيمَنْ إِذَا عُوْتُبَ لَمْ يُعْتَبَ ^(٩) . وَمَنْ النَّاسِ مَنْ

(١) عنود : قوة واقداراً . قسطوا : جاروا وظلموا . (٢) لحا : اخزى . زلفة : منزلة . (٣) القروط : الحلق مفردا قُرط . الشنوف : القروط او ما يعلق في أعلى الاذن خلافاً للقرط ، مفردا شنف . يثرب : مدينة الرسول . (٤) عتياً : أي وصل الى حيث ولى امره . (٥) يقول : رب طاب ترده خير من وعد لا تقي به . (٦) عوا : احفظوا ما تسمعون . (٧) الاهذار : الهذيان . (٨) الذي يعطف على المنهزمين فيحميمهم . (٩) يُعْتَب : يعطي الرضى ويترك ما كان يفض لاجله ، والمعنى : لا خير فيمن اذا استرضى ولم يرض .

لَا يُرَجَى خَيْرُهُ ، وَلَا يُخَافُ شَرُّهُ ، فَبُكُوْهُ خَيْرٌ مِنْ دَرِّهِ ^(١) وَعَقُوْهُ خَيْرٌ مِنْ بَرِّهِ . وَلَا تَتَزَوَّجُوا فِي حَيَاتِكُمْ ، فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى قَبِيحِ الْبَغْضِ . « ١٥ » هـ .

غير اننا لا نقطع بصحة هذه الوصية لان النثر لا يمكن الاعتماد فيه على الرواية وحدها ، كما هي الحال في الشعر . ولكن الذي يجدر بنا ذكره ان هذه القطعة قليلة التكلف اللفظي ، خالية من الاغراب الذي نجده في اكثر النثر المنسوب الى عوب الجاهلية ؛ وهو ليس من صنعهم بل من صنع شيوخ العلم في الاسلام . ونجد من هذا النثر المنحول امثلة كثيرة في « امالي القاضي » . وفي الوصية سهولة ولين يوافقان اسلوب عمرو بن كلثوم في شعره .

وعمر بن مذكور في طبقات المعمرين ، واكثر الرواة يزعمون انه مات وله من العمر خمسون سنة ومئة .

أما

لم يصل اليها من شعر عمرو بن كلثوم شيء يستحق الذكر غير المعلقة ، وأما ما بقي فابيات ومقطعات قليلة ، منها في الافتخار بنفسه وقومه ، ومنها في مدح يزيد بن شمر ، ومنها في هجاء عمرو بن هند والنعمان بن قايوس . وقد اوردنا بعضها في هذا البحث .

اما معلقته فهي الخامسة بين المطولات ، نظمها في واقعتين : الاولى يوم تقاضى البكريون والتغلبيون الى عمرو بن هند . والثانية بعد قتله عمرو بن هند . ووقف بها خطيباً في سوق عكاظ وفي موسم مكة .

ولم يصل اليها من هذه القصيدة الا نحو مئة بيت وقيل انها كانت تبلغ الالف وزعم الاصمعي ان الشاعر ارتجلها كلها في موقف التقاضي ، وهو زعم مردود ؛ لان الشاعر كان على استعداد للدفاع عن قومه في حضرة ابن هند ، ولان ابيات المعلقة تدل على نظمها في حادثتين لا في واحدة . وسيبدو لنا ذلك عندما نشرع بدرسها .

عمرو بن كلثوم صورة طبق الاصل عن جده المهلهل ، فهو فخور مثله ، متكبر مثله ، كذوب مثله . وفي شعره سهولة وتكوار وهلملة كما في شعر جده . وسرى في درسنا معلقته مبلغ تأثره بأسلوب المهلهل ، وطريقته في النظم . ولا عجب ان يتشبه الولد بابيه وجده او عمه وخاله . وانما العجب ان يشذ عنهم فلا يتأثر بهم في شيء . كما هو شأن امرئ القيس ، وقد زعموا انه ابن اخت المهلهل .

وصف الحمرة

يبتدى عمرو بن كلثوم معلقته بوصف الحمرة وتأثيرها في شاربها فيقول :

أَلَا هُتَي بِصَحْنِكَ فَأَصْبَحْتِنَا وَلَا تُبْتِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا ^(١)
 مُشْعِشَةً كَأَنَّ الْخَصَّ فِيهَا إِذَا مَا أَلْمَأْ خَالَطَهَا سَخِينَا ^(٢)
 تَجُورُ بِنْدِي اللَّبَانَةَ عَنْ هَوَاهُ إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِينَا ^(٣)
 تَرَى اللَّحْزَ الشَّحِيحَ إِذَا أُمِرَتْ عَلَيْهِ ، لِمَالِهِ فِيهَا ، مُهِينَا ^(٤)

(١) الصحن : القدح الكبير . فاصبحنا : فاسقينا صباحاً . الاندرين : قرية في جنوبي حلب على مسيرة يوم للراكب ، وقد فتحت نوحها في الجرب لانها ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث . ولا تنبر « ال » لانها زائدة ، ويجوز أن تعرب اعراب جمع المذكر السالم كما تعرب « عليون » . (٢) مشعشة : ممزوجة بالماء . الحص : الزعفران او الورس أي الورد الاصفر . سخينا : حاراً . يقول : اسقينا خمرة ممزوجة كانها ، وقد خالطها الماء الساخن ، مزجت بالزعفران لاصفرار لوحها . وكانت قرية الاندرين تابعة لبلاد الروم ومن عادتهم ان يشربوا الخمر بالماء السخين كما ذكر ابو العلاء في رسالة الغفران . واما ان نجمل سخينا ، على رأي بعضهم ، فعلا من سخى اي جاد بماله ، فذاك منتهى السخافة في التفسير اذ يصبح السخاء مقصوراً على السكر دون الصحو ، وليس الى هذا يقصد الشاعر وهو القائل في البيت الرابع :

تَرَى اللَّحْزَ الشَّحِيحَ إِذَا أُمِرَتْ عَلَيْهِ ، لِمَالِهِ فِيهَا ، مُهِينَا

(٣) تجور : تميل . اللبانة : الحاجة . يقول : هي تميل بصاحب الحاجة عن حاجته اي انه اذا شربها لان ونسي همومه وحوائجه . (٤) اللحز : الضيق الصدر . الشحيح : البخيل . يقول : ترى البخيل الضيق الصدر اذا ادبرت عليه وشربها جهين ماله ويجود به .

وَإِنَّا سَوْفَ نُدْرِكُكَ أَلْمَنِيَا مُقَدَّرَةً لَنَا وَمُقَدَّرِينَ^(١)

الغزل

ثم ينتقل الشاعر الى الغزل ، ويرى بعضهم ان مطلع القصيدة يبتدئ من هذا القسم ، ولكنه رأي ضعيف . قال :

قَفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ظَعِينَا نُجَبِّرُكَ الْيَقِينَ وَتُخَيِّرِنَا^(٢)
يَوْمَ كَرِيهَةِ ضَرْبًا وَطَعْنًا أَقَرَّ بِهِ مَوَالِيكَ الْغُيُونَا^(٣)
قَفِي نَسْأَلُكَ هَلْ أَحْدَثْتَ صَرْمًا لَوْشِكَ الْبَيْنِ أَمْ خُنتِ الْأَمِينَا^(٤)

الفخر

ثم يتابع الغزل فيصف ذراعي صاحبه ، وصدرها ، وقامتها ، حتى يتخلص الى مخاطبة عمرو بن هند ، فيأخذ في الافتخار ، وهو القسم الذي نظمته في موقف التقاضي . وهنا تظهر الصلة واضحة بين شعر ابن كلثوم وشعر المهمل ، فيبدو لك الغلو الفاحش في فخره ، والتكرار والتكثير ، فضلاً عن السهولة التي ترافق المعلقة في جميع اقسامها واغراضها :

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُجَبِّرُكَ الْيَقِينَا^(٥)
بِأَنَّا نُوْرِدُ الرَّيَاتِ بِيضًا وَنُصْدِرُهُنَّ خُمْرًا قَدْ رَوِينَا^(٦)

(١) ومقدرينا : أي نحن مقدرون لها . وذكر الزوزني بعد هذا البيت ثلاثة اخر وهي :

صَبْنَتِ الْكَأْسَ عَنَا امْ عَمْرُو وَكَانَ الْكَأْسُ . مجراها اليحينا
وما شرُّ الثلاثة أم عمرو . بصاحبك الذي لا تصبحينا
وكأس قد شرب ببعبك . وأخرى في دمشق ، وقاصرينا

وهذه الايات لعمر بن عدي ابن اخت جزيمة الابرش (٢) ياظعينا : ترخم طعينة وهي المرأة المسافرة في هودجها . (٣) الكريهة : من اسماء الحرب . الموالي : اراد بهم ابناء العم . (٤) الصرم : القطيعة . لوشك البين : لسرعة الفراق . (٥) ابا هند : يريد عمرو ابن هند فكناه . انظرنا : امهنا . (٦) أورد الابل : اتى بها الماء للشرب . اصدرها : ارحمها عن الماء بعد السقي . يقول على سبيل الاستعارة : اننا نأتي بريايتنا الى ساحة الحرب ييضاً ونرجع بها خُمْرًا قد رويت من دم الاعداء .

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرَّةٌ طـ وَالْغُرَّةُ عَصِينَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا ^(١)

الى ان يقول ، وفيه غلو ظاهر :

مَتَى نَنْقُلُ إِلَى قَوْمٍ رَحَانًا يَكُونُوا فِي الْقَاءِ لَهَا طَحِينًا ^(٢)

يَكُونُ ثِقَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلَهُوَّتُهَا قُضَاعَةٌ أَجْمَعِينَا ^(٣)

ولكن هذا الغلو جميل رائع ، على ما فيه من تكثر واعتداد بالنفس . واليك الان كيف يصف قومه في الحرب ، وتنكيلهم في الاعداء . وهنا ترداد الصلة بين شعره وشعر جده ، فترى شيئا من التكرار فضلا عن المغالاة والتكثير :

وَرِثْنَا الْمَجْدَ ، قَدْ عَلِمَتْ مَعَدَّةٌ ، نَطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَلِينَا ^(٤)

وَنَحْنُ إِذَا ، عِمَادُ الْحَيِّ خَرَّتْ ، عَنْ الْأَحْقَاضِ ، نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا ^(٥)

نُدَافِعُ عَنْهُمْ الْأَعْدَاءَ قُدَمَاءَ ، وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا ^(٦)

نَطَاعِنُ مَا تَرَخَى النَّاسُ عَنَّا ، وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غَشِينَا ^(٧)

بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا الْخَطِي لَدُنْ ، ذَوَابِلَ ، أَوْ بَيْضٍ يَغْتَلِينَا ^(٨)

نَشْقُ بِهَا رُؤُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا ، وَنُخْلِهَا الرِّقَابَ فَيَخْتَلِينَا ^(٩)

(١) غُرَّةٌ : مشهورة . نديننا : نطيع . (٢) رحانا : حربنا ، شبه الحرب بالطاحون .

(٣) الثقال : خرقه او جلدة تبسط تحت الرحى ليقع عليها الطحين . اللهوة : القبض من الحب تلقى في فم الرحى . يقول : نكون معركتنا في الجانب الشرقي من نجد ، ونكون قبضتنا قضاة اجمعين ، فاستعار للمعركة اسم الثقال وللقلى اسم اللهوة ليشاكل الرحى والطحين في البيت السابق . (٤) مَعَدَّةٌ : قبائل معد بن عدنان . يبين : يظهر . (٥) الاحقاض : جمع حَفْض وهو البعير الذي يحمل امتعة البيت . يالينا : يقرب منا . يقول : نحن اذا سقطت الخيام عن الابل للاسراع في الحرب تمنع ونحمي جيراننا . (٦) قُدَمَاءَ : قدما . (٧) تراخى : تأخر وتباعد . اذا غشيننا : اذا اقاتنا العدو . (٨) بسمر : صفة للرماح الناضجة في منابتها والجار متعلق بنطاعن . الخطي : نسبة الى مرفا الخط في البحرين وكانت تباع فيه الرماح . لَدُنْ : لينة . ذوابل : يابسة بعض اليبس دلالة على انها لم تجف كل الجفاف فتشقى اذا طعن بها . ببيض : صفة للسيف وهو متعلق بنضرب . يغتلين : يملين الرؤوس . (٩) نخليها : نجعل لها الرقاب كالخلى وهو الحشيش . اي يقطعن الرقاب .

- كَانَ جَمَاعَهُمُ الْآبُطَالُ فِيهَا
 نَجْدٌ رُؤُوسُهُمْ فِي غَيْرِ بَرٍّ ،
 كَانَ سُيُوفُنَا ، فِينَا وَفِيهِمْ ،
 كَانَ ثِيَابُنَا ، مِنَّا وَمِنْهُمْ ،
 إِذَا مَا عَيَّ بِالْإِسْنَفِ حَيٌّ
 نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتَ حَدٍّ ،
 بِشَبَانٍ يَرُونَ الْقَتْلَ مَجْدًا ،
 حُدَيَّا النَّاسِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ،
 أَلَا لَا يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ أَنَّا
 أَلَا لَا يَجْهَلُونَ أَحَدٌ عَلَيْنَا ،
 وَسُوقٌ بِالْأَمَازِ يَرْتَمِينَا ^(١)
 فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا ^(٢)
 مَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِينَا ^(٣)
 خُضْبَنَ بَارْجَوَانٍ أَوْ طُلَيْنَا ^(٤)
 مِنْ أَلْهَوْلِ الْمُسْبِيهِ أَنْ يَكُونَا ^(٥)
 مُحَافِظَةً ، وَكُنَّا السَّابِقِينَ ^(٦)
 وَشَيْبَ فِي الْحُرُوبِ مُجَرَّبِينَ ^(٧)
 مُقَارَعَةً بَيْنَهُمْ عَنْ بَنِينَا ^(٨)
 تَضَعُضُنَا ، وَأَنَا قَدْ وَنِينَا ^(٩)
 فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ أَجَاهِلِينَا ^(١٠)

الست ترى في هذه الايات نفساً تناطح السحاب بكبرياتها وابائها ؟ . . .
 انما هي نفس البدوي تأبى الذل والضم ، وتقابل الحسنات والسيئات بامثالها او

(١) فيها : في السيوف . وسوق : جمع وسق وهو الحمل . الاماز : جمع امعر وهو الارض الصلبة الكثيرة الحصى . (٢) نجذ : نقطع . في غير بر : في غير شفقة . (٣) مخاريق : جمع مخراق وهو سيف من خشب يلعب به الصبيان . يقول : كنا نضرب بسيوفنا في سرعة غير حافلين كما يضرب الصبيان بمخاريقهم غير حافلين بمضاربهما . (٤) خضبن : صبغن . الارجوان : صبغ احمر يصبغ به . طلين : لطخن . (٥) عي بالامر : عجز عنه . الاسناف : النقدم . يقول : اذا عجز حي عن الاقدام في الحرب خوفاً من هولٍ منتظر ، وجواب اذا في البيت بعده . (٦) نصبنا : وضعنا واقنا . رهوة : جبل . ذات حد : ذات شوكة . يقول : اذا تأخر القوم تقدمنا بكتيبة مثل الجبل ذات شوكة وبأس وذلك محافظة على احساننا فظفرنا وسبقنا . (٧) شبان : متعلق بالسابقين . (٨) حديا : اسم جاء على صيغة التصغير بمعنى التحدي ، وهي المنازعة والمباراة . يقول : نحن نباري الناس وننازعهم جميعاً في مفاخرتنا بنهم دفاعاً عن بنينا . (٩) الاقوام : يريد بهم بني بكر . ونينا : فترنا . (١٠) الجبل : السفه ضد الحلم والعقل . يقول : لا يسفه علينا احد فنسفه عليه فوق سفه اي تجاربه بسفسه جزاء يربو عليه . فسمى جزاء الجبل جهلاً للمساكلة في اللفظ كما جاء في القرآن : « يُجَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ » اي وهو يجازيهم بخداعهم فسمى جزاء الخداع خداعاً .

باكثر منها . ولا اتصور عمرو بن كلثوم في معلقته هذه ، الا رجلاً ملكت عليه
عزة نفسه واجهاد قومه جميع مشاعره ، فتغلبت عاطفته على عقله فاصبح لا يرى
ولا يحس الا بها . فاذا هو في حضرة عمرو بن هند يفاخر بني بكر ويهددهم ،
دون ان يراعي مقام الملك او يصانعه بكلمة راضية . فلا عجب اذاً ان يخسر
التغلبيون قضيتهم ، بعد ان وقف الحارث بن حلزة الرجل الحكيم ، واصلح بدهائه
ما افسده خطيبهم النعمان بن هرم .

وقد رأينا في هذا القسم مبلغ تأثير عمرو بشعر جده المهمل . على اننا سنرى هذا
التأثير يزداد وضوحاً في القسم الاخر ، وهو القسم الذي انشأه بعد قتله عمرو بن هند .
قال :

بَائِي مَشِيئَةً ، عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ ،	تُطِيعُ ، بِنَا الْوُشَاةَ ، وَتَزْدَرِينَا
بَائِي مَشِيئَةً ، عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ ،	نَكُونُ لِقِيلِكُمْ فِيهَا قَطِينًا ^(١)
تُهَدِّدُنَا وَتُوَعِدُنَا ! رُوَيْدًا !	مَتَى كُنَّا لِأَمِكَ مَقْتَوِينَا ^(٢)
فَإِنْ قَنَاتَنَا ، يَا عَمْرُو ، أَعَيْتْ	عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ ، أَنْ تَلِينَا ^(٣)
إِذَا عَضَّ الْقَفَّ بِهَا اشْمَازَتْ ،	وَوَلَّتْهُ عَشْوَزَنَةٌ زُبُونًا ^(٤)
عَشْوَزَنَةٌ ، إِذَا انْقَلَبَتْ أَرَأَيْتْ	تَشِجُّ قَفَا الْمُثَقِّفِ وَالْجَحِينَا ^(٥)

(١) القيل : الملك دون الملك العظيم . القطين : الخدم . يقول : كيف تشاء ان نكون
خدماً لمن وليت علينا من الامراء وانت تعرف انفتنا . (٢) مقتوين : خدام الملوك . وترفع
بالواو فيقال : مقتوون مراعاة لصيغة الجمع ، مفردا مقتوي ومقتي . يشير هنا الى
حادثة امه واستخدام ليلى ام عمرو بن هند لها . (٣) القنات : قصبة الرمح ، استعمالها للعرز
والمنمة . اعيت على الاعداء : اعجزتهم . يقال : لانت قناته اذا ضعف وذل . يقول : ان
قناتنا لا تلين للاعداء اي اننا لا نذل ولا نخضع . (٤) القف : الحديدة التي تقوم بها الزماح .
اشمازت : نفرت . عشوزنة : صلبة شديدة . الزبون : الدفوع التي تضرب برجلها ، من
زبنت الناقة حالها اذا ضربته ، ومنه الزبانية : الشرط الذين يدفعون اهل النار اليها . يتابع
وصف قناتهم فيقول : انها لا تخضع للثقاف بسبل تنفر وتولى منها قنات صلبة دفوعاً .
(٥) أَرَأَيْتْ : صوتت من الارنان . القفا : مؤخر الرأس . يقول مبالغاً في وصف القنات :
انها تصوت اذا اريد تثقيفها ولا تطاوع مثقفها اذا قلبها بل تشج قفاه وجبينه ، كذلك عزهم
لا تخضع لمن رام تذليلها بل تهلكه وتقره .

فَهَلْ حَدَّثْتَ فِي جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ بِنَقْصٍ فِي خُطُوبِ الْأَوَّلِينَ؟^(١)

فَغَرَّهُ بِأَبَاؤِهِ

وَرَثْنَا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ الْمَجْدِ دِينًا^(٢)
وَرَثْتُ مُهْلَهْلًا ، وَالْخَيْرَ مِنْهُ زُهَيْرًا نِعْمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِينَ^(٣)
وَعَتَابًا ، وَكَلْثُومًا ، جَمِينًا ، بِهِم نِلْنَا تَرَاثَ الْأَكْرَمِينَ^(٤)
وَذَا الْبُرَّةِ ، الَّذِي حَدَّثْتَ عَنْهُ بِهِ نَحْمِي ، وَنَحْمِي الْمُتَجِينَا^(٥)
وَمَنَا قَبْلَهُ السَّاعِي كُلِّيبُ فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلِينَا^(٦)
مَتَى نَعْقِدُ قَرِينَتَنَا بِحَبْلٍ تَجْدُ الْحَبْلَ أَوْ تَقْصِرَ الْقَرِينَا^(٧)
وَنُوجِدُ نَحْنُ أَمْنَعَهُمْ ذِمَارًا وَأَوْفَاهُمْ ، إِذَا عَقَدُوا يَمِينَنَا^(٨)

فَإِذَا اسْتَشْنَيْنَا الْبَيْتَيْنِ الْآخِرَيْنِ ، نَرَى فِي الْآيَاتِ الْحَمْسَةِ الْأُولَى لَنَا كَثِيرًا بَلْ
اسْتَفَافَ عَرَفْنَاهُ فِي بَعْضِ شَعْرِ الْمَهْلَلِ ، فَوَقَفْنَا مِنْهُ مَوْقِفَ الشُّكِّ . وَنَحْنُ نَسْأَلُ أَنْفُسَنَا
هُنَا : أَنْظِمَ ابْنُ كَلْثُومٍ هَذِهِ الْآيَاتِ أَمْ أَضْيَفَتْ إِلَيْهِ لَتَعْدَادِ اسْمَاءَ جَدُّوهُ ؟ . . .
وَسِوَاءُ كَانَ هَذَا أَوْ ذَاكَ فَالْآيَاتُ بَيْنَهُ الضَّعْفُ بِأَدِيَةِ التَّكْلِيفِ .
ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى ذِكْرِ وَقَائِعِ قَوْمِهِ مَفَاخِرًا بِهَا الْبَكْرِيِّينَ ، فَيَصِفُ لَنَا يَوْمَ

(١) جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ : مَنْ بَطُونِ تَغْلَبَ . يَقُولُ : هَلْ حَدَّثْتَ إِنْ أَحَدًا انْتَقَصَ حَقًّا
وَاضْطَهَدْنَا فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمَاضِيَةِ . (٢) عَلْقَمَةُ بْنُ سَيْفٍ : رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ إِنَّهُ أَنْزَلَ
بَنِي تَغْلَبَ أَرْضَ الْجَزِيرَةِ . (الدين : القهر . أَيِ جَعَلَ لَنَا حُصُونَ الْمَجْدِ مَبَاحَةً قَهْرًا وَعَنُودًا .
(٣) الْمَهْلَلُ : جَدُّهُ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ . زُهَيْرٌ : جَدُّهُ مِنْ جِهَةِ أَبِيهِ . يَقُولُ : وَرَثْنَا مَجْدَ مَهْلَلٍ
وَمَجْدَ زُهَيْرٍ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ نِعْمَ ذُخْرُ الذَّاخِرِينَ . (٤) عَتَابٌ : جَدُّ جَدِّ الشَّاعِرِ . كَلْثُومٌ :
أَبُو الشَّاعِرِ . (٥) الْبُرَّةُ : الْحَلَقَةُ . وَذَا الْبُرَّةِ : رَجُلٌ مِنْ تَغْلَبَ لَقِبَ بِذَلِكَ لِشَعْرِ كَانَ عَلَى
أَنْفِهِ يَلْتَوِي كَالْحَلَقَةِ . (٦) قَبْلَهُ : أَيِ قَبْلِ ذِي الْبُرَّةِ . السَّاعِي : السَّاعِي إِلَى الْمَجْدِ . كُلِّيبٌ :
كَلِيبُ وَائِلُ أَخُو الْمَهْلَلِ . وَلِينَا : دَانِينَا . (٧) الْقَرِينَةُ : النَّاقَةُ تَقْرُنُ إِلَى غَيْرِهَا . تَجْدُ :
تَقْطَعُ . نَقْصٌ ، مِنْ وَقْصِ الْعَنْقِ : دَقُّهَا . يَقُولُ : مَتَى قَرَرْنَا نَاقَتَنَا بِأُخْرَى قَطَعْتَ الْحَبْلَ أَوْ
كَسَرْتَ عَنْقَ الْقَرِينِ ، وَالْعَنْقُ مَتَى قَرَرْنَا بِقَوْمٍ فِي حَرْبٍ أَوْ جَدَالٍ غَلَبْنَاهُمْ وَقَهَرْنَاهُمْ . (٨) (الذِّمَارُ :
مَا يُجِبُّ عَلَى الرَّجُلِ حِمَايَتَهُ .

خزازی بقصة موجزة هي خير مثال للشعر القصصي في الجاهلية^(١) . قال :

وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقَدَ فِي خَزَازِي ، رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِينَا^(٢)
 بِرَأْسِ مَنْ بَنَى جُشَمَ بْنِ بَكْرٍ ، نَدُّهُ بِهِ السُّهُولَةُ وَالْخَزُونَا^(٣)
 وَكُنَّا الْأَيْمِينَ ، إِذِ التَّقَيْنَا ، وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِيْنَا^(٤)
 فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ ، وَصَلْنَا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِينَا^(٥)
 فَأَبَوْا بِاللَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا ، وَأَبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَقَّدِينَا^(٦)
 إِيْكُمْ ! يَا بَنِي بَكْرٍ ، إِيْكُمْ ! أَلَمَّْا تَعْرِفُوا مِنَّا أَلَيْقِينَا !^(٧)
 أَلَمَّْا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ كِتَابَ يَطْعَنَ وَيَرْتَمِينَا^(٨)
 عَلَيْنَا أَلْبِيْضُ وَالْيَلْبُ أَلْيَانِي وَأَسْيَافُ يَقْمَنَ وَيَنْحَنِينَا^(٩)
 وَتَحْمِلُنَا ، غَدَاةُ الرَّوْعِ ، جُرْدٌ عُرْفَنَ لَنَا نَقَائِدَ ، وَأَقْتَلِينَا^(١٠)

(١) الشعر القصصي عند العرب كالشعر الحكمي تابع لأنوع الغنائي الذي لم يعرف الشعر العربي نوعاً سواه . (٢) رفدنا : اعطينا . الرغد بفتح الراء مصدر رفد ، وبكسر الراء اسم بمعنى العطية . وقوله هنا : رفدنا أي أعاناً وساعدنا ، وهو يشير الى اليوم الذي عقدت فيه ربيعة ربيعة ومضر لواءها على كليب وائل فحارب بها جموع اليمن في جبل خزازی ، فهزمها وانقذ قبائل معد من سيطرتها . وكان كليب قد بعث رجلاً من تغلب يعرف بالسفاح وامره ان يعلو خزازی ويوقد بها النار ليهتدي الجيش بناره ، وقال له : ان غشيك (هدوفاوقد نارين . فاقبلت جموع اليمن ، فاوقد السفاح نارين ، فصبحهم كليب في جموع ربيعة فهزمهم . (٣) برأس من بني . . . اي كليب . الخزون : جمع حزن وهو ماغلظ من الارض . المعنى : اتنا نهزم به الضعاف والاشداء . (٤) بنو ابينا اي ابناء عمنا مضر . (٥) صالوا صولة : حملوا حملة . يليهم : يدانيهم ويقرب منهم . (٦) أبوا : رجعوا . النهاب : جمع نهب وهو الغنيمة . مصقدين : مقيدين بالاصفاد اي الاغلال . (٧) اليكم : اي اليكم عنا . يقول : نذحوا عنا يا بني بكر ألم تعرفوا اليقين من شدة بأسنا ، يعني عرفتم اليقين . (٨) يطعن ويرتمين : يتطاعن بالرمح ويترامين بالنبال . (٩) الببيض جمع بيضة وهي الخوذة من حديد . اليلب : نسيجة من جلد تلبس تحت البيضة او الدروع من جلد الابل . يقمن وينحنين : حالة السيوف عند الضرب . (١٠) الروع : الفرع . ويريد به الحرب . الجرد : الخيول التي رق شعرها وقصر . اللقائذ : جمع نقيدة وهي المتغذة من ايدي الاعداء . اقلين : فطمن . يقول : تحمِلنا غداة الحرب جرد لنا وقد انقذناها من ايدي الاعداء وفطمت عندنا .

وَرَبَّنَاهُنَّ عَنْ آبَاءِ صَدَقَ ، وَنُورُتُهَا ، إِذَا مُثْنَا ، بَيْنِنَا ^(١)

وكانت نساء العرب يرافقن أزواجهن في الحروب ، ويقتن خيولهم ، ويجرضهم على الصبر في القتال ، فيدافعون عنهم مستقتلين مخافة أن يسبين فيلحقهم العار . وإلى ذلك يشير ابن كلثوم بقوله :

عَلَى آثَارِنَا بِيضٌ حَسَانٌ نَجَازِرُ أَنْ تُقَسِّمَ أَوْ تَهْوَا ^(٢)
يَقْتَنُ جِيَادَنَا ، وَيَقْلَنُ : « لَسْتُمْ بُعُولَتِنَا ، إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا » ^(٣)

وانظر الى هذه الابيات وما فيها من تكرار والحاح ، فتذكرك تكرار المهمل والحاحه :

وَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ ، إِذَا قُبُّ بِأَبْطَحِهَا بُنِينَا ^(٤)
بِأَنَّا الْمُطْعِمُونَ إِذَا قَدَرْنَا ، وَأَنَّا الْمُهْلِكُونَ إِذَا ابْتُلِينَا ، ^(٥)
وَأَنَّا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا ، وَأَنَّا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا ، ^(٦)
وَأَنَّا التَّارِكُونَ إِذَا سَخَطْنَا ، وَأَنَّا الْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا ، ^(٧)
وَأَنَّا الْعَاصِمُونَ إِذَا أُطِعْنَا ، وَأَنَّا الْعَارِمُونَ إِذَا عُصِينَا ^(٨)

ويجتم معلقته بهذه الابيات التي هي منتهى الغلو والتكثير ، بل هي الكذب الساذج بعينه فيقول :

مَلَأْنَا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّا ، وَظَهَرَ الْبَحْرُ نَمْلُوهُ سَفِينَا

(١) آباء صدق : آباء كرام شأهم الصدق . (٢) نهون : نذل . يقول : نساوننا الحسان خلفنا ندافع عنهم خوفاً من أن يسبيهم العدو فيقتسمهم ويذلهم . (٣) يقتن : يطعمن بعولتنا : جمع بعل وهو الزوج . تمنونا : تهمونا . (٤) القبب : جمع قبة وهي الخيمة . الأبطح : ابطح مكة تقصده الناس من كل جهة ، واصل معنى الابطح : مسيل او واد فيه دقائيق الحصى . يقول : قد علمت قبائل معد اذا اجتمعت بالابطح وضربت خيامها بأننا . . . (٥) بأننا : الباء زائدة للتوكيد أي علم القبائل أننا . قدرنا : طبخنا في القدور . ابتلينا : جربنا . (٦) شينا : شئنا . اي تمنع (اناس) ما اردنا منهم اياه . (٧) سخطنا : غضبنا . أي ان سخطنا على شيء فتركناه ، لا يقدر احدهم ان يجبرنا على اخذه . (٨) العاصمون : المانعون اي تمنع من يطيعنا . العارمون من عرم فلاناً : اذا اصابه بأذى ، أي نوذي من عصانا .

أَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا ، وَنَبْطِشُ ، حِينَ نَبْطِشُ ، قَادِرِينَا
إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَيٌّ تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ

فقد رأيت كيف ملأ البحر بجيوشه وسفنه ، وكيف جعل الدنيا ومن
عليها ملكاً له ولبني تغلب ، وكيف ترك الجبابرة تسجد لفظيهم . فاما وقد رأيت
ذلك فلا تحمل نفسك على معرفة ما كان له من قوى برية وبحرية ، بسل حسبك ان
تعلم انه سبط المهمل ، وان جده ، لولا عصف الرياح ، لاسمع صليل سيوف قومه على
مسافة عشرة ايام .

عمرته

تبين لنا مما تقدم ان عمرو بن كلثوم ورث عن جده المهمل اكثر ميزات ، فله
رقتة ولينه ، وله تكراره وغلوه ، وله كذبه وتكثره . ولكن في شعره خاصة
نجدتها ضعيفة في شعر جده ، وهي تلك الفوائد التاريخية التي نراها في المعلقة وغير
المعلقة ، فهو ينجحنا في هجوه النعمان ، ان ام النعمان كانت ابنة صائغ ، وان اخاها
صائغ ينفخ الكبر في يثرب . ويذكر لنا في مطولته كيف كانت النساء تتبع الرجال في
الحروب ، وتقوت جيادهم ، وتحشم على الصبر في القتال . ويطلعنا على شيء من
صناعات العرب وملاهي اولادهم .

ولمعلقتة ، ميزات بوائه منزلة سامية من الشعر . فهي في سهولتها وانسجامها ،
وفي رنتها الموسيقية المطربة اصدق مثال للشعر الغنائي . وهي على ما فيها من غلو
تكثر ، معجبة محبوبة ، لان غلوها وتكثرها لا تكلف فيها ، بل تراهما صادقين
عن نفس صادقة في عزتها وابائها ، ممتلئة بفخار قومها . فاذا غالت احببنا ، واذا
كذبت حيناً ، فانما هي تتكلم بعاطفتها لا بعقلها . فالفخر عند ابن كلثوم عاطفي
محض لا سلطة للعقل عليه .

وقد بلغت معلقتة ، على منزلتها الادبية ، منزلة قومية ، لم تبلغها قصيدة سواها .
فان بني تغلب كانوا يعظمونها جداً ، ويرويها صغارهم وكبارهم ، حتى هجاهم بذلك
بعض بني بكر بن وائل فقال :

أَلْهَىٰ بَنِي تَغْلِبَ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ قَصِيدَةً قَالَهَا عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ ،
يَرُودُهَا أَبَدًا مُذْ كَانَ أَوْلَهُمْ ، يَا لَلرِّجَالِ لَشِعْرٍ غَيْرِ مَسْئُومٍ (١)

وقال المفضل الضبي : « لله در عمرو بن كلثوم لو انه رغب في ما رغب فيه اصحابه من كثرة الشعر ، ولكن واحدته اجود من مائتهم . » وروى ابو زيد القرشي في جمهرته عن عيسى بن عمر قوله : « لو وضعت اشعار العرب في كفة ، وقصيدة عمرو بن كلثوم في كفة ، لمالت باكثرها »

عنترۃ

(٢) ٦١٥

حياته : هو عنترۃ الفوارس . وأحد اغربة العرب . أمه أمة سوداء . لم يعترف به ابوه اولا . كيف اعترف به ابوه ؟ . اخلاقه وشجاعته . ماذا قال عمرو بن معديكرب فيه ؟ . قول الخطيئة لعمر بن الخطاب . وقائعه . حبه لعبلة . موته والاختلاف فيه .
آثاره : ديوان شعر فيه كثير من النحل . اشهره المعلقة . ليست المطلقة اولى قصائد عنترۃ كما زعم الرواة . سبب نظمها .
ميزته : غزله وما فيه من مرارة وألم . النضال بين حبه ولونه ونسبه . النضال بينه وبين معيريه . حماسه وصفه الممارك . وصفه عدوه في الحرب . رقة شعره صورة لاخلقه . هو شاعر الحماسة . منزلته .

عبائنه

هو عَنْتَرَة (٢) بن شدّاد بن عمرو ، وقيل : ابن عمرو بن شدّاد بن معاوية

(١) مسووم : مملول . (٢) العنترۃ : واحدة العنتر وهو الذباب .

ابن قُرَاد العَبْسِي ، من اهل نجد ، ينتهي نسبه الى مُضر . وَيَكْنَى بَابِي الْمَغْلَسِ ^(١) لغاراته في الغلَس ، ويلقب بعنترَة الفوارس لشجاعته ، وعنترَة الفلاحاء ^(٢) لانشقاق شفته السفلى) وهو احد اغربة ^(٣) العرب المشهورين في الجاهلية ، سموا بذلك لسوادهم ، وهم ثلاثة : عنترَة ، وخُفَاف بن نُذْبَة السُّلَمِي ، ونُذْبَة أمه ، والسُّلَيْك بن السُّلَكَة ^(٤) والسُّلَكَة امه . (وام عنترَة حبشية سوداء يقال لها زُبَيْبَة ^(٥) سباهها ابوه في احدى غزواته فاولدها عنترَة) وكان لها اولاد عبيد من غير شداد ؛ فلم يعترف به ابوه في اول الامر ، بل انكره جرياً على عادة العرب ، لانهم كانوا يستعبدون اولاد الاماء ، ولا يعترفون بهم الا اذا ظهرت عليهم النجاسة .

كيف ادعاه ابوه ؟

قال ابن الكلبي : « وكان سبب ادعاء ابيه اياه ، ان بعض احياء العرب اغاروا على بني عبس فاصابوا منهم ، واستاقوا ابلأ . فتبعهم العبسيون ، فلحقوهم ، فقاتلوا عما معهم ، وعنترَة يومئذ فيهم . فقال له ابوه : « كِرْ يا عنترَة . » فقال عنترَة : « العبد لا يحسن الكر » ، انما يحسن الحلاب والصر ^(٦) . فقال : « كِرْ وانت حرٌّ فكر » ، وقاتل يومئذ قتالاً حسناً ، فادعاه ابوه بعد ذلك ، والحقه بنسبه . »

وحكى غير ابن الكلبي : « ان السبب في هذا ان عبساً اغاروا على طيء ، فاصابوا نِعْماً فلما ارادوا القسيمة قالوا لعنترَة : « لا نقسم لك نصيباً مثل انصبائنا لانك عبد . » فلما طال بينهم الحُطْبُ ، كرت عليهم طيء . فاعتزلهم وقال : « دونكم القوم فانكم عددٌ هم . » واستنقذت طيء الابل . فقال له ابوه : « كِرْ يا عنترَة . » فقال :

(١) الْمَغْلَس : السائر في الغلَس وهو ظلمة آخر الليل . (٢) الفلاحاء : موث الاذليح وهو المشقوق الشفة السفلى ، وانما قيل له الفلاحاء بالتأنيث حملاً على تأنيث اسمه او على ارادة الشفة الفلاحاء . (٣) اغربة : جمع غراب ويضرب به المثل في السواد . (٤) السُّلَيْك : تصغير السُّلَك وهو فرخ القطا او الحجل وموئله السُّلَكَة . (٥) ضبطها بعضهم زُبَيْبَة بفتح الزاي . (٦) الحلاب : مصدر حلب الشاة وغيرها . الصر : ان يشد زرع الناقة بالصرير ثلاثاً يرضعها ولدها .

«أَوْ يُحْسِنُ الْعَبْدُ الْكَرَّ؟» فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: «الْعَبْدُ غَيْرُكَ». فَأَعْتَرَفَ بِهِ، فَكَرَّ
وَاسْتَقْنَدَ النَّعَمَ.

امهارة وسجاعة

وكان أشدَّ أهل زمانه، وأجرأهم فؤاداً، واستخاهم يداً. وهو على شجاعته
وشدة بطشه، حلیم، لين الطباع، سَمَحُ المخالقة^(١) إذا لم يُظْلَم. وفي ذلك يقول:
أَتْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتُ، فَإِنِّي سَمَحٌ مُخَالَقَتِي، إِذَا لَمْ أَظْلَم.

وكان عفيف النفس واللسان، لا يتعهر ولا يفحش. وهو القائل:

وَأَغْضُ طَرْفِي، مَا يَدَّتْ لِي جَارَتِي، حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَاوَاهَا

ولمَّا أنشد النبيُّ قوله:

وَلَقَدْ أَيْبْتُ عَلَى الطَّوِيِّ، وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ^(٢)

قال: «ما وُصِفَ لي أعرايُّ قطُّ، فأحببت أن أراه، إلا عنترة.»

وروي عن عمرو بن معد يكرب، وكان معاصراً له، أنه قال: «لوسرتُ
بظمينة^(٣) وحدي على مياه معدٍ كلها، ما خفت أن اغلب عليها، ما لم يلقني حراًها
أو عبداها. فاما الحُرَّانَ فعامرُ بن الطُّفَيْلِ، وعُتَيْبَةُ بن الحارث بن شهاب. واما
العبدان فأسود بن عيس «يعني عنترة» والسُّلَيْكُ بن السُّلَيْكَةِ؛ وكلهم لاقيت.
فاما عامر بن الطفيل فسرَّيع الطعن على الصوت، واما عُتَيْبَةُ فاول الخيل إذا اغارت،
وآخرها إذا آبت^(٤)، واما عنترة فقليلُ الكبوة، شديدُ الجَلَبِ^(٥)، واما السُّلَيْكُ
فبعيد الغارة كالليث الضاري.»

وحدثتُ عمر بن شبة قال: قال عمرو بن الخطاب للخُطَيْبَةُ: «كيف كنتم في
حربكم؟» قال: «كنا الف فارس حازم.» قال: «وكيف ذلك؟» قال: «كان
قيس بن زُهَيْرٍ فينا وكان حازماً، فكنا لا نعصيه. وكان فارسنا عنترة، فكنا

(١) سَمَحُ المخالقة: أي سهل المخالطة. (٢) الطوي: الجوع. (٣) الظمينة: المرأة

في الهودج. (٤) آبت: رجعت. (٥) الكبوة: السقطة. الجلب: الصياح.

نحمل اذا حمل ونحجم اذا احجم . وكان فينا الربيع بن زياد ، وكان ذا رأي ، فكننا نستشيريه ولا نخالفه . وكان فينا عروة بن الورد ، فكننا نأتم بشعره . فكننا كما وصفت لك . « فقال عمر : « صدقت . »

وقال الهيثم بن عدي : قيل لعنترة : « أنت اشجع العرب واشدها ؟ » قال : « لا . » قيل : « فبماذا شاع لك هذا في الناس ؟ » قال : « كنت اقدم اذا رأيت لاقدام عزماً ، واحجم اذا رأيت الاحجام حزماً ، ولا ادخل موضعاً الا اري لي منه مخرجاً . وكنت اعتمد الضعيف الجبان ، فأضربه الضربة الهائلة ، يطير لها قلب الشجاع ، فاثني عليه فأقتله . »

وفاته

لعنترة كثير من الوقائع المشهورة ولكن اضيف اليه ما ليس له حتى اشتبه الصحيح بالموضوع . وقد حضر حرب داحس والغبراء^(١) فاحسن فيها البلاء وحمده مشاهده ، وفيها قتل ضحماً المري ابا حصين وهرم . ولذلك قال :

وَلَقَدْ خَشِيتُ بَأْنَ أُمُوتَ وَلَمْ تَذُرْ / لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى أَبْنِي ضَمَضَمِ
أَلَسَّاتِي عَرَضِي وَلَمْ أَشْتَهَمَا ، / وَالنَّاذِرِينَ ، إِذَا لَمْ أَلْقُهُمَا ، دَمِي^(٢)
إِنْ يَفْعَلَا ، فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا / جَزَرَ السَّبَاعِ وَكَلَّ نَسْرَ قَشَعَمِ^(٣)

عنه لعنه

واحب عبلة ابنة عمه مالك بن قواد ، فهاجت شاعريته واتسع خياله ، فنظم القصائد الطوال ، وازداد ظموحاً الى المعالي ، فجد في طلبها ، ليمحو ببيض فعاله سواد لونه . واني له ان يطمع فيها وهو عبد لم يعترف به ابوه ، وانكره ابناؤه ، فقامر لاجلها ولاقى اشد الاهوال حتى بلغ امنيته فألحقه ابوه بنسبه ، وزوجه عمه ابنته .

(١) راجع خبر هذه الحرب في بحث زهير بن ابي سلمى . (٢) الناذرين : من نذر الشيء على نفسه اوجبه . يقول : يوجبان على انفسها سفك دمي اذا لم ارها ، يريد انهما يتوعداه في حال غيبته فاما في حال الحضور فلا يتجامران عليه . (٣) جزر السباع : فريسة السباع . (القشع : النسر المسن . يقول : ان يشتاني ويتوعداني فلا بدع لاني قتلت اباهما .

اختلف بموته ، فقال ابن حبيب وابن الكلبي : « اغار غنطرة على بني نهبان من طي . ، فأطرد لهم طريدة وهو شيخ كبير ، فجعل يرتجز ، وهو يطردها ، ويقول :
حَظُّ بَنِي نَهْبَانَ مِنْهَا الْأَخْبَثُ كَأَنَّمَا آثَارُهَا بِالْحِثِّ
آثَارُ ظُلْمَانٍ بِقَاعٍ مُخَدَثٍ ^(١) »

وكان وزر بن جابر النبهاني في فتوة ، فرماه وقال : « خذها وانا ابن سلمى ! »
فقطع مطاه ^(٢) فتحامل بالرمية ^(٣) حتى اتى اهله فقال وهو مجروح :
وَإِنْ أَبْنُ سَلَمَى عِنْدَهُ ، فَأَعْلَمُوا ، دَمِي وَهَيْهَاتَ لَا يُرْجَى أَبْنُ سَلَمَى وَلَا دَمِي
إِذَا مَا تَمْشَى بَيْنَ أَجْبَالِ طِيٍّ مَكَانَ الثَّرِيَّا ، لَيْسَ بِالْمُتَهَضِّمِ ^(٤)
رَمَانِي ، وَلَمْ يَدْهَشْ ، بِأَزْرَقَ لَهْذَمٍ عَشِيَّةً حَلُّوا بَيْنَ نَعْفٍ وَمَخْرَمٍ ^(٥)

وقال ابن الكلبي : « وكان الذي قتله يلقب بالاسد الرهيص ^(٦) »

وذكر ابو عمرو الشيباني : « انه غزا طيئاً مع قومه ، فانهزمت عبس ، فخر
غنطرة عن فوسه ، ولم يقدر من الكبر ان يعود فيركب ، فدخل دغلاً ^(٧) وابصره
ربيئة ^(٨) طيء فتزل اليه ، وهاب ان يأخذه اسيراً ، فرماه وقتله . »
وقال ابو عبيدة : « انه كان قد اسن واحتاج ، وعجز بكبر سنه عن الغارات .
وكان له على رجل من غطفان بعر ، فخرج يتقاضاه اياه ، فهاجت عليه ريح من

(١) يقول : حظ بني نهبان من هذه الطريدة اخبت الحظوظ وكان اثار اقدامها وانا
اطردها امامي في الحثيث « موضع » اثار ظلمان في قاع ممد ومسوى تراه . والظلمان :
جمع ظليم وهو ذكر النعام . والقاع : ارض سهلة مطمئة انفرجت عنها الجبال والاكام .
(٢) المطا : الظهر . (٣) الرمية : السهم الذي رمي به . (٤) الثريا : سبعة كواكب في
عنق الثور ، والثور : اسم نجم . المتهضم : الذليل المقصوب . يقول : هو يتمشى في جبال
طيء غير ذليل ولا يقصب مكانه فكأنه في الثريا . (٥) لم يدهش : لم يتحير . الازرق :
السهم . اللهزم : الطويل الخاد . نف ومخرم : موضعان . (٦) الاسد الرهيص : الثابت
في مكانه ، والرهيص : الخائض المني : (٧) الدغل : الشجر الكثير اللثف . (٨) الربيعة :
طليعة الجيش ، وهو الذي يقف في مكان عال لمراقبة الاعداء .

صيف وهو بين شرح وناظرة^(١) فاصابته وقتلته . « على ان الرواية الاولى اشهر
الثلث . ومات عنتره بعد ان بلغ التسعين .

أما

ديوان شعر مشهور ، اصابه كثير من النحل لطول ما تداوله الرواة
والقصاصون . واكثره في الفخر والحماسة ، وذكر الوقائع ، والغزل العفيف بابنة
عمه عبلة ، وقليل منه في المدح والثناء . واشهر شعره المعلقة ، وهي السادسة بين
السبع الطوال . وكان السبب في نظمها ، ما روي من انه جلس يوماً في مجلس ، بعدما
كان قد ابلى ، وحسنت وقائمه ، واعترف به ابوه واعتقه ، فسابه رجل من بني
عبس ، وذكر سواده وسواد امه واخوته ، وانه لا يقول الشعر ، فسيبه عنتره وفخر
عليه وقال :

« وَاللَّهِ إِنَّ النَّاسَ لَيَتَرَفِدُونَ ^(٢) لِلطَّعْمَةِ ^(٣) فَمَا حَضَرْتَ أَنْتَ وَلَا أَبُوكَ
وَلَا جَدُّكَ مَرَّافِدَ ^(٤) النَّاسِ قَطُّ . وَإِنَّ النَّاسَ لَيَدْعُونَ فِي الْغَارَاتِ ،
فَيَعْرِفُونَ بِتَسْوِيمِهِمْ ^(٥) ؛ فَمَا رَأَيْتُكَ فِي خَيْلٍ مُغِيرَةٍ ، فِي أَوَائِلِ النَّاسِ قَطُّ .
وَإِنَّ اللَّبْسَ ^(٦) لَيَكُونُ بَيْنَنَا ، فَمَا حَضَرْتَ أَنْتَ وَلَا أَبُوكَ وَلَا جَدُّكَ
خُطَّةَ الْفُضْلِ ^(٧) . وَإِنَّمَا أَنْتَ فَقَعٌ بِقَرَقَرٍ ^(٨) . وَإِنِّي لَأَحْضِرُ اللَّبْسَ ^(٩) ،
وَأُوفِي الْمَغْنَمَ ، وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ ، وَأَجُودُ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي ، وَأَفْضِلُ
الْخُطَّةَ الصَّمَاءَ ^(١٠) . وَلَمَّا أَلْشَعْرُ فَسَتَعْلَمُ . »

- (١) شرح وناظرة : ماء ان لبني عبس . (٢) يترافدون : يتعاونون : (٣) الطعمة :
الدعوة الى الطعام . (٤) المرافد : مجامع الرغد اي العطاء . (٥) التسويم : الاغارة .
(٦) اللبس : الخبرة والتباس الامور واختلاطها . (٧) خطه الفضل : طريقة فصل الامور .
(٨) الفقع : الكماة الرخوة البيضاء . القرقر : الارض المنخفضة . ومن امثالهم : « هو
أذل من فقع بقرقر » . (٩) احضر البأس : جملة حاضر . البأس : الشدة على الحرب .
يقول : انه يجعل البأس حاضراً طوع امره . ويجوز ان يؤخذ البأس بمعنى الحرب على سبيل
المجاز فيكون المعنى : اني احضر الحرب . (١٠) الصماء : الصعبة كالصخرة الصماء .

ثم انشأ معلقته ، وكان لا يقول قبل ذلك البيتين او الثلاثة ، فتغزل في اولها ، ثم وصف ناقته ، ثم تخلص الى الفخر بشدة بأسه وذكر وقائعه . وكانت العرب تسميها الذهبية .

على اننا لا نطمئن الى زعم الرواة ان المعلقة اول قصيدة انشأها عنترة ، وانه لم يكن ينظم قبلها الا البيتين او الثلاثة . فلعلنترة قصائد كثيرة تقدمت المعلقة ، والرواة انفسهم يعترفون بها ويروونها له . وليس من المعقول ان تبقى قريحته خامدة عن نظم الشعراء طويلاً لا يؤثر فيها حب عبلة ، ولا الوقائع التي شهداها ، خصوصاً حرب داحس والغبراء وقد حضرها وابلى فيها البلاء الحسن ، وذكرها في معلقته . ومن المعلوم ان هذه الحرب انتهت حوالي سنة ٦٠٩ م ، اي قبل وفاة الشاعر ببضع سنوات . فسواء نظمت المعلقة بعد الحرب ، او في اثنائها ، فان عنترة كان متقدماً في السن لما انشأها . فكيف ينبغي لنا ان نسلم بما زعم الرواة ، وهم يذكرون للشاعر قصائد قيلت قبل هذه الحرب ، وقبل ان يعترف به ابوه ، ويوم كان يضربه بالعصا ضرباً مبرحاً حتي شفعت به سمية^(١) بعد ان شكته اليه ، فقال فيها شعراً جميلاً لا يصح ان يكون من اوائل نظمه . فكيف يصح ان تكون المعلقة اولى قصائده وهي « نادرة » كما وصفها ابن سلام في « طبقات الشعراء » ولم ينظمها الشاعر الا بعد ان كبر وعشق ولقي الاهوال ، فأخلق بقريحته ان تمتنع للشعر في هفوان الشباب ، بعوامل الحب والحامسة ، والجد في طلب المعالي ، لا ان يكون بدء ولادتها في خريف العمر او في شتائه . . .

هذا ولعلنترة قصة شهيرة سنأتي على ذكرها في العصر الذي جمعت فيه وهو العصر العباسي الثالث .

مبينة

عرفنا عنترة عبداً أسود ، احب ابنة عمه فلم يستطع الوصول اليها ، وهو غير حريص كره ابوه . وعرفناه فارساً مغواراً ، جري الفؤاد ، طامحاً الى المعالي . وعرفناه

(١) سمية : زوجة ابيه شداد .

كريمًا جواداً ، وحليماً سهلاً المخالقة ، وعفيفاً شريف النفس ايّهما ، لا يغمض على قذى^(١) فلا غرو ان تظهر جميع هذه الصفات على شعره ، ويكون لها اثر كبير فيه ، ولا سيما اثر ذلك النضال العنيف الذي اشتبك فيه من ناحية حبه وجده في طلب لمعالي . ومن ناحية اخرى عبوديته وسواد لونه ، فترك في شعره مرارة وألماً هما صورة لما في نفسه من ألم العبودية والحب ومرارة التعيير . وترك فيه ايضاً تلك الحماسة التي تتمثل بها شجاعته ونفسه الطموح .

غزله

لم يكن عنبرة ناعماً في حبه فتظهر آثار هذه النعمة على شعره ، بل كان شقياً تاعساً يطمع في عبلة ، فيبعده عنها والدها ، ويحاول استرضاءه فلا يجد الى ذلك سبيلاً . فكان اذا تغزل تألم وشكا . وليس في غزله غير شكوى وآلام . وحسبك ان تقرأ شيئاً منه حتى تبدو لك هذه الحاسة المحزنة ، وتتمثل لك حالة الشاعر في يأسه واشجانه . قال مستهلاً معلقته :

يَا دَارَ عَبْلَةٍ ، بِالْجَوَاءِ ، تَكَلِّمِي ، وَعَمِّي صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةٍ وَأَسْلِمِي^(٢)
دَارُ لَآئِسَةٍ غَضِيضٍ طَرْفُهَا ، طَوْعَ الْعِنَاقِ ، لَذِيذَةِ الْمُتَبَسِّمِ^(٣)
فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقِيً ، وَكَأَنَّهَا فَدَنُ ، لِأَقْضِي حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ^(٤)

(١) القذى : ما يقع في العين فيؤذيها . يقال : لا يغمض على قذى أي يأبى الذل والضم .

(٢) الجواء : موضع في نجد . والمشهور ان مطلع المعلقة :

هل غادرَ الشعراء من مُتَرَدِّمٍ أم هل عرفتَ الدارَ بعد نوم

(المتردم : المرقع . يقول : لم يترك الشعراء فناً من فنون الشعر الا طرقوه ، والاستفهام هنا انكاري . ثم اضرب عن هذا الكلام وأخذ في فن آخر فقال مخاطباً نفسه : هل عرفت دار حبيبك بعد أن تفرست فيها ، وأم هنا بمعنى بل . ولا يخفى ما في هذا البيت من الاضطراب وعدم الالتحام بين الصدر والعجز ، لذلك فضلنا ان نبشئ بالبيت (الثاني) ، ولا سيما ان كثيراً من الأئمة الاقدمين يعدونه مطلع المعلقة ، كالأصمعي وابن سلام وابن عبد ربّه)

(٣) الآئسة : الجارية التي تأنس بك . الغضيض : القاتر الاجفان . المتبسم : صفة لموصوف

مخدوف اي الغم المتبسم . (٤) الفدن : القصر . المتلوم : المنتظر . يقول : فحبست ناقتي فيها لأقضي حاجتي التي انتظر . . وشبهه ناقتة بالقصر في عظم جرمها .

وَتَعْلُ غَيْلَةً بِالْجَوَاءِ ، وَأَهْلَنَّا
 حَيْثَ مِنْ طَلَلٍ ، تَقَادِمَ عَهْدُهُ ،
 تَحَلَّتْ بِأَرْضِ الزَّائِرِينَ ، فَأَصْبَحَتْ
 عُلُقَتُهَا عَرْضًا ، وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا
 وَلَقَدْ تَرَلَّتْ ، فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ ،
 إِنْ كُنْتُ أَرْمَعُ الْفِرَاقَ ، فَإِنَّمَا
 مَا رَاغِي إِلَّا حَمُولَةُ أَهْلِهَا

ومن قوله :

أَعَاتِبُ دَهْرًا لَا يَلِينُ لِإِنَاصِحٍ ،
 وَقَوْمِي مَعَ الْأَيَّامِ عَوْنٌ عَلَى دَمِي ،
 وَقَدْ أَبْعَدُونِي عَنْ حَيْبِ أُحْبَةٍ ،
 وَقَدْ هَانَ عِنْدِي بِذُلِّ نَفْسٍ غَزِيرَةٍ ،

وله :

بَيْنَ الْعَلِيقِ ، وَبَيْنَ بُرْقَةِ تَهْمِدٍ ،
 طَلَلٌ لِعَبْلَةٍ مُسْتَهْلٍ الْمَهْمَدِ (١١)

(١) الجواء والحزن والصمان والمثلث : أسماء مواضع . (٢) اقوى : خلا من سكانه .
 أم الهيثم : كنيمة عبلة . (٣) الزائرين : الاعداء جعلهم يزأرون زئير الاسد . يقول :
 تزلت الحبيبة بأرض الاعداء ففسر علي طلبها . وانتقاله من الغائب الى المخاطب صورة بيانية
 جميلة تعرف بالالتفات . (٤) علقتها : احببتها . عرضاً : فجاءة من غير قصد . زعماً :
 طمعاً . بمزعم : بطمع . يقول : احببتها وانا اقاتل قومها ، ثم قال : لعمر أبيك اني اطمع
 في حبك طمعاً لا موضوع له . (٥) غيره : أي غير المحب المكرم . (٦) أرمع : عزم . زومت :
 شددت . ركابكم : ابلحكم . يقول : ان عزمت على الرحيل فاني شعرت بزم ابلحكم في ليل مظلم .
 (٧) راغني : افزعني . الحمولة : الابل . تسف : تأكل . الحميم : بقلة لها حب اسود . يقول :
 ما اخافني الا استغاف اهلها حب الحميم وسط الديار فعلمت ان المرعى انقضت مدته وحسان
 الرحيل . (٨) القنا : الرماح . الصفائح : السيوف . (٩) نازح : بعيد . (١٠) الجوانح : الاضلاع
 تحت الترائب مما يلي الصدر سميت بذلك لانخائها وميلها ، واحدها جانحة . (١١) العقيق :

يَا مَسْرَحَ الْأَرَامِ فِي وَادِي الْحِمَى !
 فِي أَيْمَنِ الْعَلَمِينَ دَرَسُ مَعَالِمِ .
 مِنْ كُلِّ فَاتِنَةٍ تَلَقَّتْ حَيْدُهَا
 عَيْلَ كَمْ يُشْجِي فُؤَادِي بِالنَّوَى ،
 كَيْفَ السُّلُوكُ ؟ وَمَا سَعَيْتُ حَمَائِمًا
 وَلَقَدْ حَبَسْتُ الدَّمْعَ لَا بُخْلًا بِهِ ،
 وَسَأَلْتُ طَيْرَ الدُّوْحِ : « كَمْ مِثْلِي شَجَا
 نَادِيَّتُهُ ، وَمَدَامِعِي مُنْهَلَةٌ :
 لَوْ كُنْتُ مِثْلِي مَا آسَيْتُ مَلُونًا ،
 هَلْ فِيكَ ذُو شَجْنٍ يَرُوحُ وَيَقْتَدِي ؟ »^(١)
 أَوْهِيَ بِهَا جَلْدِي ، وَبَانَ تَجَلْدِي^(٢)
 مَرَحًا ، كَسَالِفَةِ الْغَزَالِ الْأَغْيَدِ^(٣)
 وَيَرُوعُنِي صَوْتُ الْغُرَابِ الْأَسْوَدِ !^(٤)
 يَنْدُبُنْ ، إِلَّا كُنْتُ أَوَّلَ مُنْشِدِ^(٥)
 يَوْمَ الْوَدَاعِ ، عَلَى رُسُومِ الْمَعْهَدِ^(٦)
 بِأَنِينِهِ ، وَحَنِينِهِ الْمُرْتَدِّدِ ؟^(٧)
 « أَيْنَ الْحَيِّ مِنْ الشَّجِيِّ الْمَكْمَدِ ! »^(٨)
 وَهَتَفْتُ فِي غُصْنِ النَّقَا الْمَتَاوُدِ^(٩)

الوادي ، واسم موضع . البرقة : ارض ذات حجارة وطين . شهيد : مكان في نجد . مستهل : منهل . المعهد : المطر يأتي بعد مطر .

(١) المسرح : المرعى . الارام : الظباء ومفردها رثم . يقول : هل فيك ذو شجن مثلي يروح ويقتدي ، أي هل في ظبائك . (٢) العلمين : الجبلين . الدرس : الطريق الخفي . المعالم : ما يستدل به على الطريق من اثر ونحوه . أوهي : أضعف . الجلد : القوة والصبر . على الامور . بان : غاب وبعد . تجلدي : فكلفني القوة والصبر . يقول : في الجهة اليمنى من الجبل آثار طريق خفي ، وقفت استدلل بها على ديارهم فخارت قواي من الجزع وغاب عني صبري وتكلفتني القوة . (٣) جيدها : عنقها . مرحاً : تبحرّاً واختيالاً وبطراً . السالفة : صفحة العنق وفناحية مقدمها من لدن معلق القرط الى الترقوة . الاغيد : المائل العنق اللين الاعطاف ويستحب ذلك منه . يقول : كان في هذه الديار كل مليحة فاتنة يتلفت عنقها تبحرّاً وبطراً كأنه في تلفته صفحة عنق الغزال الاغيد . (٤) النوى : البعد . وصوت الغراب عند العرب شوّم نذير بفرق الخلان . (٥) يقول : كيف لي ان اسلك يا عبلة وانا كلما سمعت حماسة تنوح على الفها تذكرتك وكنت اول من ينوح معها . (٦) المعهد : المثل . يقول : حبست دمي يوم وداعها ونحن واقفان على رسوم المثل ، ولم احبسه بخلاً به ولكن حذراً . ان ينم بي ويفضح امري . (٧) الدوح : الشجر . شجا : احزن وأطرب من الازداد . الحنين : الاشتياق وشدة البكاء ، وصوت الطرب عن حزن او فرح . يقول : وسألت طير الدوح كم احزن او اطرب مثلي من العشاق باينته وحنيه المتردد . وقد اكنفى بارجاع الصفة في « المتردد » الى احد الموصوفين لعدم الالتباس . (٨) يتمثل بقولهم : اين الحي من الشجي ، أي اين خلي الفؤاد من حزينه . (٩) النقا : قطعة من الرمل تنقاد محدودبة . المتأود :

رَفَعُوا الْقِيَابَ عَلَى وُجُوهِ أَشْرَقَتْ
وَأَسْتَوْقَفُوا مَاءَ الْغُيُونِ ، بَاعَيْنِ
قَالُوا : «الَلْقَاءُ غَدًا بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى»
بَيْنَ الطَّلُولِ ، مَحَتْ نُقُوشَ الْمِبْرَدِ (٤) إِذَا رَدَدْتُهَا

ألا ترى في هذا الغزل المحزن عاطفة صادقة كل الصدق في تصوير آلام صاحبها
ويأسه ؟ وما أشد ألمه ويأسه عندما يطلب ابنة عمه فيجدها في ارض أعدائه ،
في ارض من يقاتلهم ويقتلهم ، فيقول : احبك ، واقتل قومك ، واطمع فيك
وليس لي من مطمع . وينظر الى نفسه ، فيرى انه وحيد تحلى قومه عنه ، وجاروا
عليه ، وابعدوه عن حبيب يحبه فيقول : « وقومي مع الايام عون على دمي » .
ويتملكه اليأس فيهون عليه بذل نفسه العزيزة ، غير آسف عليها . وهو متطير
بروعه صوت الغراب ، وشجي يبيكيه نوح الحمام ، وجزوع فارغ الصبر ، لا يقوى
على انتظار اللقاء في الغد . واطول شوق المستهام الى غدا و اوصيك ان تنقبه
الى وصفه انفاسه الحارة بين الطلول ، وقوله : « تحت نقوش المبرد ! . . . »

ملاحظة

ولم ترافق عبلة عنترة في شعره الغزلي وحده ، بل رافقته في شعره الحماسي
ايضا ، وكثير ذكرها في هذا كما ذكرها في ذاك . ولا بدع ان ترافقه في فخره

الماتيل . يقول مخاطباً حمام الدوح : لو كنت حزيناً مثلي لما بقيت مزيناً بالوان ريشك وغنيت
على غصن الرمل الماتيل .

(١) القياب : الخيام ، وهنا بمعنى الموادج ، مفردها قُبَيْة . السهى : كوكب خفي .
الفرقد : نجم . وهما فرقدان . يقول : رفعوا الموادج ساعة الرحيل على نساء اشرقت وجوها
فحجبت انوار النجوم . (٢) الاثمد : الكحل . يقول : رفعوا الموادج للرحيل واستوقفوا
دمع عيوننا باعين فتيات نظرن الينا ملتصحات عدم البكاء خوف الفضيحة ، فاطعننا كأن
عيونهن في سلطانها كحلت بالسحر لا بالأثمد . (٣) المنعرج : المنعطف يئنه ويسرة . اللوى :
ما التوى من الرمل . (٤) يقول : وتحسب انفاسي ، وانا ارددها بين طلوع الحبيبة بعد رحيلها ،
انها لشدة حرارتها لو سقطت على مبرد لاذابت نقوشه ومحتها .

وحماسة وذكر حروبه ، فلما هو يفتخر ويغامر من أجلها . وإذا لم يكن لديه من
الجمال وكرم المحند ما يشفع به اليها ، أفلا يسعى لارضائها بوصف شجاعته ، وجوده ،
وعفته ، وذكر وقائمه ومشاهده ؛ حتى إذا ذكرها في مجلس تستطيع ان ترفع
رأسها به . وهنا يبدو لك اثر النضال العنيف بين حبه ، وسواد لونه ، وضعة نسبه .
قال في معلقته يفتخر ببطشه ، وحسن اخلاقه وابائه ، وشربه الخمر ، وكرمه في
حالي السكر والصحو :

- (١) إِنْ تُغْدِي دُونِي الْقِنَاعَ ، فَإِنِّي طَبُّ بِأَخَذِ الْقَارِسِ الْمُسْتَلِمِ .
 (٢) أَتَيْتُ عَلِيَّ بِمَا عَلِمْتُ ، فَإِنِّي سَمِخٌ مُخَالَفَتِي ، إِذَا لَمْ أَظْلَمْ .
 (٣) فَإِذَا ظَلِمْتُ ، فَإِنْ ظُلِمِي بِاسِلٌ ، مَرَّ مَذَاقَتُهُ ، كَطَعْمِ الْعَلَقَمِ .
 (٤) وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ ، بَعْدَمَا رَكَدَ الْهَوَاجِرُ ، بِالْمَشُوفِ الْمَعْلَمِ ،
 (٥) بَزْجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أُسْرَةٍ ، قُرِنَتْ بِأَزْهَرِ فِي الشَّمَالِ مُقَدَّمِ .
 (٦) فَإِذَا شَرِبْتُ ، فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي ، وَعَرَضِي وَافٍ لَمْ يُكَلِّمْ .
 (٧) وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصِرُ عَنْ نَدَى ، وَكَمَا عَلِمْتُ شَمَائِلِي وَتَكَرُّمِي .

(١) تغدي : ترخي . المستلم : اللابس اللامعة وهي الدرع : يقول : ان ترخي قناعك
دوني وتستري مني فكيف اعجز عن اخذك وانا لا اعجز عن اخذ الفرسان الدارعين .
(٢) سميخ مخالفتي : سهل مخالطتي . (٣) باسل : هنا بمعنى كريبه . العلقم : الحنظل (الذي
ادركت مرارته . (٤) ركد : سكن . الهواجر : اشد اوقات النهار حرًا . المشوف :
المجلو . وقوله : المشوف المعلم : اي الدينار . يقول : شربت بعد ما سكنت هواجر النهار ،
من خمرة اشتريتها بالدينار ، والعرب تفتخر بشرب الخمر ولعب الميسر لأنها من دلائل الجود
عندها . (٥) بزجاجة : الباء متعلق بشربت . ذات أسرة : ذات خطوط ومفردها سرار .
بأزهر : بابر يق اذهر أي ايض . في الشمال : اي مبرد في ربيع الشمال . ومنه المشولة :
وهي الخمرة المبردة في ربيع الشمال . مقدم : مسدود بالقدم وهو مصفاة تجمل على فم
الابريق ليصفى بها ما فيه . (٦) لم يكلم : لم يجرح . (٧) الندى : الجود . شائلي :
اخلاقي ، ومفردها شال . يقول : اذا شربت فاني استهلك مالي ، ثم احترس فقال : لكنني
احافظ على عرضي فيظل وافرًا لا يجرحه احد . ثم استدرك في البيت التالي لئلا يقصر جوده
على السكر فقال : واذا صحوت فلا أقصر عن ندى . وقد اجمع الرواة الاقدمون على تقديم

فقد رأيت كيف مجيد ذكر شأئله ليستميل اليه عبلة ، وينسبها سواد لونه ؛
 فقد وصف نفسه باحسن الحلال واشرفها . وانظر اليه الآن كيف يصف لها بلاءه
 في الحروب ، طالباً ان تسأل عنه من شهد الواقعة فيخبرها بفعاله . ويتخذ لذلك اسلوباً
 قصصياً رائعاً ، يجعل به قرنه اشد الفرسان ، تتحاماه الابطال وتترك لقاءه ، ويجعله
 كريم الاصل نبيلاً ، ليظهر فضله في التغلب عليه ، ثم يجود له بستان رحه او يعاوه
 بشفرة سيفه قال :

هَلَّا سَأَلْتَ الْخَيْلَ يَا بَنَّةَ مَالِكٍ ۖ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تُعْلَمِي ۖ
 يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ أَنَّنِي ۖ أَغْشَى الْوُغَى ، وَأَعْفُ عِنْدَ الْمُغْتَمِ (١)
 وَمُدْجِجٌ ، كَرِهَ الْكُمَاةَ نَزَالَهُ ، لَا تُنْعِنُ هَرْبًا ، وَلَا مُسْتَسْلِمَ (٢)
 جَادَتْ لَهُ كَفِّي بِعَاجِلِ طَعْنِهِ ، بِمُتَّقِفِ صَدَقِ الْكُعُوبِ ، مُقَوِّمِ (٣)
 فَشَكَّتُ بِالرَّمْحِ الْأَصْمِ ثِيَابَهُ ، لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ (٤)
 فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشُتُهُ ۖ يَفْضُنُ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالْمِغْصَمِ (٥)

هذين البيتين في باهما . وعيب على طرفه في هذا المعنى قوله مفتخراً بقومه :

فَإِذَا مَا شَرِبُوهَا وَانْتَشَوْا وَهَبُوا كُلُّ أُمُوسٍ وَطَمِيرٍ
 ثُمَّ رَاحُوا ، عَبَقَ أَرْلَسُكَ رِجْمٍ يُلْحِفُونَ الْأَرْضَ هُدَابَ الْأَزْرِ

فذكر اخم يعطون اذا سكروا ولم يشترط ذلك في صحوهم كما فعل عنتره

(الامون : المطية التي يوئمن عثارها . الطمير : الفرس الجواد او المستعد للوثب والعدو .
 يلحفون الارض : اي يجرون عليها هُدَابَ أزرهم اختيلاً . وهُدَابُ الازر : اطرافها .
 والازر جمع ازار : وهو الملحقة وكل ما سترك)

(١) يخبرك : مضارع مجزوم لانه جواب الطلب وهو قوله : هل سألت . أعف عند
 المغنم : اي يترك نصيبه من الغنائم فلا يأخذه . وما احسن ما ينسب اليه في ما يشبه ذلك :
 لي النفوس وللطير اللحوم ولا وحش العظام وللخيالة السلب

(٢) المدجج : التام السلاح . الكماة : الابطال . لا تمنع هرباً : أي لا يقاعد هرباً .
 ونسب هرباً على انه مفعول لاجله . (٣) بمتقف : برمح مقوم . صدق الكعوب : اي صلبها .
 والكعب : عقد الانابيب . (٤) الاصم : الصلب المتين . ثيابه : أي جسمه الحال في
 ثيابه وهو مجاز مرسل . وقوله : ليس الكريم على القنا بمحرّم : اي ان قرنه رجل كريم
 ولكن اجسام الكرام غير محرمة على الرماح . (٥) الجزر : الشاة المذبوحة . وقوله : جزر

واليك هذه الصورة البديعة التي يصف بها احدى معاركه فيرينا الابطال
تتقي به الاسنة ، وتحته على الاقدام ، والاعداء تلهج باسمه مشرعة رماحها الى صدر
جواده ، فاذا هو ركن المعمة وقوامها ، وحجر رجاها وثقالها :

وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضُّعَى ، إِذْ تَقْلَصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الْقَمِ ، ^(١)
فِي حَوْمَةِ الْحَوْبِ الَّتِي لَا تَشْتَكِي عَمْرَاتِهَا الْإِبْطَالَ ، غَيْرَ تَغْمُغُ ، ^(٢)
إِذْ يَتَقَوْنَ بِي الْأَسِنَّةُ ، لَمْ أَخْمُ عَنْهَا ، وَلَكِنِّي تَضَاقِقُ مُقَدِّمِي ^(٣)
لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ ، يَتَذَامُرُونَ ، كَرَرْتُ غَيْرَ مَذْمُومٍ ^(٤)
يَدْعُونَ عَنَّتْ ، وَالرَّمَاحُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ بَشَرٍ ، فِي لَبَانِ الْأَدْهِمِ ، ^(٥)
مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثَغْرَةٍ نَخْرُهُ ، وَلَبَانُهُ ، حَتَّى تَسْرِبَلُ بِالْدَمِ ^(٦)
فَازْوَرَّ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا ، فَزَجَرْتُهُ ، فَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ ، وَتَحَمَّجُمُ ^(٧)

الصباح : اي فريسة السباع . ينشئه : يتناولنه . يقضمن : يأكلن ويكسرن باطراف اسنانهن .
البنان : اطراف الاصابع . المعصم : موضع السوار من الساعد . وقوله : حسن بنائه
والمعصم : كناية عن قنعه وترف عيشه . وهو تأكيد لقوله في البيت السابق انه رجل كريم

(١) الوصاة : الوصية . تقلص : تقصّر . وضح القم : الاسنان . يقول : حفظت
وصية عمي باقتحام القتال في اشد احوال الحرب وهي حال تقلص الشفاه عن الاسنان . أي
عندما تكسر الابطال فرقاً من الحرب وتضايقاً منها . (٢) حومة الحرب : معظما . غمرات
الحرب : شدائد ما التي تغمر اصحابها اي تغلب قلوبهم وعقولهم . التغمغم : صباح ولجب لا يفهم
منه شيء . يقول : اذ تقلص الشفتان في ساحة الحرب التي لا تشكو فيها الابطال الا يجلبسة
وصباح غير مفهومين . (٣) يتقون بي الاسنة : يجملوني وقاية لهم منها . لم أخم : لم اجبن
ولم اتأخر . المقدم : موضع الاقدام . يقول : حين اتقى بي الابطال اسنة اعدائهم لم اجبن
عنها ولم اتأخر ، ولكن تضايق موضع اقدامي لتألب الفرسان علي يريدون قتلي . وروى ابو
زيد القرشي والاعلم : ولو اني تضايق مقدمي . (٤) يتذامرون : يحض بعضهم بعضاً على القتال .
ويريد بالقوم : الاعداء . غير مذموم : غير مذموم . (٥) الاشطان : الحبال ومفردها
شطن . اللبان : الصدر . الادهم : صفة فرسه . يقول : رماح الاعداء ممدودة الى صدر
فرسه كأنها حبال البشر . (٦) الثغرة : النقرة بين الترقوتين . يقول : ما زلت ارمي الاعداء
بنحر جوادي وصدره حتى تخضب بالدم ، وصار الدم له بمنزلة السربال وهو الثوب ، أي عم
جسده عموم السربال بالجد لا بسبه . يقال : تسربل : لبس السربال . (٧) ازور مال واعرض .

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمُخَاوَرَةُ أَشْتَكَى ، وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ ، مُكَلِّمِي ^(١)
 وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا ^(٢) قِيلُ الْفَوَارِسِ : وَيَكْ عَنَتَرٌ ، أَقْدِمَا ^(٣)
 وَالْحَيْلُ تَقْتَحِمُ الْجَبَارَ عَوَابِسًا ، ^(٤) مِنْ بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمٍ ^(٥)

ولا ارى حاجة الى التنويه بجمال هذه الابيات ، ولا سيما التي صور فيها شكوى
 فوسه . غير اني اريد منك ان تنظر الى قوله : « ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها »
 واي شفاء احب الى نفسه من ان تلوذ به الفوارس في حومة الحرب ، وتلقي آمالها
 عليه فتقول له : « ويك عنتر اقدم ! » ولطالما كانوا يعيرونه أمه وسواده واعتلال
 نسبه ، فاصبحوا الآن يتقون به الاسنة في الوغى .

ولا بد لنا ، لكي نظهر في شعر عنتر خاصة الدفاع عن لونه ونسبه ، من ان
 نلجأ الى غير المعلقة ، الى الاشعار التي نظمها في الرد على معييره ، وعندئذ تم لنا
 صورة ذلك النضال الذي تكلمنا عليه ، وبان لنا شي كثير منه .

قال ابو عمرو الشيباني : « غزت بنو عبس بني تميم وعليهم قيس بن زهير ،
 فانهزمت بنو عبس وطلبتهم بنو تميم . فوقف لهم عنتر ولحقهم كوكبة ^(٦) من الحيل
 فحامي عنتر عن الناس فلم يُصَبْ مُدْبِر . وكان قيس بن زهير سيدهم ، فسأه
 ما صنع عنتر يومئذ ، فقال حين رجع : « والله ما حمى الناس الا ابن السوداء . »
 وكان قيس اכולاً فقال عنتر يفتخر ويعرض به :

إِنِّي أَمْرُوٌّ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنَصِبًا شَطْرِي ، وَأَحْمِي سَائِرِي بِالْمَنْصُلِ ^(٧)

زجرته : صحت به ودفعته . هذه رواية ابي زيد القرشي . وروى الاعلام والخطيب والزوزني :
 « فازور من وقع الغنى بلباسه » . التخمم : صهيل الفرس ما كان له شبه حنين ليرق
 صاحبه له . يقول : قال فرسي واعرض مما اصابه من رماح الاعداء فصحت به وسقته فشكا
 الي باكيًا محمحمًا ، أي نظرا اليه ومحمم ليرق له .

(١) المخاورة : المخاطبة . يقول : لو قدر على المخاطبة لشكا الي ما اصابه من الجراح .
 وروى الاعلام العجز هكذا : « او كان يدري ما جواب تكلمي » . (٢) قيل : قول .
 ويك : ويك . (٣) الخبر : الارض اللينة المسترخية التي لا يأمن السائر فيها من ان
 تفوس فيها ارجل دابته . وفي المثل : من تجب الخبر أمن العثار . ورواية ابي زيد القرشي الغبار .
 الشيطمة : الفرس الطويلة . والذكر شيطم . الاجرد : القصير الشعر (٤) الكوكبة : الجماعة (٥) يقول

وَإِذَا أَلْكَ كَتِيبَةً أَحْجَمْتُ وَتَلَاخَطْتُ ،
 إِذْ لَا أَبَادِرُ فِي الْمَضِيقِ فَوَارِسِي ،
 وَالْقَيْلُ تَعْلَمُ وَالْفَوَارِسُ أَنِّي
 وَلَقَدْ أَيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلُهُ ،

ومن ذلك ما ينسب إليه :

إِنْ كُنْتُ فِي عَدَدِ الْعَيْدِ ، فَهَتَيْ
 أَوْ أَنْكَرْتُ فُرْسَانُ عَبْسٍ نِسْبَتِي ،
 وَبَذَا يَلِي ، وَمُهَنْدِي نِلْتُ أَعْلَى ،

وقد يفتخر بأخواله نكابة بعمريه فيقول :

وَأَنَا الْمُجَرَّبُ فِي الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا ،
 مِنْ آلِ عَبْسٍ ، مَنْصِيٍّ وَفَعَالِي ^(٨)

إني امرؤ نصف نسبي من والدي وهو خير بني عبس مكانة ، وأما الباقي من نسبي الذي انتمى به إلى أمي فأحميه وأشرفه بمنصلي أي سيفي . وقوله سائري أي : الباقي مني .

(١) الكتبية : القطعة من الجيش مجتمعة . أحجمت : تأخرت . تلاخطت : صار يلاحظ بعضها بعضاً مما تزل بها من الضيق والشدة . القيت : وجدت . معم مخول : كريم الاعمام والاخوال . يقول : إذا حمي وطيس الحرب وتأخر الجيش وصار الفرسان يلاحظ بعضهم بعضاً مما تزل بهم من الضيق ، وأجدت في أقدامي وبلائي ، خيراً من رجل كريم الاعمام والاخوال أي من رجل أبوه وإمه من بني عبس وبريد به قيس زهير . (٢) الرعيل : القطعة القليلة من الجيش . يقول : لا استبق فوارسي إلى الحرب واتركهم في الشدة والضيق ، ولا أكون في القطعة من الجيش التي تنصرف قبل غيرها من ساحة الحرب . (٣) فيصلي : سيفي . (٤) الطوى : الجوع . يقول : لست كمن يعيش ليأكل ولو كان الذل وراء طعامه ، ولكنني أبيت على الجوع وأبقى عليه حتى أنال كريم المأكول . وهذا البيت وما قبله تعريض بقيس بن زهير سيد بني عبس ، لأنه كان أكلواً ، وكان في جملة المهزومين . (٥) الثريا : سبعة كواكب في عنق الثور . (الساك) الأعزل : اسم كوكب نير في جهة الجنوب . وهما ساكان : الأعزل والرامح . (٦) قوله : يقرئ لي ، على تقدير : فسنان رُمحي يقرئ لي والحسام كذلك ، فاستغنى برد الضمير إلى أحد السابقين وهو تركيب غير مستنكر ولا سيما في الشعر . (٧) الذابل : صفة للرمح المستدق . المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . الاجزل : الأعظم . وبريد بالعديد الاجزل : كثرة الجيش والانصار . (٨) الفعمال : كريم الفعل والاخلاق .

مِنْهُمْ أَيْ حَقًّا ، فَهُمْ رِي وَالِدٌ ، وَالْأُمُّ مِنْ حَامٍ ، فَهُمْ أَخَوَا لِي ^(١)
ثم يُفْرط في حماسه فيقول :

وَأَنَا الْحَمِيَّةُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا ، وَالطَّغْنُ مِنِّي سَابِقُ الْأَجَالِ ^(٢)

اما الان وقد اتضحت لنا ميزة الشاعر الفارس ، بما فيها من ألم ومرارة ، وعرفنا طرقة في استرضاء عيلة ، وفي فخره وحماسه ووصف وقائعه ، والدفاع عن نسبه ، والرد على معييره ؛ فلا ينبغي لنا ان نفعل عن تلك العذوبة التي نتذوقها في شعره فانه مثنام في الرقة على غير ضعف ، سهل العبارة على غير اسفاف . ولا نعجب لوجود هذه الرقة في شعر عبد اسود خشن العيش ، هائل المنظر ؛ بل يجب ان ننظر الى اخلاقه الحسنة ، وتأثير الحب فيها ؛ فانما شعره صورة لنفسه .

مُرْنَةُ

لعنترة منزلة عالية في الشعر ، كما له منزلة عالية في الفروسية . وهو من الشعراء الذين يتنازع الرواة فيهم التقديم والتأخير . فقد روى الاصمعي عن ابن ابي طرفة قوله : « كفاك من الشعراء اربعة : زهير اذا رغب ^(٣) والنابعة اذا رهب ^(٤) ، والاعشى اذا طوب ^(٥) ، وعنترة اذا كلب ^(٦) » ولمعلته قيمة ادبية ، لم يبخسها حقها الادباء الاقدمون . فان ابن سلام وصفها بقوله « قصيدة نادرة » ، وقال ابن رشيقي : « وقول عنترة : « هل غادر الشعراء من متردم . » يدل على انه يعد نفسه محدثاً ، قد ادرك الشعر بعد ان فرغ الناس منه ، ولم يغادروا له شيئاً . وقد اتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه اليه متقدم ، ولا نازعه اياه متأخر . »
ونحن يمكننا ان نختم هذا البحث بقولنا : عنترة في المعامع سيد الفرسان ، وعنترة في الحماسة سيد الشعراء . . .

(١) بنو حام : يراد بهم السودان . (٢) سابق الاجال : أي ان طغنه يجعل الاجال المكتوبة لآعمار الناس تسبق اوضاعه . (٣) رغب : أي رغب في المدح . (٤) رهب : خاف . لانه نظم احسن قصائده وهو طريد خائف من النعمان . (٥) لانه كان يشرب ويطرب ويتفنى بشعره . (٦) كلب : غضب .

الحرث بن حلزة

(القرن السادس)

- حياته : من وجوه العراق . ينتمي الى ربيعة . عرف بالدهاء والرزانة . دافع عن البكرين يوم التقاضي بعد ان طرد خطيبهم النعمان . به برص ، ضربت دونه سبعة ستور . اعجاب الملك وأمه بالقصيدة . رفع الستور السبعة ، وجلس الحرث قرب الملك واكله معه . القصيدة لم ترتجل ارتجالاً .
- مبالغات الرواة وتنافسهم ، واندفاعهم مع ميولهم . عمّر الحرث كمحرو ابن كلثوم
- آثاره : قليلة كأخباره . أهمها المعلقة وهي السابعة والاخيرة
- ميزته - المعلقة : قوة المعارضة . الدهاء السياسي . ارتجاله بعضها . هو كالمعجمي يحتاج الى شيء يشده ساعة الدفاع . غزله ووصف ناقته التي يشبهها بالنعامة . يقتصد في الغزل كاتصاده في وصف الناقة . رده وفخره . نعمته في بسط شكوى الاراقم . رده على عمرو بن كلثوم . دحض شكايي التغليبين والقاؤه تبعة الحرب عليهم . اسلوبه الناعم الموجه في تعييرهم . يذكر انكسار اتهم زاعماً انهم يطالبون بها قومه . استرضاء عمرو بن هند . آياته الثلاث . تنسيق دفاعه . الفوائد التاريخية عن ايام العرب . كثرة الایجاز . مترلته : مثال للشعر الخطابي والشعر السياسي في الجاهلية

حياته

هو ابو ظالم الحرث بن حلزة^(١) بن مكروه بن يشكر البكري من وجوه قومه في العراق ينتهي نسبه الى ربيعة . وكان حكيماً زليناً ، حسن المصانعة ، يجابه الخطوب بهدوء وروية ، وهو الذي دافع عن بني بكر يوم التقاضي في حضرة الملك

(١) الحَلْزَة : اسم دويبة تكون في صدف ، واسم للبومة ، والذكر حلز . ويقال : امرأة حلزة للقصيرة والبخيلة . والحلز : الشيء الخلق . وقال قطرب : حكي لنا ان الحلزة ضرب من النبات ولم نسمع فيه غير ذلك . اما سبب تسمية والد الحرث بالحلزة فلم يذكره احد من رواة اخباره .

عمرو بن هند ، بعد هلاك التغلبين في ارض بني شيان ، كما ذكرنا في كلامنا على عمرو بن كلثوم . وقد علمنا ان النعمان بن هرم كان يومئذ خطيب البكرين ، وهو رجل اصم اصلع من شيوخ بكر ، من بني ثعلبة بن غنم بن يشكر .

فلما دخل النعمان على عمرو بن هند ، تحرش به عمرو بن كلثوم قائلاً : « يا اصم ، جاءت بك اولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك . » قال : « وعلى من اظلت السماء يفخرون ، ثم لا يُنكر ذلك . » قال عمرو : « والله لو لطمت لك لكمة لما اخذوا لك بها . » فقال النعمان : « والله لو فعلت ما أفلت بها انت و من فضلك . » فغضب عمرو بن هند من هذا التعريض وكان يفضل بني تغلب على بني بكر . فرمى النعمان بكلمة قارصة فرد عليه بأشد منها ، فتلظى الملك غيظاً وطرده من حضرته .

لا يصح

فوقف عند ذاك عمرو بن كلثوم وانشد قصيداً من معلقته ، ولكنه لم يحسن اصطیاد الفرص ، فقد بالغ في فخره حتى جاوز الحد ، ولم يرعَ حرمة الملك فعرّض به حاسباً انه نال المرام من خصومه البكرين بعد ان طرد خطيبهم . واذا بالحرث ابن حلزة يصدمه بمعلقته ، فيصلح بها ما افسد النعمان .

وكان ابن حلزة شاعر بكر ، قد اعد قصيدة لهذا اليوم ورواها جماعة من قومه ، فلما قاموا بين يديه لم يرضه انشادهم ، فقال : « اني لا ارى احداً يقوم بها مقامي ، لكن اكره ان اكلم الملك من وراء سبعة ستور ويُنضح^(١) اثري بالماء اذا انصرفت عنه . » وكان الحرث به وضح^(٢) ، فأشفق من ان يفعل به الملك ما يفعل بسائر البرص ، وقد جرت له عادة بذلك لكبريائه وعظم سلطانه . وقيل : بل هي عادة العرب في ذاك العصر .

فلما طرد النعمان بن هرم ، وانشد ابن كلثوم قصيدته ، خاف الحرث على قومه وقال : « انا محتمل ذلك . » وقيل للملك ان به وضحاً ، فأمر بان تمد بينه وبين الحرث سبعة ستور ، فنجعلت . وانشد الشاعر معلقته وهو يرتجف غضباً ، وكان متوكئاً على عنزة^(٣) فأثرت في جسده دون ان يشعر لشدة غيظه . وبالغ الرواة في

(١) ينضح : يفسل . (٢) وضح : برص . (٣) عنزة : رمح صغير فيه هديدة .

هذه العترة ، حباً للاغراب ، فزعم ابن السيد في « ادب الكتاب » انها ارترت^(١) في جسده . وزعم بعضهم ان العترة كانت قوساً ، فاقتطعت^(٢) كفه وهو لا يشعر من الغضب .

ونحن نرى ان الرواة لا يقتصرون على الاغراب في قصتهم ، بل يُغربون ايضاً في الفاظها ، اعظماً لها ، فهم يستعملون ارترت بدلاً من غرز ، واقتطم بدلاً من اقتطع ؛ وفي ذلك ما فيه من التفنن والفكاهة .

وكان لقصيدة الحرث وقع حسن في نفس الملك فاعجب بها ، وكانت امه هند تسمع ، فقالت لابنها : تالله ما رأيت كاليوم قط رجلاً يقول مثل هذا القول ، يكلم من وراء سبعة ستور . « فقال الملك : « ارفعوا ستراً وأدنا الحرث . » وما زالت هند يزيد اعجابها به والمملك يقول : « ارفعوا ستراً وأدنا الحرث » حتى ازيلت الستور السبعة ، واقعده قريباً منه على مجلسه ، ثم اطعمه في جفنته ، وامر ان لا ينضح اثره بالماء . ثم جز نواصي السبعين الذين كانوا في يده رهناء من بكر ، ودفعها اليه ، فلم تزل تلك النواصي في بني يشكو يفتخرون بها . وضرب بالحرث المثل في الفخر : « افخر من الحرث بن حلزة . » وكان من اعجاب الملك بقصيدته ، أن امره ان لا ينشدها الا متوضئاً^(٣) .

وقد زعم الرواة ان الحرث ارتجلها ارتجالاً ، كما زعموا ان عمرو بن كلثوم ارتجل طويلته ، ومثل هذه المزاعم لا يعول عليها . وحسبك ان تقرأ معلقة بن حلزة ، وترى ما فيها من التنسيق الفكري ، واعمال الروية ، والدهاء في التعريض ، وسرد الحوادث التاريخية ، لتحكم انها ليست بنت ساعتها . ومن المعقول ان لا يشهد شاعراً بكر وتغلب يوم التقاضي الا وهما على اهبة الدفاع والنضال .

ولكن ما الحيلة في هؤلاء الرواة ، وهم في اكثر اخبارهم يصطنعون المغالاة والاغراب ، ولا سيما اذا تناولوا في حديثهم قبيلتين مشهورتين بالعداء كتغلب وبكر ، ولا بد لكل قبيلة من رواة ينتسبون اليها ، او يحازونها ؛ فكيف

(١) ارترت : غرزت . (٢) اقتطعت : اقتطعت . (٣) متوضئاً : مفنناً .

تريد ان يجعل الراوية التغلي، عمرو بن كلثوم يرتجل معلقته، ولا يجعل الراوية البكري الحرث بن حنزة يجاريه في الارتجال. ومما يجدر بنا ذكره ان التنافس الجاهلي بين بكر وتغلب بقي له اثر قوي في الاسلام.

ويزعم الرواة ان الحرث بن حنزة عَمِرَ خمسين سنة ومائة كما يُلقبها عمرو بن كلثوم. ولعل في ذلك شيئاً من التنافس ايضاً. ولكنهم يجمعون على ان شاعر بكر كان شيخاً هرمًا يوم انشد معلقته ولم يكن شاعر تغلب يومئذ كذلك.

أما

آثار الحرث كاخباره، لم يصل إلينا منها غير القليل، ولولا المعلقة لما كان فيها غناء. وقد عرفنا الاسباب التي حملته على نظم معلقته، فنحن ندرسها مستندين الى هذه الاسباب. وهي السابعة والاخيرة بين القصائد الطوال.

سيرته — المعلقة

عرفنا ان عمرو بن هند طرد النعمان بن هرم خطيب البكرين، وعرفنا انه كان يؤثر تغلب على بكر. فكيف استطاع الحرث بن حنزة ان يستميل ملك العراق فيحمله على الحكم لقومه، بعد ان كان الفوز مضموناً للتغليين؟ وكيف اتبع له ان يرتق ما فتق سفاه^(١) النعمان بن هرم؟

لا ريب ان اندفاع عمرو بن كلثوم في الفخر والحماة، والتعريض بالملك، مهد بعض السبيل لأن يصلح البكريون ما افسد خطيبهم. ولكن لا بد لمن يضطلع بهذا الخطب ان يكون كالحرث بن حنزة، ليس في الشاعرية وحدها، بل في الدهاء السياسي، وقوة المعارضة، ورباطة الجأش. فقد وقف الشاعر يدافع عن قومه مثقلاً بغضب الملك، وباشتمزازه من رؤيته، فلم تطو نفسه ولا فت في عضده. وكان له من الدهاء وقوة المعارضة ما رد به اقوال شاعر تغلب، واسترضى عمرو ابن هند. ونحن اذا انكرونا عليه ارتجاله المعلقة برمتها فلا ينبغي ان ننكر ارتجال

بعضها، فمَثَلُ الحَرْثِ في الدِّفاعِ عن قومه مَثَلُ المحامي البليغ الذي يُعِدُّ خطابَه ليدافع عن موكله، ولكنه لا يستغني ساعة التقاضي عن شيء يتدبَّره ليؤدِّ به حجج خصومه . وسنرى في درسنا المعلقة أبياتاً تدل على أنها قيلت ارتجالاً .

الغزل ووصف الناقة

يبتدئ الشاعر قصيدته بالغزل وذكر الفراق فيقول :

أَذْنَتْنَا رَبِّينَهَا أَسْمَاءُ ، رَبَّ تَاوٍ يُحْمِلُ مِنْهُ الثَّوَاءُ ^(١)

ولكنه صاحب جَدٍّ وحزم ، فما يطيل غزله ، بل ينتقل الى وصف ناقته التي يستعين بها على المهم :

غَيْرَ أَنِّي قَدْ اسْتَعِينُ عَلَى الْهَمِّ - إِذَا خَفَ بِالثَّوْرِ النَّجَاءُ ^(٢)

بِزَفُوفٍ كَأَنَّهَا هِقْلَةٌ أُمُّ - رِئَالٍ دَوِيَّةٌ سَقَفَاءُ ^(٣)

وهو مقصد في وصف ناقته، التي شبهها بالنعامة ، كاقْتصاده في غزله، لا يلبث أن يتناول الغاية التي يرمي إليها دون أن يضيع وقته في ما لا يفيد .

رده وفخره

يستهل الشاعر هذا القسم في ذكر دعوى تغلب على بكره، واستعدادها للحرب . وهي توطئة فنية لمحام يريد أن يلمس الموضوع ليشرع بالدفاع :

وَأَتَانَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَلْزِ بَاءُ ، خَطْبٌ نُعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ ^(٤)

(١) أَذْنَتْنَا : أعلمتنا . البين : الفراق . أسماء : اسم صاحبتها . (الثاوي : المقيم . (الثواء : الإقامة . يقول : أعلمتنا أسماء بعزمها على الرحيل . ثم قال رب مقيم فمَلَّ اقامته إذا طالت ، ولكن ليست أسماء منهم . (٢) الثوي : المقيم . النجاء : الاسراع في السير . يقول : ولكني استعين على قضاء امري اذا جد المقيم في السير ، لشدة الخطب . (٣) الزفيف : اسراع النعامة ويستعار لسير غيرها . والزفوف : المسرعة في سيرها . الهقلة : النعامة . الرئال : اولاد النعامة ، مفردها رأل . الدوية : المنسوبة الى الدو وهي المفازة . السقفاء : الطويلة مع الخناء . يقول : استعين على الهَمِّ بناقة تسرع في سيرها كانها نعامة أُم رئال ، وهذه النعامة بري لا تقارق المفاز ، طويلة منحنية . (٤) الخطب هنا : الامر العظيم . نعنى به : نهم به . نساء : نكدر .

أَنَّ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا ، فِي قِيلِهِمْ إِحْقَاءُ ، ^(١)
يَخْطُطُونَ الْبَرِيءَ مِنَّا بِذِي الذَّنْ ب ، وَلَا يَنْفَعُ الْجَلِيَّ الْحَلَاءُ ^(٢)
رَعَمُوا أَنْ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ أَلْعِي رُمُومًا لَنَا ، وَأَنَا أَلَوْلَاءُ ، ^(٣)
أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا ، أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ ^(٤)
مِنْ مُنَادٍ ، وَمِنْ مُجِيبٍ ، وَمِنْ تَصْ هَالِ خَيْلٍ ، خِلَالِ ذَلِكَ رُغَاءُ ^(٥)

فانظر الى هذه النعومة في قوله : « ان اخواننا الاراقم » وقوله : « زعموا ان كل من ضرب العير » وقابل بها نزق عمرو بن كلثوم في خطابيه البكريين : « اليكم يا بني بكر اليكم ! » وقوله : « ألا لا يجلسن احد علينا » فترى الفرق بين الشعارين من حيث ارزانة والدهاء ، ومن حيث الحبث اذا صح التعبير .

واوصيك خيراً بالبيتين الآخرين ، فانهما ابداع مشال للبلاغة والايجاز ، ولا سيما البيت الثاني ، فقد جمع فيه الشاعر مختلف الاصوات ، عند تاهب القوم

(١) الاراقم : بطون من تغلب سُمُوا بجمالان امرأة شبيهت عيون ابائهم بعيون الاراقم اي الحيات . وهو يدعوهم اخوانه لان بكراً وتغلب ابنا وائل . يقولون : يجاوزون الحد من الغلو ، او تنلي صدورهم حنقاً من الغليان . القيل : القول . الإحقاء : المبالغة والالحاح . يقول مفسراً ذلك الخطب : هو غليان اخواننا الاراقم علينا . او غلوهم في عداوتهم ومباغتتهم في اقوالهم . (٢) الجلي : البريء . الحلاء : البراءة . (٣) اختلف الائمة في شرح هذا البيت لاختلافهم في فهم لفظة «العير» حتى قال عمرو بن العلاء : « قد ذهب من كان يعرف معنى هذا البيت » وخلاصة الآراء ان العير : السيد ، وأراد به كليب وائل . فيكون المعنى : زعم بنو تغلب ان كل من رضي بموت كليب هو من حلفائنا . او ان العير : الحمار . فيكون المعنى : زعموا ان كل من صاد حملاً كان حليفنا ، اي ألزموا العامة جنابة الخاصة . او ان العير : الوند . فيكون المعنى : زعموا ان كل من ضرب وتد خيمة كان موالياً لنا . وقوله : « وانا الولاء أي اصحاب الولاء . (٤) اجمعوا امرهم : اتفقوا وعقدوا نيتهم . ضوضاء : جلبة وصياح واكثر ما يستعمل في الحرب . وهو اذا صرخته وذكّرته جملته بمنزلة مقام فتكون الحمزة متقلبة عن ياء لان اصله ضوضاي ، قلبت الياء همزة كما قلبت في نحو اعياء واعاء . واذا منعت من الصرف وأنشئت جملته بمنزلة عوراء وكانت الحمزة للتأنيث . على ان تذكره اولى . يقول : عقدوا في العشية نيتهم على قتالنا وجدالنا فلما دخلوا في الصباح اخذوا يصيحون ويحلبون . (٥) الرغاء : اصوات الابل . في هذا البيت يفصل الضوضاء فيقول : اختلفت اصوات الداعين والمجيبين باصوات الخيل والابل ، يريد بذلك وصف تأهبهم وتجمعهم .

واستعدادهم للحرب . ثم يأخذ الحرث في الرد على عمرو بن كلثوم ، وتسفيه
شكوى التغلبين . وزجج ان ردوده على شاعر تغلب ارتجلت ارتجالاً : **وقول**
نقول **هك** **له** **هذا** **الداهية** **يصف** **كلام** **عمرو** **بن** **كلثوم** **بقبح**

أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُرَقَشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو ، وَهَلْ لَدَاكَ بَقَاءُ ! ^(١)
لَا تَحْلُنَا عَلَى غَوَاةِكَ إِنَّا ، قَبْلُ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ ^(٢)
فَبَقِينَا عَلَى الشَّنَاءَةِ ، تَنْمِيذُ مَا حُصُونُ ، وَعَزَّةُ قَعَسَاءُ ^(٣)
قَبْلُ مَا الْيَوْمُ ، بَيَّضَتْ بَعْيُونِ النَّاسِ ، فِيهَا تَعِيطُ وَإِبَاءُ ^(٤)
فَكَأَنَّ الْمُنُونِ تَرْدِي بِنَا أَرْ عَن ، جَوْنَا ، يَنْجَابُ عَنْهُ الْعَمَاءُ ^(٥)
مُكْفَهَرًا عَلَى الْخَوَادِثِ ، لَا تَرُ تُوهُ لِلدَّهْرِ مُوَيْدُ صُمَاءُ ^(٦)
أَيُّمَا خُطَّةٍ أَرَدْتُمْ فَأَدُّو هَا إِلَيْنَا ، تَسْمَى بِهَا الْأَمْلَاءُ ^(٧)
إِنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةٍ فَالْصَّا قِبِ ، فِيهِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ ^(٨)

(١) المُرَقَش : مموه الكلام . وهل : استفهام انكاري أي لا بقاء لشمويحك . (٢) الغراء :
الاعراء والوشاية . والمفعول الثاني لتحلنا محذوف والتقدير لا تحلنا متذللين او ما اشبه ذلك .
ما : زائدة للتأكيد . يقول : لا تحسبنا على اغرائك الملك نذل ، فقد طالما وشى بنا الاعداء
قبلك . (٣) الشنائة : البغضاء . تنميذنا : ترفعنا . قعساء : ثابتة . يقول : فبقينا على
بغض الناس ايانا واغرائهم الملوك بنا ، ترفع قدرنا حصون منيعة وعزة ثابتة . (٤) ما : زائدة .
بضت : اعمت . بعيون : الباء زائدة . التعيط : الارتفاع والامتناع . يقول : قبل اليوم
اعمت عزتنا عيون الناس لما فيها من ارتفاع واباء . (٥) تردي : ترمي . الارعن : الجبل
الذي له مقدمة تخرج منه كالر عن وهو الانف . الجون : الاسود . ينجاب : ينشق . (٦) العماء :
السحاب . يقول : كأن الدهر برميح ايانا بمصائبه وبلاياه ، يرمي جبلاً ضخماً صاباً اسود
عالياً حتى ان السحاب ينشق عنه فلا يبلغ اعلاه . يريد ان نوائب الدهر لا تؤثر فيهم كما
لا تؤثر في مثل هذا الجبل . (٧) المكفهر من الجبال : المتراكم بعضها على بعض . لا ترقوه :
لا تضعفه . المويذ : الداهية . الصماء : الشديدة . يقول متابعاً وصف الجبل : هذا الجبل
صلب متراكم بعضه فوق بعض لا تضعفه داهية شديدة من دواهي الدهر . (٨) الخططة : الامر
والطريقة . أدوها : ابعثوها . الاملاء : الجماعات ذوو اشرف مفرداً ملاً . يقول : ابعثوا
اليها باية خطة اردتم للسفاضة فتسمى بها بيننا وبينكم جماعات الاشرف . فان شهدت بما
تقولون كان ذلك لكم والافليس دعواكم بشيء . (٩) ملحاة والصاقب : جبلان متجاوران في
ديار جهينة وراء المدينة . الاموات : اراد بهم اعدائهم الذين لم يؤخذ بثأرهم . الاحياء : القتلى

- أَوْ نَقَشْتُمْ ، فَأَلْتَقَشْ يَجْشَمُهُ النَّاسُ ، وَفِيهِ الْإِسْقَامُ وَالْإِبْرَاءُ ^(١)
 أَوْ سَكَبْتُمْ عَنَّا ، فَكُنَّا كَمَنْ أَذَى حَضَّ عَيْنًا فِي جَفْنِهَا الْآقْذَاءُ ^(٢)
 أَوْ مَنَعْتُمْ مَا تُسْأَلُونَ ، فَحَمْنُ حُجْدٍ تُشْمُوهُ لَهُ عَلَيَا الْعَلَاءُ ؟ ^(٣)

وبعد ان يذكر شيئاً من مفاخر البكرين ينتقل الى مدح والد عمرو بن هند فيقول :

- فَمَلَكْنَا بِذَلِكَ النَّاسَ ، حَتَّى مَلَكَ الْمُنْذِرُ بَنَ مَاءِ السَّمَاءِ ^(٤)
 مَلِكٌ أَضْرَعَ الْبَرِيَّةَ ، لَا يُوجِدُ فِيهَا ، لِمَا لَدَيْهِ ، كِفَاءً ^(٥)

وكان الشاعر بعد ان بسط دعوى التغليبين واطهر بطلانها ، اراد ان يلقي على عاتقهم تبعة الحرب ، اذا كان لا بد من نشوبها ، فعاد الى خطابهم ، وشرع يذكرهم ما بينهم وبين بكر من حلف وعهود ، ويحذرهم من نقضها :

- فَأَتْرَكُوا الطَّيْخَ وَالْتَعَدِي ، وَإِمَّا تَتَعَاشُوا ، فَنَبِي التَّعَايِشِي الدَّاءُ ^(٦)
 وَأَذْكُرُوا حَلْفَ ذِي الْمَجَازِ ، وَمَا قُدِمَ فِيهِ : الْهُودُ وَالْكَفْلَاءُ ^(٧)

الذين أخذ بثأرهم . يقول : ان نشتم ما كان بيننا وبينكم من الحروب في هذين الموضعين وجدتم قتلى امواتاً لم يثار بهم وهم قتلاككم ، وقتلى احياء نُثر بهم وهم قتلانا .

(١) نقشتم : استقصيتم ويحتم . النقش : الاستقصاء . يجشمه : يتكلفه . يقول : واذا استقصيتم في البحث عما جرى بيننا ، فذلك شيء يتكلفه الناس وفيه ما يبين ذنبكم وبراءتنا . كنى بالسقم عن الذنب وبالبراءة عن البراءة . (٢) الاقذاء : جمع قذى وهو ما يقع في العين فيؤلها . يقول : وان اعرضتم عنا ، اعرضنا عنكم ، على اننا نكون كمن اغض الجفون على القذى بسبب ما تقدم من اساءتكم لنا . (٣) يقول : وان منعت ما سألناكم من امر الصلح ، فلا نعجز ان نقابلكم بمثل صنيعكم وانتم تعرفون عزنا ، فهل حدثتم ان احدنا علانا وفضلنا ، فططمعوا فينا . (٤) المنذر : والد عمرو بن هند ويعرف بالمنذر الثالث ، انتهى ملكه نحو السنة ٥٥٦ م على رأي المؤرخين المحدثين . ونحو السنة ٥٦٢ م على رأي القدماء . وفي هذا البيت اقواء كما لا يخفى . (٥) اضرع : اخضع . لما لديه : اي لما لديه من العزة والسلطان . كفاء : مثل ومساو . يقول : ليس له كفوء في البرية كلها . (٦) الطيخ : التكبر . التعاشي : التعامي . يقول : فافركوا التكبر والتعدي علينا . واذا تعاميت ولم تتركوا ذلك ، فان فيه الداء الذي يقضي بكم الى شر عظيم . (٧) الحلف : العهد . ذو المجاز : الموضع الذي جمع فيه المنذر بكراً وتغلب واصلاح بينهما واخذ منهما العهود والكفلاء اي الزهون . وقوله : الهود والكفلاء : جواب لسائل مقدر سأل : ماذا قدم فيه ؟ فقال : قدم الهود والكفلاء .

حَذَرَ الْجُورِ وَالتَّعْدِي، وَهَلْ يَنْ قَضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ، أَلَا هُوَ؟ ^(١)
وَأَعْلَمُوا أَنَّنَا وَإِيَّاكُمْ، فِي مَا اشْتَرَطْنَا، يَوْمَ احْتَفَقْنَا مَسْوَاهُ؟ ^(٢)

ثم اخذ يعيرهم اياماً غلبوا فيها . فانظر الى هذا الاسلوب الناعم الموجه الذي اتخذته لتعيرهم :

أَعْلَيْنَا جُنَاحُ كِنْدَةٍ، أَنْ يَغْ نَمَ غَازِيَهُمْ، وَمِنَّا الْجَزَاءُ؟ ^(٣)
أَمْ عَلَيْنَا جَرَى الْعِبَادِ، كَمَا نِيَهْ طَرَّ بِجُورِ الْمُحْتَمَلِ الْآعْبَاءُ؟ ^(٤)
أَمْ عَلَيْنَا جَرَى حَنِيفَةٍ، أَوْ مَا جَمَعَتْ مِنْ مُحَارِبٍ غَيْرَاهُ؟ ^(٥)
أَمْ جَنَائِيَا بَنِي عَتِيقٍ؟ فَمَنْ يَغْ دِرَّ، فَإِنَّا مِنْ غَدَرِهِمْ بَرَّاهُ؟ ^(٦)
أَمْ عَلَيْنَا جَرَى قُضَاعَةٍ؟ أَمْ لَيْهْ سَ عَلَيْنَا، فِيمَا جَنَوْا أَنْدَاءُ؟ ^(٧)

(١) المهارق جمع مهرق : الصحيفة . يقول : اصطالحنا في ذي المجاز واخذت المهود والكفلاء حذراً من الظلم والتعدي ، وكذب ذلك في الصحف ، فكيف تنقضه اهواؤكم الباطلة . (٢) يقول : اشترطنا ان تكون الجنائيات علينا وعليكم ، فلم نلزمونا وحدنا ذلك ؟ (٣) الجناح : الاثم . يتهمكم الشاعر على التغليبين فيذكر انكسارهم زاعماً انهم يطالبون بها بني بكر فيقول : ان كندة انتصرت عليكم وغنمت منكم فكيف تريدون ان نحمل ذنبها فيكون لها المغنم وعلينا الجزاء ؟ . وقيل : كانت كندة قد كسرت الخراج على الملك فبعث اليهم رجلاً من تغلب ليطالبهم فقتلوه ولم يدرك ثأرهم فعيروهم ذلك . (٤) الجرّى : الجناية . العباد : قوم نصارى ، كانوا يتولون جهة الحيرة ، غزوا بني تغلب فلم يأخذ هؤلاء بالثأر منهم . نيظ : علق . الجور : الوسط . المحمل : اي البعير المحمل . الاعباء : الاحمال مفردا عبء . يقول : تريدون ان تحملونا جناية العباد كما تعلق الاحمال على وسط البعير . أي ان هذه الاحمال ليست للبعير وانما هو يحملها على الرغم منه . (٥) حنيقة : اسم قبيلة كانت حليفة لبني تغلب . فالشاعر هنا يمرض الملك عمرأ عليها وعلى حلفائها التغلبين ، فيذكره بمقتل والده المنذر بن ماء السماء ، وقاتله رجل من بني حنيقة يقال له شمر بن عمرو . الغبراء : الارض والسنة المجدبة . يقول : أم علينا جنسية بني حنيقة ، أم جنائيات ما جمعت عليكم الارض او السنة المجدبة من المحاربين . (٦) يقول : أم علينا جنائيا بني عتيق . ثم قال : ان نقضم العهد فاناً ابرياء من غدركم . (٧) قضاعة : اسم قبيلة كانت قد غزت بني تغلب في دارهم ونالت منهم فلم ياخذوا بثأرهم . الانداء : جمع ندى : اراد بها هنا الذنوب والاثام لانها تصيب الجاني كما يصيب المذنب الارض . يقول : أم علينا جنسية بني قضاعة ؟ بل ليس علينا ذنب فيما جنوه عليكم . وام الثانية بمعنى بل .

أَمْ عَلَيْنَا جَرَى إِيَادٍ؟ كَمَا قِيلَ : لَاطَسُمُ : أَخَوَكُمُ الْآبَاءُ (١)

عَنَّا بَاطِلًا ، وَظُلْمًا ! كَمَا تَعَرَّ عَنْ حَجَرَةِ الرَّيِّضِ الطَّبَّاءُ (٢)

الا ترى كيف عدد للتعليمين ايام انكساراتهم ليعض من شأنهم لدى الملك . ثم ألا ترى الى هذا الاسلوب الناعم الموجه في التعيير ، فهو لم يقل لهم ابتداء : انتم انهزمت يوم كذا او يوم كذا ، بل زعم انهم يطالبون بكراً بذنوب غيرها من القبائل . فجعل يسمي تلك القبائل التي انتصرت على بني تغلب ويقول لهم : « أعلينا يقع الذنب اذا قهركم بنو كندة ، وبنو قضاة وبنو العباد الخ . . . »

ثم تابع الحارث تعييرهم فذكرهم بمقتل ساداتهم : قيس ، وجندل ، والحداء ، الذين قتلهم المنذر الثالث . وذكرهم بغزوة بني تميم ، وما اتزلوا بهم من ويل وحرب . وبغزوة الغلاق ، وهو رجل من تميم اغار على تغلب برجال ملك العراق فقتل منهم ، ولم يدر كوا ثأرهم :

مَا أَصَابُوا مِنْ تَغْلِيٍّ فَحَظُّوا لَّ ، عَلَيْهِ ، إِذَا أُصِيبَ ، الْعَفَاءُ (٣)

ثم ذكرهم ، وذكر عمرو بن هند ، بمقتل والده المنذر ، وفتكه بهم ، لاجحامهم عن نصرته في طلب الثأر . وكأنه اراد بهذه الذكوى ، ايغار صدر الملك عليهم . وكان ذلك آخر سهم مسنون ، رشقه من كثانة تهكمه وتعييره :

(١) اياد : قبيلة . قيل : كانوا لا يعطون الاثاوة احداً من الملوك . واغاروا مرة على امرأة كسرى واخذوها . فبعث عليهم كسرى بالجيوش مرتين فهزمتهم اياد . ثم بعث عليهم بجيش كثيف ففرقهم . طسم وجديس : قبيلتان وكانت جديس قد كسرت الخراج على الملك فاخذ طسماً بذنوب جديس . الآباء : الشديداً الاباء والامتناع . يقول : يا بني تغلب اتحملون علينا ذنوب الناس ، كما قيل لطسم : اخوك جديس كسر الخراج ، وهو ممتنع علينا فنحن نأخذك بجريته . (٢) العشن : الاعتراض . نُعْتَر : تذبج العتيرة ، وهي الضحية كانت تذبج للاصنام في رجب . الحجرية : الحظيرة . الريض : الغنم . يشير هنا الى عادة جاهلية وهي ان الرجل كان ينذر للاصنام بان يضحي بواحدة من غنمه اذا بلغ عددها مائة . فاذا تم له ما اراد ضنت نفسه بالشاة فاخذ ظليماً وذبحه مكانها . يقول : انتم تعترضون علينا اعتراضاً باطلاً وتظلموننا ظلماً بذنوب غيرنا كما تظلم الطباء بجريرة الشياه . (٣) مطول : ممدود لم يؤخذ بثأره . العفاء : التراب والاحياء . يقول : كل تغليي اصابه رجال الغلاق ، قدمه مهدور ، وينسى حتى يصبح بمنزلة الشيء الدارس الذي غطي بالتراب .

كَتَكَالَيْفِ قَوْمَنَا إِذْ غَزَا أَلَمُنَا نَذِرُ : هَلْ نَحْنُ لِأَبْنِ هَنْدٍ رِعَاءُ !^(١)

وبعد ان بلغ الشاعر امنيته من اعدائه ، ورماهم بقاصمة الظهر ، مال الى عمرو ابن هند ، يمدحه ويسترضيه ، ويذكره متلطفاً ، ما لقومه البكرين من الايادي البيض ، على المناذرة ، ما يجمعهم واياه من صلة وقربى . واستهل كلامه مخاطباً عمرو بن كلثوم :

أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُبْلَغُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو ، وَهَلْ لِدَاكَ أَنْتِيهَاءُ !
مَلِكٌ مُقْسِطٌ ، وَأَفْضَلُ مِنْ يَمِي شَيْءٍ ، وَمِنْ دُونِ مَا لَدَيْهِ الثَّنَاءُ^(٢)
إِرْمِي ، بِبِمِثْلِهِ جَالَتْ أَلْحِي لِي ، فَأَبْتَ ، لِخَصْمِهَا الْإِجْلَاءُ^(٣)
مَنْ لَنَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ آيَا تٌ ثَلَاثٌ ، فِي كُلِّهِنَّ الْقَضَاءُ^(٤)

وهنا انتقل من مدح الملك الى تعداد آيات قومه ، مبيناً ما لهم من الفضل على ملوك الحيرة :

(١) التكاليف : المشاق مفردها تكلفة . رعاء : جمع راع . يقول : هدرت دماؤكم في حرب الغلاق كما هدرت يوم فتك بكم عمرو بن هند ، لما كلف قومنا ان ينصروه في الآثار لابيهم فنصروه وذلك اذ غزا ابوه المنذر بني غسان فقتل . اما انتم فلم تنصروه وقاتم : هل نحن لابن هند رعاء ؟ . . . وهذا استفهام انكاري اي لسنا لابن هند رعاء . (٢) مقسط : عادل . ومن دون ما لديه الثناء : أي الثناء قاصر عما عنده من الخلال الشريفة . (٣) ارمي : نسبة الى ارم جد عاد بن عُوص ، يريد انه قديم الشرف . الاجلاء : مصدر اجل القوم عن موضعهم : فروقهم . قال الزوزني في شرح هذا البيت : « هو ارمي من الحسب قديم الشرف ، بمثله ينبغي ان تجول الخيل وان تأبى لخصمها ان ينجي صاحبها عن اوطانه ، يريد ان مثله يحمي الخوذة ويذب عن الحرم . » فعلى هذا الشرح تكون أبت بمعنى لم ترض وقد اشبعت همزها لاقامة الوزن ، ويكون الاجلاء مفعولاً لها وفي القافية اقواء وفي التفسير تعسف . اما نحن فرأينا ان نشرح البيت هكذا : « هو قديم الشرف بمثله ينبغي ان تجول الخيل في الميدان وترجع وقد اجلت خصمها عن موضعه » فعلى هذا الشرح لا يبقى اشباع ولا اقواء ولا تعسف . لاننا اعتبرنا أبت من آب : رجع ، لا من أبي : لم يرض . وقوله : لخصمها : اي لخصم فارسها ، مجاز مرسل . (٤) آيات : علامات مفردها آية . يقول : هو الذي لنا عنده ثلاث آيات قضي لنا بالفضل على غيرنا .

الاية الاولى

آيَةُ شَارِقِ الشَّقِيقَةِ إِذْ جَا ۖ ۱
 حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْثَمِينَ بِكَبْشٍ ۖ ۲
 ۱ ۖ مَعْدٌ لِكُلِّ حَيٍّ لَوَاءٍ ۖ ۳
 قَرْظِي ۖ كَأَنَّهُ عِبْلَاءُ ۖ ۴
 رُجٌّ مِنْ خُرْبَةِ الْمَزَادِ الْمَاءِ ۖ ۵
 قَرَدَدَتَاهُمْ يَطْعَنُ ۖ كَمَا يَخُ ۖ ۶

الاية الثانية

وَفَكَكْنَا غُلَّ أَمْرِي الْقَيْسِ عَنْهُ ۖ ۱
 وَأَقْدَنَاهُ رَبَّ غَسَانَ بِأَلْمَةِ ۖ ۲
 ۱ ۖ بَعْدَ مَا طَالَ حَبْسُهُ وَالْعَنَاءُ ۖ ۳
 ۲ ۖ نَذِيرُ كُرْهَاءَ ۖ إِذْ لَا تَكَالُ الدِّمَاءُ ۖ ۴
 ۳ ۖ ۴ ۖ ۵ ۖ ۶

الاية الثالثة

وَوَلَدْنَا عَمْرَو بْنَ أُمِّ إِيَّاسٍ ۖ ۱
 مِنْ قَرِيبٍ ۖ أَمَّا أَتَانَا الْجِبَاءُ ۖ ۲

(١) شارق : ناحية الشرق . الشقيقة : ارض صلبة بين رملتين . يقول : كانت اولى تلك الآيات : في شرقي الشقيقة لما جاءت قبائل معد ينشر كل حي منها لواءه . اراد بشارق الشقيقة : الحرب التي قامت بها . (٢) مستلثمين : مدرعين . الكبش : هنا سيد القوم . قرظي نسبة الى بلاد القرظ وهي اليمن . والقرظ شجر يدبغ به الجاد . العبلاء : الهضبة البيضاء . يقول : جاؤوا متحصنين بسيد يعني كانه في منعته هضبة من الهضاب . وقوله : بكبش : تجريد من قيس اي مستلثمين منه بكبش . وقيل : ان قيساً هو ابن معدي كرب عم امرئ القيس الشاعر . وقيل بل هو امرؤ القيس نفسه (الذي كان يطوف على القبائل بعد ان جد المنذر الثالث في طلبه على اثر مقتل ابيه . (٣) الخربة : الثقب . المزاد : قرية الماء . يقول : رددناهم بطعن يتدفق الدم في اثره تدفق الماء من افواه القرب . (٤) الغل : القيد . وامرؤ القيس هذا : اخو عمرو بن هند كان اسيراً في بني غسان ، اسروه يوم حليمة ، بعد ان قتل ابوه المنذر الثالث فسار عمرو بن هند مع البكرين الى الشام ، فأخذ بثأر ابيه المنذر وخلص اخاه امرؤ القيس من الاسر . وقد عبر الشاعر بني تغلب في بيت سابق لانهم احجموا عن نصره عمرو بن هند للاخذ بثأر ابيه ، ففتك بهم . (٥) أقاد القاتل بالقتيل : قتله به . رب غسان : ملكها . إذ لا تكال الدماء : كناية عن كثرة القتلى ، وكثرة الدماء التي اريقت حتى لا يستطيع كياها ومعرفة مقدارها . يقول : قتلنا بالمنذر ملك غسان . ورب غسان : بدل من ضمير النصب المتصل في اقدناه . (٦) الجباء : العطاء ، ويراد به هنا مهر المرأة . عمرو بن أم إياس : هو عمرو بن حُجر جد الملك عمرو بن هند لأمه . وأم إياس من بني بكر . يقول : وآيتنا (الثالثة هي القرابة التي بيننا وبين الملك ، لان أم جده من بني بكر ، فنحن أخواله وهذه القراءة

مِثْلَهَا يُخْرِجُ النَّصِيحَةَ لِلْقَوْمِ ، فَلَاةٌ مِنْ دُونِهَا أَفْلَاءٌ ^(١)

أرأيت كيف توصل الشاعر الى غرضه ، بحكمته ودهائه ، وحسن تنسيق دفاعه ، فيخذل خصمه واستمال الملك اليه ، ففضل قصيدته على قصيدة عمرو بن كلثوم ، وقضى لبني بكر على بني تغلب . ولسنا نعجب لفوز الحرث ، فان قصيدته ، وان تكن دون قصيدة ابن كلثوم روعةً وهلملةً وانسجاماً ، فهي تفوقها من حيث الفن الخطابي ، سواء في ترتيب افكارها ، او في الاسلوب الحكيم الذي اتخذته الشاعر لتعير التغلبيين ، واسترضاء عمرو بن هند . فعمرو بن كلثوم افتخر وغالى ، ولكن بني اكثر مفاخره على الاوهام والادعاء الفارغ ، واما الحرث فانه افتخر واكثر الافتخار ، ولكن بني مفاخره على الحقائق التاريخية ، فلم يترك يوماً لبني بكر الا ذكره ، ولا يوماً على بني تغلب الا عيبرهم اياه . وعدا ذلك ، فعمرو بن كلثوم اساء التصرف في اغضاب الملك ، والحرث احسن التصرف في استرضائه .

ولا نرى حاجة الى تعداد ما في هذه القصيدة من الفوائد التاريخية ، فانما هي قصة جامعة لطائفة من ايام العرب واخبارها . وهذا ما جعلنا ننفي عنها زعم الارتجال ويحتمل بنا ان ننظر الى ما فيها من ايجاز دقيق ، فاكثر ابياتها يحتاج الى شرح مستفيض ، لضيق لفظه عن معناه . والايجاز خاصة ظاهرة في شعر الحرث ، فهو مولع به حتى السرف . وأئمة البيان يستشهدون ببيت له على الايجاز المخل وهو قوله :

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلٍّ لِرِ الثَّوَلِ ، مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا ^(٢)

فلفظه لا يفي بالمعنى . لانه يريد ان يقول : « ان العيش الناعم في ظلال الحمق خير من العيش الشاق في ظلال العقل » .

من عهد قريب لما اتانا من جده لامة مهر أم اياس .

(١) الافلاء جمع الفلا . والفلا : جمع الفلاة . يقول : مثل هذه القرابة تستخرج من الملك النصيحة للقوم الاقارب اي تحمله على ان يحكم لنا لانها قرابة متصلة الارحام كفلاة واسعة متصل بها فلولات . (٣) الثوك : الحمق . الكد : التعب . وهو هنا بمعنى مكدود أي متعب .

قال ابو عبيدة : « اجود الشعراء قصيدة واحدة طويلة ، ثلاثة نفر : عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وطرفة بن العبد » . وقال ابو عمرو الشيباني : « لو قالها في حول لم يُلم » .

ولا بدع ان يُعجب بها الادباء الاقدمون ، فانما هي رائعة من روائع الشعر الخطائي ، وخير مثال للشعر السياسي في الجاهلية .



سائر الشعراء المشهورين

(الشعراء المتخصصون)

عرفنا من شعراء الجاهلية شاعرين قديمين : احدهما يمثل الحياة البدوية الحشنة وهو الشنفرى ، والثاني يمثل تأثير الترف والحزن في النفس ، وهو المهامل . ثم عرفنا اصحاب المعلقة السبع ، واطلعنا على طائفة من منتخباتهم ، فدرسنا فيها مناحي تفكيرهم وتعبيرهم ، وبدلنا شيء غير قليل من اخلاق العرب وعاداتها ، واحوالها الاجتماعية والسياسية ، وتأثير العوامل الخارجية في نفوس شعرائها . فوأيضا فيهم شاعراً اميراً ، يحسن وصف النساء والحياد والصيد ، وشاعراً فقي ، يلهو ويسخر ويأتي بروائع الحكم ، وشاعراً جليلاً ، لا ينطق الا بالحكمة على رأس لسانه ، وشاعراً حازماً ، يتأسى ويعظ نفسه في المصائب ، وشاعراً فخوراً متهوراً ، يرى الدنيا وما عليها ملكاً له ، وشاعراً فارساً ، تدفقت الحماسة من صدره وشاعراً داهية ، يعرف من اين تؤكل الكتف .

على ان معرفتنا لهؤلاء الشعراء لا تغنينا عن درس طائفة اخرى من شعراء الجاهلية ، لنتمكن من الامام بخصائص الشعر الجاهلي من جميع اطرافه ، والوقوف

على تطوره السريع في اواخر عصره .

واذا كانت السبع الطوال خير ما وصل اليها من الجاهلية ، فان اصحابها لم ينفردوا بجودة الشعر ، بل هناك فجول من غير اصحاب المعلقات ، يُعَدُّ بعضهم في مقدمة الطبقة الاولى : كالنابغة والأعشى ، والبعض الآخر يحاريهم جميعاً ولا يقصر عنهم ، كالخطيب . وقد ادرك كلهم الاسلام الا النابغة ، واشتهر كلهم بنوع من الشعر اختص به ، لذلك اطلقنا عليهم لقب الشعراء المتخصصين .

الممدح

ليس من شاعر في الجاهلية الا وقد نظم في المدح . ومن اصحاب المعلقات من وقف شعره على هذا الفن وهو زهير . وما كان احرى بنا ان نكتفي به ، لو لم يكن هناك شاعر ، له في المديح صفة خاصة ينفرد بها عن زهير وغيره من شعراء الجاهلية ، وهي اتصاله ببلاط الملوك ، ومدحه اياهم ، وما له في المديح من القصائد الاعتذارية الرائعة ، وهذا الشاعر هو النابغة الذبياني .

النابغة الذبياني

٦٠٢ (٩)

حياته : سمي النابغة لنبوغه بالشعر واكثره منه . نادى النعمان بن المنذر ، فكثير ماله . وصف زوجته المتجردة . وشى به المنخل اليشكري وبنو قريع . هجا النعمان وهرب الى بني غسان . رضي عنه النعمان بن المنذر فعاد اليه . النابغة من سادات قومه ، وزعيمهم ، وممثلهم عند الملوك . درس تاريخي . اتصال الشاعر بعمر بن الحرث واخيه النعمان . اختلاط الروايات . قولهم ان الشعر غض منه . اقواؤه ، واصلاحه

آثاره : ديوانه شرحه البطليوسي . اشهره قصائده الاعتذارية . ودالية في وصف المتجردة . وبائية في مدح الغساسنة . ورائية عدها ابو زيد القرشي من المعلقات . ونسب اليه نثر آثار النحل بادية عليه .

ميزته : ما ينفرد به ، وما يشارك فيه غيره . وصفه المرأة . تشبيهاته القصصية .
 تشبيه ناقته بالثور الوحشي كما شبهها ليبد . صورته حسية كصور زهير .
 استطراداته القصصية في مدائحه واعتذاراته . تحويله الخطب وعظم ما يقاسيه .
 اقسامه وهجو اعدائه . مبالغته في مدح النعمان وتعظيم سلطانه . رثاء
 الممدوح حياً . الفوائد التاريخية عن ملوك غسان . وضوح معانيه .
 رونق الفاظه . بعده عن الحشو والتكلف والركيك . مترلته : في الطبقة
 الاولى . شاعر الملوك . حكم عكاظ . نابغة الشعراء .

حياته

هو زياد بن معاوية بن ضباب الذُبْيَانِي ، ينتهي نسبه الى مُضر ، ويُكنى
 ابا أُمَامَةَ ، ويُلقب بالنابغة لنبوغه بالشعر واكثره منه .

وكان من بطانة ابي قابوس النعمان بن المنذر ، ينادمه ويأخذ جوائزه ، ويُقدِّم
 على كل من يتقرب منه . ولم يحظَ شاعر في الجاهلية كما حظي النابغة ، فكثير ماله ،
 حتى انه كان يأكل بآنية عن الفضة والذهب .

ودخل ذات يوم على النعمان فرأى زوجته المتجردة ، وقد سقط نصيفها ^(١) ،
 فاستترت منه بيدها ، فأمره النعمان بان يصفها فانشأ قصيدته التي يقول فيها :

سَقَطَ النَّصِيفُ ، وَلَمْ تَرُدِّ إِسْقَاطَهُ ، فَتَنَاوَلْتُهُ ، وَأَتَقَنَّنَا بِأَلْيَدٍ

ووصف منها مواضع لا يليق ذكرها . وكان المُنْخَلُ الشُّكْرِيُّ الشاعر من
 ندماء النعمان ، وكان يهوى المتجردة ، ويحسد النابغة على علو قدره عند الملك ،
 فغار من وصفه ، ووشى به الى النعمان ، فتمغى عليه . فخاف النابغة وهرب الى ملوك
 غسان في الشام .

وقيل انه هجا النعمان ، بعد هروبه ، بهذه الابيات :

حَدِّثُونِي بَنِي الشَّقِيقَةِ ! مَا يَنْ نَعُ قَقْعًا بِقَرَقَرٍ ، أَنْ يَزُولَا ^(٢)

(١) النصيف . الحمار او نصفه . (٢) بني الشقيقة : يريد بهم قوم النعمان . والشقيقة
 تجمع على شقائق وهي نبت احمر الزهر مبعق بنقط سود . قيل ان النعمان مر بمكان قد
 انفرش فيه هذا الزهر فقال : ما احسن هذه الشقائق . وامر بجمائيتها فنسبت اليه وعرفت

قَبِیحَ اللَّهِ ، ثُمَّ تَنَّى بِلَعْنٍ ، وَارِثَ الصَّائِغِ ، الْجَبَانَ ، أَلْجَهُوْلاً^(١)
 مِنْ يَضُرُّ الْأَدْنَى ، وَيَعِجْزُ عَنْ ذَا الْأَلْفِ ، وَيَغْزُو ، ثُمَّ لَا يَرْزَأُ الْعَدُوَّ فَتِيلاً^(٢)
 يَجْمَعُ الْجَيْشَ ذَا الْأَلْفِ ، وَيَغْزُو ، ثُمَّ لَا يَرْزَأُ الْعَدُوَّ فَتِيلاً^(٣)

ولعل هذه الابيات هي التي نقلها بعض بني قريع بن عوف الى النعمان ، ليوغروا صدره على الشاعر ، فأربناه في قصائده الاعتذارية ، يجتهد في دفع التهمة عنه متنصلاً من مقال نسب اليه زوراً : « لَقَدْ نَطَقْتُ بِطَّلَاعِي الْأَقَارِعُ » .

فلما صار النابغة الى الشام نزل بعمر بن الحارث الاصغر الغساني فمدحه ومدح اخاه الملك النعمان فحظي عندهما وافاد مالا وفراً . ولما مات النعمان انقطع الى اخيه عمرو يدحه حتى رضي عنه النعمان بن المنذر فعاد اليه ولزم بلاطه .

واختلفت الروايات في اسباب الصلح بينه وبين النعمان . فقيس : ان النعمان اطلع على ما بين زوجه المتجردة والمُنْعَلِ الشكري من علاقات فقتلها . ثم كتب للنابغة يقول : « انك لم تعتذر من سخطة ان كانت بلفتك ؛ وكنا نغيرنا لك عن شيء . مما كنا لك عليه . ولقد كان في قومك مُتَمَتِّعٌ وَحِصْنٌ فَتَرَكْتَهُ ثُمَّ انْطَلَقْتَ الى قوم قتلوا جدي وبني وبينهم ما قد علمت » . فقدم اليه فوجده محمولا على سرير يُنْقَلُ ما بين العَمَرِ وقصور الحيرة^(٤) فخاطب حاجبه عصاماً بابيات مطلعها :

أَلَمْ أَقْسِمَ عَلَيْكَ ، لَتُخْبِرَنِي : أَمْخُمُولٌ عَلَى التَّنَشْرِ أَلْهَامُ ؟

وحدث حسان بن ثابت ان النابغة قدم في جوار رجلين من فزارة لهما منزلة عند النعمان ، فرأى احدي قيان الملك ، فلحقها قصيدته التي اعتذر اليه فيها وهي :

بشقائق النعمان . الفقع : الكعأة البيضاء الرخوة . القرقر : الارض المنخفضة . ومن امثالهم : هو اذل من فقع بقرقر . ان يزول : ان يموت .

(١) وارث الصائغ : النعمان . وكانت امه سلمى ابنة صائغ في يثرب وقد مر ذكرها في اخبار عمرو بن كلثوم . (٢) الادنى : الاقرب . الاقاصي : الابعاد . (٣) يرزؤه : يصيبه بما يضره . فتيلاً : شيئاً بقدر القليل . يقول : هو يجمع الجيش الوفاً للغزو ولكنه لا يصيب من العدو شيئاً . (٤) الفمر هنا : موضع . قال ابو عبيدة : كان الملك اذا مرض حملته الرجال على اكثافها . ويقولون انه اوطأ له من الارض اي اسهل واكثر راحة .

يَادَارَ مَيَّةَ ، بِالْعَلْيَاءِ فَالْسِّنْدِ ، أَقَوْتُ ، وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبَدِ

فشرب النعمان ، فلما سكر غتمه فيها ، فطرب وقال : « هذا شعرٌ عُلوِيٌّ ^(١) هذا شعر ابي أمانة » ورضي عنه .

وسئل عمرو بن العلاء : « أمن مخافته امتدحه واثاه بعد هربه منه ، أم لغير ذلك ؟ » فقال : « لا لعمر الله ، لا لمخافته فعل ، أن كان لآمناً من أن يوجه اليه جيشاً . وما كانت عشيرته تُسَلِّمُهُ لأول وهلة . ولكنه رغب في عطاياه وعصافيره ^(٢) . »

وكان النابغة من سادات قومه ، وكانوا يرجعون اليه في خطوبهم ، فيأمرهم بالحرب مرة ، وينهاهم عنها اخرى . ولطالما ردَّ عنهم غزوات الغسانيين ، بما له من دالة وكرامة . ولكنه كان محسوداً لعقته وشرفه ، فلم يسلم من السنة بعضهم ، فكان يؤنبهم ويدكرهم بما له عليهم من الفضل في قضاء حوائجهم عند الملك .

وظلَّ النابغة رفيع القدر وافر النعمة حتى توفي بعد ان اسنَّ وكبر . وقيل انه مات في السنة التي قتل فيها النعمان بن المنذر ، اي حوالي السنة الثانية بعد المئة السادسة .

درس تاريخي

لم يسلم خبر اتصال النابغة بالغسانيين من اختلاط في الروايات . فقد زعموا ان الشاعر تزل على عمرو بن الحرث الاصغر ، وظل مقيماً معه يدحه حتى مات وملك اخوه النعمان ، فانقطع اليه . مع ان النعمان مات قبل اخيه عمرو ثم ملك عمرو بعده . وقد رثى النابغة النعمان الغساني بعد وفاته وانتقال الملك الى اخيه . ويؤيد ذلك ما جاء في ديوانه الذي شرحه الوزير ابو بكر البطليوسي المتوفى سنة ٨٠٩ م و ١٩٤ هـ . قال : « وكان النعمان بن الحرث حمى ذا أقر ^(٣) فاحتماه الناس ، وبنو ذبيان تربعوه ^(٤) ، فنهاهم النابغة وخوفهم اغارة الملك ، فعيروه خوفه النعمان ، وكان منقطعاً اليه ، فلما مات النعمان رثاه وانقطع الى عمرو بن الحرث اخيه » .

(١) عُلوِي : نسبة الى عالية بخد . (٢) العصافير نوق كرائم كانت للنعمان . والجمل (العصفوري) : ذو السنامين . (٣) ذا اقر : وادي لبني مُرَّة . (٤) تربعوه : اقاموا به في الربيع .

ولعل هذا الاختلاط ناتج عن قولهم : « ان النابغة لما هرب الى الشام نزل على عمرو بن الحارث ومدحه ببائيته المشهورة :

كِلِينِي لَهُمْ ، يَا أُمَيَّةَ ، نَاصِبٍ ، وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ ، بَطِيٍّ أَلَسْكَوَابِ

ولكن نزول الشاعر على عمرو لا يعني ان عمرواً ملك ومات قبل اخيه ، بل يعني ان النابغة وفد على عمرو اولاً ثم اتصل باخيه الملك ، حتى اذا مات النعمان انقطع الى عمرو . وقد تسلط هذا الوهم التاريخي على بعض كتابنا المعاصرين فوقعوا فيه ^(١) ؛ ومنهم من ذكر الروايتين دون تصحيح او ترجيح ^(٢) .

وزعموا ايضاً ان النابغة « احدُ الاسراف الذين غصَّ الشعرُ منهم » فنقل كتابنا المعاصرون هذا الزعم بغير مشقة ، ثم اضافوا اليه ما قيل في الشاعر ، من انه كان يأكل بآنية من الفضة والذهب ، وانه كان عالي المكانة عند الملوك ، وان حسان بن ثابت كان لا يفد على الغساسنة والمناذرة اذا عرف ان النابغة عندهم ، مخافة ألا يحفلوا به . وذكروا ايضاً ان النابغة كان حكم سوق عكاظ ، وانه كان مهيباً ، فاذا اقوى ^(٣) لا يجروء احد ان يقول له : أَقْوَيْتَ . ويروون على ذلك حادثة لا بأس بذكرها ، وهي ان النابغة قدم المدينة ، فأنشد الناس قصيدته التي وصف بها المتجردة :

مِنْ آلِ مَيَّةَ ، رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدٍ عَجْلَانِ ذَا زَادٍ ، وَغَيْرُ مُزَوَّدٍ ^(٤)

وكان اقوى فيها فما تجاسر احد ان يقول له ، فأتوه بقينة فغنت منها :

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرَدْ إِسْقَاطُهُ ، فَتَنَّاوَلْتُهُ ، وَأَتَقْتَنَّا بِالْيَدِ

(١) جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية . (٢) الاب لويس شيخو في كتابه شعراء النصرانية . (٣) اقوى : خالف في حركة الروي . (٤) قوله : او مُغْتَدٍ : عَطَفَ بأولان همزة الاستفهام في اول الكلام محذوفة ولو ذكرها لقال : أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدٍ . رَائِحٌ : سائر في العشي . عجلان : منصوبة على الحال من الضمير في اسم الفاعل . يقول مخاطباً نفسه : أتروح أم تغدو في حال عجلتك ، وانت مزود او غير مزود من نظرة الى محبوبك مية . وقيل الزاد : ما كان من تسليم ورد تحية .

بِمُخَضَّبٍ رَخَصٍ ، كَأَنَّ بَنَانَهُ عَنْهُمْ ، يَسْكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدُ^(١)

فمدَّت القينة صوتها باليد فصارت الكسرة ياءً ، ومدَّت يُعْقَدُ فصارت الضمة واواً فانتبه ولم يعد الى الاقواء . ويروى عنه قوله : « دخلتُ يَثْرِبَ وفي شعري بعض العاهة ، فخرجت منها وانا اشعر الناس » .

وكان النابغة ، كما عرفنا ، زعيم قومه ، وممثلهم عند الملوكة ، فكيف ينطبق ذلك كله على قولهم : « ان الشعر غضّ منه » فما هي تلك الغضاضة ، واين هي ؟ لهم يرونها في رجوعه الى النعمان واعتذاراته ؟ ولكنه رجع معزراً مكروماً ، وظل له المقام الاعلى في نظر قومه وغير قومه .

اماره

ديوان شعر شرحه ابوبكر البطليوسي ، واشهر ما فيه قصائده الاعتذارية ، ودالية يصف بها المتجردة ، وبائية يمدح بها الغساسنة .
وعده المفضل الضبي ، وابو عبيدة ، وابو زيد القرشي ، من اصحاب المعلقات ، ومطلع معلقته :

عُوجُوا فَحَيُّوا لِنَعْمِ دِمْنَةَ الدَّارِ ، مَاذَا تُحْيُونَ مِنْ نُؤْيٍ وَأَحْجَارٍ^(٢)

ونسب اليه نثر مسجع ، يمدح به عمرو بن الحرث ، ولكننا نشك في صحته كل الشك ، لان آيات النحل والتعمل بلادية عليه . واليك شيئاً منه :

(١) بمخضّب : أي بمصمم مخضب وهو بيان لقوله : واتقنتا باليد ، اي اتقنتا بمصمم مخضب . البنان : الاصابع واحدها بنانة . ويقال : بنان مخضب ، لان كل جمع ليس بينه وبين واحد الا الهاء ، يُوَحَّدُ وَيُذَكَّرُ . العنم : شجر احمر الثمر لين الاغصان يشبه بثمره البنان المخضوب . يقول : اتقنتا بمصمم مخضب يكاد بنانه يُعْقَدُ من لطافته ، وهو يشبه العنم في حمرة . قيل : ان النابغة غير الشطر الاخير بعد سماعه غناء القينة وجعله : « عَنْمٌ عَلَى اغصانه لم يُعْقَدِ » ولكننا لا نطمئن الى هذا الاصلاح ، ونرجح انه اصطنع في الاسلام .
(٢) عوجوا : قفوا . نعم : اسم امرأة . الدمنة : ما اجتمع من آثار الديار . النؤي : تخيير حول الحباء يمنع ماء المطر من ان يجري اليه .

« أَلَا أَنعِمُ صَبَاحًا أَتَيْهَا الْمَلِكُ الْمُبَارَكُ . السَّمَاءُ غَطَاؤُكَ ، وَالْأَرْضُ
وِطَاؤُكَ ، وَوَالِدِي فِدَاؤُكَ ، وَالْعَرَبُ وَقَاؤُكَ ، وَالْعَجَمُ حِمَاؤُكَ ، وَالْحُكَمَاءُ
جُلَسَاؤُكَ ، وَالْمُدَارَاةُ سَيِّمَاؤُكَ ، وَالْمَقَاوِلُ ^(١) إِخْوَانُكَ ، وَالْعَقْلُ شِعَارُكَ ،
وَالسِّلْمُ مَنَارُكَ ، وَالْجِلْمُ دَنَارُكَ ^(٢) . النع ... »

صبرته

للتابغة ميزة خاصة ينفرد بها في مدح الملوك والاعتذار اليهم، وميزة عامة
يشارك فيها غيره من شعراء الجاهلية . وإذا كانت شهرته قائمة على ميزته التي انفرد
بها، فلا ينبغي لنا ان نهمل تلك التي شارك فيها غيره، لانها متممة للاولى، ولان
ميزته الخاصة لا تظهر واضحة الا بظهور ميزته العامة .

يصف النابغة المرأة، فترى في وصفه شيئاً من تعهر امرئ القيس، وان يكن
الرواة مجمعين على ان النابغة كان عفيفاً، وترى فيه شيئاً من طرفة اذا وصف
العتق والشعر :

— فَبَدَّتْ تَرَائِبُ سَادِنٍ مُتَرَبِّبٍ أَحْوَى أَحْمَرَ الْمُقْلَتَيْنِ مُقْلِدٍ ^(١)
— أَخَذَ الْعَذَارَى عِقْدَهَا ، فَنَظَّمَهَا مِنْ أَوْلَوِّ مُتَتَابِعٍ مُتَسَرِّدٍ ^(٢)
— تَجَلَّوْا بِقَادِمَتِي حَمَامَةَ أَيَّكَةِ ، بَرْدًا ، أَسْفَ لَثَانَهُ بِالْإِنْمِيدِ ^(٣)

(١) المقاول : الملوك دون الملك الاعلى مفردها مقول . لغة يمانية . (٢) دنارك :
غطاؤك . (٣) الترائب : عظام الصدر مفردها تريبة . الشادن : الغزال الذي قوي واستغنى
عن امه . متربب : تربية النساء في البيوت . الاحوى : الذي في شفقيه حوة اي سمرة .
الاحمر : شديد السواد . المقلد : الذي قلده الحلي وزين به . (٤) متسرّد : يتبع بعضه بعضا
اخذ من سرد الحديث . يقول : انها رفيعة القدر يخدمها العذارى وينظمن عقدها . (٥) جلا :
كشف وصقل . القادمة : ريشة في مقدم الجناح وهن اربع قوادم . الايكة : الشجرة
الملتفة . البرد : مستعار للشر بجامع البياض في الاسنان . أسف : ذر عليه . اللثان :
مغارز الاسنان مفردها لثة . الانمد : الكحل . اختلّف في تفسير هذا البيت . فالقشبي
والاصمعي وابو عمرو يرون ان الشاعر يقول : اذا ابتسمت كشفت عن ثغر كانه برد أسف
لثاته بالانمد بشفتين كانها في سوادها قادمنا حمامة . والقوادم في الطير اشد سواداً من

— كَالْأَقْحَوَانِ ، غَدَاةَ غَيْبِ سَمَائِهِ جَعَتْ أَعَالِيهِ ، وَأَسْفَلُهُ نَدِي (١)

ثم ترى فيه شيئاً كثيراً من الصور الحسية التي رأيتموها في شعر زهير، وما يرافقها أحياناً من وصف قصصي لذيذ، مما يدل على أن النابغة رسّام بارع؛ ومحدث فكه في آن واحد .

فاذا وصف ناقته، شبهها بالثور الوحشي، ثم اخذ يقص عليك خبر هذا الثور وشدته في صراع الكلاب . ولعلّ لبدياً تأثر بشعر النابغة لما وصف ناقته وشبهها بالأتان الوحشية التي افترس السبع ولدها، فراحت تطلبه، فطاردها الكلاب، فصارعتن بقرنها . قال النابغة من معلقته :

كَأَنَّمَا الرَّحْلُ مِنْهَا فَوْقَ ذِي جُدَدٍ ذَبَّ الرِّيَادِ ، إِلَى الْأَشْبَاحِ نَظَارِ (٢)
مُطَرَّدٍ ، أَفْرَدَتْ عَنْهُ حَلَالُهُ ، مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ ، أَوْ مِنْ وَحْشٍ ذِي قَارِ (٣)
بَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ شَهَاءَ ، تَسْفَعُهُ بِحَاصِبِ ذَاتِ إِشْعَانَ ، وَأَمْطَارِ (٤)
وَبَاتَ ضَيْفًا لِرَاطَاةٍ ، وَأَلْجَاءُ ، مَعَ الظَّلَامِ ، إِلَيْهَا وَابِلٌ سَارِ (٥)
حَتَّى إِذَا مَا أَنْجَلَتْ ظُلُمَاءَ لَيْلَتِهِ ، وَأَسْفَرَ الصُّنْحُ عَنْهُ أَيَّ إِسْفَارِ ،

الخوافي . ويرى أبو بكر : أنه شبه الأصبعين اللتين فأخذ بها السواك بقادمتي حمامة في اللطافة والطول . ونحن نميل إلى هذا التفسير .

(١) الاقحوان : نبت اصفر الزهر في وسطه، وحواليه ورق ابيض . غيب : بعد . سائمه : مطره . يقول : ثمرها كلاقحوان في بياضه ، وهذا الاقحوان امطرته السماء ليلاً فلما أصبح جعّت أعاليه وظل الماء في أسفله . أي ان أسناخها نظيفة كزهر الاقحوان اذا غسله المطر وأسفل أسناخها ندي بما فيه من ماء ولّى . (٢) الجدد : خطوط بيض وحمر ويريد بها ثوب الوحش . الذب : الدفع . الرياد والارتياد : الطواف . وذب الرياد : أي ثور الوحش لانه يرود هنا وهناك . يقول : كأن الرجل من ناقتي فوق ثور وحشي، يخطط الحليمة فيقفّ يكثر العدوّ كلما نظر الى الاشباح التي تتخيل له . (٣) الحلائل : الزوجات مفردة حليمة . وجرة وذوقار : موضعان . يقول : هذا الوحش طارده الصيادون فانفرد عن زوجاته، وهو من وحش وجرة أو من وحش ذي قار . (٤) شهاء : ذات ريج باردة وصقيع . تسفعه : تلفحه وترميه . الحاصب : الريح التي تحمل الحصى . الإشعان : ما تنثر من ورق العشب بعد يسسه ، يقول : بات الوحش في ليلة شديدة البرد تلفحه ريج ذات حصى واعشاب يابسة وامطار . (٥) الارطاة : شجرة يثرها كالغراب ، جمعها الأرطى . الوابل : المطر الكثير : الساري : ما جاء من المطر ليلاً .

- أَهْوَى لَهُ قَانِصٌ يَسْعَى بِأَكْلِهِ ،
يَسْعَى بِغُضْفِ بَرَاهَا، فَهِيَ طَاوِيَةٌ ،
حَتَّى إِذَا الثَّوْرُ بَعْدَ الثَّرَى أَمَكْنَهُ ،
فَكَرَّ مَحْمِيَةً مِنْ أَنْ يَفِرَّ، كَمَا
فَشَكَ بِالرَّوْقِ مِنْهَا صَدْرَ أَوَّلِهَا ،
ثُمَّ انْتَشَى بَعْدَ الثَّانِي، فَأَقْصَدَهُ
وَأَثَبَتْ الثَّلَاثَ الْبَاقِي بِنَافَذَةٍ ،
وَوَظَلَ فِي سَبْعَةٍ مِنْهَا لِحْشَنَ بِهِ ،
حَتَّى إِذَا مَا قَضَى مِنْهَا لُبَانَتَهُ ،
إِنْقَضَ كَالْكَوْكَبِ الدَّرِّي مُنْصَلِّتًا،
فَذَلِكَ شَبَهُ قُلُوصِي إِذْ أَضُرَّ بِهَا
- عَارِي الْأَشَارِجِ، مِنْ قُنَاصٍ أَثَارِ (١)
طُولُ ارْتِحَالِهَا مِنْهُ ، وَتَسْيَارِ (٢)
أَسْلَى وَأَرْسَلَ غُضْفًا كُلُّهَا ضَارِ (٣)
كَرَّ الْمَحَامِي حِفَاطًا، خَشِيَةً الْعَارِ (٤)
شَكَ الْمَشَاعِبِ أَعْشَارًا بِأَعْشَارِ (٥)
بَذَاتِ ثَغْرِ، بَعِيدِ الْقُفُورِ، نَعَارِ (٦)
مِنْ بَاسِلٍ، عَالِمٍ بِالطَّنِّ، كَرَارِ (٧)
يَكُرُّ بِالرَّوْقِ فِيهَا كَرَّ إِسْوَارِ (٨)
وَعَادَ فِيهَا بِإِقْبَالٍ وَإِدْبَارِ ، (٩)
يَهْوِي وَيَخَاطُ تَقْرِيْبًا بِإِحْضَارِ (١٠)
طُولُ السَّرَى، وَالسَّرَى مِنْ بَعْضِ أَسْفَارِي (١١)

- (١) أهوى : قصد . لقانص : الصياد . الأكلب : جمع كلب . الأشارج : عروق ظاهر الكف . وهي تحمد في الرجال إذا كانت عارية أي لا يسترها اللحم . أثار : قبيلة من تزار معروفون بالصيد . (٢) الغضف : الكلاب المسترخية الأذان . براهها : أضربها فيري اللحم . طاووية : ضامرة البطن . التسيار : السير الطويل . يقول : يسعى الصياد بـكلاب مسترخية الأذان أضربها طول الارتحال والسير الكثير فهي ضامرة البطن . (٣) الثرى : الثغور . أسلى : أغرى . الضاري : الذي اعتاد الصيد . يقول : لما مكنته الثور من نفسه بعد نفاده ، أغرى به كلابه . وأرسلها عليه وكلها معتاد الصيد . (٤) محمية : مصدر حمى أي دفع ومنع . يقول : كرَّ الثور للدفاع بدلًا من أن يفر كما يكر من يحمي . الحمي : محافظة عليه وخشية (أعار . وهذه المصادر منصوبة على أنها مفعول له . (٥) الروق : القرن . المشاعب : النجار . الأعشار : القديح أي سهم الميسر صار عشر قطع فشك النجار بعضه في بعض . هكذا شرحه أبو زيد القرشي في جهرته . (٦) أقصده : قتله . بذات ثغر : أي بطعنة فتحت فيه ثغراً . بعيد القعر . عيق . نعار : متفجر بالدم وله صوت . (٧) أثبت : أي أثبت الكلب في مكانه . بنافذة : أي طعنة نافذة . بـاسل : شجاع أي من ثور شجاع . (٨) الإسوار : القائد الثابت على جواده . (٩) لبانته : حاجته . عاد فيها : صار يحرق فيها مقبلاً مدبراً . (١٠) منصلتاً : مسترسلاً كالكوكب في انقضاضه . يهوي : يضي في السير . التقريب والإحضار : نوعان من السير . (١١) قلووص : الناقة الشابة . السرى : السير ليلاً . وقوله : والسرى من بعض أسفاري أي

فقد رأيت ما في هذه الصورة من الروعة والجمال، وما في هذا الأسلوب القصصي من العذوبة والفكاهة، وكيف ان الشاعر اطنب في قوة الثور وشدة عدوه حتى اذا انتهى من سرد قصته، اوجز فقال : « فذاك شبه قلوصي ... »

وللنابعة صورة اخرى كهذه في قصيدته « الدالية » التي اعتذر بها الى النعمان، فقد شبه ناقته بوحش من وحوش وجرة، طارده الصياد بكليبه، فشك بقرونه احدهما « ضمران »^(١) فصرعة . واليك هذه الصورة الحسية ، تمثل القرن نافذاً من جنب الكلب ابلغ تمثيل :

كَأَنَّهُ بَخَارِجاً مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِهِ ، سَقُودُ شَرْبِ نَسُوهِ عِنْدَ مُفْتَأَدٍ^(٢)
فَلَمَّا رَأَى « وَاشِق »^(٣) اقْعَاصُ^(٤) صَاحِبِهِ ، وَلَّى هَارِباً :

قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ : إِنِّي لَا أَرَى طَمَعاً ، وَإِنَّ مَوْلَاكَ لَمْ يَسْلَمْ ، وَلَمْ يَصِدْ^(٥)
حتى اذا انتهى الشاعر من هذا التشبيه القصصي الحصب ، عاد الى ناقته فأوجز وقال :

فَتَيْلِكَ ، تُبَلِّغُنِي التُّعْمَانَ إِنْ لَهُ فَضْلاً عَلَى النَّاسِ فِي الْأَدْنَى ، وَفِي الْبُعْدِ^(٦)

فاما وقد عرفنا الان ما في النابعة من خصائص يشارك فيها غيره من الشعراء ، فيجدد بنا ان نتناول بالدرس ميزته الخاصة التي عرف بها ، وهي مدحه الملوكة ، وما في هذا المدح من استرضاء واعتذار .

صالحه واعتذاراته

النابعة في مدحه ، كالنابعة في وصف ناقته ، لا يترك تشابهه القصصية المحسوسة

ان اسفاره كثيرة في اوقات مختلفة والمرى من بعضها . (١) ضمران : اسم كلب .
(٢) الصفحة : الجانب . السقود : حديدة يشوى بها اللحم . الشرب : القوم يشربون .
نسوه : تركوه . المفتاد : مكان الفأد أي شيء اللحم . يقول : ان قرن (الثور في حال خروجه محمراً من جانب الكلب يشبه سفوداً انتظم عليه اللحم، وترك عند المفتاد ليستوي .
وخص الشرب لانهم يحتاجون اليه في كل ساعة لسلاكل . ونصب خارجاً على الحال .
(٣) واشق : اسم كلب . (٤) اقْعَاص : موت . (٥) مولاك : ابن عمك ، اي الكلب المقتول . (٦) البعد : جمع بعيد . ويروى : البعد : جمع باعد مثل خادم خدَم .

بل تراه ينتقل فيها من واحد الى آخر مستفيضاً في وصف المشبه به ، فاذا وقاه حقه
اطمان الى ان ممدوحه اخذ منه قسطه الاوفر . واليك كيف يمثل للنعمان عظمة
ملكه ، ويضرب له الامثال القصصية :

وَلَا أَرَى فَاعِلاً فِي النَّاسِ يُشَبِّهُهُ ، وَلَا أَحَاشِي مِنْ الْأَقْوَامِ ، مِنْ أَحَدٍ ،^(١)
إِلَّا سُلَيْمَانَ ، إِذْ قَالَ الْإِلَهِ لَهُ : قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ ، فَأَحْدُدْهَا عَنْ الْقَنْدِ^(٢)
وَحَيْسِ الْجِنِّ ، إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ ، يَبْثُونَ تَدْمُرُ بِالصَّفَاحِ وَالْعَمَدِ^(٣)
فَمَنْ أَطَاعَكَ ، فَانْفَعُهُ بِطَاعَتِهِ ، كَمَا أَطَاعَكَ ، وَأَدْلُلَّهُ عَلَى الرَّشْدِ ؛
وَمَنْ عَصَاكَ ، فَعَاقِبْهُ مُعَاقِبَةً ، تَنْهَى الظُّلُومَ ، وَلَا تَقْعُدْ عَلَى ضَمَدٍ^(٤)

ثم يعود بعدهذا الاستطراد المَشْبَع ، الى ممدوحه الذي لا يرى فاعلاً يشبهه ، فيقول :
أَعْطَى الْفَارَهَةَ حُلُومَ تَوَابِعُهَا ، مِنْ أَلْمَوَاهِبِ ، لَا تُعْطَى عَلَى نَكْدٍ^(٥)
واراد الشاعر ان يطلب الى الملك ، ان يكون حكيماً في تحييص اقوال الوشاة
الذين سعوا به اليه ، فلم يجد سبيلاً الى ذلك ، غير التمثيل القصصي فقال :
وَأَحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ ، إِذْ نَظَرَتْ إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ ، وَارِدِ الثَّمَدِ^(٦)

(١) فاعلاً : أي فاعلاً للخير . احاشي : استثنى . سليمان : اي الملك سليمان بن
داود النبي . البرية : المخلوقات . احدها : ادفعها وامنعها . القند : الخطأ والظلم .
(٢) تدمر : مدينة قديمة في بركة الشام قيل بناها سليمان الحكيم . واما تسخير الجن لبنائهم فخرافة
جاهلية . خيس : ذليل . الصفاح : الحجارة العراض . العمدة : جمع عمود . (٣) الضمد :
الذل والقيظ . (٤) الفارهة : الناقة الكريمة . توابعها : ما يتبعها من هبات . على نكد :
على ضيق وعسر . وقوله أعطى : صفة . أي ولا ارى فاعلاً اعطى منه لجة سنية ، ولا يقنع
بتلك الوجة حتى يتبعها هبات بغير مطل وتنكيد . (٥) واحكم : اي كن حكيماً . الحكم :
هنا الحكمة . والمعنى : كن حكيماً في امري ولا تقبل وشاية احدي ، كما كانت حكيمة
فتاة الحي . سراع : مسرعة . الثمد : الماء القليل وهنا الماء مطلقاً . قال ابو عبيدة : فتاة
الحي هي زرقاء اليامة من بقايا طسم وجديس ، وكان لها قطاة فرّجها يوماً سرب من القطا
بين جبلين ، وكانت تبصر الاشياء على مسافة ثلاثة ايام ، فقالت : « ليت هذا الحمام لي ، ونصفه
الى حمامتي فتم لي مائة » وارادت بالحمام القطا . فوقع الحمام في شبكة صائد فمرف عدده فاذا
هو كما حسبت ، ست وستون قطاة . ويمكننا ان نضيف هذه الرواية ايضاً الى خرافات الاقدمين .

يَحْفُهُ جَانِبًا نَيْقٌ ، وَتُبْعُهُ قَالَتْ : « أَلَا لَيْتِمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا فَحَسْبُوهُ ، فَالْقَوَّةُ ، كَمَا زَعَمْتَ ، فَكَمَلْتُ مَائَةً فِيهَا حَمَامَتُهَا ، مِثْلَ الزُّجَاجَةِ ، لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمْدِ (١) إِلَى حَمَامَتِنَا ، وَرَضْفُهُ فَقَدِرٌ (٢) تِسْعًا وَتِسْعِينَ ، لَمْ تَنْقُصْ ، وَلَمْ تَزِدْ (٣) وَأَحْسَنْتَ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ أَلْعَدَدِ (٤) »

وهو اذا مدحه بالكرم استطرد ايضاً الى التمثيل القصصي فيقول :

فَمَا الْفَرَاتُ ، إِذَا جَاشَتْ غَوَارِبُهُ ، تَرْمِي أَوَاذِيهِ الْعَبْرَيْنِ بِالزَّبْدِ (٥)
يَمْدُهُ كُلُّ وَادٍ مُتَرَعٍ لِحَبِّ ، فِيهِ رُكَامٌ مِنَ الْيَنْبُوتِ وَالْخَضَدِ (٦)
يَظُلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَاخُ مُعْتَصِمًا بِالْخِزْرَانَةِ ، بَعْدَ الْإَيْنِ وَالنَّجْدِ (٧)
يَوْمًا بِأَجُودَ مِنْهُ سَيْبُ نَافِلَةٍ ، وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ (٨)

(١) يحفه : يحيط به . النيق : الجبل . تبعه مثل الزجاج : أي عيناً صافية مثل الزجاج ، لم يصيبها رمد فتحتاج الى كحل . واذا كان الطير بين جانبي جبل ضاق عليه فركب بعضه بعضاً فكان اصعب لعدده . (٢) ليتما : اذا دخلت ما على ليت جاز ان تكفها عن العمل فيكون ما بعدها مبتدأ وخبراً ، وجاز ان لا تكفها فيبقى لها غمها . فقد : فحسب اي لا غير . (٣) ألفوه : وجدوه . تسماً وتسعين : اي بمد ان ضم اليه نصفه . (٤) روى ابن الاعرابي : أحسنت ، وروى الاصمعي وغيره : اسرعت . يقول : فأنت حمامتها المائة وهي أحسنت في حساب ذلك العدد . (٥) جاشت : غلت وهاجت . الغوارب : الامواج واعالي الماء . الاواذي : الامواج مفردا أذي . العبرين : الضفتين . الزبد : رغوة الماء في اضطرابه . (٦) يمدّه : اي يزيد الفرات مدداً ويقويه . مترع : ملآن . لحب : ذو صوت . الركام : الاشياء المتراكمة بعضها فوق بعض . الينبوت : ضرب من الشجر ذو شوك . الخضد : المنكسر من الشجر . يقول : هذا النهر يقويه كل وادٍ ملآن بالماء يسمع له هدير لشدة جري مائه حتى ان مائه يكسر في طريقه الاشجار ويلقيها ركاماً . يريد بذلك ان يصف قوة ماء الفرات . (٧) الملاح : النوتي الذي يشتغل في السفينة . معتصماً : متمسكاً . الخيزرانة : السكان وهو دفة السفينة . الاين : التعب والاعياء . النجد : العرق . يقول معظماً وصف الفرات : انه بلغ من خوف الملاح ان يتمسك بسكان السفينة من عظم ارتجاج امواجه وهيجهانه مخافة ان يتنجح في سيرها فتلتطم بالشواطئ فتفرق . والهاء في خوفه تعود الى الفرات . (٨) السيب : العطاء . النافلة : العطية الزائدة . لا يحول : لا يمنع . وهذا البيت متصل بقوله فما الفرات : اي فما الفرات ، وهو في مثل هذه الحال ، باكثر جوداً بياها من النعمان اذا

واذا اراد النابغة ان يعتذر الى النعمان، شرع في تهويل الخطب، وعظم ما يقاسيه من الخوف والرعب لغضب الملك عليه، فيصور نفسه قلق المضجع، لا يقر قراره، يبيت على الشوك مرة، وتوابه الافاعي أخرى . ثم يأخذ في تكذيب الوشاة، فيرميهم بلواذعه، ويقسم الاقسام على براءته . وترى خلال ذلك مبالغة في مدح النعمان وتعظيم سلطانه . فاسمعه كيف يعتذر في « عينيته » ثم في « بائيته » وهما من عيون الشعر :

وَعَيْدُ أَبِي قَابُوسَ ، فِي غَيْرِ كُنْهِهِ ، أَتَانِي ، وَدَوْنِي رَاكِسٌ فَالضَّوْاجِعُ ^(١) ،
فَبِتُّ ، كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَمِيلَةٌ ^(٢) مِنْ الرُّقْشِ ، فِي أَثْيَا بِهَا الشَّمُّ نَاقِعُ ^(٣) ،
أَتَانِي أَبَيْتَ اللَّعْنِ ، أَنَّكَ لَمَتَّنِي ، وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا الْمَسَامِعُ ^(٤) ،
مَقَالَةٌ ، أَن قَدْ قُلْتَ : «سَوْفَ أَنَالُهُ» وَذَلِكَ ، مِنْ تَلْقَاءِ مِثْلِكَ ، رَائِعُ ^(٥) ،
لَعَمْرِي ، وَمَا عُمرِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ ، لَقَدْ نَطَقْتُ بُطْلًا عَلَيَّ الْأَقَارِعُ ^(٦) ،
أَقَارِعُ عَوْفٍ ، لَا أَحَاوِلُ غَيْرَهَا ، وَجُودُهُ قُرُودٌ ، تَبْتَغِي مِنْ تَجَادُعٍ ^(٧) ،
أَتَاكَ أَمْرٌ مُسْتَبْطَنٌ لِي بِغَضَّةٍ ، لَهُ مِنْ عَدُوٍّ ، مُثْلُ ذَلِكَ ، شَافِعُ ^(٨) ،

جساد بالنوافل التي لا تجب عليه . ثم أكد جوده بأن قال : ولا يحول عطاء يومه دون عطاء غده . وحذف عطاء الثاني لدلالة الاول عليه .

(١) في غير كُنْهِهِ : اي في غير موضعه او حقيقته . دوني : امامي . راكس : وادٍ . الضواجع : جمع ضاحجة وهي منحنى الوادي . (٢) ساورتني : واثبتني . ضميلة : دقيقة اللحم وهي صفة للحية المحذوفة ، يدل عليها ما بعدها . الرُقْش : جمع رُقْشَاء وهي التي فيها نقط سود وبيض . نافع : مجتمعت ثابت . (٣) تلك : اي تلك الملامة ، دلَّ عليها قوله : لم تني . تستكُّ : تُصَمُّ وتضيق . (٤) مقالة : مرفوعة على انها بدل من فاعل اتى في البيت السابق ، تقديره اتاني لومك ، ثم يبين اللوم فقال : هو قولك سوف اناله . وذلك : اي ذلك القول . من تلقاء مثلك : اي من عند مثلك . رائع : مخيف . (٥) اراد بالاقارع بني قريع بن عوف الذين وشوا به . وهي بدل من الاقارع الاولى . وقوله : لا احاول غيرها : اي لا احاول هجاء غيرها . تجادع : تشاتم ، اي انها تهمد الشتيحة والسباب . (٦) مستبطن : مخفٍ مضمر . شافع : معين ، من شفع له بالعداوة اعانه . ويريد بالمعين المنخل الشكري الذي اتهمه بالمتجردة

- أَتَاكَ بِقَوْلِ هَاهِلِ النَّسَجِ ، كَاذِبٍ ،
 أَتَاكَ بِقَوْلِ ، لَمْ أَكُنْ لِأَقُولَهُ ،
 حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً ،
 لَمْ كَلَفْتَنِي ذَنْبَ أَمْرِي ، وَتَرَكَتُهُ ،
 فَإِنْ كُنْتُ ، لَا ذُو الضِّغْنِ عَنِّي مُكَذِّبٌ ،
 وَلَا أَنَا مَأْمُونٌ بِشَيْءٍ أَقُولُهُ ،
 فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذَرِّبِي ،
 أَتَوَعِّدُ عَبْدًا لَمْ يَخُنْكَ أَمَانَةٌ ،
 وَأَنْتَ رَبِيعٌ يَنْعَشُ النَّاسَ سَيْنُهُ ،
- وَلَمْ يَأْتِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ نَاصِعٌ ^(١) ،
 وَلَوْ كُتِبَتْ فِي سَاعِدَيَّ الْجَوَامِعُ ^(٢) ،
 وَهَلْ يَأْتِمُنْ ذُو أَمَةٍ ، وَهُوَ طَارِعٌ ^(٣) ،
 كَذِي الْعُرِّ يُكْوِي غَيْرَهُ ، وَهُوَ رَاتِعٌ ^(٤) ،
 وَلَا حَلْفِي عَلَى الْبَرَاءَةِ نَافِعٌ ^(٥) ،
 وَأَنْتَ بِأَمْرٍ ، لَا مَحَالَةَ وَاقِعٌ ^(٦) ،
 وَإِنْ خَلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ ^(٧) ،
 وَيَشْرُكَ عَبْدٌ ظَالِمٌ وَهُوَ ظَالِعٌ ^(٨) ،
 وَسَيْفٌ ، أَعْيَرْتَهُ الْمَنِيَّةُ ، قَاطِعٌ ^(٩) ،

وقد تحلل هذه الايات استطوارات قصصية لم نر حاجة الى اثباتها ، بعد ان
 قدمنا عليها الشواهد الكافية في المنتخبات السابقة .

- (١) هاهل النسج : سخيف ليس بقوي . الناصع : الواضح . يقول : اتاك بقول ضعيف
 لا اصل له كالثوب المهلهل ولم يأت بالحق الواضح . (٢) الجوامع : الاغلال مفردها جامعة .
 (٣) الريبة : الشك . ذو أمة : ذو دين . يقول : وهل يسأتم من يدين لك ويكون في
 طاعتك . (٤) العُر : داء يصيب البعير فاذا اصابه كوي له بعير صحيح اعتقاداً منهم ان
 ذا العُر يبرأ من دائه . يقول : حلفت انك الزمتني ذنب جانٍ وتركته فانا وهو بمنزلة
 ذي العُر من الابل يكوي غيره وهو راتع . (٥) يقول : اذا كنت لا تكذب عني ذا الحقد
 والضغينة ، واذا كان حلفي لا ينفعني على البراءة . وقد اعترض بعضهم على هذا البيت فقال :
 « كيف يقول : « ولا حلفي على البراءة نافع » وقد قال قبل : « حلفت فلم اترك لنفسك
 ريبة » . وهو اعتراض سخيف ؛ اذ لا يكفي ان يقول الشاعر : « لم اترك لنفسك ريبة »
 بل يلزم ان تكون هذه الريبة زالت حقاً من نفس الملك . (٦) يقول : اذا كنت لا أؤتمن
 على ما اقول من الصدق ، وأنت عازم على امر تفعله بي . (٧) المنتأى : المكان البعيد .
 اعترض الاصمعي على هذا البيت فقال : « لا معنى لمخصص الليل لان النهار يدركه كما
 يدركه الليل . » وهو اعتراض في غير موضعه ، لان الليل اذهب للخائف الطريد وأضيق مجالاً
 لتصريف الامور . (٨) الظالع : الجائر عن الحق . (٩) ينعش : يرفع من السقطة . سيبه :
 عطاؤه وقوله : أعيرته المنية : من المقلب اي اعير المنية . كما تقول : كسوت جبةً زيداً واغنا
 هو كسوت زيداً جبةً . يقول : ان هذا السيف لا يجيأ من ضرب به لان المنية فيه .

واليك اعتذاره في قصيدته « البائية » :

أَتَانِي ، أَيْتَ اللَّعْنِ ، أَنْكَ لَمَتِّي ، وَتِلْكَ أَلَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصَبُ ^(١) ،
فَيْتُ ، كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ فَرَشَتِي هِرَاسًا ، بِهِ يُغَلَى فِرَاشِي ، وَيُقَشَّبُ ^(٢) ،
حَلَفْتُ ، فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً ، وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ ^(٣) ،
لَمِنْ كُنْتُ قَدْ بُلَغْتَ عَنِّي خِيَانَةً ، لَمْ يَلْعَكَ أَلْوَالِيهِ أَغْشُ وَأَكْذَبُ ^(٤) ،
فَلَا تَتْرُكْنِي بِأَلْوَعِيدِ كَأَنِّي ، إِلَى النَّاسِ ، مَطْلَبِي بِهِ أَقَارُ ، أَجْرَبُ ^(٥) ،
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ، تَرَى كُلَّ مَلِكٍ ، دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ ^(٦) ،
بِأَنَّكَ شَمْسٌ ، وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ ، إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ ^(٧) ،
فَإِنَّ أَلَّكَ مَظْلُومًا ، فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ ، وَإِنْ تَكُ ذَا عُتْبَى ، فَمِثْلُكَ يُعْتَبُ ^(٨) ،

وللناطقة اسلوب آخر في مدح الملوك ، قد نستنكره ونتهم فيه ذوق صاحبه ، لولا ظننا انه لم يكن مستهجنًا في العصر الذي عاش فيه الشاعر . وهذا الاسلوب هو رثاء ممدوحه حيًا ، والبكاء عليه قبل ان يموت .

على اننا وان كنا نزعم ان البكاء على مناقب المراء في حياته كان مقبولًا في العصر الجاهلي ، فلا يسعنا القول انه شاع عندهم ، بل ربما تحامته طائفة جليلة من

(١) أَنْصَبُ : أَلْعَبُ . (٢) الْعَائِدَاتُ : الزائرات في المرض . الْهَرَّاسُ : نبت له شوك كثير . يُقَشَّبُ : يُجِدَّدُ . يقول : لما عرفت انك لممتي ، بتُ كَأَنِّي مَرِيضٌ لَمَّا بِي مِنْ الْهَمِّ ، وَكَأَنَّ الزَّائِرَاتِ فِي مَرَضِي بَسَطْنَ لِي شَوْكًا عَلَى فِرَاشِي يُجِدَّدُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَأَنَا أَقْلَمُ فَوْقَهُ وَلَا أَنَامُ . (٣) يقول : لَيْسَ بَعْدَ الْيَمِينِ بِاللَّهِ طَلَبُ لَيْسِينَ غَيْرَهَا . (٤) أَغْشُ وَأَكْذَبُ : لِلْمِبَالَةِ لَا لِلتَّفْضِيلِ أَيُّ غَاشٍ كَاذِبٌ . (٥) الْقَارُ : الْقَطْرَانُ . يقول : لَا تَدْعُنِي تَحْتَ تَهْدِيدِكَ فَتُبْعِدَ عَنِّي النَّاسَ ، كَمَا تُبْعَدُ الْإِبِلُ الصَّحِيحَةُ مِنَ الْبَعِيرِ الْجَرَبِ الْمَطْلِيِّ بِالْقَطْرَانِ . وَقَوْلُهُ : إِلَى النَّاسِ : أَيُّ فِي النَّاسِ . وَقَوْلُهُ : مَطْلَبِي بِهِ الْقَارُ : عَلَى الْقَلْبِ أَيُّ مَطْلَبِي بِالْقَارِ . (٦) سُورَةٌ : مِثْلُهُ وَفَضِيلُهُ . يَتَذَبَذَبُ : يَتَرَدَّدُ لِيَسَالَهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ . (٧) أَيُّ أَنَّهُ يَجِبُ الْمُلُوكُ كَمَا تَحِجُّ الشَّمْسُ الْكَوَاكِبَ . وَيُرِيدُ هُنَا وَصْفَ عِظَمَةِ السُّلْطَانِ لَا جِهَالَ الْوَجْهِ لِأَنَّ النِّعْمَانَ كَانَ قَبِيحًا . (٨) الْعُتْبَى : الرَضَى . يُعْتَبُ : يَعْطَى الْعُتْبَى ، وَيَتْرَكَ مَا غَضِبَ لِأَجَلِهِ . أَيُّ وَإِنْ رَضِيتَ عَنِّي فَمِثْلُكَ مَنْ يَتْرَكَ مَا كَانَ غَضِبَ لِأَجَلِهِ .

الشعراء المداحين ، كزهير مثلاً فإنه لا يقل شهرة في المدح عن النابغة ، ولكن لم يتورط مثله في هذا الأسلوب العَبُوس^(١) .

على أن هذا الأسلوب لم يبق له حظ في الاسلام ، بعد أن لطفت الاذواق ، ورقت المشاعر ، فاصبح الممدوح يتطير ، ويذجر مادحه اذا جاءه بهذه البضاعة السوداء^(٢) .

واليك شيئاً من بكاء النابغة على ممدوحيه وهم احياء . قال من قصيدة يعتذر بها الى النعمان وقد ذكر له انه عليل :

أَلَكِ الْخَيْرُ إِنِّ وَارَتْ بِكَ الْأَرْضُ وَاحِدًا ، وَأَصْبَحَ جَدُّ النَّاسِ يَظْلَعُ عَائِثًا ،^(٣)
وَرُدَّتْ مَطَايَا الرَّاعِيْنَ ، وَعَرِيَتْ جِيَادُكَ ، لَا يُخْفِي لَهَا الدَّهْرُ حَافِرًا^(٤)

(١) لا نذكر لزهير من هذا القبيل الا ثلاثة ابيات ، ولكنها ليست من باب الرثاء بل من الحكم والمواعظ وهي من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان :

فَلَوْ كَانَ حَمْدُ يُخْلِدُ النَّاسَ لَمْ تَمُتْ ، وَلَكِنْ حَمْدُ الْمَرْءِ لَيْسَ بِمُخْلِدٍ
وَلَكِنْ مِنْهُ بَاقِيَاتٌ وَرَائَتْ فَأَوْرَثَ بِنِكَ بَعْضُهَا ، وَتَرَوْدُ^(١)
تَرَوْدُ إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ فَانْه ، وَلَوْ كَرِهَتْهُ النَّفْسُ ، آخِرُ مَوْعِدٍ
(١) يقول : ولكن يبقى من هذا الحمد ما يُثَارِثُ فيقوم مقام الحياة لصاحبه ، فأورث بعض مكارمك ومحامدك بنيك ، وتروّد بعضها الآخر الى ما بعد موتك . وهذا البيت يدل على إيمان بالثواب والعقاب .

(٢) من قبائح ما وقع لابي نواس ، على لطف ذوقه ودقة احساسه ، ان الفضل بن يحيى (البرمكي بنى داراً استفرغ فيها مجهوده وانتقل اليها . فصنع ابو نواس قصيدة يمدحه بها اولها :

أَرْبَعُ الْبِلَى إِنَّ الْخُشُوعَ لِبَادٍ عَلَيْكَ ، وَإِنِّي لَمْ أَخُنْكَ وَدَّادِي
وقال في اوآخرها :

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا فُقِدَتْ بَنِي بَرِّمَكٍ مِنْ رَائِحِينَ وَغَادٍ
فَتَطِيرُ مِنْهَا الْفُضْلُ وَاشْمَازٌ حَتَّى كَلَجَ وَظَهَرَتِ الْوَجْهَةُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : نَعَيْتُ إِلَيْنَا أَنْفُسَنَا يَا أَبَانُوَسَ .
(٣) وارت : دفنت وغيببت . الجد : الحظ . يظلع : يعرج . يقول : ادعوا لك بالخير اذا وارثك الارض فانما تواري واحداً لا مثيل له في فعله ، ويصبح حظ الناس بعدك عائراً وتحتل احوالهم . (٤) الراغبون : الطالبون للمعروف . عريت جيادك : أي حطت عنها السروج فلم تستعمل في سفر ولا غزو ، وأهملت فما يُخْفِي لها السير حافراً .

وقال فيه ايضاً :

فَإِنْ يَهْلِكْ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكْ رَبِيعُ النَّاسِ ، وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ ^(١)
وَنُمْسِكُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ أَجَبَ الظَّهْرُ ، لَيْسَ لَهُ سَنَامُ ^(٢)

ولا يقتصر النابغة على رثاء ممدوحه مريضاً ، بل ربما رثاه وهو صحيح الجسم معافى ، كما فعل في النعمان بن الحرث ، وقد خرج الى بعض متزهاته :

إِنْ يَرْجِعَ النُّعْمَانُ نَفْرَحَ وَنَبْتَهْجُ ، وَيَأْتِ مَعَدًّا مُلْكُهَا وَرَبِيعُهَا ^(٣)
وَيَرْجِعُ إِلَى غَسَّانٍ مُلْكٌ وَسُودَدُ ، وَتِلْكَ الْغَنَى لَوْ أَنَّنَا نَسْتَطِيعُهَا ^(٤)
وَإِنْ يَهْلِكِ النُّعْمَانُ تُعْرَ مَطِيَّةٌ ، وَيُلْقَى إِلَى جَنْبِ الْفَنَاءِ قُطُوعُهَا ^(٥)
وَتَنْحَطُ حَصَانُ آخِرِ اللَّيْلِ نَخْطَةً ، تَقْضُضُ مِنْهَا ، أَوْ تَكَادُ ضُلُوعُهَا ^(٦)
عَلَى إِثْرِ خَيْرِ النَّاسِ إِنْ كَانَ هَالِكًا ، وَإِنْ كَانَ فِي جَنْبِ الْفِرَاشِ ضَجِيعُهَا ^(٧)

أفلا ترى في هذه الامثلة رثاء لحيٍّ ، وعويلاً على غير ميت . بيد ان ذلك

(١) ربيع الناس : جعله بمنزلة الربيع في الحسب لكثرة عطائه وفضله . الشهر الحرام : كناية عن الأمن ، لان الاشهر الحرم يمتنع فيها القتل والغزو . (٢) ذناب الشيء : طرفه .
أجب الظهر : اي لاستام له . يقول : نتمسك بعده بطرف عيش قليل الخير بمنزلة البعير المهزول الذي قد ذهب سنام . (٣) يقول : ان يرجع النعمان من رحلته نفرح ونبتج ويرجع الى معد ملكها الذي كان لها بسببه خصمها وصلاح حالها . واول هذا البيت لحقه الحرم فحذف فاء فعولن ، والحرم من العلل التي تطروء على الاوتاد . (٤) قال ابو بكر : « وقوله : تلك المنى . إشارة الى رجعتي اي رجعتي هي المنى لو استطعناها وقدرنا عليها . وظاهر هذا انه رثاء .
(٥) تمر : أي يترع عن المطية الرحل وتعرى منه . فناء الدار : ساحة أمامها . القُطوع : جمع قطع وهي كالنفس . يقول : ان هلك النعمان ترك كل وافد عليه مطيته ولم يستعملها ورمي بأدواتها الى جنب فناء الدار استغناء عنها . ويريد بالوافد طالب عرف النعمان . (٦) تنحط : تزفر من الحزن . الحصان : المرأة العفيفة . تقضض : تنكسر . يقول : اذا تذكرت معروفه وافضاله حاجت لها زفرات تكاد تنكسر منها ضلوعها ، وخص آخر الليل لانه وقت الهبوب من النوم ، وقيل انه وقت يُرَقَّب فيه العدو او وقت الفسادة فتتذكر النعمان لذوده عنها ونصره لها . (٧) يقول : وان كان معها زوجها فهي تبكيه وتذكر معروفه وأياديه ولا تتشم .

لا يقدح في شاعرية النابغة ، وله من درره الغوالي ما يشفع به ويحجب سيئاته ،
إن كان ثمة من سيئة .

ولا ندحه لنا عن اياد شيء من « بائته » الشهيرة التي امتدح بها آل غسان ،
فهي خير ما يدح به الملوك . قال :

- كَلَيْنِي لِهَمِّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٌ ، وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ ^(١)
تَطَاوَلُ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقُضٍ ، وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِأَيِّبٍ ^(٢)
وَصَدْرُ أَرَاكِ اللَّيْلِ عَازِبٌ هَتَمٌ ، تَضَاعَفَ فِيهِ الْخُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ^(٣)
عَلَى لَعْمَرٍ نِعْمَةٌ ، بَعْدَ نِعْمَةٍ ، لَوْ أَلَدِمَ ، لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبٍ ^(٤)
وَبُثِّتَ لَهُ بِالْتَّصَرُّ ، إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ ، كِتَابٌ مِنْ غَسَّانَ ، غَيْرُ أَشَابِ ^(٥)
إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ ، حَلَقَ فَوْقَهُمْ ، عَصَابٌ طَيِّبٌ ، تَهْتَدِي بِعَصَابٍ ^(٦)
وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ ، غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ ، رَهْنٌ فُلُوقٍ ، مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ ^(٧)
تَقْدُ السُّلُوقِي الْمَضَاعَفَ نَسْجُهُ ، وَتُوقِدُ بِالْصَّفَاحِ نَارَ الْجُبَابِ ^(٨)

(١) كَلَيْنِي : دعيني . يا أميمة : هكذا رويت مفتوحة التاء . قال الخليل : « من عادة العرب ان تنادي الوثأث بالترخيم فتقول يا أميم ، ويا عز ، ويا سلم . فلما لم يرخم لمقدم حاجته الى الترخيم اجراها على لفظة مرخمة واتي بها بالفتح . والاحسن ان يُنشد يا أميمة بالرفع » . ناصب : من نصبه الهم : أتعبه . وقوله : بطيء الكواكب : اي بطيء الزوال لانه يغيب بغياب كواكبه . (٢) أَيِّب : راجع . يقول : تطاول هذا الليل حتى ظننت انه لا ينقضي ، واني سأظل ارعى النجوم قائماً فلا ارجع الى اهلي . (٣) أَرَاكِ : رد . عازب : بعيد . يقول : ورب صدر ، ويريد به صدره ، رد الليل ما بعد من هم في النهار فتضاعف الخزن فيه من كل جانب . والليل كما لا يخفى ثقيل على المهوم . (٤) عمرو : اي عمرو بن الحرث اخي النعمان . ليست بذات عقارب : اي لم يكدرها من ولا أذى . (٥) كِتَابٌ : قطع الجيوش مفردة كتيبة . اشائب : اخلاط . يقول : انه غزا بفسان لم يخالطها غيرها ولا احتاج ان يستعين بسواها . (٦) العصاب : الجاعات . يقول : ان الطيور الجوارح ترافق جيوشهم الى الحرب ، لتعودها ان تنهش لحوم القتلى كلما غزا ملوك غسان . (٧) الفلوق : الثلوم . (القراع : المجالدة . يقول : لا عيب في بني غسان غير ان سيوفهم مثالحة من كثرة مقارعة الجيوش . وهذا العيب فخر لهم وفضل ، ويسمى في البيان توكيد المدح بما يشبه الذم . (٨) نقد : تقطع . السلوقي : نسبة الى سلوق مدينة باليمن او بغيرها

لَهُمْ شَيْمَةٌ لَمْ يُعْطَهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ
مَجْلَتْهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ ، وَدَيْنَهُمْ
رِقَاقُ النِّعَالِ ، طَيِّبٌ حُجْزَاتُهُمْ ،
تَحْيِيهِمْ بَيضُ الْوَلَدِ بَيْنَهُمْ ،
يَصُونُونَ أَجْسَامًا قَدِيمًا نَعِيمُهَا ،
وَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ ،

مِنَ الْجُودِ ، وَأَلْأَحْلَامُ غَيْرُ عَوَازِبِ^(١)
قَوِيمٌ ، فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ^(٢)
يَحْيُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّيَاسِ^(٣)
وَأَكْسِيَةِ الْأَضْرِيحِ فَوْقَ الْمَشَاجِبِ^(٤)
بِحَالِصَةِ الْأَرْدَانِ ، خُضْرُ الْمَنَاكِبِ^(٥)
وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَارِبِ^(٦)

تنسب إليها الدروع والكلاب . المضاعف نسجه : الذي نسج حلقتين او مثلين . الصفاح : حجارة عراض . الحياحب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء بتصادم حجرين ، وسراج الليل وهو ذباب يطير بالليل له شعاع . يقول : هذه السيوف تقطع الدرع المضاعفة وتقطع معها الفارس والفرس ، وتصل الى الحجارة فتقذح بها شرراً . وفي ذلك غلو فاحش يعيب به الشاعر .

(١) الشيمه : الطبيعة . الاحلام : العقول . عواذب : بعيدة . يقول : لهم شيمه من الجود لم يعطا الله غيرهم . وعقولهم حاضرة معهم غير بعيدة منهم ولا غائبة عنهم . (٢) مجلتهم : الكتاب المتضمن للحكمة او كل كتاب ، وهي هنا الانجيل لأن بني غسان كانوا نصارى . ذات الاله : أي كلامه لانه صادر عن الذات وهي النفس والارادة . فما يرجون غير العواقب : اي لا يخافون الا عواقب اعمالهم عند الله . (٣) رقاق النعال : كناية عن انهم ملوك ليسوا بأصحاب مشي حتى تكون نعالهم غليظة . طيب حيزاتهم : كناية عن انهم اعفاء محضون . والحيزات جمع حيزه : معقد الازار ، اي يعقدون أزرهم على عفة وحصانة . السباب : عيد السمانين عند النصارى . ويعرف اليوم بالسمانين . (٤) الولائد : الاماء . الاكسية جمع كساء : الثوب . الاضريح : الخز الآحمر . المشاجب : جمع مشجب وهو عود يعلق عليه الثوب . يقول : هم ملوك اهل نعمة تخدمهم الاماء البيض الحسن ، وتحيمهم بالريحان يوم السباب وثيابهم مصونة لا تطرح على الارض بل تعلق على الاعواد . (٥) الاردان جمع الرؤد : مقدم كم القميص . الخالص : الشديد البياض . المناكب : جمع منكب وهو مجتمع رأس الكتف . وقوله قديماً نعيمها : اي انهم ملوك ابناء ملوك ليسوا بحديثي النعمة . يقول : انهم يصونون اجسادهم بثياب بيض الاكمام خضر المناكب . ويجوز ان تكون هذه الثياب بيضاً كأكمامها . او ان تعود بلونها على اكسية الاضريح فكأنه يقول : يصونون اجسادهم بثياب من اكسية الاضريح بيض الاردان خضر المناكب . (٦) لارب : ثابت . وضربة لارب : اي شيء لازم ثابت . يقول : قد عرفوا تصرف الزمان وتقلبه ف اذا أصابهم خير لم يتقوا بدوامه فيبطروا ، واذا أصابهم شر لم يرهقهم ولا يحملهم على القنوط . فوصفهم بالاعتدال

وفي هذه القصيدة الحسنة من الفوائد التاريخية عن ملوك غسان شيء يذكّر ،
فهي تعلمنا أنهم كانوا يلبسون النعال الرقيقة . والنعال الرقيقة لا تصلح للسير ،
يدل على أنهم كانوا لا يخرجون من دورهم الا ممتطين صهوات جيادهم . وتعلمنا
ايضاً أنهم كانوا يباشرون الحفلات الدينية بانفسهم ، فاذا جاء عيد الشعانين ساروا
الى الكنيسة ، والولائد البيض بين ايديهم تحميمهم بالرياحين . وتعلمنا على شكل
اللبستهم وألوانها ، وانهم كانوا يعلقونها على أعواد تسمى « المشاجب » كما تعلق
اليوم ثيابنا .

وقد تبين لنا من هذه القصيدة وغيرها ما في النابغة من خصائص يمتاز بها
في المديح والاعتذار ، ورأينا ما في شعره من روعة وبهاء لوضوح معانيه ، ورونق
الفاظه ، وبعده من الحشو والتكلف ، والركيك الساقط .

عنزلة

هو في طبيعة شعراء الطبقة الاولى . عدّه ابن سلام بعد امرئ القيس ، وقبل
زهير والاعشى ، وقد كثّر الخلاف في أيهم اشعر . قال ابن سلام : « قال من احتج
لنابغة : كان احسنهم ديباجة شعر ، واكثرهم رونق كلام ، واجزلهم بيتاً . كان
شعره كلام ليس فيه تكلف . » وشهد له عمرو بن الخطاب ، وعبد الملك بن مروان ،
وابو الاسود الدؤلي وحماة الراوية ، والاخلط ، وجوير ، فقالوا : انه اشعر العرب ^(١)
وشهد حسان بن ثابت يوم رجوعه الى النعمان فكان يقول : فحسدته على ثلاث
لا ادري على ايتهن كنت له اشد حسداً : على ادنا النعمان له بعد المباحدة
ومسامرته له واصغائه اليه ، ام على جودة شعره ، ام على مائة بغيره من عصفيره امر
له بها ؟ »

وجام القول ان منزلة النابغة في الشعر سامية المقام ، عزيزة المنال . فهو شاعر
الملوك ، وحكم سوق عكاظ ، ونابغة الشعراء . . .

(١) كان الاقدمون يفضلون الشاعر على غيره بيت او اكثر ثم يفضلون غيره عليه ببيت
او اكثر . فلا نعجب لقول عمر بن الخطاب : ان النابغة اشعر العرب ، وقد حكم لزهير
بذلك ، على انه ينبغي لنا ان نعلم ان هذه الاحكام لم تتناول سوى فحول الشعراء .

الشعر الحمري

قد نكون مسرفين في هذه التسمية ، لان الادب العربي لم يعرف الشعر الحمري على حقيقته ، الا بعد نبوغ ابي نواس شاعر الحمرة وزعيم شعرائها . على اننا لا نخب ان نبخس العصر الجاهلي حقه ، وفيه شاعراتن هذا الفن ، وفاق به معاصريه ، الا وهو الاعشى .

(١) الاعشى الأكبر

٦٢٩ م — ٥٧ هـ

- حياته : شاعر جوال متكسب بشعره . يمدح ويهجو . تفنن الرواة في خبر المخلوق . اسره ومدحه لابن السموأل . خبره في الاسلام ، ومدحه الرسول . الشك في نسبة القصيدة اليه . تاريخ وفاته .
- آثاره : ديوان فيه شعر كثير . اشهره لاميتان تمدان من العلاقات . نظم في المدح ، والهجاء ، ووصف الخمر ، والغزل .
- ميزته - الشعر الحمري : وصف الحمرة للخمرة لا للتفاخر بشرها . يصف التديم والساقى والقينة وعودها . يصور حالة السكرارى . صاحب لحو وعبث . (سهولة والانسجام ، ووضوح المعنى . مترلته : الاعشى في الجاهلية كالحسن في الاسلام .

حياته

هو مَيْمُونُ بن قَيْس بن جَنْدَل، ينتهي نسبه الى بكر بن وائل من ربيعة ، لُقِّب بالاعشى لسوء بصره ، وكُنِّي بابي بصير تفاؤلاً بالشفاء ، او لنفاذ بصيرته . وُسِّمِي صنَّاجة^(٢) العرب لانه كان يتغنى بشعره . وكان يقال لاييه « قتيل الجوع » وذلك

(١) الاعشى : الاعمى أو من ساء بصره فلا يصر ليلاً . وُوصف بالاكبر تمييزاً له عن غيره من الشعراء الذين عرفوا بهذا اللقب . (٢) الصنَّاجة : صاحب الصنيج وهو آلة للطرب ، والثناء هنا للمبالغة لا للتأنيث .

انه كان في جبل ، فدخل غاراً ليستظل فيه من الحر ، ف وقعت صخرة من الجبل فسدت الغار ، فمات فيه جوعاً . وفيه يقول جيهنّام واعمه عمرو ، وكان يستهاجي هو والاعشى :

أَبُوكَ قَتِيلُ الْجُوعِ قَيْسُ بْنُ جَنْدَلٍ ، وَخَالَكَ عَبْدٌ مِنْ خُمَاعَةَ ، رَاضِعٌ ^(١)

والاعشى من اهل اليامة ، من قرية تسمى «منفوحة» ولكنها لم تكن قواراً له ، بل كان ينتجع بشعره اقاصي البلاد سائلاً متكسباً . قيل انه وفد على ملوك فارس ، وسمعه كسرى مرة ينشد :

أَرَقْتُ وَمَا هَذَا الشَّهَادُ الْمُورِقُ ؟ وَمَا بِي مِنْ هَمٍّ وَمَا بِي مَعْشَقُ

فقال : « ما يقول هذا العربي ؟ » قالوا : « يتغنى بالعربية » قال : « فسروا قوله » قالوا : « زعم انه سهر من غير مرض ولا عشق » قال : « فهذا اذا لص » وهذا البيت مطلع قصيدة مدح بها رجلاً من بني كلاب يقال له الملق (٢) ، والملحق قصة فكهة استعملها الرواة ، فتفننوا فيها ما شاؤوا . واليكها :

عند المحلل الكلاوي

كان الاعشى يوافي سوق عكاظ في كل سنة ، وكان الملق الكلاوي مثناً ^(٣) مُبْلِغاً ^(٤) . فقالت له امرأته : « ما يمنعك من التعرض لهذا الشاعر ، فما رأيت احداً اقتطعه الى نفسه الا اكسبه خيراً » قال : « ويحك ما عندي الا ناقي » قالت : « الله يخلفها عليك . » فتلقيه قبل ان يسبقه اليه احد ، وابنه يقوده ، فاخذ الحطام ^(٥) فقال الاعشى : « من هذا الذي غلبنا على خطامنا ؟ » قال : « الملق » قال : « شريف كريم » ثم سلمه اليه ، فأناخه ، ففحرو له ناقتة وكشط ^(٦) له عن سنامها ^(٧) وكبدها ثم اسقاه خمرأ ، واحاطت به بناته بخدمته ويمسحنه ^(٨) . فقال : « ما هذه الجواري

(١) خُمَاعَة : اسم قبيلة . راضع : لثيم . (٢) الملق : سمي الملق لأن فرسه عضته في خده فتركت به اثراً على شكل الخلقة . (٣) المثناة : كثير الثنيات . (٤) مبلِّغاً : فقيراً . (٥) خطام الناقة : زمامها . (٦) كشط : أي ازال الجلد ورفعه . (٧) السنام : الحذبة . (٨) يمسحنه : يدهنه بالطيب .

حولي ؟ » فقال : « بنات اخيك وهن ثمان » . فلما رحل من عنده ، ووافى سوق عكاظ ، جعل ينشد قصيدته في مدحه . فسأله عليه الملق ؛ فقال له الاعشى : « مرحباً ياسيدي بسيد قومه » ونادى : « يا معاشر العرب ! هل فيكم مذكر ^(١) يزوج ابنه الى الشريف الكريم ؟ » فما قام من مقعده وفيه مخطوبة ^(٢) الا وقد زوجها .

ورواها التوفلي على شكل اغرب . فزعم ان ابا الملق رجل شريف اتلف ماله ، ولم يترك لابنه الملق وبناته الثلاث غير ناقة وحلتى برود ^(٣) . فاقبل الاعشى من بعض اسفاره يريد اليمامة ، فتزل الماء الذي به الملق ، فقراه ^(٤) اهل الماء . فألت عمة الملق على ابن اخيها ان يرسل اليه الناقة والبردين ، وزق خمر يستقرضه من بعض التجار ، ثم نطقت بتلك الجملة المأثورة التي سنسمعا بعد قليل من الاعشى : « والله لئن اعتلج ^(٥) الكبد والسنام والخمر في جوفه ونظر الى عطفيه ^(٦) ليقولن فيك شعراً يرفعك به » فرضي الملق بعد امتناع وجدال ، ووجه بالناقة والخمر والبردين مع مولى ^(٧) لايه وكان الاعشى قد ارتحل ، فخرج المولى يتبعه من بلد الى بلد حتى صار الى منزله في منفوحة ، فوجد عنده عدة من الفتيان قد غداهم بغير لحم ، وصب لهم فضيخاً ^(٨) . فلما أخبر بقدمه ، وبما معه قال : « يحكم ، اعرابي ! والذي ارسل الي لا قدر له . والله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفي لاقولن فيه شعراً لم اقل قط مثله . » ثم نحروا الناقة ، وشقوا خاصرتها عن كبدها ، وجلدها عن سنماها ، واقبلوا يشوون ، وصبوا الخمر فشربوها ، واكل الاعشى وشرب معهم ، ولبس البردين ونظر الى عطفيه فيها ، وانشأ يمدح الملق . فسار الشعر وذاع في العرب ، فأتت سنة حتى زوج الملق اخواته الثلاث ، كل واحدة على مائة ناقة ، فأيسر وشرف

ولم يكتف الرواة بنحو الملق وما فيه من اغراب ، بل اضافوا الى الاعشى

(١) المذكر : من ولد الذكور . (٢) مخطوبة : اي تصلح للخطبة . (٣) الحلة : الثوب الجديد . البرود جمع برود : ثوب مخطط . (٤) قراه : اضافه . (٥) اعتلج : تضارب . (٦) عطفيه : جانبيه . (٧) المولى هنا : العبد . (٨) الفضيف : اللبن يخلط بالماء حتى يغليه فيبرق .

مهرة ثانية في تزويج العوانس ^(١) ، فزعموا : « ان امرأة جاءت اليه فقالت : « ان لي بنات قد كسدن ، فشيب ^(٢) بواحدة منهن لعلهن تنفق » فشيب بواحدة منهن ، فما شعر الا بجزور ^(٣) قد بعث به اليه . فقال « ما هذا » قالوا : « زوجت فسلانة » فشيب بالاخري ، فاثاء مثل ذلك ، فسأل عنها فقيل : « زوجت » . فما زال يشيب بواحدة فواحدة حتى زوجن جميعاً . »

على ان هذا الاغراب في سرد الروايات ، وهذه الكثرة في التزويج ، لا ينبغي ان يكون لقصة المحلق وبنساته أو أخواته بعض الصحة . فالقصيدة التي مدحه بها الاعشى من جيد الشعر ، ولم يشك احد في نسبتها اليه . ومما جاء فيها قوله :
لَعْنِي ، لَقَدْ لَاحَتْ عَيْنٌ كَثِيرَةٌ ، إِلَى ضَوْءِ نَارٍ ، فِي يَفَاعٍ تُحَرِّقُ ^(٤)
تُشِبُّ لِحْقُورَيْنِ يَصْطَلِيَانَهَا ، وَبَاتَ عَلَى النَّارِ الْإِنْدَى وَالْمُحَلَّقُ ^(٥)
رَضِيعِي لِبَانِ ثَدْيِي ، أُمِّ تَحَالَفَا ، بِأَسْحَمِ دَاجٍ : عَوْضُ لَا تَنْفَرُقُ ^(٦)
وانتهى الى قوله :

أَبَا مَسْمَعٍ ، سَارَ الَّذِي قَدْ فَعَلْتُمْ ، فَأَنْجَدَ أَقْوَامٌ بِهِ ، ثُمَّ أَعْرَقُوا ^(٧)
بِهِ تُعَقِّدُ الْأَجْمَالُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ، وَتُعَقِّدُ أَطْرَافُ الْجِبَالِ ، وَتُطَلِّقُ ^(٨)

(١) العوانس : جمع عانس وهي البنت اذا طال مكثها في دار اهلها بعد ادراكها ولم تتزوج .
(٢) شَبَّبَ : تغزل بالمرأة ووصفها . (٣) الجزور : ما يذبح من الشاء والابل واحدها جزرة ، وقوت . فيقال : رعت الجزور . (٤) لاح اليه : نظر اليه . اليفاع : المرتفع من الارض . وكان كرام العرب يوقدون نيرانهم ليلاً في الامكنة العالية ليهتدي بها الضيفان الى منازلهم .
(٥) تُشِبُّ : توقد . المقرور : من أصابه البرد . يصطليانها : يستدفئان بحرّها . (الندى : الكرم . يقول : أوقدت هذه النار لرجلين غريبين اصابهما البرد . والرجلان هما الاعشى وابنه . ثم قال : وبات على النار الندى والمحلق : اي ان الجود والمحلق كانا يستبقان الى قري الرجلين فلا يفارقان النار . يشير بذلك الى كثرة الطبايح . (٦) اللبان : الرضاع ولبن المرأة . ورضيعي لبان حال من الندى والمحلق . الاسحم : الاسود صفة لليل المحذوف . داج : مظلم . عوض : ابدأ ظرف زمان مبني على الضم . يقول : ان المحلق والكرم أخوا لبان تحالفا في ليل مظلم وقالوا : « لا تنفرك ابدأ » وقوله : تحالفا في ليل مظلم . لان فيه يكثر طروق الضيفان . ورؤيت : وضيعي لبان ثدي أم ، بنصب ثدي على ترع الخافض أي من ثدي أم . (٧) انجد : اتى نجداً . أعرق اتى العراق . يقول : ان عمل المحلق سار ذكره في البلاد . (٨) الاجال : جمع جمل .

عند شريح به السموأل

وكان الاعشى خبيث اللسان يحسن الهجاء كما يحسن المدح . فهجأ مرة رجلاً من بني كلب فقال :

بَنُو الشَّهْرِ الحَرَامِ ، فَلَسْتُ مِنْهُمْ ، وَلَسْتُ مِنَ الْكِرَامِ ، بَنِي عَيْدٍ ،
وَلَا مِنْ رَهْطِ جَبَّارِ بْنِ قُرْطٍ ، وَلَا مِنْ رَهْطِ حَارِثَةَ بْنِ زَيْدٍ

وهؤلاء . كلهم من بني كلب . فقال : الكلبي : « لا اباك ! انا اشرف من هؤلاء » .
وقد سبه الناس بهجاء الاعشى اياه .

واتفق ان الكلبي اغار على قوم قد بات فيهم الاعشى ، فأسر منهم نفرًا ،
واسر الاعشى وهو لا يعرفه . ثم جاء حتى تزل بشريح بن السموأل بن عادي .
اليهودي ، صاحب ثياب بحصنه الابلق . فرأى شريح بالاسرى فعوف الاعشى ، فقال
للكلبي : « ما ترجو بهذا الشيخ ولا فداء له ، فبه لي » فوهبه له . فاخذه
شريح فأطعمه وسقاه ، فلما اخذ منه الشراب سمعه يترنم بهجاء الكلبي ، فاراد
استرجاعه فقال الاعشى :

شَرِيحُ لَا تَتْرُكْنِي بَعْدَ مَا عَلِقْتُ حَبَاكَ أَلْيَوْمَ ، بَعْدَ الْقَيْدِ ، أَظْفَارِي ^(١)
قَدْ جُلْتُ مَا يَنْبَغِي بَانِقِيَا إِلَى عَدَنِ ، وَطَالَ فِي الْعَجْمِ تَرْدَادِي ، وَتَسْيَارِي ^(٢)
فَكَيْفَ أَكْرَمَهُمْ عَهْدًا ، وَأَوْثَقَهُمْ مَجْدًا ، أُبُوكَ ، يَعْرِفُ غَيْرَ إِنْكَارِ ^(٣)
كَأَلَيْتُ مَا اسْتَمَطَرُوهُ ، جَادَ وَابِلُهُ ، وَفِي الشَّدَائِدِ كَأَلْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي ^(٤)

يقول : ان كرمكم اشتهر في الناس فصاروا يتحدثون به في حلهم وترحالهم . (١) علقت :
استمسكت ، ونسبت وقوله حبا لك : نصبتها على ترع الخافض والاصل ان تُعدى بالباء .
القيد : القيء . اظفار : فاعل علقت . يقول : لا تتركني بعد ان استمسكت ببخال معونتك بعد
القيء والاسر . (٢) بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة . عدن : ثغر على مدخل مضيق باب المنذب
من ناحية اليمن . (٣) العرف : ما يعرفه الناس عامة ويستقر في نفوسهم . (٤) الغيث : المطر .
ما : مصدرية زمانية . استمطروه : طلبوا مطره . الوابل : المطر الغزير . المستأسد : المتشبه بالاسد
ويريد به هنا الاسد نفسه . الضاري : صفة الاسد المفترس وكل سبع . شبهه بالغيث في جوده ثم
فضله على الغيث بقوله : انه يظل يجود على الناس بوابله مدة طلبهم جوده أي انه لا يقطع عنهم العطاء

كُنْ كَالسَّمَوِّ إِذْ طَافَ إِلَهُامُ بِهِ
 إِذْ سَامَهُ خُطْبَتِي خَسَفَ ، فَقَالَ لَهُ :
 فَقَالَ « غَدْرٌ وَكُلُّ أَنْتَ بَيْنَهُمَا ،
 فَشَكَ غَيْرَ طَوِيلٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
 وَسَوْفَ يُعْقِبْنِي ، إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ ،
 فَأَخْتَارَ أَدْرَاعَهُ كَيْ لَا يُسَبَّ بِهَا ،
 فِي جَحْفَلٍ ، كَهَزْبِ اللَّيْلِ ، جَرَّارٍ ^(١)
 « قُلْ مَا تَشَاءُ ، فَإِنِّي سَامِعٌ حَارٍ » ^(٢)
 فَأَخْتَارَ ^(٣) وَمَا فِيهِمَا حَظٌّ لِمُخْتَارٍ ^(٤)
 « أَتَقْتُلُ أَسِيرَكَ ، إِنِّي مَانِعٌ جَارِي ، ^(٥)
 رَبُّ كَرِيمٌ ، وَبَيْضٌ ذَاتُ أَطْهَارٍ » ^(٦)
 وَلَمْ يَكُنْ عَهْدُهُ فِيهَا بِمُخْتَارٍ ^(٧)

فأعطاه شريح ناقة فركبها ووضي من ساعته . ثم عرف الكلبي حقيقة امره فارسل
 في اثره فلم يلحقه .

الاعشى في الاسلام

يجمع الرواة على ان الاعشى ادرك الاسلام ولكنه لم يسلم . ويضيف اليه
 بعضهم قصيدة مدح بها النبي محمداً لما وفد عليه . غير ان قريشاً حالوا دون
 وصوله الى الرسول ، فرصدوه على طريقه ، وكان فيهم ابوسفيان بن حرب . وقالوا :
 « هذا صنأجة العرب ، وما مدح احداً قط الا رفع قدره . » فلما ورد عليهم

ما داموا يستمطرونه . ثم شبهه في الحروب بالاسد الضاري . (١) الهمام : السيد الشجاع ،
 ويريد به الحرث بن ظالم المرتي . الجحفل : الجيش العظيم . هزيع الليل : قطعة منه . جرار :
 كثير كأنه يجر وراءه جيوشاً . يقول : كن كأبيك السموأل في الوفاء لما اتاه الحرث في
 جيش جرار طبق الارض غباره فكأنه الليل في اسوداده . (٢) سامه الامر : كلفه اياه ،
 واكثر ما يستعمل في الظلم والضم . الخطئة : الطريقة . الخسف : الذل والقهر . حار :
 يا حارث منادي مرخم . يقول : طلب منه امرين فيها ذل وقهر له . فقال السموأل : قل
 ما تشاء يا حارث فاني سامع لك . (٣) كان امرؤ القيس بن حجر الكندي الشاعر قد
 اودع عند السموأل دروعه قبل ذهابه الى القسطنطينية . فجاء الحرث بن ظالم المرتي ليأخذها
 منه فتحصن السموأل في ابلقه ، فاخذ الحرث ابن السموأل وكان في الصيد فقال : « إِمَّا
 سَلَّمْتُ إِلَى الْإِدْرَاعِ ، وَإِمَّا قَتَلْتُ ابْنَكَ » فابى ان يسلمها ، فغضب الحرث وسط الغلام بالسيف
 فقطعه قطعتين . فغضب المثل بوفاء السموأل . (٤) شك غير طويل : تحير قليلاً في امره .
 (٥) يعقبنيه : أي يأتيني بعقب غيره . بيض : اي نساء بيض . (٦) العهد : الذمة . المختار :
 الغادر اتبع الغدر .

قالوا : « اين اردت يا ابا بصير ؟ » قال : « اردت صاحبكم هذا لاسلم . » قالوا : « ينهاك عن خلل ويجرمها عليك وكلها موافق لك » قال : « وماهي ؟ » قالوا : « القمار والربا والحمر . » قال : « اما القمار فلعلي ان لقيتبه ان اصيب منه عوضاً من القمار ؛ واما الربا فما دُرْتُ ولا أدُنْتُ ؛ واما الحمر ، اؤه ا فأرجع الى صُباية قد بقيت في المهراس ^(١) فأشربها . » فقال ابو سفيان : « هل لك في خير مما هممت به ؟ » فقال : « وما هو ؟ » قال : « نحن الآن وهو في هدنة ، فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه وتنظر ما يصير اليه امرنا ، فان ظهرنا عليه كنت قد اخذت خلفاً ، وان ظهر علينا اتيتّه . » فقال : ما اكروه ذلك . فجمعت له قوريش مائة من الابل ، فأخذها وانطلق الى بلده ، فلما كان قريباً من قريته «منفوحة» باليامة رمى به ببعره فقتله .

ولكن لا ندري مبلغ هذه الرواية من الصحة ، فالتفتن القصصي ظاهر علمها . زد على ذلك ، ان القصيدة التي يزعمون ان الاعشى مدح بها الرسول ، لا يمكن الاطمئنان اليها . وحسبك ان تقراً منها هذه الايات ، حتى تتيقن ما فيها من تكلف واصطناع :

أَلَمْ تَقْتَضِ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدًا ، وَبَتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ ، مُسَهَّدًا ^(٢)

ومنها يقول في ناقته متخلصاً الى المدح :

فَأَلَيْتُ لَا أَرْتِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ ، وَلَا مِنْ حَفَى ، حَتَّى تَرَوُرَ مُحَمَّدًا ^(٣)

مَتَى مَا تُنَاخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ ، تَرَاخِي ، وَتَلْقِي مِنْ فَوَاضِلِهِ يَدًا ، ^(٤)

نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا تَرَوُنَّ ، وَذِكْرُهُ أَغَارٌ ، أَعْمَرِي ، فِي أَلْبِلَادِ ، وَأَنْجَدًا ^(٥)

(١) الصباية : بقية الشراب . المهراس : حجر منقور مستطيل كالحاوان . (٢) ليلة ارمد : اي رجل ارمد وهو من اصاب عينيه رمس . السليم : الملدوغ سمي سليماً قنواؤلا بان يسلم . المسهد : الذي لا يستطيع النوم . (٣) أليت : حلفت . الكلاله : التعب . (٤) اناخ : الناقه : ابركها . تراخي : تجدي الراحة . الفواضل : النعم . اليد : المعروف ، مجاز مرسل لان اليد سبب المعروف . (٥) اغار : اتى الفور وهو المنخفض من الارض . انجد : اتى نجداً والنجد : المرتفع منها . والمعنى : سار ذكره في اطراف الارض . وانكر الاصمعي أغار بهذا المعنى ، والصواب غار .

لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُغِيبُ ، وَتَأْتِلُ ،
 أَجِدَكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ ،
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرَحُلْ بِزَادٍ مِنَ الثَّقَى ،
 نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ ،
 فَإِيَّاكَ وَالْمِثَنَاتِ ، لَا تَقْرَبْنَهَا ،
 وَذَا النُّصْبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْسُكَنَّهُ ،
 وَلَا تَقْرَبَنَّ حُرَّةً ، كَانَ سِرُّهَا
 وَذَا الرَّحِمِ الْقُرْبَى فَلَا تَقْطَعَنَّ ،
 وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى ،
 وَلَا تَسْخَرَنَّ مِنْ بَائِسٍ ذِي ضَرَارَةٍ ،
 وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعُهُ غَدًا ^(١)
 نَبِيَّ الْإِلَهِ ، حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا ^(٢)
 وَلَا قَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا ،
 فَتُرْصِدَ لِلْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَرْصَدَا ^(٣)
 وَلَا تَأْخُذَنَّ سَهْمًا حَدِيدًا لِتُقْصِدَا ^(٤)
 وَلَا تَعْبُدِ الْأَوْثَانَ ، وَاللَّهُ فَاعْبُدَا ^(٥)
 عَلَيْكَ حَرَامًا ، فَانْكَحَنَّ ، أَوْ تَأْبَدَا ^(٦)
 لِعَاقِبَةٍ ، وَلَا الْأَسِيرَ الْمُقَيَّدَا ^(٧)
 وَلَا تَحْمَدِ الْمُتَرَيْنَ ، وَاللَّهُ فَاحْمَدَا
 وَلَا تَحْسَبَنَّ أَلْمَالَ لِلْمَوءِ مُخْلِدَا ^(٨)

(١) مَا تُغِيبُ : مَا تَأْخُرُ . النَّائِلُ : الْعَطَاءُ . (٢) أَجِدَكَ : أَيْجِدْ مِنْكَ . وَهُوَ
 مَنْصُوبٌ عَلَى تَرَجُّعِ الْخَافِضِ ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ وَالتَّقْدِيرُ أَجِدَا مِنْكَ . وَاجِدُ :
 ضِدُّ الْهَزْلِ . وَصَاةٌ : وَصِيَّةٌ . أَشْهَدُ : جَعَلَهُ شَهِيدًا لَهُ ، أَيْ أَشْهَدُ اللَّهَ . وَفِي الْبَيْتِ مَعَاضِلَةٌ
 أَوْ تَضْمِينٌ وَهُوَ إِنْ تَعَلَّقَ قَافِيَةُ الْبَيْتِ بِمَا يَلِيهِ . (٣) أَرْصَدَ لِلْأَمْرِ : أَعَدَّ لَهُ الْعِدَّةَ . (الَّذِي :
 مَفْعُولٌ تُرْصَدُ . وَمَفْعُولُ أَرْصَدَ مَحْذُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ . (٤) الْمِثَنَاتُ : جَمْعُ مِثْنَةٍ وَهِيَ
 مِنْ الْخِيَوَانِ مَا مَاتَ حَتْفُ أَهْلِهِ . يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْآيَةِ الَّتِي تَحْرُمُ أَكْلَ الْمِثْنَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .
 السَّهْمُ : النَّبْلَةُ . الْحَدِيدُ : الْحَادِ . لِقَصْدٍ : لَتَرْمِي بِهِ وَتَقْتُلُ . يُشِيرُ إِلَى تَحْرِيمِ الْقَتْلِ .
 (٥) النُّصْبُ : الصَّنَمُ . الْمَنْصُوبُ : الْمَرْفُوعُ . لَا تَنْسُكَنَّ : لَا تَعْبُدَنَّ . إِي لَا تَعْبُدِ الْإِلَهِ
 ذَا الصَّنَمِ ، يُشِيرُ إِلَى تَحْرِيمِ عِبَادَةِ الْأَنْصَابِ . وَفِي الْآيَةِ : « إِنَّمَا الْحَسْرُ وَالْمَيْسَرُ وَالْإِنْصَابُ
 وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ » . وَالْإِنْصَابُ جَمْعُ نُّصْبٍ . وَقَوْلُهُ :
 فَاعْبُدَا : إِي فَاعْبُدَنَّ قَلْبُ نُونِ التَّوَكُّيدِ الْفَاءُ فِي حَالِ الْوَقْفِ . (٦) حُرَّةٌ : إِي امْرَأَةٌ
 حُرَّةٌ . سِرُّهَا : زَوَاجُهَا . فَانْكَحَنَّ : تَزَوَّجَنَّ حَلَالًا . تَأْبَدَا : عَشَّ عَزَبًا . وَقَوْلُهُ :
 تَأْبَدَا : إِي تَأْبَدَنَّ . (٧) ذَا الرَّحِمِ الْقُرْبَى : إِي صَاحِبِ الْفِرَاقَةِ الْقَرِيبَةِ . وَالْقُرْبَى : مَنْثَرٌ
 الْأَقْرَبُ . وَقَرَابَةُ الرَّحِمِ عِنْدَ أَهْلِ الْفِرَاقِ هِيَ مَنْ كَانَ صَاحِبِهَا لَيْسَ بِذِي نَصِيبٍ مَقْدَرٍ مِنَ
 الْإِرْثِ ، وَلَا عَصْبَةٍ كَابْنِ الْأَخْتِ وَبَنَتِ الْأَخْتِ . وَالْعَصْبَةُ : بَنُو الرَّجُلِ وَقَرَابَتُهُ لَا يَبْهَ .
 لَا تَقْطَعَنَّ : لَا تَقْطَعْهُ وَتَحْجِرْهُ . الْعَاقِبَةُ : النُّسْلُ وَالْوَلَدُ . إِي لَا تَحْجِرْ ذَوِي الرَّحِمِ الْقَرِيبَةِ
 لِأَجْلِ وَلَدِكَ . وَقَوْلُهُ وَلَا الْأَسِيرَ الْمُقَيَّدَ : إِي وَلَا تَقْتُلِ الْأَسِيرَ . (٨) وَلَا تَسْخَرَنَّ : وَلَا
 تَهْزَأَنَّ . الضَّرَارَةُ : ذَهَابُ الْبَصَرِ ، وَمِنْهُ الضَّرِيرُ إِي الْأَعْمَى .

فما قولك بيدوي يأتي من اطراف اليمامة الى الحجاز ، ليرى الرسول وينتحلل الدين الجديد ، فيلقاه المشركون من قريش ، فيردونه بائنة من الابل ، ويقولون له : « ينهك عن خلال ويجرمها عليك ، وكلها لك موافق . » فيقول : « وما هي ؟ » يسألهم عنها لانه يجهلها ، ثم نسمعه يمدح الرسول بهذا الشعر . فاذا هو عارف بحقائق الدين الاسلامي ، يحفظ القرآن وما سمع تلاوته ، ويستشهد بآياته وما فيها من تحويم وتحليل ، وشرع وفروض . أفلا ترى في ذلك كله اثرأ واضحاً للتكلف والاصطناع ؟

وقد أرخ الرواة موت الاعشى في السنة السابعة للهجرة أي في سنة ٦٢٩ م . استناداً الى قول ابي سفيان : « نحن الآن وهو في هدنة » فاستتجوا من ذلك انه هدنة الحُدَيْبِيَّة ^(١) بين صاحب الشريعة الاسلامية ومُشركي قريش .

على اننا ، وان كنا نشك في صحة القصيدة التي اضيفت الى الاعشى في مدح الرسول ، لا نبيح لانفسنا انكار رواية ادراكه الاسلام ، اذ ليس لدينا ادلة كافية تدحضها . فنحن نقبلها باحتياط كما قبلنا غيرها ، ونؤرخ ، على ارتياب ، وفاة الشاعر في السنة السابعة للهجرة استناداً الى اقوال الرواة .

اثره

الاعشى شعر كثير مجموع في ديوان ، اشهره لاميتان طويلتان ، كلاهما تُعدُّ من المعلمات . وقد طرق الاعشى جميع فنون الشعر فأجاد المدح والهجاء ، كما اجاد وصف الحمرة والتثيب بالنساء .

مبْرَنه — الشعر الحمري

لم تكن ميزة الاعشى محصورة في وصف الحمرة دون غيرها ، فقد عرفناه متصرفاً في ابواب الشعر كلها . ولعله في المدح اشعر منه في وصف الحمرة ؛ ولكن

(١) الحُدَيْبِيَّة : بئر قرية من مكة ، وعندها عقدت الهدنة بين النبي وقريش مدة عشر سنين . ولكن قريشاً تقضوا العهد في السنة الثامنة للهجرة فاستؤنف القتال واقتتح النبي مكة .

المدح صفة عامة للشعراء الجاهليين . ونحن نزيد ان ندرس في الشاعر المتخصص صفة انفراد بها عن غيره من معاصريه ، وهي وصف الحمرة للخمرة ، لا للتفاخر بشربها ، كما فعل سائر شعراء الجاهلية . فقد وصفها طرفة ، وليبد ، وعمرو بن كلثوم ، وعنترة ، وغيرهم ، غير انهم لم يتجاوزوا حد الافتخار بشربها ، لان شربها دليل الكرم عندهم . واذا تجاوز احدهم هذا الحد ، فالى شيء يسير من وصف لونهم وزجاجتها ، والى شيء يسير من وصف تأثيرها في شاربها .

اما الاعشى فقد فاقهم جميعاً ، وعرف كيف يشربها ويلهو ، ويصفها ويطرب ، فهو اذا وصف الحمرة وصف معها النديم والساقى ، ووصف الثينة وعودها . وصور السكرارى تصويراً جميلاً ، في اسلوب لطيف لا يخلو من ظرف وفكاهة . مثال ذلك قوله في احدى لاميته :

وَقَدْ اقْوُدُ الصَّبَى يَوْمًا فَيَتَّبِعُنِي ، وَقَدْ يُصَارِحُنِي ذُو الشَّرَّةِ الْغَزْلُ ^(١)
وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْخَانُوتِ ، يَتَّبِعُنِي شَاوِرٌ ، مِثْلُ شُلُولٍ ، مِثْلُ شُلُولٍ ، ^(٢)
فِي فِتْنَةٍ كَسُيُوفِ الْهِنْدِ ، قَدْ عَلِمُوا أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الْحِيلَةِ الْحَيْلُ ، ^(٣)
نَازَعَتْهُمْ قَضَبُ الرِّيحَانِ مُتَكِنًا ، وَقَهْوَةُ مَزَّةٍ ، رَاوَوْقَهَا خَضِلٌ ، ^(٤)
لَا يَسْتَفْتِقُونَ مِنْهَا وَهْيَ رَاهِنَةٌ ، إِلَّا بِهَاتِ ، وَإِنْ عَلُوا ، وَإِنْ نَهَلُوا ^(٥)

(١) الشَّرَّةُ : هنا بمعنى الطيش . الغَزْلُ : الذي يحب الغزل . وقوله : اقود الصبى : اي اتصا به وألهو وان كنت كبيراً . (٢) الخانوت : بيت الخمار . شاوِرٌ : شاوي اللحم . المِثْلُ : الخفيف والجميل (السوق للابل . الشلول . بمعنى المثل . الشلُولُ : الخفيف اليد في العمل والمتحرك . الشُولُ : بمعنى الشلُول . وهذه الالفاظ كما ترى ، من واحد واحد . قيل ذكرت هكذا لتقوية المعنى . وقد يكون عجز البيت ضاع فأتمه الرواة على هذه الصورة الرديئة . (٣) في فتنية : الجار متعلق بغدوت . كسيوف الهند : اي بيض الوجوه ماضون في امورهم . أَنْ : مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن محذوف ، وجملة ليس يدفع : خبرها . وقوله : عن ذي الحيلة الحيل : اي لا تدفع الحيل عن صاحبها الموت المحتوم . (٤) نازعتهم : جاذبتهم . قَضَبُ الرِّيحَانِ : اي الاحاديث الظريفة . القهوة : الخمرة . المزَّةُ : اللذيذة الطعم . الراوق : اثناء تروق به الخمر . الخَضِلُ : الرطب الندي . (٥) راهنة : مُعَدَّة . علوا : شربوا مرة بعد مرة . نهلوا : شربوا اول الشرب . يقول : شرجم دائم ليس لحم وقت معلوم يشربون

يَسْمَعِي بِهَا ذُو زُجَاجَاتٍ ، لَهُ نُطْفٌ ،
وَمُسْتَجِيبٌ ، تَحَالُ الصَّنِجَ يَسْمَعُهُ ،
وَالسَّاحِبَاتِ ذُبُولَ الرِّيطِ أَوْنَةً ،
مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَوْمٌ قَدْ لَهَوْتُ بِهِ ،
مُقَلَّصٌ أَسْفَلَ السَّرِبَالِ ، مُعْتَمِلٌ ،^(١)
إِذَا تُرْجِعُ فِيهِ الْقَيْنَةُ النُّضْلُ ،^(٢)
وَالرَّافِلَاتِ ، عَلَى أَعْجَازِهَا الْعَجَلُ^(٣)
وَفِي التَّجَارِبِ طَوْلُ اللَّهْوِ ، وَالْغَزَلُ^(٤)

وله في وصفها :

قَعْمَنَا ، وَأَمَّا يَصِحُّ دِيكُنَا ، إِلَى جَوْنَةٍ ، عِنْدَ حَدَادِهَا ،^(٥)
فَقُلْتُ لَهُ : « هَذِهِ هَاتِيهَا ، بِأَدْمَاءٍ فِي حَبْلِ مُقْتَادِهَا » ،^(٦)
فَقَامَ ، فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً ، تَسَكَّنَا بَعْدَ إِرْعَادِهَا ،^(٧)
كَمِيَّتًا تَكْشِفُ عَنْ حُمْرَةٍ ، إِذَا صَرَحَتْ بَعْدَ إِزْبَادِهَا^(٨)

فيه ، والخمرة معدة دائماً لهم ، فلا تراهم الا سكارى فاذا استفاقوا وابطأ الساقى عليهم قالوا له هات وان كانوا شربوا مراراً او شربوا اول الشرب .

(١) ذو زجاجات : اي ساقٍ يحمل زجاجات الخمر . النُطْفُ : القروط او اللؤلؤ . مفردها : نطفة ونُطفة : مُقَلَّصٌ : مشمر . السربال : الثوب . معتمِلٌ : نشيط .
(٢) المستجيب : العود سمي بذلك لانه يجيب الصنج . الصنج : آلة طرب . ترجع : تردد صوتها . القينة : المغنية . الفضل : التي في ثياب فضلها وهي ثياب خفيفة للبيت . وقوله : تحال الصنج يسمعه . اي اذا غنت القينة على العود سكت الصنج فكأنه يصغي اليه .
(٣) الساحبات : في موضع نصب على اضرار فعل بمعنى تجدد او ترى لان قبله فعلاً وهو تحال ، فلذلك اختير النصب فيه . الرِّيط جمع رِيطَة : كل ملاة غير ذات لفقين أي قطعتين متضامتين . الرافلات : المتبخرات في اثوابهن . الاعجاز جمع عجز : مؤخر كل شيء .
العجل جمع عجلة : الحفا . يكون للهاء واللين والخمر . يقول : هن يخدمنا ومعهن العجل فيها الخمر . (٤) الطول : السعة . يقول سعة اللهو والغزل في اختبار الامور وتجاربها . (٥) الجونة : الخاية . حدادها : بوابها اي الذي يحافظ عليها . وقوله : لما يصح ديكننا أي قبل الصباح .
(٦) الادماء : الناقة في لونها بياض واضح . وقوله : بادماء في حبل مقتادها اي هات هذه الخمر برمتها اي يحملتها . والردة هي الحبل البالي . تقول : دفع اليه الامر برمتها اي يحملته ، وهذا من باب تأويل الكلام . (٧) القهوة : الخمرة . ارعادها : تصويتها ، ويكون تصويتها بتصفيقها اي بتحويها من اناء الى اناء لتصفو . يقول تسكنا بعد ارعادها ، اي تسكرنا فنسكن ونهدأ .
(٨) كميتاً : نصبت على اخاصفة للقهوة . وهي ما يضرب لونها الى الحمرة . صرحت : ذهب زبدتها والزبد : الرغوة ومنه الازباد . يقول : هي خمرة حمراء تنكشف عن حمرة اذا ذهبت رغوها بعد ازبادها

فَجَالَ عَلَيْنَا بِأَبْرِيقِهِ ، مُحَضَّبُ كَفِّ رِبْرِصَادِرْهَا ،^(١)
فَرُحْنَا ، تَتَعَمَّنَا نَشْوَةٌ ، تَجُورُ رَبْنَا بَعْدَ قُصَادِرْهَا^(٢)

وللأعشى اقوال كثيرة في الحمر ، توكا عليها الاخطل ، وابونواس من بعده كقوله :

تُرِيكَ الْقَذَى مِنْ فَوْقِهَا ، وَهِيَ فَوْقَهُ ، إِذَا ذَاقَهَا مِنْ ذَاقَهَا ، يَتَمَطَّقُ^(٣)
اخذه الاخطل فقال :

وَلَقَدْ تَبَاكَرْتُني ، عَلَى لَذَائِهَا ، صَهْبَاءُ ، عَالِيَةُ الْقَذَى ، خُرْطُومُ^(٤)
وقوله :

مِنْ خَمْرٍ عَانَةٍ ، قَدْ أَتَى اخْتَامُهَا حَوْلٌ ، تَسُلُ غَمَامَةَ الْمَرْكُومِ^(٥)
فقال الاخطل :

وَإِذَا تَعَاوَرَتِ الْآكُفُ خِتَامُهَا ، نَفَعَتْ ، فَنَالَ رِيَاحُهَا الْمَرْكُومُ^(٦)
وقوله :

لَمْ كَأْسٍ كَعِينِ الدِّيكِ ، بَاكَوَتْ خَدْرَهَا ، بِقَتِيَانِ صَدُقِ ، وَالنَّوَاقِيسُ تُضْرَبُ^(٧)

(١) الهاء بأبْرِيقِهِ عائد الى متأخر وهو مُحَضَّب . الفرصاد : صيغ احمر والضمير فيه يعود على الكف . وقوله مُحَضَّبُ كَفِّ : اي ساق مُحَضَّبُ الكف . (٢) النشوة : السكر او اوله . تجور : تميل . قُصَادِرْهَا : الذين يقصدون النشوة ويطلبونها . اي انها تسكرنا بعد ان يسكر غيرنا من طلابها . (٣) القذى : ما يقع في العين وفي الشراب من تينة او غيرها . يتمطق : يقال ذاق الشراب والطعام فتحطق اي صوت بلسانه . والمعنى : انها من صفاتها تريك القذى ، اذا سقط فيها ، عالياً عليها مع انه يكون في اسفلها . واذا ذاقها شارحها يتمطق من لذة طعمها . (٤) الصهباء : الحمر . الخرطوم : الحمر السريعة الاسكار ، او اول ما يجري من ماء العنب قبل ان يداس . (٥) عانة : قرية على الفرات تنسب اليها الحمر . الحَوْلُ : السنة . نسلُ : تترع . الغامة : السحابة ، واراد بها هنا ما يجده المركوم من ضيق في أنفه . يقول : هي خمر مضت عليها سنة وهي مختومة ، واذا شمه المركوم زالت غمامته من أنفه . (٦) تعاورت : تداولت وتساطت . نفعت : فاحت رائحتها . فنال رايحها : فشم رايحها . (٧) وكأس : اي وخمرة في كأس ، مجاز مرسل . كعين الديك : اي حمراء صافية . خدرها : دنها . بقتيان صدق : اي شأخم الصدق . النواقيس تضرب :

فأخذ أبو نواس تشبيهه الحمرة بعين الديك واكثر استعماله . من ذلك قوله :
وَأَشْرَبَ سُلَافًا كَعَيْنِ الدَّيْكِ صَافِيَةً ، مِنْ كَفِّ سَاقِيَةِ كَالرَّيْمِ حَوْرَاءَ ^(١)
وقوله :

وَكَأْسٍ ، شَرَبْتُ عَلَى لَذَّةٍ ، وَأُخْرَى ، تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا
فأخذ أبو نواس وولد منه معنى آخر . قال :

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي ، فَإِنَّ اللَّوْمَ إِنْغَرَاءٌ ، وَدَاوِي بَالْتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
فيتبين من ذلك ، ان الاعشى صاحب لهو وعبث ، كما كان الاخطل وابو نواس
من بعده ، وانه وصف الراح شغفاً بها ، فأحسن وصفها . وكانت له مجالس قصف
وطرب ، فيها النديم والساقى والقيان ، فوصفها جميعاً واحسن وصفها . واننا لنأخذ
روحاً نواسياً في قوله :

لَا يَسْتَفِيضُونَ مِنْهَا ، وَهِيَ رَاهِنَةٌ ، إِلَّا بِهَاتٍ ، وَإِنْ عَلَوْا ، وَإِنْ نَهَلُوا
فهذه السكرات الطويلة التي لا يستفيق منها صاحبها ، الا يرجع اليها ، هي التي
يمثلها لنا الاعشى بقوله :

وَكَأْسٍ ، شَرَبْتُ عَلَى لَذَّةٍ ، وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا
فيردد أبو نواس بعده : « وداوي بالتي كانت هي الداء ... »

واذا كان الاعشى سأل بشعره وتكسب ، فلنكي يلهو ويعبث ، لا ليجمع المال
ويحصر عليه . فالرواة يذكرون لنا ان داره في منفوحة كانت مجتمع الفتيان ،
يأكلون عنده ويشربون . ويذكرون ايضاً ، ان فتيان منفوحة لم ينسوا شاعرهم بعد

اي اجراس الكنائس . وكان الاعشى يختلط بنصارى الحيرة ونصارى نجران . وله مدح في
اساقفتهم . وقيل انه اخذ النصرانية من العباديين نصارى الحيرة .

(١) السلاف : الخمر الخالصة . الرم : الظبي الخالص البياض . الحوراء : التي في عينيها
حور وهو اشتداد البياض والسواد واستدارة الحدقة ورقة الجفون . وقد ورد تشبيه الحمرة
بعين الديك لشعراء في الجاهلية غير الاعشى ، مثل عدي بن زيد اذ يقول :

ثُمَّ ثَارُوا إِلَى الصَّبُوحِ فَقَامَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرَيْقُ
قَدَمْتُهُ عَلَى عَقَارِ كَهْ بَيْنِ الدَّرِ - يَكْرِ صَفَى زُلَالَهَا الرَّأْوُوقُ

موته ، فكانوا يأتون الى قبه ويسكرون عنده ويريقون الاقداح على ثراه ،
ليأخذ الميت نصيبه من الراح .

الدرج

اشرنا الى لاميتي الاعشى ، وذكرنا شيئاً من احدهما في وصف الحمر . ولكن
ذلك لا يكفي لظاهر ميزة هاتين القصيدتين الشهيرتين ، بل يجدر بنا ان نجعل لهما
قسماً من التحليل ولو قليلاً ، فنظهر بعض خصائص في الشاعر لا ينبغي اغفالها ، وان
كنّا قصّرنا الدرس والنقد على شعره الحموي .
قال مستهلاً احدهما :

وَدَعْ هُرَيَّةَ ، إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَجِلٌ ، وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً ، أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟

ثم يعن الشاعر في الغزل حتى ينتهي الى وصف الحمرة ومجلس اللهو ، وهو
القسم الذي نشرناه ، فينتقل الى وصف السفر والناقة فلا يلمسهما الا قليلاً .
ولكنه يفيض في وصف البرق والمطر :

بَلْ هَلْ تَرَى عَارِضاً قَدِ ابْتَأْرَمَتْهُ ، كَأَنَّمَا الْبَرْقُ فِي حَافَاتِهِ شَعْلٌ ^(١)

ولكنه لا يبلغ فيه شأواً امرى القيس . ثم ينهري لرجل يقال له يزيد الشيباني ،
وكانت بينهما ملاحة ، فيهدده ويفتخر عليه ، ويذكر له انتصارات قومه على
القبائل . وفي هذا القسم يختم طويلاً :

أَبْلَغُ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَأْلَكَةٌ : أَبَا بُيَيْتٍ ! أَمَا تَنْفَكُ تَأْتِكِلُ ، ^(٢)

أَلَسْتُ مُنْتَهِيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا ، وَأَسْتَ ضَائِرَهَا ، مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ ^(٣)

(١) العارض : السحاب المعترض . ارمقه : انظر اليه . حافاته : جوانبه مفرداً
حافة . (٢) مألكة : رسالة . ابابيت : كنية يزيد ، وهنا التفات من الغيبة الى الخطاب .
تأكل : أي يأكل بعضك بعضاً من الفيط . (٣) الاثلة : هنا الاصل ، ونحت الاثلة : كناية
عن الذم والنقص . ضائرها : ضاراً بها . أطت : حنت . يقول : مها تنقصتنا لا تضر
بنا ما دامت الابل تحن ، والابل تحن أبداً ، اذن لا يضرهم أبداً .

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوهِنَهَا ،
سَأَلُ بَنِي أَسَدٍ عَنَّا ، فَقَدْ عَلِمُوا ،
وَأَسْأَلُ قَشِيرًا ، وَعَبْدَ اللَّهِ كُلَّهُمْ ،
كَلَّا ، زَعَمْتُمْ بَأَنَّا لَا نُنْقَاتُكُمْ ،
نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْخَنُوزِ ضَاحِيَةً ،
قَالُوا : الطَّرَادُ ، فَقُلْنَا : تِلْكَ عَادَتُنَا ،
فَلَمْ يَضُرَّهَا ، وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ ^(١) ،
أَنْ سَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ أَنْبَاءِنَا شَكْلُ ^(٢) ،
وَأَسْأَلُ رَبِيعَةَ عَنَّا كَيْفَ نَفْعِلُ ^(٣) ،
إِنَّا لَا مِثَالَكُمْ ، يَا قَوْمَنَا ، قُتِلُ ^(٤) ،
جَنْبِي فُطَيْمَةً ، لَا مِيلُ ، وَلَا عُزْلُ ^(٥) ،
أَوْ تَنْزِلُونَ ، فَإِنَّا مَعَشَرُ نَزْلُ ^(٦) ،

(١) كَنَاطِحُ : أي كوعل ناطح . والوعل : قيس الجبل . ليوهنها : ليضعفها . فلم يضرها : فلم يضر بها . أوهى : أضعف . (٢) شكل : اختلاف أي أنباء مختلفة . (٣) قَشِيرُ : وعبد الله وربيعة : قبائل . نفعل : أي نفتدع افعالاً لم نسبق إليها . (٤) كَلَّا : حرف ردع وزجر ، ويكون ردأً لكلام وفيه معنى الردع . قُتِلُ : قاتلون . وهو جمع قول للمبالغة . (٥) يوم الخنوز : من أيام ذي قار . ضاحية : علانية . فطيمة : موضع بالبحرين كانت به وقعة بين بني شيبان وبني ضبيعة وتغلب من ربيعة ظفر فيها بنو تغلب على بني شيبان . الميل : جمع اميل وهو الذي لا يثبت في الحرب . العزل : جمع أعزل وهو من لا سلاح معه ، واصحابها عُزْلُ فضست الزاي اتباعاً للعين ومراعاة للوزن يقول : نحن الفوارس يوم الخنوز ويوم فطيمة . اما يوم ذي قار : فهو اول يوم انتصرت فيه العرب على العجم . وذو قار : ماء لبني بكر بن وائل قريب من الكوفة . وسبب هذه الواقعة ان كسرى غضب على النعمان ابي قابوس ، ففر النعمان من الحيرة وادع اهله وسلاحه في بني شيبان عند هاني بن مسعود ، وبقي مدة متقللاً في القبائل . ثم ذهب الى كسرى يعتذر اليه فحبسه بساباط حتى هلك ويقال أوطاه الفيلة . ثم طلب كسرى من هاني وديعة النعمان فأبى تسليمها لانها أمانة عنده يجب عليه حفظها . فجهز كسرى جيشاً كثيفاً من الفرس والعرب الموالين له . وجمعت بكر وحلفاؤها جموعهم . حتى اذا التقى الجيشان دارت الدائرة على الفرس فولوا منهزمين وقتل قائدهم الهاُمُرُز . وایام ذي قار خمسة : يوم ذي الخنوز ، ويوم قُراقرز ، ويوم الجبابيات ، ويوم ذات العِجْرَم ، ويوم بطحاء ذي قار . وكلهن حول ذي قار وقد ذكرتهن الشعراء . واختلف الرواة في تاريخ هذه الحرب فذهب منهم من قال انها كانت يوم ولادة النبي . ومنهم من جعلها بعد بعثته وبعد وقعة بدر الكبرى . ولكننا اذا نظرنا الى تاريخ مقتل النعمان وهو على الأرجح سنة ٦٠٢ ومنهم من يجعله سنة ٦٠٤ يتبين لنا ان هذه الحرب ، وقد وقعت على اثر مقتل ملك الحيرة ، لا يمكن ان تكون يوم ولادة الرسول ولا بعد بعثته . لان محمداً وُلِدَ سنة ٥٧٠ م . فتكون سنه في حرب ذي قار حوالي الخامسة والثلاثين . وهو لم يظهر دعوته الا في الاربعين من عمره . (٦) يقول : ان طاردتم بالرماح فتلک عادتنا وان نزلتم للمجالدة بالسيوف

ويبتدى اللامية الاخرى بقوله :

مَا بُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ ، وَسَوَالِي ، وَمَا تَرُدُّ سُوَالِي ؟ ^(١)

وبعد ان يتغزل ويذكر الفراق ، يصف ناقته ويشبها بجوار الوحش في سرعتها :

عَنْتَرِيْسٌ تَعْدُو ، إِذَا حَرَكَ السَّوْ طُ ، كَعْدُو الْمُصْصِلِ الْجَوَالِ ^(٢)

ويشبهه عظام صدرها بإران الميت ^(٣) كما شبها طرفه . ثم يتخلص الى مدح الاسود

ابن المنذر اخي النعمان فيقول :

لَا تَشْكِي إِلَيَّ وَأَنْتَجِعِي الْآتِ وَدَ أَهْلَ النَّدَى ، وَأَهْلَ الْفَعَالِ ^(٤)

فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْ دِرْ غَزِيرُ النَّدَى ، شَدِيدُ الْمِحَالِ ^(٥)

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنْ أَلْفٍ م ، إِذَا مَا كَبَتْ وَجُوهُ الرِّجَالِ ^(٦)

ويطيل الاعشى في مدح الاسود ويبالغ حتى ينتهي الى قوله :

جُنْدُكَ التَّالِدُ الطَّرِيفُ مِنْ أَلْفَا رَاتِ أَهْلَ الْهَبَاتِ ، وَالْأَكَالِ ^(٧)

غَيْرُ مِيلٍ ، وَلَا عَوَاوِيرَ فِي آلِهَةِ بَجَا ، وَلَا غَزْلٍ ، وَلَا أَكْفَالِ ^(٨)

فيمتصفر الى نفسه ، ذاكراً مشييه ، متذكراً شبابه :

فَلَيْنَ لَاحَ فِي الْمَفَارِقِ شَيْبٌ ، يَالَ بَكَرٍ ! وَأَنْكَرْتَنِي أَلْفَوَالِي ^(٩)

تزلنا . وتزل : جمع نازل غير قياسي . (١) يقول : ما بكاء شيخ كبير مثلي وسوالي من لا يرد علي . (٢) عنتريس : ناقه كثيرة اللحم شديده . تعدو : تركض . المصصل : حمار الوحش . الجوال : كثير الجولان . (٣) الاران : النعش . (٤) لا تشكي : اي لا تشككي . انتجعي : اقصدي . الندى : الجود . الفعّال بفتح الفاء : الفعال الكريمه . (٥) الفرع : ما يتفرع من الاصل . النبع : أي الاصل . المحال : القوة . (٦) كبت : سقطت . (٧) التالذ : ما ورثته . الطريف : ما كسبته . الاكّال : جمع أكل وهو الحظ من الدنيا والرزق الواسع . يقول : جندك له يجد الغارات تالدها وطريقها وهو من اهل الهبات والحظوظ وسعة العيش . (٨) ميل : جمع أميل وهو الذي لا يثبت في الحرب . العواوير : الجبناء مفردها عوار . غزل : من لا سلاح معهم مفردها أعزل . الاكفال : الذين لا يثبتون على الخيل . (٩) المفارق : اي مفارق الشعر . يال : تخفف يا آل . الفوالي : جمع فالية وهي التي تقلي الرأس . اي انكرته وما عرفته لما رأت الشيب في رأسه .

فَلَقَدْ كُنْتُ فِي الشَّبَابِ أَبَارِي ، حِينَ أَعْدُو مَعَ الطَّاحِ ، ظَلَالِي ^(١)

ثم يشرع بوصف لهوه وعيشه ، وجواده وصيده :

وَلَقَدْ أَتَعْدِي ، إِذَا صَقَعَ الدِّي
يَمْلَأُ الْعَيْنَ عَادِيًا ، وَمَقْدُودًا ،
فَإِذَا نَحْنُ بِأَلْوَحُوشٍ تُرَاعِي
فَجَرَى بِالْغَلَامِ شَبَهَ حَرِيقِ
لَمْ يَكُنْ غَيْرُ لَحْظَةِ الْطَرْفِ ، حَتَّى
وَطَلِيمَيْنِ ، ثُمَّ أَيَّهْتُ بِالْهَمْ
وَطَلَلْنَا مَا بَيْنَ سَاوِرٍ ، وَذِي قَدْ
فِي شَبَابٍ يُسْقُونَ مِنْ مَاءِ كَرَمٍ ،
ذَلِكَ عَيْشٌ شَهِدْتُهُ ، ثُمَّ وَلَّى ،
لَكَ ، يَمُهِرُ مُشْدَبٍ جَوَالِ ^(٢)
وَمُعَرَى ، وَصَافِنَا فِي الْجِلَالِ ^(٣)
صَوْبَ غَيْثٍ مُجَلِّجِلٍ ، هَطَالِ ^(٤)
فِي يَمِيسٍ ، تَذَرُوهُ رِيحُ الشَّمَالِ ^(٥)
كَبَّ تَسْعًا ، يَعْتَامُهَا كَالْغَالِي ^(٦)
رَ ، أَنَادِي : فِدَاكَ عَمِّي وَخَالِي ^(٧)
رَ ، وَسَاقٍ ، وَمُسْمِعٍ مِحْفَالِ ^(٨)
عَاقِدِينَ الْبُرُودَ قَوْقُ الْعَوَالِي ^(٩)
كُلُّ عَيْشٍ مَصِيدُهُ لِلزَّوَالِ

هذا هو الاعشى في خمرياته وغير خمرياته . وقد رأيت ما في شعره من سهولة وانسجام وجلاء ، وعرفت انه من شعراء ربعة ، ولكن هناك ملحوظة ذات

(١) أباري : أسابق . الطاح : النشاط . ظلالى : جمع ظل . اي يسابق ظله لنشاطه .
(٢) صقع : صاح . مشدب : قليل اللحم . (٣) الصافن : الفرس اذا قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . يقول : هو فرس يملأ العين ويروقها في حال ركضه ، وقياده بالرسن ، وتقرينه من الجلال ، ووقوفه صافناً والجلال عليه . (٤) تراعى : اي ترى منع المطر . الصوب : السحاب ذو الصوب تسمية بالمصدر ، والصوب : المطر . الغيث : المطر . مجلجل : راعد . الهطال : الكثير السيل . (٥) تذرؤه : تطيره ونقرقه . اي فجري الفرس بالغلام كما تجري النار في الهشم اذا ذرته ريح الشمال . (٦) كب : صرع . تسعاً : أي تسع أثمن : جمع أتان وهي الحمارة . يعتامها : يختارها . كالغالي : اي كمن يشتريها بثمن غالٍ . (٧) الظلم : ذكر النعام . أيجت : صحت . (٨) ذي قدر : صاحب قدر للطبخ . المسمع : اللغني . المحفال : مبالغ في ما اخذ فيه بحسن القيام به . (٩) ماء الكرم : الخمرة . البرود : الاثواب . العوالي : أعالي الرماح . وذكر الرماح هنا دليل على انهم اهل نجدة كما هم اهل لهو وعيش وعقد البرود كناية عن التشمير للطعام والشراب والقضاء .

قيمة ، لا بد من الإشارة إليها ، وهي ان الشعر في اواخر هذا العصر ، ظهر عليه التطور ظهوراً عاماً ، فوضحت معانيه ، وسهلت الفاظه ، وقلَّ غريبه . فاصبح الشارح لا يحتاج الى سوى تفسير بعض اللفاظ ، حتى يتضح معنى البيت . ونستطيع ان نتبين هذا التطور في اكثر الشعراء الذين ادرکوا الاسلام او کادوا ، والاعشى خير مثال لهم في جلاء افكاره ، وظهور معانيه ، ونعومة الفاظه ، وسلاسة قوافيه .

مصرته

وضعه ابن سلام في الطبقة الاولى بعد امرئ القيس والنابغة وزهير . وكان اهل الكوفة يقدمونه عليهم جميعاً . وسئل يونس بن حبيب النحوي : « من اشعر الناس ؟ » فقال : لا اومى الى رجل بعينه ، ولكن اقول : امرؤ القيس اذا ركب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب . « وكان عمرو ابن العلاء يعظم محله ويقول : « مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره » واذا سئل عنه وعن لبید قال : « لبید رجل صالح ، والاعشى رجل شاعر » . وروي ان عبد الملك بن مروان قال لمؤدب اولاده : « ادبهم برواية شعر الاعشى فانه ، قاتله الله ، ما كان اعذب مجرّه ، واصلب صخره ! » وقال المفضل الضبي : « من زعم ان احداً اشعر من الاعشى فليس يعرف الشعر » . وقال ابو عبيدة : « من قدّم الاعشى ، يحتج بكثرة طواله الجياد ، وتصرفه في المديح والهجاء ، وسائر فنون الشعر ، وليس ذلك لغيره » وقال يحيى بن الجون العبدي راوية بشّار : « نحن حاكمة الشعر في الجاهلية والاسلام ، ونحن اعلم الناس به . اعشى قيس استاذ الشعراء في الجاهلية ، وجريز الحطفي استاذهم في الاسلام » . وقال ابو عبيدة ايضاً : « الاعشى هو رابع الشعراء المعدودين ، وهو يقدّم على طرفه لانه اكثر عدد طوال جياد ، واوصف للخمر ، وأمدح وأهجى » . وسئل حماد الراوية : « من اشعر الناس ؟ » فقال : « ذاك الاعشى صنّاجها » وشهد له الاخطل فقال : « هو ، والمسيح ، اشعر مني » .

وفي الاعشى اقوال كثيرة غير هذه لا نرى حاجة الى ذكرها ، فان ما اورثناه

كاف لظاهر منزلة الشاعر عند الائمة والادباء الاقدمين . على ان هناك قولاً لبعضهم ينطبق على الخاصة التي درسناها في شعره الحمري ، وهو قولهم : « الاعشى في الجاهلية ، كالحسن في الاسلام » ويعنون بالحسن ابانواس الحسن بن هاني . وهذا التشبيه صحيح ، اذا وضعنا حداً بين العصر الذي عاش به الاعشى ، وما فيه من بدابة وخشونة ، والعصر الذي عاش به ابونواس ، وما فيه من ترف ورخاء . فالاعشى كان يتعهر ويتطلب اللذة المادية في حبه وسكوره وهوه ، وهكذا كان ابونواس في العصر العباسي الاول . فكلا الشعارين لها ، وعبث ، وتعهر على قدر ما سمحت له البيئة التي عاش فيها ، وقد ظهر لهوه ، وعبثه ، وتعهره في شعره . فليس اذاً يستنكر ان نقول : « الاعشى في الجاهلية كالحسن في الاسلام » .

الرثاء

كل شعراء الجاهلية نظموا في الرثاء ، ومنهم من امتاز به من حيث التفجع ورقة العاطفة كالمهل . ولكن فيهم شاعرة بذاتهم جميعاً ، وصار اسمها مثلاً في اللوعة والبكاء على الميت ، وهي الخنساء .

الخنساء

٦٤٦ م — ٢٤ هـ

حياتها : تقاض بنت عمرو بن الشريد . مصرية . تلقب بالخنساء لجمال عينيها . خطبها دريد ابن الصمة فردته . ثم تزوجت من قومها . لها اربعة بنين وابنة واحدة . كلامها لابنتها يوم زفافها . مقتل اخيها معاوية . جرح صخر ومرضه الطويل وملل زوجته . موته . رثاء الخنساء . اخبارها في الاسلام . مع عمرو . مع عائشة . مقتل اولادها في حرب القادسية . توفيت في اول خلافة عثمان

آثارها : ديوان كله في رثاء اخويها، واكثره في صخر .

ميزتها : الرثاء العاطفي . خطابها لعينيها . تلهفها على صخر . تعداد شئائمه . التفجع الصادق . المغالاة في مدح اخيها . وصفها اياه، وتثيله بصور مادية . تعابيرها الخاصة في صيغ المبالغة . وقوفها على القبر . لا تعزي نفسها، ولا ترتفع الى الحكم السامية . اذا تجلّت ففن الانتحار لا عن اللوعة والبكاء . خلو شعرها من القصائد الطوال، يرجع بعضه لضعف بخيلة المرأة، وبعضه لوحدة موضوعها وعدم تعدّد اغراضها . مترئنا : هي اشعر النساء فضلت على كثير من الرجال .

درس ادبي تاريخي : وقوفها في سوق عكاظ، وانشادها امام النابتة . تقدّمها بيت حسّان بن ثابت . فساد النقد . نكران نسبته اليها، اديباً وتاريخياً : تاريخ موت النابتة . تاريخ موت صخر .

مباها

هي قاض بنت عمرو بن الحرث بن الشريد من بني سليم، ينتهي نسبها الى مضر . وتكنى أم عمرو، وتلقب بالخنساء ^(١) ولقبها غلب على كنيّتها . وكانت في اول عمرها من اجل نساء عصرها . ورأها دريد بن الصّمة تهنأ ^(٢) بعبأ لها، فأعجبته، فجاء يخطبها الى ابيها، فقال له ابوها : « مرحباً بك يا ابا قرّة ^(٣) ، انك للكرم لا يطعن في حسبه، والسيد لا يؤدّ عن حاجته، والفحل لا يقرع انفه ^(٤) . ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها، وانا ذا كرك لها وهي فاعلة » . ثم دخل اليها وقال لها : « يا خنساء، اناك فارس هوازن، وسيد بني جشم دريد بن الصّمة يخطبك . وكان دريد يسمع حديثهما، فقالت : « يا أبت أتراني تاركاً بني عمي مثل عوالي الرماح، وناكحة شيخ بني جشم، هامة اليوم او غد ^(٥) ؟ » ثم انشأت تقول :

أَتَكْرهُنِي، هَيْلَتِ أَعْلَى دُرَيْدٍ ، وَقَدْ طَرَدْتُ سَيِّدَ آلِ بَدْرِ ^(٦)

(١) الخنساء : البقرة الوحشية تشبهها المرأة لحسن عينيها . (٢) هنا البير : طلاه بالماء وهو القطران . (٣) ابو قرّة : كنية دريد . والقرّة : البرد وما نقرّ به العين . (٤) لا يقرع انفه : اي لا يعاب . (٥) الهامة : هنا الجثة . (٦) طرّدت وطرّدت :

مَعَادَ اللَّهِ يَرْضَعُنِي حَبْرُ كَى ، قَصِيدُ الشَّيْرِ ، مِنْ جُشْمِ بْنِ بَسْكَوْر (١)
يَرَى مَجْدًا ، وَمَكْرَمَةً أَتَاهَا ، إِذَا عَشَى الصَّدِيقَ جَرِيمَ تَمْر (٢)
وَأَوْ أَصْبَحَتْ فِي جُشْمٍ هَدِيًّا ، إِذَا ، أَصْبَحْتُ فِي دَنْسٍ وَفَقْر (٣)
فخرج اليه ابوها فقال : « يا ابا قرّة قد امتنعت ، ولعلها ان تجيب فيما بعد »
فقال دريد : « قد سمعت قولكما » . وانصرف غضبان . وله من قصيدة في
هجو الحنساء :

وَقَالَ اللَّهُ يَا ابْنَةَ آلِ عَمْرِو ، مِنْ أَلَا زَوَاجِ أَشْبَاهِي ، وَنَفْسِي (٤)
فَلَا تَلِدِي وَلَا يَنْكِحْكُ مِثْلِي ، إِذَا مَا لَيْلَةٌ طَرَقَتْ بِنَحْس (٥)
وَتَرْعَمُ أُنْبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَهَلْ خَبَرْتَهَا أَنِّي ابْنُ خُمْسٍ ؟ (٦)
تُرِيدُ شَرَنْبَثَ الْقَدَمَيْنِ شَيْئًا ، يُقْلَعُ بِالْجَدِيرَةِ كُلَّ كِرْسٍ (٧)
وَمَا قُصِرَتْ يَدِي عَنْ عَظَمِ أَمْرٍ ، أَهْمُهُ بِهِ ، وَلَا سَهْمِي بِنَكْسٍ (٨)
ف قيل للحنساء : « ألا تجيبينه ؟ » فقالت : « لا اجمع عليه ان أرُدّه ،
وان اهجوّه . »

ثم تزوجت رَوَاحَةَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ السُّلَمِيِّ ، فولدت له عبد الله . ثم خلف
عليها مرداس بن ابي عامر السُّلَمِيُّ ، فولدت له يزيد ومعاوية وعمرأ وبتنأ اسمها عمرة
روى علقمة بن جوير قال : « لما كانت ليلة زفاف عمرة ، كانت أمها جالسة
ملتفة بكساء احمر ، وقد هرمت . وكانت تلاحظ ابنتها خطأ شديداً . فقال القوم :
« يا عمرة ألا تحرشت بها ، فانها الآن تعرف بعض ما انت فيه . » فقامت عمرة تريد

واحد . وقولها هبت : دعاء عليه اي تُكَلِّمَتْ . قال ابن الاعرابي : ولا يقال في الدعاء هبت .
(١) يرضعني : يتزوجني . الحبر كى : الطويل الظهر القصير الرجلين . الشبر : العمر والزواج
والخير وكلها تناسب معنى البيت . وقولها معاذ الله أي اعوذ بالله وهو منقول مطلق عامله محذوف
كسبحان . (٢) الجريم : التمر المصروم أي المقطوع . (٣) الهدى : العروس . (٤) أي من
اشباهي ومن نفسي . (٥) النحس : البرد والظلمة . (٦) خمس : اي خمس سنوات . ويروى
ابن امس . (٧) الشرنبث : الغليظ الاصابع . الشثن : الحشن . الجديرة : الخطيرة . الكرّس :
التمر والبول يتلبد بعضه فوق بعض . (٨) النكس : السهم اذا انكسر فوقه فيجعل اعلاه اسفله
وهذا عيب فيه . والفوق موضع الوتر من السهم . يريد انه ليس بضعيف جبان .

حاجة ، فوطئت على قدمها وطأة اوجعتها ، فقالت لها ، وقد اغتاظت : « أف لك يا حمقاء ! انني كنت احسن منك عرساً ، واطيب ورساً ^(١) وارق منك نعللاً ^(٢) واكرم نعللاً ^(٣) . وذلك اذ كنت فتاة أعجب الفتيان ، لا أذيب الشخم ^(٤) ، ولا ادعى البهم ^(٥) . كالمهرة الصنيع ^(٦) لا مضاعة ، ولا عند مضيع . » فضحك القوم من غيظها .

عقل الغويبر

وكان للخنساء اخوان : احدهما معاوية ، وهو اخوها لامها ، والثاني صخر ، وهو اخوها لابيها ، وكان احبها اليها . واستحق صخر ذلك لامور منها : انه كان موصوفاً بالحلم ، مشهوراً بالجد ، معروفاً بالتقدم والشجاعة ، محظوظاً في العشيرة ، واجل رجل في العرب .

قيل : ان عمرو بن الشريد ابا معاوية وصخر ، كان يأخذ بيدي ابنيه ويقول : « انا ابو خيرَي مُضَر » فتعترف له العرب بذلك .

وكان مقتل معاوية في يوم حوزة الاول نحو سنة ٦١٢ للمسيح وهو يوم تسليم على غطفان ، وقاتله هاشم بن حرملة . . . ابن مرة الغطفاني . وغزا صخر بني مرة في العام التالي فأصاب منهم ، وقتل دريداً اخا هاشم ، وكان ذلك يوم حوزة الثاني ، ثم قتل هاشم بن حوملة ، وقاتله عمر بن قيس الجشمي . وفيه تقول الخنساء :

فِدَا الْمَفَارِسِ الْجُشْمِيَّ نَفْسِي ، وَأَفْدِيهِ بِمَا لِي مِنْ حَمِيمٍ ^(٧)

واما صخر فكان هلكه ^(٨) بجوح رقيب ^(٩) اصابه في حرب الكلاب او ذات الاثل ^(١٠) ، وهو يوم بين سليم وأسد ، ففرض من ذلك وطال مرضه حتي ملته زوجته سلمى . فاذا عاده عائداً وسألها على باب الحباء : « كيف اصبحت

(١) الورس : نبت اصفر اللون طيب الرائحة اي اطيب رائحة . (٢) ارق نعللاً : أي ليست بصاحبة مشي ، تعني انها اكثر نعلماً . (٣) نعللاً : زوجاً . (٤) أي لا تخدح في البيت . (٥) البهم : اولاد الضأن والمغز مفردها بهمة . (٦) الصنيع : المهرة التي أحسن القيام على تربيتها ، أي كنت كالمهرة الصنيع . (٧) الحميم : القريب والصديق . (٨) هلكه : موته . (٩) رقيب : واسع الجوف . (١٠) الاثل : شجر عظيم .

صخرُ الغداة ، وكيف بات البارحة ؟ » قالت : « لا هوشي فيرجى ، ولا ميت فينبى . فيسمعها صخر فيشق ذلك عليه . واذا سأل أمه اجابت : « ارجى له ممناً من يومنا ، ولا تزال نجبر ما رأينا سواده ^(١) . فينا . » وافاق صخر بعض الافاقه ، فاراد قتل زوجته فقال : « ناولوني سيفي لانظر كيف قوتي . » فناولوه ، فلم يطق حمله وفي ذلك يقول :

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ لَا تَمَلُّ عِيَادَتِي ، وَمَلَتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَكُونَ جَنَازَةً ، وَلَمْ يَفْتُرْ بِأَلْحَدَانِ ^(٢) عَلَيْكَ ، وَمَنْ يَفْتُرْ بِأَلْحَدَانِ ؟
أَهْمُ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ اسْتَطِيعَهُ ، وَقَدْ أُحِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ ^(٣)
وَلَكُمُوتٌ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ ، كَأَنَّهَا مُعَرَّسٌ يُعْسَبُ بِرَأْسِ سِنَانٍ ^(٤)
وَأَيُّ أَمْرِي سَاوَى بِأُمِّ حَلِيلَةٍ ، فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شَقَا وَهَوَانٍ ^(٥)

ثم نكس بعد ذلك في مرضه ، فمات في سنة ٦١٥ (٦) فوجدت ^(٦) به الحنساء وجداً عظيماً ، وجلست على قبره زماناً طويلاً تبكيه وترثيه . وفيه جلُّ مرثيائها .

الحنساء في الاسلام

ولما ظهر الاسلام قدمت الحنساء في قومها بني سليم فأسلموا جميعاً وقيل : رآها عمر بن الخطاب فأسأها : « ما اقروح ماقي عينيك ؟ » قالت : « بكائي على السادات من مضر » قال « يا خنساء ، انهم في النار » قالت : « ذاك اطول بعولي عليهم ، اني كنت ابكي لهم من النار ، وانا اليوم ابكي لهم من النار . »

(١) سواده : شخصه . (٢) الجنازة : الميت ، وكل ما ثقل على قوم فاغتموا به . يقول لزوجته : ما كنت اخاف ان اكون ثقيلاً عليك فتفتسي بي ، ولكن لا يفتر بجوارث الايام ولا يوثق بها . (٣) حيل : منع . العير : الحمار . النزوان : الوثب . وهذا مثل يضرب في شدة الامر وصخر اول من قاله . (٤) معرس : محلة . العسوب : طائر اصغر من الجراد او اعظم لا يضم جناحيه اذا وقع . يقول : الموت خير من حياة ضيقة البسة وكأني وانا فيها يعسوب اراد القبول فوق على رأس سنان . (٥) الحليلة : الزوجة . الهوان : الذل . (٦) وجدت : حزنت .

وحكي : انها اقبلت في خلافته حاجة ، فزلت بالمدينة في زي الجاهلية ، فقام اليها عمر في اناس من اصحابه ، فاذا هي على ما وصف له ، فعذلها ووعظها ، وقال لها : « ان الذي تصنعين ليس صنع الاسلام ، وان الذين تبكين هلكوا في الجاهلية ، وهم اعضاء اللهب وحشوجهم » فقالت : « اسمع مني ما اقول في عذلك اياي ، ولومك لي » فقال : « هاتي » فأنشدته :

سَقَى جَدْنًا ، أَكْنَفُ غَمْرَةٍ دُونَهُ ، مِنْ أَلْقَيْتُ ، دِيَمَاتُ الرَّبِيعِ ، وَوَابِلُهُ ^(١)
أَعْيَرُهُمْ سَمْعِي ، إِذَا ذُكِرَ الْآسَى ، وَفِي الْقَلْبِ مِنْهُ زَفْرَةٌ مَا تُرَايِلُهُ ^(٢)
وَكَنتُ أَعْيَرُ الدَّمْعَ ، قَبْلَكَ ، مَنْ بَكَى ، فَأَنْتَ عَلَيَّ ، مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ ، شَاغِلُهُ ^(٣)

فمتعجب عمر من بلاغتها وقال : « دعوها فانها لا تزال حزينة ابداً . »

ورأت عائشة زوجة النبي على الحنساء صداراً ^(٤) من شعر ، فقالت : « يا حنساء أتلبسين الصدار وقد نهى الرسول عنه ؟ » قالت : « لم اعلم بنهيه » قالت : « ما الذي بلغ بك ما ارى ؟ » قالت : « موت اخي صخر ، ولصداري سبب » قالت : « وما هو ؟ » قالت : « زوجني أبي رجلاً متلاًفاً لماله ، فأسرع فيه حتى نفد ، فقال لي : « اين تذهبين يا حنساء ؟ » فقلت : « الى اخي صخر » فلقيناه ، فقسم ماله بيننا وبينه شطرين ، ثم خيّرنا ، فقالت له زوجته : « اما كفالك ان تقسم مالك حتى تجوهم ؟ » فقال :

وَاللَّهِ لَا أَمْنَحُهَا شَرَارَهَا ، وَهِيَ حَصَانٌ ، قَدْ كَفَّيْتَنِي عَارَهَا ^(٥)
وَلَوْ هَلَكْتُ مَزَقْتُ خِمَارَهَا ، وَأَتَّخَذْتُ مِنْ شَعْرِ صَدَارَهَا ^(٦)

فلما هلك اتخذت هذا الصدار . والله لا اخلف ظنه ، ولا اكذب قوله ما حييت .

(١) الجذث : القبر . الاكناف : النواحي مفردهما كَنَفٌ . غمرة : اسم موضع .
الديمات : الامطار الدائمة مفردها ديمة . الوابل : المطر الغزير . (٢) منه : اي من الاسى وهو الحزن . ترايله : تفارقه . (٣) نقول : كنت قبل موتك أعين بداعي من يكي عزيزاً له ، فاصبحت بعد موتك وليس لداعي شاغل سواك . والمخاطب لاختها صخر . (٤) الصدار : قميص صغير يلي الجسد . (٥) شرارها : أي شرار الاموال او شرار الخصاص . والشرار والامرار واحد . حَصَانٌ : شريفة ذات بعل . (٦) خمارها : برقعها .

وشهدت الحنساء حرب القادسية^(١) ومعها بنوها الاربعة ، وكانوا رجالا . فقالت لهم من اول الليل : « يا بني ، انكم اسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين . والله الذي لا اله الا هو ، انكم ابئور رجل واحد^(٢) ، كما انكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت اباكم ، ولا فضحت خالككم ، ولا هيجنت^(٣) حسبكم ، ولا غييت^(٤) نسبكم . واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية ، اصبروا ، وصابروا^(٥) ورابطوا^(٦) واتقوا الله لعلكم تفلحون . فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها^(٧) فتيّمموا وطيسها^(٨) ، وجالدوا رئيسها ، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والقيامة . » فلما اصبحوا باكروا مراكزهم ، فتقدموا واحداً بعد واحد ، وهم يرتجزون ذاكرين وصية العجوز حتي قتلوا عن آخرهم فبلغها الخبر فقالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وارجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقر الرحمة . »

وكان عمر يعطيها ارزاق بنيتها الاربعة مائتي درهم عن كل واحد حتى قبض .
وتوفيت الحنساء في اول خلافة عثمان وكان موتها في البادية .

أماها

ديوان شعر طبع في بيروت ، كله في رثاء اخويها ولا سيما صخر ، واكثره قيل في الجاهلية . ولذلك خالفنا رأي من يعدها من الشعراء المخضرمين^(٩) .

(١) كانت هذه الحرب بين المسلمين والفرس ، وكان يقود جيش الاسلام سعد بن ابي وقاص ، فهزموا الفرس عن القادسية وافتتحوا الموصل وما يليها من المدائن . وكان ذلك في خلافة عمر سنة ١٦ هجرية و ٦٣٨ مسيحية . ولم تقم للفرس بعد وقعة القادسية قائمة .
(٢) الرواة يقولون : ان الحساء تزوجت اثنين ، وان ابنها عبد الله من الرجل الاول وقد ذكر ذلك في موضعه . (٣) هيجنت : جعلته هجيناً وهو العربي المولود من أمة او من ابوه خير من أمه . (٤) صابروا : غالبوا أعداءكم في الصبر . (٥) رابطوا : لازموا ارض العدو . (٦) يقال على سبيل المجاز : شمرت الحرب عن ساقها اي اشتدت ، واصله من تشمير المخدرات في الحرب ، او تشمير المحاربين في القتال . فاطرب سبب . (٧) تيمّموا : اقصدوا . وطيسها : حرّها . (٨) المخضرم : من عاش في الجاهلية والاسلام .

الحنساء ، ما الحنساء ؟ . . . ان هي الا قمرية^(١) على الغصون
تبكي لفقد اليقها . فاذا شباك نوح القاري ، فشعر الحنساء لا بد ان يشجوك .
فهو ذوب العاطفة المتألدة ، والنفس الدامية ، والوفاء الاخوي الشاكل .

واذا همت الحنساء برثاء صخر ، وصخر شقيق روحها ، سابقتها الدموع الى
رثائه ، فتفجرت من مآقيا ، فاذا هي لا ترى غير عينيها عوناً لها على الاسى ،
فتمخاطبها بشعرها ، وما اكثر ما تستهل الحنساء قصائدها بخطاب عينيها :

مَا بَالُ عَيْنَيْكَ مِنْهَا دَمْعُهَا سَرَبٌ ، أَعَادَهَا حَزَنٌ ، أَمْ عَادَهَا طَرْبٌ ؟^(٢)
أَمْ ذِكْرُ صَخْرٍ بُعِيدَ النَّوْمِ هَيَّجَهَا ، فَالْدَمْعُ مِنْهَا عَلَيْهِ الدَّهْرُ يَنْسِكُ^(٣)

يَا عَيْنِ جُودِي بَدَمْعٍ مِنْكَ مَسْكُوبٌ ، كَأَنَّهُ جَالٌ فِي الْأَسْمَاطِ مَشْغُوبٌ^(٤)
إِنِّي تَذَكَّرْتُهُ ، وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ ، فَقِي فُؤَادِي صَدْعٌ غَيْرُ مَشْغُوبٍ^(٥)

يَا عَيْنِ جُودِي بَدَمْعٍ مِنْكَ هَمَّالٌ ، وَعَبْرَةٌ بَنَجِيبٌ ، بَعْدَ إغْوَالٍ^(٦)
لَا تَسْأَمِي أَنْ تَجُودِي ، غَيْرَ خَاذِلَةٍ ، فَيَضَا كَفَيْضُ غُرُوبٍ ، ذَاتِ أَوْشَالٍ^(٧)
وَأَبْكِي لِصَخْرٍ طَوَالَ الدَّهْرِ ، وَأَنْتَ حَيٌّ ، حَتَّى تَحْلِيَ ضَرْيَحًا بَيْنَ أَجْبَالٍ^(٨)

واذا هي آنست في عينيها جموداً أثبتتها على مجلها ، فكأنها لا تريدها الا
مغرورة ندية :

(١) القمرية : الحمامة . (٢) سَرَبٌ : سائل . عادها : زارها . والبكاء . يكون من
الطرب كما يكون من الحزن . (٣) عليه الدهر : أي مدى الدهر . (٤) يا عين : على حذف ياء
التمكيم في المنادى المضاف اليها . الاساط : الخيوط تنظم فيها اللاكي لتعلق في الرقاب . مفردا
سميط . شبهت دمعها في صفائه باللاكي المنظومة في الاساط . (٥) معتكر : مظلم . صدع : شق .
مشغوب : مجموع ملووم . (٦) همَّال : هطَّال . وعبرة بنجيب : اي دمة مقترنة بنجيب . والنجيب :
هو رفع الصوت بالبكاء . الاعوال : الصباح بالبكاء جمعت انواع البكاء كلها . (٧) الاتسأمي :
لا تضجري . غير خاذلة : غير فاركة . الغروب : الدلاء العظيمة ، مفردا غروب . الاوشال : المياه
الكثيرة والقليلة مفردا وشل وهي من الاضداد . (٨) طوال الدهر : مدى الدهر : اجبال : جمع جبل .

يَا عَيْنِ مَا لَكَ لَا تَبْكِينَ تَسْكَابَا، إِذْ رَابَ دَهْرٌ، وَكَانَ الدَّهْرُ رِيَابًا^(١)

.....

أَعْيَنِي، جُودًا وَلَا تَجْمُدَا، أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرٍ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْعَجْرِي، الْجَبِيلَ، أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا

.....

أَعْيَنِي، هَلَّا تَبْكِيَانِ عَلَى صَخْرٍ! بِدَمْعٍ حَثِيثٍ، لَا بَكِيٍّ وَلَا نَزْرٍ!^(٢)
وَتَسْتَفْرِغَانِ الدَّمْعَ أَوْ تُذَرِيَانِي، عَلَى ذِي النَّدَى وَالْجُودِ، وَالسَّيِّدِ الْقَمَرِ^(٣)
فَمَا لَكُمَا عَنْ ذِي يَمِينَيْنِ فَأَبْكِيَا عَلَيْهِ مَعَ الْبَاكِي الْمُسَلَّبِ، مِنْ صَبَرٍ^(٤)

وقد تولها عينها اذا قوَّحها البكاء ، فتخطب نفسها على سبيل التشكك
او تجاهل العارف :

قَذَى بَعِينِكَ ، أَمْ بِالْعَيْنِ عَوَّارٌ ؟ أَمْ ذَرَفَتْ ، إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ ؟^(٥)
كَأَنَّ عَيْنِي لَذِكْرَاهُ ، إِذَا خَطَرَتْ ، فَيَضُّ ، يَسِيلُ عَلَى الْحَدَّيْنِ ، مِدْرَارٌ^(٦)
تَبْكِي لِصَخْرٍ ، هِيَ الْعَبْوَى ، وَقَدْ وَلَهَتْ ، وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ التُّرْبِ أَسْتَارٌ^(٧)
تَبْكِي خُنَاسٌ ، فَمَا تَنْفَكُ ، مَا عَمَرَتْ ، لَهَا عَلَيْهِ رَنِينَ ، وَهِيَ مِفْتَارٌ^(٨)

- (١) التسكاب : السكب الكثير • راب الدهر : وقع الانسان بصروفه وواجهه •
الرِّيَاب : المفزع والرامي بصروفه • (٢) هلا : اذا تقدمت المضارع افادت التحضيض •
حَثِيث : سريع • البكي : القليل • التذر : القليل التافه • (٣) تستفرغان : تبذلان •
تذريانه : تصبانه • القمر : الكريم الوسع الخلق • (٤) ذي يمينين : لقب صخر • المسلب :
من التسلب وهو لبس الثياب السود • تقول : فما لكما صبر عن صخر فابكيا عليه مع الباكي
المسلب ، وفي البيت تقديم وتأخير • (٥) قذى بعينك : اي أقدى ، حذفت الحمزة لوزن
القمر • والقذى ما يقع في العين فيؤلها • العوار : ما أصاب العين من القذى او الرمد فأوجعها •
ذرفت : قطرت قطراً متتابعاً • (٦) اذا خطرت : اي مرت ذكرها ببالها • الفيض : السيل •
مدرار : غزير كثير الدر • (٧) العبرى : الدامعة • ولت : جزعت • وجديد التراب :
وجهه وما اثير من باطن الارض • (٨) خُنَاس : اي الخنساء معدول عنها لحلاوة اللفظ
والتعجب • ما عمّرت : ما عاشت وبقيت • رنين : بكاء • مفتار : ضعيفة منكسرة •

تَبْكِي خُنَّاسٌ عَلَى صَخْرَةٍ، وَحَقَّ لَهَا إِذْ رَأَتْهَا الدَّهْرُ، إِنَّ الدَّهْرَ ضَرَّارٌ ^(١)

وإذا انتهت الخنساء من حديث عينيها ، فرغت للتلف على أخيها ، وتعداد شمائله وخلاله . فما تدع مكرمة إلا جعلتها فيه ، ولا حسنة إلا وصفته بها . فهو اشجع الناس ، واكرمهم ، واعفهم ، واجملهم ، وانجدهم . ومما يزيد رثاءها حسناً أن مدحها لصخر لا يشربه التكلف والجفاف ، وانما هو مشبع بصدق اللهجة وصدق العاطفة معاً ، يرافقه التفجع في جميع اقسامه .

وهي في مدحها كما في تلفها وبكائها ، لها اسلوب خاص ذو وحدة في التعبير والتفكير :

يَاصْخُرُ ، وَرَادَ مَا قَدْ تَنَازَرَهُ
مَشَى السَّبْتَى إِلَى هَيْجَاءٍ مُغْضَلَةٍ ،
وَإِنَّ صَخْرًا لَوَالَيْنَا وَسِيدُنَا ،
وَإِنَّ صَخْرًا لِمَقْدَامٍ ، إِذَا رَكِبُوا ،
أَغْرُ أَبْلَجٍ ، تَأْتُمُّ أَلْهَدَاةُ بِهِ ،
جَلْدٌ جَبِيلٌ الْمُحْيَا ، كَامِلٌ وَرَعٌ ،
أَهْلُ الْمَوَارِدِ ، مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ ^(٢)
لَهُ سَلَا حَانَ : أَنْيَابٌ وَأَظْفَارُ ^(٣)
وَإِنَّ صَخْرًا ، إِذَا نَشْتُو ، لَنَحَّارُ ^(٤)
وَإِنَّ صَخْرًا ، إِذَا جَاعُوا ، لَعَقَّارُ ^(٥)
كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ ^(٦)
وَالْخُرُوبِ غَدَاةُ الرُّوعِ مِسْعَارُ ^(٧)

(١) حَقَّ لَهَا : أي كان البكاء حقيقةً بها وهي حقيقة بها . راجعاً : أوجعها بصروفه .
ضَرَّارٌ : شديد الضر . (٢) وَرَادَ : صيغة فَعَّالٌ للمبالغة ، من ورد الماء بلغه ليشرب والمساء هنا مستعار للموت . تناذره : أُنذِر بعضهم بعضاً صموتاً وهو له . الموارد جمع مورد : محل الوردود . وقولها اهل الموارد : كناية عن الإبطال . ورده : شربه . تقول : وردت مورداً تخافه الإبطال ويُخَذَّر بعضها بعضاً منه ، ولكن ليس في ورده عار . (٣) السبتي : النمر . ومشى السبتي : أي مشيته . الهيجاء : الحرب . المغضلة : الشديدة . وقولها : له أنياب وأظفار : ترشيح للتشبيه بزيده بلاغة . (٤) نشتو : ندخل في الشتاء . نحَّار : ينحر الابل والمواشي لان في الشتاء يكثر الطارق ويضيق العيش . (٥) المقدام : الذي يتقدم الفرسان في الحرب . ركبوا : أي ركبوا للحرب . العقَّار : النحَّار للابل . (٦) الاغر : الكريم المشهور . ابلج : الطلق الوجه ذو الكرم والمعروف . تأتم به : تقتدي به وتتخذة إماماً . الهداة : الأدلاء والمرشدون ، مفرداها هادي . العليم : الجبل العظيم . تقول : كأنه في شهرته وظهوره جبل عظيم يأتم به الهداة ليهتدوا به ، ثم اوغلت وما اكتمت فقالت : في رأسه نار . (٧) جلدٌ :

حَمَّالُ أَلْوِيَّةٍ ، هَبَّاطُ أَوْدِيَّةٍ ، شَهَادُ أَنْدِيَّةٍ ، لِلْجَيْشِ جَرَّارٌ ^(١) ،
لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا ، لِرَبِيَّةٍ ، حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ أَلْجَارُ ^(٢) ،
وَلَا تَرَاهُ ، وَمَا فِي أَلَيْتِ يَأْكُلُهُ ، لَكِنَّهُ بَارِزٌ بِالصَّخْنِ ، مِهْمَارُ ^(٣) ،
مُورَثُ الْمَجْدِ ، مَيْمُونٌ نَقِيبَتُهُ ، ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ ، فِي الْعَزَاءِ مَغْوَارُ ^(٤) ،
لِيَبْكِهِ مُقَاتَرٌ ، أَقْنَى حَرِيَّتِهِ ، دَهْرٌ ، وَحَالِقُهُ بُوسٌ وَإِقْتَارُ ^(٥) ،
وَرَفْقَةٌ ، حَارَ هَادِيهِمْ بِمَهْلَكَةٍ ، كَانَ ظُلْمَتَهَا فِي الطُّخْيَةِ الْقَارُ ^(٦) ،

ومن قولها :

يَأْتَلِفُ نَفْسِي عَلَى صَخْرِهِ ، إِذَا رَكِبْتُ خَيْلَ لَحِيلٍ تُنَادِي ، ثُمَّ تَضْطَرِبُ ^(٧) ،
قَدْ كَانَ حَصْنًا شَدِيدَ الرُّكْنِ مُنْتَهَا ، لَيْثًا ، إِذَا نَزَلَ الْفَيْثَانُ أَوْ رَكِبُوا ^(٨) ،
أَغْرُ ، أَزْهَرُ ، مِثْلُ الْبَدْرِ صُورَتُهُ ، صَافٍ ، عَتِيقٌ ، فَمَا فِي وَجْهِهِ نَدَبُ ^(٩) ،
سَقِيًّا لِقَبْرِكَ مِنْ قَبْرِ ، وَلَا بَرَحَتْ جُودُ الرُّوَاعِدِ تَسْقِيهِ وَتُحْتَلَبُ ^(١٠) !

قوي الجلد أي الصبر والثبات . ورع : مبتعد عن الآثم والمعاصي . الروح : الفزع . مسعارة : موقد للمبالغة ، من سمر الحرب اوقدها .

(١) الألوية : الرايات مفردها لواء . الاندية : المجالس مفردها نادر . تقول : هو يحمل اللواء في الحرب ، ويقطع الاودية المقفرة التي تحميها السباع ، ويخطب في المجالس ويفصل في الامور ، ويقود الجيش الجرار . (٢) لربية : لامر يتهم به . (٣) مهار : من همر ما في الضرع : حلبه كله . تقول : لا يأكل ما في بيته وحده لكنه يخرج بصحنه ليغري الضيوف ، ويحلب لهم اللبن الكثير . (٤) ميمون : مبارك . النقيبة : النفس . الدسيعة : العطية . العزاء : الشدة . مغوار : كثير الغارات . (٥) المقتر : الفقير . الحربية : المال الذي يعيش به . إقتصار : فقر . (٦) المهلكة : المفازة وهي البرية الواسعة يكثر فيها الهلاك . الطخية : سحب يغطي النجوم فيمنحير الهادي . القار : الزفت . تقول : لتبكه رفقة تسير في مهلكة وقد حار هاديهما لشدة الظلام ، فان صخرًا كان جهدهما ويشجعهما . (٧) خيل لحيل : أي فرسان لفرسان ، مجاز مرسل . (٨) ليثًا : أسدًا . اذا نزل الفتيان او ركبوا : اي اذا نزلوا للمجادة بالسيوف او ركبوا للمطاردة بالرماح . (٩) الاغر : الابيض . الازهر : الابيض مع حسن . صاف عتيق : اي بقي الوجه خالصة . الندب : اثر الجرح ، اي لا تشوه وجهه اثار الجراح . (١٠) سقيًا : مصدر لفعل محذوف اي ليسق

مَاذَا تَصْنَعُ مِنْ جُودٍ ، وَمِنْ كَرَمٍ ، وَمِنْ خَلَائِقَ مَا فِيهِنَّ مُقْتَضِبٌ ^(١)
 ومن قولها :

خَطَّابُ مُحَفَّلَةٍ ، فَرَّاجُ مَظْلَمَةٍ ،
 سُمُّ الْعُدَاةِ ، وَفَكَالُ الْعَنَاءِ ، إِذَا
 وقولها :

حَامِي الْحَقِيقِ ، تَحَاوَهُ عِنْدَ الْوَعَى
 أَسَدًا ، تَنَازَرُهُ الرِّفَاقُ ، ضَبَّارِمًا ،
 ضَحْمَ الدَّسِيعَةِ ، بِالنَّدَى مُتَدَفِّقًا ،
 وقولها :

وَقَائِلَةٌ ، وَالنَّعْشُ قَدَفَاتِ خَطَوَهَا ،
 الْأَتْسِكِلَتِ أُمُّ الَّذِينَ مَشَوْا بِهِ
 وَمَاذَا يُوَارِي الْقَبْرُ تَحْتَ ثَرَابِهِ ،
 لِتُذَرِكُهُ : «يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ» ^(٢)
 إِلَى الْقَبْرِ ، مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ !
 مِنَ الْخَيْرِ يَا بُوسَ الْخَوَادِثِ وَالْدَّهْرِ !

سقياء . والجملة انشائية متضمنة معنى الدعاء . الجود : الامطار الغزيرة مفردها الجائد . الرواعد :
 السحب فيها الرعدة مفردها الراعدة . يُحْتَلَبُ : اي يُجلب جميع ما فيها من الماء .
 (١) الخلائق : السجاياء والطباع مفردها خليفة . مقتضب : مقطوع . اي ليس في
 سجاياء واحدة ناقصة مقطوعة قبل تمامها . وقولها مقتضب بالتذكير : اي شيء مقتضب .
 (٢) الخطَّاب : المتصرف في الخطبة والكثير . الخطاب . المحفلة : المجلس . المظلمة : ما يلحق
 الانسان من الظلم او ما يؤخذ منه ظلماً . واذا رويت مظلمة تكون بمعنى داهية مظلمة .
 المضلة : الامر الشديد . سنى لها باباً : فتح لها باباً اي انه يهد الشدائد ويفتح لها ابواب
 الفرج . (٣) سم العداة : اي انه يقتل الاعداء كأنه سم لهم . العناء : الاسرى . (٤) الحقيق :
 ما تجب حمايته كالعرض وغيره . ويكثر استعمال حامي الحقيقة بدلاً من الحقيق . يشة : وادٍ
 في النجم تكثر فيه الاسود . (٥) تناذره الرفاق : اي يخوف بعضهم بعضاً منه . الرفاق :
 اي رفاق السفر . ضبارم : أسد مجتمع الخلق موثق . شئن : خشن . البرائن : الاظفار .
 لاحق : ضامر . الاقرب : الخواصر مفردها قرب . والاسود موصوفة بضمور خصورها .
 وهذه الصفات كلها ترشيح للاستعارة . (٦) الدسيعة : العطية . الفاية : المقصد والهدف .
 المنجاب : من انتابه المصائب او من انتاب القوم : زارهم مرة بعد اخرى . (٧) وقائلة :
 اي ورب قائمة وقد سبقها النعش : يالهف نفسي . تريد ان تظهر نوجع الناس على اخيها

وقولها :

وَأَبْكِي أَخَاكَ لَا يَتَامَ وَأَرْمَلَةٌ ، وَأَبْكِي أَخَاكَ لِحَقِّ الضَّيْفِ وَالْجَارِ ^(١)
 جَمُّ فَوَاضِلُهُ ، تَنْسَدِي أَنَامِلُهُ ، كَالْبَذْرِ يَجْلُو ، وَلَا يَخْفَى عَلَى السَّارِي ^(٢)
 رَدَادُ عَارِيَةٍ ، فَكَأَنَّكَ عَانِيَةٌ ، كَضَيْغَمٍ بَاسِلٍ ، لِلْقَرْنِ هَضَارِ ^(٣)
 جَوَابُ أَوْدِيَةٍ ، حَمَالُ أَلْوِيَةٍ ، سَمَحُ الْيَدَيْنِ ، جَوَادُ غَيْرِ مَقْتَارِ ^(٤)

وقولها :

يَأْهَفُ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ ، إِذَا رَكَيْتَ ، خَيْلٌ لِحَيْلٍ ، كَأَمْثَالِ الْيَعَافِرِ ^(٥)
 وَأَلْقَحَ الْقَوْمُ حَرْبًا ، لَيْسَ يَلْقَحُهَا ، إِلَّا الْمَسَاعِيرُ أَنْبَاءُ الْمَسَاعِيرِ ^(٦)
 يَأْصَخِرُ مَاذَا يُؤَارِي الْقَبْرِ مِنْ كَرَمٍ ، وَمِنْ خِلَافِ عَقَاتٍ مَطَاهِيرِ ^(٧)

ونحسب ان هذه المنتخبات كافية ل اظهار ميزة الشاعرة ، وطرق تفكيرها وتعبيرها . فساتر ديوانها يجري على هذا النمط من البكاء والتفجع ، والمغالة في مدح اخيها . ولعل القارئ اظهر خاصة في الحنساء ، فهي مغالية في حزنها ولوعتها ، مغالية في ما تنعت به صخرأ من النعوت الحسنة . ولكنك غلو صادق من حيث تفجعها وبري . من حيث وصفها ل اخيها . فنحن نشعر بشدة آلامها عندما تذرف الدموع السخينة ، وتحاطب عينيها . وتبتين اعجابها الكثير باخيها ، عندما تصف

وأكبرهم المصيبة . (١) قولها : لِحَقِّ الضيف والجار : اي حق الضيف ان يُقَرى ، والجار ان يُحمى وَمِنْ لَهَا بعد صخر ؟ (٢) جم : كثير . فواضله : مكارمه . تَنْسَدِي : تقطر . أَنَامِلُهُ : اصابعه . أَي تَنْدِي بِالْجَوَادِ أَنَامِلُهُ . يَجْلُو : يظهر . السَّارِي : السَّاتِرُ لَيْسَ . (٣) العارية : الشيء يُتَدَاوَلُ ويستعار . اي اذا استعار شيئاً برده . عَانِيَةٌ : اي جماعة عانسة وهي الاسرى . الضيغم : الاسد . الْقَرْنُ : الحِصَمُ الذي يقارنك بقوته وغيرها . الْهَضَارُ : الذي يحصر فريسته اي يسحقها . (٤) الْجَوَابُ : الْقِطَاعُ . سَمَحُ الْيَدَيْنِ : سخي . الْجَوَادُ : الكرم . غير مقتار : لا يضيق على عياله . (٥) خَيْلٌ لِحَيْلٍ : اي فرسان لفرسان ، بجاز . ثم قالت : وهذه الخيل في سرعتها تشبه اليعافير : اي الظباء مفردة يعفور . (٦) أَلْقَحَ الناقه : أَلْتَجَهَا ، ويستعار للحرب اي اوقدها . المساعير : موقدو الحرب ، مفردها مسعار . (٧) خِلَافُ : سَجَابَا مفردها خليفة . عَقَاتٌ : عَقِيفَاتُ مفردها عَقَّة . مَطَاهِيرُ : كثيرة الطهر مفردها مطهار .

شجاعته فتصوره اسداً تاماً بانياب واذفار ، شثن البرائن ، لاحق الاقواب . او
تصف جوده ، فتجعله مأوى اليتيم ، وغاية المنقب ، بارزاً بالصحن مهراً . او تصف
جماله ، فهو البدر في صورته ومحياه .

ولا يقتصر غلوها على المعاني وما فيها من صور مادية بارزة ، بل يتناول الفاظها
ايضاً ، فأكثر ما يكون لفظها في صيغ المبالغة التي تترك أثراً محسوساً في النفس .
فنن تعابيرها الخاصة قولها : شهاد اندية ، حال الوية ، هبأط اودية ، نحار ، مغوار ،
مسعار ، أغرأ بلج ، او أغرأ زهر ، الى غير ذلك من امثلة المبالغة . ولها تعابير فخمة
تتضمن الغلو في نفسها ، مثال قولها : ضخم الدسيعة ، اذار كبت خيل خيل ٠٠٠
وقد تحتم رثاءها بالوقوف على القبر الذي ضم رفات اخيها ، فاتدري كيف تظهر
له تلك النعمة التي حلت عليه بجلول صخر فيه ٠٠٠ ماذا يوراي القبر من كرم ؟ ٠٠٠
او من خير ؟ ٠٠٠ او من خلانق عفات مطاهير ؟ ٠٠٠

فيتبين من كل ذلك ان رثاء الحنساء عاطفي بحت ، لا يشوبه تكلف ، ولا
يرتفع بها الفكر الى المعاني الحكمية السامية التي نجدها في رثاء لبيد لآخيه . فهي
حزينة لا تهزري ، وضعيفة لا تملك ان تعظ نفسها ، ونادبة تهيج البواكي ، وتستحث
قومها على ادراك الثار ، وتشير نحوتهم بذكر مناقب اخيها . واذا خطر لها ان تتأسى
شيئاً ، فلكي تمنع نفسها عن الانتحار ، لا عن التفرجع والبكاء :

يَذْكُرْنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا ، وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ ^(١) ،
وَلَوْلَا كَثْرَةُ آبَائِي حَوْلِي ، عَلَى إِخْوَانِهِمْ ، لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَلَكِنْ ، لَا أَزَالُ أَرَى عَجُولًا ، وَبَا كَيْفَةَ تَوَحُّ لِيَوْمِ نَحْسٍ ^(٢) ،
أَرَاهَا وَهَلَّا تَبْكِي أَخَاهَا ، عَشِيَّةَ رُزْئِهِ ، أَوْ غِبَّ أَمْسٍ ^(٣) ،
وَمَا يَبْكُونُ مِثْلَ أَخِي ، وَلَكِنْ ، أَغْزِي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي ^(٤) ،

(١) اي انها تذكره عند طلوع الشمس للغارة ، وعند مغيبها لقرى الضيفان . وهو من
الطيف الاشارات البيانية وأبدعها . (٢) عجولا : ثكلى جمعها : عجل . (٣) الواله : من
ذهب عقلها من الحزن ويستوي فيها المذكر والمؤنث . غب : بعد ، اي بعد امس رزئه
(٤) يسكون : أي النساء والرجال . التأسي : التصبر .

فَلَا وَاللَّهِ ، لَا أَنْسَاكَ حَتَّى أَفَارِقَ مُهْجَتِي ، وَيُشَقَّ رَمْسِي ^(١)
 فَقَدْ وَدَّعْتُ يَوْمَ فِرَاقِ صَخْرٍ ، أَرَبِي حَسَّانَ ، لَدَاتِي وَنُسِي ^(٢)
 فَيَا لَهْفِي عَلَيْهِ ، وَلَهْفَ أُمِّي ، أَيْضُحُ فِي الضَّرِيحِ ، وَفِيهِ يُنْسِي ^(٣)

ومما يجدر ذكره ان شعر الحنساء خال من القصائد الطوال التي عرفناها في الشعراء الجاهليين . فاطول قصيدة لها الرائية : « قَذَى بَعَيْنِكَ أُمُّ بَالَعَيْنِ عَوَّارُ . . . » وهي لا تتجاوز الخمسة والثلاثين بيتاً . واكثر شعرها ابيات ومقطعات ، او قصائد قصيرة . ولعل ذلك ناتج بعضه عن ضعف الخيلة في المرأة ، وبعضه الآخر عن وحسنة موضوع الشاعرة وعدم تعدد اغراضها . فهي لم تطرق غير الرثاء ، بما فيه من تفجع ومدح ، وما يتبع المدح من ذكر غزوة ، دون ان تعتمد الى وصف الحرب وتصويرها ، وانما تجعل همها في النواح على صخر ، واطراء ثمائله وتمثيلها مادياً ، مما جعل افكارها محصورة في صور محدودة المعاني والتعابير .

على ان قصر قصائدها لا يضيق شاعريتها ، ولا يحيط من منزلتها الادبية ، فانما هو زفرات متقطعة ، وافلاذ من حشاشتها الدامية .

معرضها

هي اشعر النساء ، وتُفَضَّلُ على كثير من فحول الشعراء . وقد عدّها ابن سلام الثانية بين اصحاب المراثي ، فقدّم عليها مُتَمِّمُ بن نُويرة ، وقدّمها على اعشى باهلة ، وكعب بن سعد الغنوي . ورؤي ان جريراً سئل : « من اشعر الناس ؟ » فقال : « أنا ، لولا هذه الجبيلة (يعني الحنساء) ففضلها على جميع الشعراء . وقدمها بشار على الرجال .

وكان النبي محمد يُعجب بشعرها ، ويستنشدّها فتنشدّه وهو يقول : هيه ^(٢)
 يَا حُنَّاسُ ! وَيَوْمِي يُبِيدُهُ .

(١) المهجة : الروح ودم القلب . الرمس : القبر . (٢) ابو حسان : كنية صخر .

(٣) هيه : كلمة استعادة .

وقصارى القول : ان شعر الخنساء مثال للرقعة على غير ضعف، وعنوان الرثاء العاطفي غير مُدافع^(١)

درس ادبي تاريخي

زعم الرواة ان الخنساء وقفت في سوق عكاظ، فأشدت النابغة^(٢) قصيدتها « الرائية » التي رثت بها صخوراً، فأعجبه شعرها، وقال لها : « اذهبي فأنت اشعر من كل ذات ثدين، ولولا ان ابا بصير^(٣) انشدني قبلك لفضلتك على شعراء هذا الموسم . » وكان ممن عرض شعره حسّان بن ثابت فغضب وقال : « انا اشعر منك ومنها . » فقال النابغة : « ليس الامر كما ظننت . »

وهنا يزعم بعض الرواة ان النابغة قبض على يد حسان وقال : « يا ابن اخي، انت لا تحسن ان تقول :

وَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي، وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

فحَسَّس^(٤) حَسَّانَ لقوله . ويزعم غيرهم ان النابغة التفت الى الخنساء وقال : « خاطبني يا خُنَّاس » فقالت له : « ما اجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها آنفاً ؟ » قال : قولي فيها :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ، يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى، وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ، مِنْ نَجْدَةٍ، دَمًا^(٥)

فقالت : « ضَعُفْتَ افتخارك وانزرتك^(٦) في ثمانية مواضع في بيتك هذا » قال : « وكيف ذلك ؟ » قالت : « قلت : الجفنات، والجفنات ما دون العشر، ولو قلت : الجفان لكان اكثر . وقلت : الغرُّ، والغرة بياض في الجبهة، ولو قلت : البيض لكان اكثر اتساعاً . وقلت : يلمعن، واللمع يأتي شيء بعد شيء، ولو قلت : يشرقن لكان اكثر لان الاشراق ادوم من اللمعان . وقلت بالضحي، ولو قلت :

(١) غير مُدافع : اي غير مُزاحم . (٢) كان النابغة الذي ياتي في ضرب له قبة حمراء في عكاظ ونأتيه الشعراء وتنشده فيفضل من يرى تفضيله . (٣) ابو بصير : كنية الاعشى الاكبر . (٤) حَسَّس : تنحى وتأخر . (٥) الجفنات : القصاع الكبيرة مفردة جفنة . (٦) الغر : البيض . النجدة : القتال والشجاعة والبأس . (٦) أنزرتك : قللتك .

بالدجى لكان اكثر طُرَاقاً^(١) . وقلت : اسياف، والاسياف مسا دون العشرة،
ولو قلت : سيوف لكان اكثر . وقلت : يقطرون، ولو قلت : يَسْلَنَ لكان اكثر .
وقلت : دَمَا، والدَمَا اكثر من الدم . « فسكت حسّان ولم يُحر جواباً » .

على ان هذا النقد فيه كثير من التكلف والتعنت، لا تصح نسبته الى شاعرة
في الجاهلية خايسة الذهن من قواعد اللغة، بعيدة من التصنع الذي ينافي فطرتها
الطَّبِيعِيَّة . اضاف الى ذلك ان ناقد البيت لم يصب في نقده، لان باب المجاز واسع في
اللغة، ولولا المجاز لضاقت العربية على ابنائها، وسدّت في وجوههم مذاهبها . هذا
وان جموع القلة تستعمل للكثرة كما تستعمل جموع الكثرة للقلة، وقد يُستغنى ببعض
ابنية القلة عن بعض ابنية الكثرة كرُجل وأرُجل، وبعض ابنية الكثرة عن بعض
ابنية القلة كرُجل ورجال . والخنساء نفسها لم يسلم شعرها من استعمال جمع القلة
للكثرة، ولا سلم منه شاعر في الجاهلية والاسلام . قال السموأل :

وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ ،
بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِ عَيْنَ فُلُولٍ^(٢)

وقالت الخنساء :

سَقَى الْإِلَٰهَ ضَرِيحًا جَنًّا أَعْظَمُهُ ،
وَرَوْحَهُ ، بِغَزِيرِ الثَّمَرِ هَطَالٍ^(٣)

فالا عظم جمع قلة، مع ان جسم الانسان يحتوي اكثر من عشر عظام .

وهكذا يمكن القول في الافعال والامماء التي تفيد الكثرة او القلة، فالأغر
يعني عمن الابيض، وان دلّ في اصله على بياض الجهة، فيقال وجسه أغر، ولا
يراد به الجبين وحده . ولمع يقوم مقام اشرق توسعاً، وعلى سبيل المجاز . ونرى ان
قوله : « يَلْمَعَنَّ فِي الضُّحَى » اوقع من ان يقول : يشرقن، لان الجفنت تلمع في
نور الشمس لمعاناً ولا تشرق اشراقاً .

ولا ندري اين ذهب الناقد بالموضع الثامن الذي ضعّف فيه حسّان بيسته؛ فهو
لم يذكر لنا الا سبعة مواضع . ومن الغريب ان ينقل الرواة هذا النقد على اختلافه
مطمئنين، دون ان يبحثوا عن الموضع الثامن الضائع، او ان يشكوا في صحته،
وصحة نسبته الى الخنساء .

على اننا اذا تركنا النقد الادبي جانباً، ونظرنا الى هذه الرواية من حيث التاريخ
تبين لنا جلياً اصطناعها، وخطأ اسنادها الى الحسناء . ذلك بان صخراً اخاها قُتل
في يوم الكلاب او يوم ذات الاثل نحو سنة ٦١٥ م ونحن نعلم ان النابغة مات سنة
٦٠٢ م اي في السنة التي قُتل فيها النعمان بن المنذر، او في سنة ٦٠٤ م على رأي بعضهم،
فكيف تسنى للحسناء ان تثرى صخراً، وتقف « برائيتها » في سوق عكاظ، وتنشدها
امام النابغة، مع ان النابغة هلك قبل اخيها بنحو احدى عشرة سنة على اقل
تعديل ؟ ... فالرواية، كما ترى باطلة، من اساسها، وربما كانت اثراً باقياً من
عداء القرشيين والانصار، اريد باختلاقها الطعن في شاعرية حسان بن ثابت الانصاري .
ولكن الخطأ من ادبائنا المعاصرين ^(١) الذين نقلوها على علاتها دون تدقيق وتمحيص .



الهجاء

كان الشاعر في الجاهلية يهجو للمفاخرة، كهجاء الحوث بن حنزة لبني تغلب،
او للدفاع عن حق مهضوم، كهجاء زهير لبني حصن وهو يعتقد انهم ظلموا الرجل
النظفاني الذي تزل عليهم . واما الهجاء التجاري فقل من كان يصطنعه فيهم، وربما
كان الاعشى اقربهم الى هذا النوع من الشعر، ولكنه لم يشتهر فيه كما اشتهر الشاعر
الذي نحن بصدده الآن ألا وهو الخطيئة .

الخطيئة

(ادرك معاوية ^(٢))

حياته : جرجول العبسي . لقّب بالخطيئة لقصره . مغمور النسب متدافعه بين
القبائل . ابوه أوس بن مالك، وأمه أمة . انتسب للافقم . مطالبته

(١) احد الابهاء اليسوعيين في ديوان الحسناء . جرجي زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة
العربية . الاخ ساروفيم فيكتور في كتابه تاريخ الآداب العربية . (٢) معاوية بن ابي سفيان
اول خليفة أموي . مدة خلافته من سنة ٦٦١ الى ٦٨٠ م . و ٦١ الى ٦٠ هـ .

ببرائه . مدح ذهلاً ثم هجاء . خبره في الاسلام . رقة دينه وارتداده .
هجاؤه الزبرقان . حبسه واطلاقه وخبره عند عمر بن الخطاب . الاختلاف
بموته . ادرك معاوية . الاستناد بذلك الى اخباره وشعره . وصيته .
اخلاقه : جشع ، سؤول ملحف ، دنيء النفس ، كثير الشر قليل الخير ،
بخيل . عطفه على اولاده . طرده ضيوفه .

آثاره : ديوان في المديح والفخر والنسيب ، خصوصاً الهجاء . من اصحاب
المشوبات .

ميزته : بروي شعر زهير ، ويحذو حذوه في تهذيب قصائده والاعتماد على الصور المادية .
هجوه يلذع ولا يُفحش . تغلب عليه العفة . يتناول الناس في منزلتهم
الاجتماعية والصفات الحسنة التي يُحمدون عليها . هجوه الزبرقان وطريقته
فيه ، وقول عمر فيه ، ثم قول حسّان . صواب القولين . هجاؤه التجاري ،
وهجاؤه الهائلي . مدحه . استعطافه عمر . تأثره بالقرآن . منزلته :
حلاوة الفاظه ووضوح معانيه . بعده من الاسفاف . مثاقفه شعره وسيرورته .
فاتحة الشعراء الهجائيين .

حياته

هو جرول بن أوس بن مالك العبسي ، ينتهي نسبه الى مُضَر ، ويُلقب بالخطيئة
لقصره وقربه من الارض ، ويُكنى ابا مُليكة ، ومليكة ابنته ، ولكن لقبه
غاب على كنيته .

وكان مغموراً في نسبه ، لان أمه أمة يقال لها الضراء ، واباه اوساً مات ولم
يعترف به . وكان لأوس زوجة حرة من بني ذهل له منها ولدان ، وكان للذهلوية
أخ يسمى الأفقم لفقمه ^(١) . فلما ولد الخطيئة جاء دميماً شبيهاً به ، فنسبته الضراء
الى الافقم ولم تنسبه الى أوس خوفاً من مولاتها ، فنشأ الخطيئة مُتدافع النسب بين
القبائل . فكان اذا دفعته عبس غضب عليها وقال انا من ذهل ، واذا دفعته ذهل
غضب عليها وانتسب الى عبس .

(١) الفَقَم : ان تدخل الاسنان العليا في الغم وتخرج السفلى .

روي انه اتى اهل القرية^(١) وهم بنو ذهل ، وطلب ميراثه من الاقتم ومدحهم بقوله :

إِنَّ أَلِيمَامَةَ خَيْرُ سَاكِنَيْهَا ، أَهْلُ الْقُرْيَةِ ، مِنْ بَنِي ذَهْلٍ
أَضَامُونَ لِمَالِ جَارِهِمْ ، حَتَّى يَتِمَّ نَوَاضُ الْبَقْلِ^(٢) .
قَوْمٌ إِذَا أَنْتَسَبُوا ، فَفَرَّعَهُمْ ، فَرَعِي ، وَاثْبَتُ أَصْلِهِمْ أَصْلِي
فدفعوه ولم يعطوه شيئاً ، فحول المديح هجاءً :

إِنَّ أَلِيمَامَةَ شَرُّ سَاكِنَيْهَا ، أَهْلُ الْقُرْيَةِ ، مِنْ بَنِي ذَهْلٍ .
ثم عاد الى بني عبس وانتسب الى أوس بن مالك .

الخطيئة والاسلام

وادرك الخطيئة الاسلام فانتحلح ديناً ، ولكنه كان مغموز العقيدة ، كما كان مغموز النسب . فلما توفي النبي ارتدت الخطيئة في جملة المرتدين وقال في ذلك :
أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ كَانَ يَبْنِيْنَا ، فَيَا لِعِبَادِ اللَّهِ ، مَا لِأَبِي بَكْرٍ ؟
أَيُورِثُهَا بَكْرًا ، إِذَا مَاتَ ، بَعْدَهُ ، وَتِلْكَ ، لَعَمْرُ اللَّهِ ، قَاصِمَةُ الظَّهْرِ^(٣)
ولكنه لم يجاهر بكفره ، بل ظلَّ يتكلف الدين رهبة لا رغبة ، وفي نفسه ما فيها من النزوع الى عيشة البدوي الحر الذي لم يكن قبل الاسلام يتقي سلطاناً ، ولا يرضى نظاماً .

هجاؤه الزبرقان^(٤)

كان النبيُّ قد وَلَّى الزَّبْرِقَانَ بن بدرٍ التميميَّ عَمَلًا . فلما وَلَّى الخِلافةَ عُمرُ بن

(١) القرية : قرية في اليمامة . (٢) المال : (انعم ويكون من الابل والشاء . البقل : الثبت . يقول : اخم يحفظون لجارهم انعامه ويضمنون له علفها حتى ينهض البقل ويخصب المرعى . يشير بذلك الى ميراثه فيقول انه محفوظ عندهم . (٣) أيورثها : فاعلها ابو بكر . والضحية عائد الى الخلافة المقدرة . يقول : اذا مات ابو بكر أيورث الخلافة بعده بكرًا . قاصمة : قاطعة . وقاصمة الظهر : الداهية التي تقطع الظهر . (٤) الزبرقان : (القمح) والرجل الخفيف اللحية .

الخطاب، قدم عليه الزبرقان في سنة مجدبة ليؤدي صدقات قومه . فلقية الخطيئة بقرقرى ^(١) ومعه ابنه أوس وسودة ، وبناته وامراته . فقال له الزبرقان وقد عرفه ، ولم يعرفه الخطيئة : « اين تريد ؟ » قال : « العراق فقد حطمتنا هذه السنة . » قال : « وتصنع ماذا ؟ » قال : « وددت ان اصادف بها رجلاً يكفيني مؤونة عيالي وأصفيه مدحي ابدأ . » فقال له الزبرقان : « قد اصبته ، فهل لك فيه يُوسَعُكَ ليناً وقرأً ، ويجاورك احسن جوار واكرمه ؟ » فقال له الخطيئة : « هذا وايبك ، العيش ، وما كنت ارجو هذا كله . » قال : « فقد اصبته . » قال : « عند من ؟ » قال : « عندي . » قال : « ومن انت ؟ » قال : « الزبرقان بن بدر . » قال : « واين محلك ؟ » قال : « اركب هذه الابل ، وأستقبل مطلع الشمس ، وسل عن القمر حتى تأتي منزلي . » وكتب الى زوجته ان تحسن اليه .

فسار الخطيئة وعياله الى منزل الزبرقان ، فلقى من زوجته اكراماً واحساناً . فبلغ ذلك بغيض بن عامر بن شماس . . . ابن قرّيع التميمي ، وكان جده جعفر يُلقب بأنف الناقة ^(٢) ، فارسل الى الخطيئة ان يأتيه فأبى ؛ فغضب بغيض واخوته الى هنيئة امرأة الزبرقان ، ان زوجها انما يريد ان يتزوج ملكة بنت الخطيئة ، وكانت جميلة كاملة . فظهرت من المرأة لاشاعر جفوة ، وهي في ذاك تداريه . ثم ارادوا النجعة ^(٣) فتقدموه ، وتركوه يومين او ثلاثة ولم يرجعوه اليهم فألح عليه بنو انف الناقة وقالوا له : « قد تركت بمضيعة . » فاجابهم الخطيئة وسار معهم فضربوا له قبة ، وربطوا له بكل طُنب ^(٤) من اطنايها جُلّة هَجْرية ^(٥) واراخوا ^(٦) عليه ابلهم ، واكثروا له من

(١) قرقرى : ارض باليمامة فيها قرى وزروع ونخيل . (٢) سمي جعفر انف الناقة لان اباه قُرَيْمًا نحر ناقة فقسمها بين نسائه فبعثت جعفرًا هذا أمه ، فأبى اباه ولم يبق من الناقة الا رأسها وعنقها ، فقال : « شأنك بهذا » فادخل يده في انفها وجرت الرأس . فلقب بأنف الناقة . وكان ابناؤه يستحون بهذا الاسم حتى مدحهم الخطيئة بقوله :

قَوْمٌ هُمْ الْأَنْفُ وَالْإِذْنَابُ غَيْرُهُمْ ، وَمَنْ يَسَاوِي بِأَنْفِ السَّانِقَةِ الذَّنْبَا !

فصاروا يتناولون بهذا النسب ، ويمدون به اصواتهم في جهارة . (٣) النجعة : طلب الكلاب في موضعه . (٤) الطُنب : حبل طويل يشد به وتد الخيمة . (٥) الجلّة : وعاء يوضع فيه التمر . هجرية : نسبة الى هجر : بلاد البحرين وهي مشهورة بثمرها . (٦) اراح الابل : ردها في العشي من المراعي ، وأراحوها عليه : اي مروا بها عليه في المساء ليسقوه من لبنها .

التمر واللبن ، واعطوه لقاحاً^(١) وكسوة . فلما قدم الزبرقان سأل عنه فأخبر بقصته ، فركب فرسه واخذ رحله ، وسار حتى وقف على نادي بني شماس القريعيين ، فقال : « ردوا عليّ جاري . » فابوا ، واوشك ان يكون بين الحيين حرب . ثم خيّر الخطيئة فاختار القريعيين . فجاء الزبرقان ووقف عليه وقال : « ابا مليكة ، أفرقت جوارى عن سُخْط وذم . » قال : « لا . » فانصرف وتركه .

فجعل الخطيئة يدح بني انف الناقة من غير ان يهجو الزبرقان ، وهم يحضونه على ذلك فيأبى ويقول : « لا ذنب للرجل عندي . » حتى ارسل الزبرقان الى رجل من النمر بن قاسط ، يقال له دثار بن شيان ، فهجا بغيضاً بابيات منها :

وَمَا أَضْحَى إِشْتَمَسَ بَنُ لَأْيٍ ، قَدِيمٌ فِي أَلْعَالٍ ، وَلَا رَبَاءُ^(٢)
سِوَى أَنَّ الْخَطِيئَةَ قَالَ قَوْلًا ، فَهَذَا مِنْ مَقَالَتِهِ جَزَاءُ^(٣)

فحينئذ هجا الخطيئة الزبرقان وناضل عن بغيض في قصيدته التي يقول فيها :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُغْيَتِهَا ، وَأَقْعُدْ ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

فاستعدى عليه الزبرقان عمرو بن الخطاب ، فرفعه عمر إليه ، واستنشه القصيدة فأنشده اياها ، فقال عمرو : « ما اسمع هجاء ولكنها معاتبة . » فقال الزبرقان : « اما تبأسع مروءتي الا ان آكل وألبس ؟ » فقال عمرو : « عليّ بحسان » فجيء به ، فسأله ، فقال : « لم يهجه ولكن سلح عليه » فألقاه عمر في بئر وحبسه ، حتى كلفه فيه عمرو بن العاص وغيره ، فأخرجه من السجن . ودخل الخطيئة عليه فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَحٍ ، رُغْبِ الْخَوَاصِلِ ، لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ؟

فبكى عمرو . فقال عمرو بن العاص : « ما اظلت الخضراء ، ولا أقات النهار أعدل من رجل يبكي على تركه الخطيئة . »

وروي ان عمر اشترى من الخطيئة اعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم وقال له :

(١) اللقاح : جمع لقوح وهي الناقة الحلوب . (٢) الفعال : كرم (الفعال والاخلق . الرباء : المنة والفضل . (٣) قوله : فهذا من مقالته جزاء : اي قولي هذا جزاء لمقالته فيهم .

« اياك وهجاء الناس ! » قال : « اذن يموت عيالي جوعاً ، هذا مكسبي ومنه معاشي . »

موته ووصيته

اختلف في تاريخ موته ، فزعم بعضهم انه مات في اواخر خلافة عمر ، وقال غيرهم انه ادرك معاوية بن ابي سفيان . ونحن نميل الى ترجيح القول الثاني استناداً الى اخباره وشعره . فقد جاء في الاغاني بالاسناد الى زيد بن أسلم عن ابيه : « ان عمر ابن الخطاب لما أطلق الخطيئة قال له : « يا حطيئة ، كأي بك عند فتى من قريش ، وقد بسط لك غرقة ^(١) » وكسر لك اخرى وقال : « غننا يا حطيئة » فطقت تغنيه باعراض الناس . « فما انقضت الدنيا حتى رأيت الخطيئة عند عبيد الله بن عمر ، وقد بسط له غرقة وكسر له اخرى ، وقال : « غننا يا حطيئة » فجعل يغنيه . فقلت له : « يا حطيئة اتذكر قول عمر ؟ » ففرع وقال : « يرحم الله ذلك المرء ، اما انه لو كان حياً ما فعلت . » وقلت لعبيد الله : « سمعت اباك يقول كذا وكذا ، فكنت انت ذلك الرجل . »

فمن هذه الرواية نستدل ان عمر بن الخطاب مات قبل الخطيئة ، وان الشاعر لم يهلك في اواخر خلافته كما زعموا . واما انه ادرك معاوية فهذا ما نرجع به الى رواية ثانية والى شعر الخطيئة نفسه .

قال ابن قتيبة والاصفهاني : « اتى الخطيئة مجلس سعيد بن العاص وهو على المدينة يعشي الناس ، فلما فرغ الناس من طعامهم وخف من عنده ، نظر فاذا رجل على البساط قبيح الوجه كبير السن رث الهيئة . وجاء الشرط ليقموه وهم لا يعرفونه . فقال سعيد : « دعوه . » وخاضوا في احاديث العرب واسعارهم ، فقال الرجل : « ما اصبتم من الشعر احسنه . » قالوا : « او عندك علم من ذلك ؟ » قال : « نعم . » قالوا : « فمن شعر الناس ؟ » قال : « الذي يقول :

لَا أَعْدُ الْإِقْتَارَ عُدْماً ، وَلَكِنْ فَقْدُ مَنْ قَدَرُزْتُهِ ، الْأَعْدَامُ ^(٢)

(١) النمرقة : الوسادة يتكأ عليها . (٢) الاقتار : الفقر . العدم : الحرمان ومثله الاعدام . رزقته : اصبته به . يقول : ليس الحرمان ان تقتقر بل ان تفقد عزيزاً .

واراد به أبا دُوَادَ الإيَادِي . قالوا : « ثم من ؟ » قال : « حسبكم بي ، والله اذا وضعتُ احدى رجلي على الاخرى ، ثم عويت في أثر القوافي عواء الفصيل الصادي ^(١) » . قالوا : « ومن انت ؟ » قال : « انا الخطيئة » . فرحب به سعيد وقال : « لقد اسأت في كتابتك ايانا نفسك ، وقد علمت شوقنا اليك ومحبتنا لك . » واكرمه واحسن اليه . فقال يمدحه :

لَعَمْرِي ، لَقَدْ أَضْحَيْتُ عَلَى الْأَمْرِ سَائِسٌ ، بَصِيرٌ ، رِمَا ضَرَّ الْعَدُوَّ ، أَرِيبٌ ^(٢)
سَعِيدٌ ، فَلَا يَغُرُّكَ خِفَةُ لَحْمِهِ ، تَحَدَّدَ عَنْهُ اللَّحْمُ ، وَهُوَ صَلِيبٌ ^(٣)
إِذَا غَبَتَ عَنَّا ، غَابَ عَنَّا رَيْبِعُنَا ، وَنُسْقَى الْغَمَامَ الْغَرَّ ، حِينَ تَوُوبٌ ^(٤)
فَنِعْمَ أَلْقَيْتُ نَعْشُو إِلَى ضَوْءِ قَارِهِ ، إِذَا الرِّيحُ هَبَّتْ ، وَالْمَكَانُ جَدِيبٌ ^(٥)

وذكر ابن سلام شيئاً من هذا الشعر في طبقات الشعراء .

ومعلوم ان سعيد بن العاص لم يتولَّ امر المدينة الا في ايام معاوية ، مما يدل على ان الخطيئة ادرك هذا العهد .

ويروى للخطيئة وصية قبل موته ، قد يكون فيها شيء من المبالغة والاصطناع ولكنها لا تخلو من الفكاهة ، ولا تعدو نفسية الشاعر ورقة دينه . قال ابن فُتَيْبَةَ وصاحب الاغاني : « لما حضرت الخطيئة الوفاة اجتمع اليه قومه فقالوا : « يا أبا مليكة أوص » . فقال : « ويل للشعر من راوية السوء . » قالوا : « أوص رحمة الله يا حطَّيَّ » . قال : « من الذي يقول ؟ »

إِذَا أَنْبَضَ الرَّأْمُونَ عَنْهَا تَرَنَّمتْ ، تَرَنَّمَتْ كَلَمَى ، وَأَوْجَعَتْهَا الْجَنَائِرُ ^(٦)

(١) الفصيل : ولد الناقة اذا فصل عن أمه . (الصادي : العطشان) . (٢) . (٣) اريب : عاقل . (٤) . (٥) تحدد عنه اللحم : خف عنه . صليب : أي صلب العود . (٦) الغمام : السحب مفردا غمامة . الغر : البيض مفردا أغر وغراء . وأراد بالغمام الغر : غمام الربيع أو الغمام الكريم الفعال تشبيهاً له بالرجل الاغر . ويصح تذكر الغمام لانه من المجموع التي ليس بينهما وبين مفردا غير الهاء . تَوُوب : ترجع . (٥) نعشو : نقصد في الظلام . اذا الريح هبت والمكان جدِيب : اي اذا اشتد الشتاء واحمل المرعى . (٦) أنبض ارامي القوس : جذب وترها لتصوت ، شبه تصويتها ببياء الشكلي .

قالوا : « السَّيِّئُ . » قال : « أبلغوا غطفان انه اشعر العرب . » قالوا : « ويحك أهذه وصية ! أوص بما ينفعك ! » قال : « أبلغوا اهل ضابى . »^(١) انه شاعر حيث يقول :
لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ ، غَيْرَ أَنَّنِي ،
رَأَيْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيذٍ .

قالوا : « أوص ويحك بما ينفعك ! » قال : « أبلغوا اهل امرئ القيس انه اشعر العرب حيث يقول :

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ ، كَأَنَّ نُجُومَهُ ،
بِكُلِّ مُقَارٍ الْقَتْلَ شُدَّتْ يَدُ بِلٍ »^(٢)

قالوا : « اتق الله ودع عنك هذا . » قال : « أبلغوا الانصار ان صاحبهم^(٣) اشعر العرب حيث يقول :

يُغْشُونَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابُهُمْ ،
لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ »^(٤)
قالوا : « هذا لا يغني عنك شيئاً ، فقل غير ما انت فيه . » فقال :

السَّيْفُ صَغْبٌ ، وَطَوِيلٌ سُلْمُهُ ،
إِذَا أَرْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ ،
زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْخَضِيضِ قَدَمُهُ ،
يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ »^(٥)

قالوا : « هذا مثل الذي كنت فيه . » فقال :

قَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا شَدِيدَ الْمُعْتَمَدِ ،
وَكُنْتُ ذَا غَرْبٍ عَلَى الْعَصَمِ أَلَدٌ ،
فَوَرَدَتْ نَفْسِي ، وَمَا كَادَتْ تَرِدُ^(٦)

قالوا : « يا أبا مليكة ألك حاجة ؟ » قال : « لا والله ، ولكن اجزع على المديح

(١) هو ضابئ بن الحرث البربرعي . (٢) مقار القتل : اي حبل بحكم القتل ، من أغمار الجبل : احكم قتله . يذبل : اسم جبل . يقول : نجومه لا تغيب كأنها شددت الى الجبل بجبال مفتولة . (٣) حسَّان بن ثابت . (٤) يغشون : يطرقون وتزل عليهم الضيوف . حتى : هنا ابتدائية لا تنصب المضارع . السواد : الشخص . يقول : لا تنجح كلاهم الضيوف لانها تعودتهم ، وهم يضيِّفون الشخص المقبل دون ان يسألوا عنه . (٥) زلت : زلقت . الخضيض : القرار في الارض عند اسفل الجبل . والفاء في يعجمه للاستثناء ، والمعنى : فاذا هو يعجمه ، ولا يصح نصبه عطفاً على قوله يعربه لانه لا يريد اعجابه . (٦) الغرب : الحد . ومنه غرب السيف . ألد : شديد الحصومة . فوردت نفسي : أي اشرفت على الموت أو أوشكت .

الجيد يُدَح به من ليس له أهلاً . « قالوا : « فمن اشعر الناس ؟ » فأوماً بيده الى فيه وقال : هذا الجَحِير ^(١) ، اذا طمع في خير » يعني فيه ، واستعبر باكيماً . فقالوا له : « قل : لا إله إلا الله » فقال :

قَالَ ، وَفِيهَا حَيْدَةٌ وَذَعْرُ : عَوْذٌ بِرَبِّي مِنْكُمْ ، وَحَجْرٌ ^(٢)

فقالوا له : « وما تقول في عبيدك وإمائك ؟ » فقال : « هم عبيدٌ قِنٌّ ^(٣) ما عاقب الليل النهار . » قالوا : « فأوص للفقراء بشيء . » قال : « أوصيهم بالإلحاح في المسألة فانها تجارة لا تبور » قالوا : « فما تقول في مالك ؟ » قال : « للانثى من ولدي مثلُ حظ الذكر . » قالوا : « ليس هكذا قضى الله لمن » قال : « لكني هكذا قضيتُ . » قالوا « فما توصي لليتامى ؟ » قال : « كلوا اموالهم . » قالوا : « فهل شيءٌ تعهد فيه غير هذا ؟ » قال : « نعم ، تحملونني على أتان ^(٤) وتتركونني راكبها حتى اموت . فان الكريم لا يموت على فراشه ، والاتان مركبٌ لم يمت عليه كريم قط . » فحملوه على اتان ، وجعلوا يذهبون به ويحيثون عليها حتى مات وهو يقول :

لَا أَحَدٌ إِلَّا مِمَّنْ حُطِيَتْ ، هَجَا بَيْنَهُ ، وَهَجَا الْمُرِيَا ،
مِنْ لَوْمَةٍ مَاتَ عَلَى فُرْيَةٍ ^(٥)

افراد

ليست اخلاق الحطيئة مما يورث الحمد والثناء ، فما تشاء ان تقول فيسه من عيب الا وجدته ، فهو كما وصفه الاصمعي : « جشعٌ ، سوؤلٌ ، مُحِيفٌ ^(٦) دنيء النفس ؛

(١) الجحير : تصغير الحجر وهو الغار البعيد القعر ، استعاره للقم . او الحجر وهو كل مكان تحتقره السباع والحوام لانفسها . (٢) قالت : اي نفسه . الحيدة : النفور من الخوف . عوذ بري : أي العياذ بري . حَجْرٌ : دفع . أي دفعاً لكم . (٣) قِنٌّ : عبد مملوك هو وابواه ، للمفرد والجمع والمؤنث . (٤) الأتان : الحمار . (٥) المُرِيَّة : تصغير المرأة مع التسهيل . الفُرْيَةُ : تصغير الفرأة وهي الأتان الوحشية وتطلق على الاتان الداجنة . والذكر الفرأ ومنه المثل « كل الصيد في جوف الغرا » اي كل صيد دون حمار الوحش ، يضرب للرجل يكون له حاجات كثيرة وواحدة عظيمة منها تقني عن سائرهما . (٦) المُحِيفُ : الذي يلج في المسألة .

كثير الشر ، قليل الخير ، نجيل . « ولعل الجشع ^(١) هو الصفة الجامعة لساير صفاته القبيحة . لان طمعه الشديد في المال جعله سؤولاً ملحفاً ، وكثرة التسأل قمت عزة النفس وتحجى الدناة . ولا بدّ لدني . النفس من ان ينافق في مصاحبة الناس ، ويتسلون بالوان متباينة ، ولا سيما اذا كان كالحطيئة معتل النسب ، انكره اقرباؤه وما اعترف به ابوه ، ولم يشرف بأمه ، فساءت حاله ، وضاق رزقه ، فلم يربأ بنفسه عن المداينة للتكسب والانتفاع ، فنافق في مدحه ، ونافق في دينه ، وجارى اهواء الناس في اعدائهم ، وجارى هوى نفسه للانتقام والتشفي ، فهجا وألم في هجائه ، فكثرت شره وقلّ خيره .

ولم يكن نجله الشديد الا صفة متممة لجشعه ودنايته . فما قواك برجل يمدح الكرام ، ويهجو البخلاء ، وهو النجل خلق الله وأجفّ يداً ^(٢) ؛ يطرد اضيافه ويشيعهم بالهجا .

والحطيئة في ضيوفه اخبار عجيبة ، رواها صاحب الاغاني منها : ان ابن الحمامة مرّ به وهو جالس بفناء بيته . فقال : « السلام عليكم ؟ » قال : « قلت ما لا يُنكر . » قال : « اني خرجت من عند اهلي بغير زاد ؟ » فقال : « ما ضمنت لاهلك قِراك . » قال : « أفتأذن لي ان آتي ظلّ بيتك فأتقيأ به ؟ » قال : « دونك الجبل يفيء عليك . » قال : « انا ابن الحمامة ؟ » قال : « انصرف ، وكن ابن اي طائر شئت . »

وضافه رجل من بني رؤاس فهجاه بهذين البيتين :

وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ ، فَقُلْتُ : « مَهْلًا ! كَمَنْتُكَ الْمَرْءُ الْأَوْلى السَّلَامًا ؟ »
وَنَقَنْتُ بَطْنَهُ ، وَدَعَا : رُؤَاسًا ، لِمَا قَدْ نَالَ مِنْ شَيْعٍ ، وَنَاَمًا ^(٣)

على ان في هذا الرجل صفة حسنة ، لعلها تشفع له في شيء من جشعه ونجله ، وهي حبه لاولاده وحنوه عليهم . فقد رأيناه كيف استعطف عمر بن الخطاب وابكاه بقوله : « ماذا تقول لافراخ بذى موح ؟ » وروى ابو عبيدة : ان الحطيئة اراد سفراً

(١) الجشع : الطمع والحرص على الشيء . (٢) اجفّ يداً : اي أجفّ مخلوق . وهو تعبير مستحبّ كثيراً استعماله في كلام العرب الاقدمين . (٣) نقنتى : قرقر . رؤاس : من بني كلاب . يقول : حين شيع بطر ونادى : يا لبني رؤاس .

فأثته امرأته ، وقد قدّمت راحلته ليركب ، فقالت :

أَذْكُرُ تَحَنُّنَنَا ، إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا ،
وَأَذْكُرُ بَنَاتِكَ ، إِنَّهُنَّ صَغَارُ
فَقَالَ . « حَطُّوا ، لَا رَحِلْتُ لِسَفَرٍ أَبَدًا »

ويحدثنا محمد بن سَلَام : ان الحطيئة خرج في سفر له ، ومعه امرأته أُمَامَةُ ، وابنته مُلَيْكَةُ ، فنزل منزلاً وسرح ذوداً له ثلاثاً ، فلما قام للرواح فقد احداها فقال :
أَذِيبُ الْقَفَرِ أَمْ ذِيبُ أَنْيَسٍ ، أَصَابَ الْبُكَرَ أَمْ حَدَثَ اللَّيَالِي ؟ ^(١)
وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ ، وَثَلَاثُ ذُودٍ ، لَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى عِيَالِي ^(٢)
ففي هذين البيتين ، وفي عدوله عن السفر ، وفي استعطافه عمر عاطفة صادقة وحنو ظاهر ملموس .

أثارة

ديوان في المديح والفخر والنسيب ، وخصوصاً الهجاء . وهو من اصحاب
المشوبات ^(٣) ومشوبته مدونة في « جمهرة اشعار العرب » ومطلعها :
نَأْتِكَ أُمَامَةُ إِلَّا سُؤَالًا ، وَأَبْصَرْتُ مِنْهَا بَعِينَ خِيَالًا ^(٤)

مبيرة

عرفنا اخلاق الحطيئة وصفاته ، وعرفنا شيئاً من اخباره وطرق معيشته ، فيمكننا
الآن ان نستند اليها جميعاً لتبين ميزة الشاعر وخصائصه ومزجه . فشعر الحطيئة
صورة ناطقة عن حياته واخلاقه ، وهجاؤه اصدق ترجيح لسرائر نفسه .
على اننا لا نستطيع ان نجاول أساليبه الخاصة في النظم الا اذا عرفنا انه كان

(١) البكر : من الابل بمنزلة الفتي من الناس ، يقال على الذكر والانثى . (٢) الذود :
الثلاث من الابل الى العشر ، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها . (٣) المشوبات : القصائد
التي شأها الكفر والاسلام ، أي خالطها . (٤) نأتك : بعدت عنك . أمامة : زوجته .
الاسؤالا : أي ولم يبق لك منها الا السؤال عنها . وأبصرت منها بعين خيال : أي أبصرت
خيالها في رقائك . وهو يخاطب نفسه على سبيل التجريد .

يروى شعر زهير بن ابي سلمى ، ويجذو جذوه في تهذيب قصائده وتنقيحها ، ويضرب على غرارها في الاعتماد على الصور المادية المحسوسة .

ولكعب بن زهير ابيات في الخطيئة تدلنا على مبلغ تأثر هذا الشاعر بأستاذه ، وعنايته بتدخّل^(١) اشعاره . روى ابن سلام : « ان الخطيئة كان راوية لزهير وآل زهير ، فقال لكعب : « قد علمت روايتي شعر كم اهل البيت ، وانقطاعي اليكم ، وقد ذهبت الفحول غيري وغيرك ، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك ، وتضعني موضعاً بعدك ، فإن الناس لاشعاركم اروى ، واليها اسرع . » فقال لكعب :

فَمَنْ لِلْقَوَا فِي شَانِهَا مَنْ يَحْوِ كُفَّهَا ، إِذَا مَا تَوَى كَعْبٌ ، وَفَوْزَ جَرَوَلٌ^(٢)
كَفَيْتُكَ ، لَا تَلْقَى مِنْ النَّاسِ وَاحِداً ، تَنْخَلُ مِنْهَا مِثْلُ مَا نَنْخَلُ^(٣)
نُشَقُّهَا حَتَّى تَلَيْنَ مُتُونَهَا ، فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ مَا يُتَمَثَّلُ^(٤)

فمن هذه الابيات نعلم مذهب الخطيئة في تنقيح قصائده وتخفيف الفاظها ، وهو مذهب زهير وابناء زهير . وسرى اثر هذا التخلل ظاهراً في حلاوة الفاظ الشاعر ووضوح معانيه ، فلا نضطر الى ابرازها في شرح طويل .

هجوه

قد يجيل الى بعض من يسمعون بشهرة الخطيئة في الهجاء ، والنيل من اعراض الناس ، اننا سندرس فيه شاعراً بديناً فحاشاً ، يججل الاديب من رواية اشعاره . على حين ان الحقيقة غير ذلك ، فلئن كان الخطيئة اكثر شعراء الجاهلية هجواً ، هو اقلهم فحشاً ، وربما غلبت العفة على لسانه فما يبطق بما تستحي العذراء ان تتلوه لابيها . ولو نظرنا الى قصيدته التي قالها في الزبرقان وهي اشد قصائده الهجائية

(١) التخلل : تخيير افضل الاشياء . (٢) شافها : عاجها . يحوكها : ينسجها أي ينظمها . ثوى : مات ، وكذا فوز ، ولا يقال فوز فلان حتى يتقدم الكلام كلام فيقال : مات فلان وفوز فلان بعده ، يشبه بالمصلي من الخيل بعد المجلي . (٣) يقول : يكفيك انك لا تجد واحداً من الناس مثلاً يتخير منها مثل ما نتخير . (٤) نشقها : نقومها . والنشيقف يكون لقناة الرمح ، استعاره للقوافي . يتمثل : يضرب مثلاً . اي يقصر عنها كل بيت يضرب مثلاً .

لذعاً وابعدها صيتاً ، لوجدنا انها من اشرف الشعر ، وأعفاه وانقاه . فهو مؤلم في هجائه ، ولكنه لا يفحش ، بل يقصر همه على رمي مهجوه بالبخل ، وضعف الهمه ، والقعود عن طلب المعالي ، او يفاضل بينه وبين خصمه فيفضل خصمه عليه . فكأنه يتوخى من هجائه ان يصيب الشخص في منزله الاجتماعيه ليس غير . واليك هجاءه للزبرقان :

- وَاللَّهِ ، مَا مَغَشَّرُ ، لَأَمُوا أَمْرًا جُنْبًا ،
 مَا كَانَ ذَنْبٌ بَغِيضٌ ، لَا أَبَا لَكُمْ ،
 لَقَدْ مَرَيْتُكُمْ ، لَوْ أَنَّ دَرَّتْكُمْ ،
 وَقَدْ مَدَحْتُكُمْ عَمْدًا لِأُرْشِدْكُمْ ،
 لَمَّا بَدَأَ لِي مِنْكُمْ غَيْبٌ أَنْفُسِكُمْ ،
 أَزْمَعْتُ يَأْسًا مُبِينًا مِنْ نَوَالِكُمْ ،
 جَارُ لِقَوْمٍ ، أَطَالُوا هُونَ مَنْزِلِهِ ،
 مَلُّوا قِرَاهُ ، وَهَرَّتْهُ كِلَابُهُمْ ،
- فِي آلِ لَآئِي بْنِ شَمَّاسٍ ، بِأَكْيَاسٍ ^(١)
 فِي بَائِسٍ جَاءَ يَجْدُو آخِرَ النَّاسِ ؟ ^(٢)
 يَوْمًا يَجِيءُ بِهَا مَسْجِي وَإِسَاسِي ^(٣)
 كَيْمَا يَكُونُ لَكُمْ مَسْجِي وَإِمْرَاسِي ^(٤)
 وَلَمْ يَكُنْ لِحِرَاحِي فِيكُمْ أَسْ . ^(٥)
 وَلَنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحُورِ كَالْيَاسِ ^(٦)
 وَعَادَرُوهُ مُقِيمًا بَيْنَ أَرْمَاسٍ ^(٧)
 وَجَرَّحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسٍ ^(٨)

(١) الجُنْبُ : الغريب . اكْيَاس : جمع كَيْس وهو الظريف الفطن . يقول : ان الذين يلوموني وانا رجل غريب لتحو لي الى آل شماس ، ليسوا بمغشرفطين . (٢) بغيض : اي بغيض بن شماس . لا ابا لكم : كلمه جافيه اي لا ابا حراً لكم . يقول : اي ذنب اقترفه بغيض في اضافه بئس وآه يسير في مؤخره الناس وما من احد يلتفت اليه . (٣) مرَيْتُكُمْ : من مرى الناقه : مسح ضرعها لتدرك . والمراد داريتكم ومدحتكم لتدروا علي بالعطاء . الدرة : اللبن ، استعارها للخير والعطاء . الإِسَاسُ : ان يقال للناقه بَيْسٌ بَيْسٌ تسكيناً لها لتدرك . يقول : لم يدرك خيركم ولم يفدني شيئاً مسجى وإِسَاسِي اي مداراتي ومدحي . (٤) المتح : الاستقاء من البئر . الامراس : من امرس حبل بكرة البئر اذا اعاده الى مجراه عند وقوعه في جانب البكرة . وقوله : كما يكون لكم مسجى وامراسي : أي ليكون طلي عرفكم وتلقي اياكم فائدة لكم . (٥) غيب انفسكم : اي ما غاب من عيوبها . الآسي : المداوي . واراد يحراجه فقره وسوء حاله . (٦) أزْمَعْتُ : صممت . اليأس : قطع الرجاء . المبين : الواضح . النوال : العطاء . يقول : صممت أن أياس يأساً أكيداً من عطائكم . (٧) الهون : المذلة . الارماس : القبور . (٨) قِراه : ضيافته . هرتة : نبخته . وجرحوه : يريد

دَعِ الْمَكَارِمَ ، لَا تَرَحَّلْ لِبُعَيْتِهَا ،
 سَيَّرِي أُمَامَ ، فَإِنَّ الْأَكْثَرِينَ حَصَى ،
 مَنْ يَقْعَلُ الْخَيْرَ لَا يُعْذَمُ جَوَازِيَهُ ،
 مَا كَانَ ذَنْبِي ، إِنْ فَلْتُ مَعَاوِلَكُمْ ،
 قَدْ نَاضَلُوكَ ، فَسَلُّوا مِنْ كِنَانَتِهِمْ ،
 وَأَقْعُدْ ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي (١)
 وَالْأَكْثَرُ مِنْ أَبَا مِنْ آلِ شَمَّاسٍ (٢)
 لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ (٣)
 مِنْ آلِ لَأْيٍ صَفَاةٌ ، أَصْلُهَا رَأْسٌ (٤)
 مَجْدًا تَلِيدًا ، وَنَبَلًا غَيْرَ أَنْكَاسٍ (٥)

فقد رأيت ما في هذا الهجاء من عفة ، وبراعة من الفحش والاقذاع ؛ فأنت لا تجد فيه لفظة تنبؤ عنها المسامع ، ولا تقف على معنى تنقبض له النفوس ، بل تقراً الابيات باجمعا مرتاحاً الى هذه الصور الجميلة ، وما فيها من فن رائع في التهكم والتعبير . اذاً فلا ينبغي لك ان تعجب من قول عمرو بن الخطاب للزبرقان : « ما اسمع هجاء ولكنها معاتبة . » فعفة القول هي التي جعلت الخليفة الثاني ينكرو الهجو ، ويحمله على محمل العتاب . زد على ذلك براعة الفن ، فان هجاء الزبرقان على شدة لدعه ، منظوم في قالب شكوى يتخللها وعظ ومعاتبة . فنظر الإمام عمرو صائب من حيث الظاهر ، ونظر حسّان بن ثابت صائب من حيث الفن . افليس

ان قوم الزبرقان جرحوه بأنياب كلابهم واضراسها . وهذا هجو لاذع فقد كان من العار عند العرب ان تنبح الكلاب الضيفان لان ذلك يدل على عدم تقودها مرأى الغريب في دار صاحبها ، فكيف بها اذا جرحته بالانياب والاضراس .

(١) بعيتها : طلبها . الطاعم : الحسن الحال في طعامه . الكاسي : ذو الكسوة . يقول : لا تعب نفسك في طاب المعالي بل حسبك من الاعمال ان تأكل وتكتسي حسناً . (٢) أُمَامَ : ترخيم أُمَامَة وهي زوجته . الحصى : العدد . (٣) الجوازي : جمع الجازية وهي المكافأة على الشيء . العُرف : المعروف . (٤) فَلْتٌ : ثَلَمْتُ . لَأْيٌ : ابو شماس . الصفاة : الصخرة . ينهكم عليهم ويقول : ما ذنبى اذا ثَلَمْتُ صخرة آل لَأْيٍ معاويلكم ، ولم تنكسر لان اصلها ثابت . وقوله : فَلْتٌ معاويلكم : أي غلبوكم في المجد والكرم وحسن الضيافة . (٥) ناضل : بارى في رمي السهام . سللوا : اخرجوا . كنانتهم : جمع كنانة وهي جمعة السهام . تليداً : موروئاً . انكاس : جمع نكس وهو اضعف السهام . يقول : فاخروك ففخروك بمجد موروث واعمال غير مزمومة . وقال الازهري في شرح هذا البيت : « كان العرب اذا اسروا اصبراً خيروه بين التخلية وجز الناصية ، والامر . فاذا اختار جز الناصية جزوها وخلوا سبيله ثم جعلوا ذلك الشعر في كنانتهم ، فاذا افتخروا اخرجوه واروهم مفاخرهم . »

من العتاب والشكوى قوله : « وَقَدْ مَدَحْتُكُمْ عَمْدًا لَأَرْشِدْكُمْ . . . ازمعتُ
يأساً . . . ، جأراً لقوم . . . ، ملأوا قراه . . . الخ . » اوليست الحكمة السامية
في تلك الموعظة : « من يفعل الخير . . . » ثم الا ترى الهجو القاتل في قوله : « دَعِ
المكارم . . . وجرحوه بأنياب . . . ، لقد مَرَّيْتُكُمْ لَوْ أَنَّ دَرَّتْكُمْ . . . ،
ما كان ذنبى . . . ، قد ناضلوك . . . الخ . »

ولا جرم انك تبينت ما في هذا الشعر من صور حسية ناثية، تذكرك زهيرا
وصور زهير ، ورأيت كيف يتحدى الخطيئة استاذة في ابراز معانيه بشكل مادي
ملحوس ، تجده في تشبيهه الزبرقان بالناقة التي لا تدر ، وفي مسحه ضرعها وابساسه لها ،
وتجده في استعارته الممتح والامراس لطلب العرف ، والتعلق ، وتجده في قوله :
« ولم يكن لجراحي فيكم آس » وهو يريد فقره وسوء حاله ، وتجده في تجريجه
بالانياب والاضراس ، وفي تمثيله مغالبة بغيض والزبرقان بصفاء راسية تقرعها المعاول
فتتسلم دونها ، وتجده اخيراً في تصويره مفاخرة آل شماس للزبرقان بنضال يخرجون
فيه من كئنائهم مجداً تليداً ونبلأ غير انكاس . واوصيك الا تغفل عن تلك الصورة
الجميلة حيث يقول : « في بائس جاء يحدو آخر الناس . »

هذا ، ولو لم يكن لنا رأي آخر في هجاء الخطيئة ، لاكتفيناه بهذه القصيدة مثالا
لهجوه ومتاجرته بشعره . غير اننا نرى ان هجاء هذا الشاعر على نوعين : نوع تجاري يندفع
اليه حبا للمال ، كهجوه للزبرقان ، ونوع عاطفي يندفع اليه من تلقاء نفسه حبا للتشفي
والانتقام ، كهجوه امه ، ونفسه ، واقرباءه ، واضيافه . وهو في هجوه العاطفي
اشد مودة ولدعاً منه في هجوه التجاري ، لان هذا يأتيه عفواً لا تكلفاً . فالخطيئة
نشأ مغموز النسب لا يعرف اباه ، ونشأ فقيراً محباً للمال حريصاً على جمعه . فكان
لا ينفك يسأل امه عن ابيه لينتسب اليه ويرث ماله ، وهي تحلط عليه ولا تجيبه
جواباً صريحاً ، فيشتد قهره ، وينقم على امه الضراء . وعلى نفسه ، ثم يعصي وهو يقول :
تَقُولُ لِي الضَّرَاءُ : اَنْتَ لِوَاحِدٍ ، وَلَا اَتَيْنِ ، فَأَنْظُرُ كَيْفَ شَرِّكَ اَوْلِيَاكَ !
وَأَنْتَ اَمْرٌ تُبْغِي اَبَاً قَدْ ضَلَلْتَهُ ، هَيْلَتِ ! اَلَمْ تَسْتَفِقْ مِنْ ضَلَالِكَ ؟^(١)

(١) هَيْلَتَ : أي تُكَلِّمْتَ . قال ابن الاعرابي : يقال في الدعاء هَيْلَتَ بالبناء للفاعل ولا

ويشجيه الا يجد مالا يرثه فيتلظى سخطاً ، ويزفر زفرات ملتتهمة يقذفها براكين
على الضراء فيقول :

جَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا مِنْ عَجُوزٍ ، وَلَقَّاكَ الْعُقُوقَ مِنَ الْبَنِينَ
فَقَدْ مَلَكَتْ أَمْرَ بَنِيكَ ، حَتَّى تَرَكْتَهُمْ أَدَقَّ مِنَ الطَّحِينَ
لِسَانُكَ مَبْرَدٌ لَا خَيْرَ فِيهِ ، وَدَرُّكَ دُرٌّ جَاذِبَةٌ دِهِينٍ ^(١)

ثم يقول :

تَنْجِي ، فَأَجْلِسِي مِنِّي بَعِيداً ، أَرَاكَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ !
أَغْرَبَالاً ، إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرّاً ، وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَّحِدِ ثِيناً ؟ ^(٢)
حَيَاتُكَ ، مَا عَلِمْتُ ، حَيَاةٌ سُوءٌ ، وَمَوْتُكَ قَدْ يَسُرُّ الصَّالِحِينَ ^(٣)

وتتزوج الضراء رجلاً مغموز النسب كابنها يقال له الكلب بن كئيس فما يجد
الخطيئة فيه خيراً ، ولا يرفع به رأساً ، فيهجوه ويهجوا امه اذ يقول :

وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ فِي النَّسَاءِ فَسُوَّتِي ، وَأَبَا بَنِيكَ ، فَسَاءَ نِي فِي الْمَجْلِسِ ^(٤)
أَبْلَغُ بَنِي جَحْشٍ بِأَنَّ نَجَارَهُمْ لَوْمْ ، وَأَنَّ أَبَاهُمْ كَالْهَجْرَسِ ^(٥)

وليست نغمته على امه باشد منها على نفسه ، فاذا ثارت به عاطفة الانتقام لبؤسه
وفقره ، ولم يجد احداً يهجوه ، رأى من وجهه وقبح صورته ، موضوعاً للهجاء فيقول :

أَبْتَ شَقَاتِي الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمَا ، بَشَرٍ ، فَمَا أَذْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا ، سُوءَ اللَّهِ خَلْقُهُ ، فَفُتِحَ مِنْ وَجْهِهِ ، وَفُتِحَ حَامِلُهُ

وجبه للمال بل يحمله به يحمله على هجو ضيوفه هجواً صادقاً . وقد اوردنا شاهداً على

يقال هُملت بالبناء للمفعول . (١) الدرّ : اللبن . الجاذبة : الناقة التي جذبت لبنها من
ضرعها فذهب صاعداً . الدهين : الناقة البكيمة القليلة اللبن التي يُمرى ضرعها فلا يدر قطرة .
يشبهها بالناقة التي لا يدر لبنها أي اخلا لا خير فيها . (٢) الغربال : التمام . الكانون : الثقل
من الناس . (٣) ما علمت : ما زمانية اي مدة علمي لحياتك . (٤) ابا بنيك : زوجك
أي ورأيت ابا بنيك . (٥) بنو جحش : يريد بهم قوم الكلب زوجها . النجار : الحسب
والاصل . الهجرس : ولد الفرد والثعلب ، ويوصف به اللثم .

ذلك نعتقد انه كاف هذه الامثلة لظهار خاصة الهجاء العاطفي في الشاعر .

مدحه

وقد نظم الخطيئة ، اذا اقتصرنا على ذكر هجائه ولم نشر الى مدحه ، وهو متفنن في هذا تفننه في ذاك . ولا غرو فالمدح عنده كالهجاء آلة للتكسب ، فاذا لم يدر له المري والابساس ، استعان بالانياب والاضراس ، واذا أخلف غيث الهجاء ، استمطر عارض الشتاء . ألا وان من اروع الشعر استعطافه عمر بن الخطاب ومدحه اياه حيث يقول :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَخٍ ، زُغِبَ الْخَوَاصِلُ ، لَا مَاءَ وَلَا شَجَرُ^(١) ،
 أَلْقَيْتَ كَأْسَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ، فَأَغْفِرْ ، عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ ، يَاعُمْرُ^(٢) ،
 أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ ، أَلْقَى إِلَيْكَ مَقَالِيدَ النَّهْيِ الْبَشَرُ^(٣) ،
 لَمْ يُوَثِّرْوكَ بِهَا ، إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا ، لَكِنْ لَا تُنْفِسُهُمْ كَانَتْ بِكَ الْأَثَرُ^(٤) ،
 فَأَمَنْ عَلَى صَنِيعٍ ، بِالرَّمْلِ مَسْكِنُهُمْ ، بَيْنَ الْأَبْطَاحِ ، تَغْشَاهُمْ بِهَا الْقُرُ^(٥) ،
 أَهْلِي فِدَاؤُكَ ، كَمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، مِنْ عَرْضِ دَاوِيَّةَ ، تَعْمَى بِهَا الْخُبُرُ^(٦) .

ففي هذه الايات كثير من الخلاوة والركة ، وكثير من الحنو الابوي . ومع ان الخطيئة لم يكن على شيء من الاسلام ، فتأثير القرآن ظاهر على شعره ؛ سواء في

(١) الافراح : استعارها لاولاده . ذو مرخ : وادٍ بالحجاز . الزُغِب : جمع أزغب اي صغير الشعر والريش . الخواصل : جمع حوصلة وهي من الطائر بمنزلة المعدة من الانسان . كنى بصغر ريش الخواصل عن صغر السن وعدم الادراك . لا ماء ولا شجر : حذف المسند أي لا ماء عندهم ، اراد ليس عندهم شراب ولا طعام . (٢) الكاسب : من يطلب معيشة اهله . مظلمة : اي بئر مظلمة . (٣) صاحبه : يريد به ابا بكر الصديق الخليفة الاول ، او اراد به النبي لان الخلفاء الراشدين جميعاً اصحاب النبي . مقاليد : مقاتيح . النهي : العقل لانه ينهى عن القبيح ، واستعاره للخلافة بجامع الهداية . (٤) لم يوثروك : لم يفضلوك ويكرموك . بها : أي بالإمامة دل عليها ما قبلها . الأثر : جمع أثره : مكرمة . يقول : لم يكرموك بالخلافة ولكنهم اكرموا انفسهم . (٥) الابطاح : جمع ابطح وهو مسيل واسع فيه زمل وحصى . تغشاهم : تتناهم . القُرر : جمع قبرة وهي البرد . (٦) الداوية : الغلاة الواسعة . الخبر :

قوله هنا : « فَاغْفِرْ ، عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عَمْرُؤَ . » او في قوله هناك : « من يفعل الخيلا يعدم جوازيه . » وقد رأيت ان صلة الصور المادية بينه وبين استاذة زهير ، لم تنقطع في قصيدته هذه ، ولا في غيرها ، وحسبك منه تشبيه اولاده بالافراخ ، لما اراد الكلام عليهم ثم لم يعتمد على الاستعارة المجردة ، بل رشحها بقوله : « زغب الحواصل » ليزيد صورته الحسية وضوحاً وبروزاً .

والخطيئة مديح كثير غير هذا اجاده كل الاجادة ، ولكننا نقتصر على ما اوردناه ، لاننا اخذنا على انفسنا ان ندرس فيه خاصة المهجاء وحدها ، وهي الخاصة التي شهرته وخلدت ذكره ؛ وعسانا ان نكون وفيناها بعض حقها .

مصراته

للخطيئة منزلة عالية في الشعر يزاحم بها افجّل الشعراء ، ويمتاز بجلاوة الفاظه ووضوح معانيه ، وصحة تعبيره ، وإحكام قوافيه ، وبعده من الضعف والاسفاف . ولعل الفضل في ذلك لعنايته بتهديب شعره وتنخله . وقد عدّه ابن سلام في الطبقة الثانية ، وقال فيه : « هو متين الشعر شرود القافية ^(١) . »

وروى حماد عن ابيه اسحق قوله : « أما اني ما ازعم انّ احداً بعد زهير اشعر من الخطيئة . » وقال ابو عبيدة : « ما تشاء ان تطعن في شعر شاعر الا وجدت فيه مطعناً ، وما اقل ما تجد ذلك في شعر الخطيئة . » ورؤي عن ابي صفوان الأحورّي قوله : « ما من احدٍ الا لو أشاء ان اجد في شعره مطعناً لوجدته الا الخطيئة . » وقيل لابن ميادة الشاعر : سبقك الخطيئة الى قولك : « تَمْشِي بِعِظْمَانِهِ وَجَاذِرُهُ ^(٢) » فقال : « والله ما علمت ان الخطيئة قال هذا قط ، والان علمت اني شاعر حين واطأت ^(٣) الخطيئة . » وقال الاصمعي وقد انشد شيئاً من شعر الخطيئة : « أفسد مثل هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع . »

جمع خبير وهو العالم حقيقة الشيء واراد بهم الادلاء الذين يخبرون الطرُق . (١) (القافية : اي القصيدة مجاز مرسل جزء من كل . وقافية شاردة وشرود : اي سائرة في البلاد . (٢) الظمان : جمع ظمآن وهو ذكر النعام الجاذر : جمع جَوْدَر وهو ولد البقرة الوحشية . ونسبه به الحسان لجمال عينيه . (٣) واطأه : وافقه أي وطأ موطأه .

ووقف الخطيئة على حسان بن ثابت وهو يمشي، فقال له حسان: « كيف تسمع يا اعراي؟ » قال: « ما اسمعُ بأْساً . » قال حسان: « أما تسمعون الى الاعراي! ما كنتك ايها الرجل؟ » قال: « ابو مليكة . » قال: « ما كنت قط اهون عليّ منك حين اكنيت بامرأة ، فما اسمك؟ » قال: « الخطيئة . » فاطرق حسان ثم قال له « امض بسلام . »

وسئل الخطيئة: من اشعر الناس؟ فأخرج لسانه ثم قال: « هذا اذا طمع . » وقد صدق بقوله ، وهو يُعدُّ فاتحة الشعراء الهجائين الذين كثر عددهم في الاسلام .



النثر في الجاهلية

- النثر : معناه اللغوي . تأخر ظهوره عن الشعر . ما وصل إلينا منه . مخيلة
الانسان الفطري وحسه . الكتابة في الجاهلية وتدوين الآداب .
ميزة النثر الجاهلي : موسيقي مستجع وموزون أحياناً دون تكلف .
الخطب : كانت قصيرة لقلة تعدد أغراضها ، ولكي تحفظ . اندماجها في الشعر .
مكانة الخطيب عندهم . لم تكن الخطابة قائمة على القواعد العامة بل على
السليقة والفطرة . مواضيع الخطب . خطبة قس بن ساعدة . خطبة
أكثم بن صيفي . الفرق بين الخطبتين من حيث الإنشاء العاطفي والإنشاء
الهادي .
الأمثال : تبين أخلاق الشعب وأحواله ، وإيجاز الجملة القصيرة . اختلاط
الأمثال الجاهلية بالإسلامية . أين ينبغي أن ندرس النثر الجاهلي ؟

النثر

النثر لغةً رَمِي الشيء متفرقاً ، وعكسه النظم فهو الضم والتأليف . ومن ذلك
قال الأدباء : كلام منشور إذا كان لا يقيده وزن وقافية ، وكلام منظوم إذا كان
موزوناً مقفى^(١)

والنثر خلاف الشعر ، يغلب فيه التفكير الصحيح على الخيال المطلق . فلا غرو
إذاً أن يتقدم الشعرُ النثر ، لأن الشعب في فطرته خيالي عاطفي ، أكثر مما هو عاقل
مفكر . ونحن في كلامنا على النثر ، نعني به الإنشاء الفني لا الكلام الذي تتخاطب
به الناس .

وانه لمن العيب أن نلتبس هذا الفن في الجاهلية ، ونضعه في درسنا إلى جانب
الشعر ، لأن ما وصل إلينا منه زهيد لا يعتد به . والسبب في ذلك أن الانسان

(١) النظم والنثر في معناهما الأدبي مولدان ظهرا مع علم الادب .

الفطري على اميته ، فيه من قوة الخيلة والحس ما يفسح له في مجال التعبير الشفهي عن عواطفه وتصوراته ، دون ان يحتاج الى الكتابة . ومعلوم ان الحياة الجاهلية في حدودها السياسية والاجتماعية ، لا تتسع للفن الكتابي الذي انما هو ينشأ بنشوء الجماعات المنظمة ، وينمو بنمو القوى المفكرة ، ويعظم بعظم الحاجة اليه .

ورب معترض يقول : ان الكتابة كانت معروفة عند العرب في جاهليتهم . فنحن لا ننكر ذلك ، ولكنهم كانوا يعتمدون عليها في حاجاتهم الاقتصادية ، لا لتدوين شعرهم او نثرهم . واذا كان الشعر الجاهلي وصل الينا منه شيء غير قليل ، فلان العرب في جاهليتهم نظموا اكثر مما نثروا ، ولان الشعر اسهل للحفظ والرواية من النثر .

مبارة النثر الجاهلي

النثر في الجاهلية موسيقي كالشعر ، تتخلله احيانا جمل موزونة مسجعة يأتي بها البدوي دون تكلف . واكثر الجمل قصيرة موجزة ، فيها قوة وبلاغة تعبير . ويمكننا ان نجد امثلة للنثر الجاهلي في بعض ما وصل الينا من الخطب والامثال ، ولكن هذه الامثلة على قلتها ، لا تكفي وحدها لابتداء رأي صحيح في هذا الفن الادبي .

الخطب

لم يكن حظ الخطابة في العصر الجاهلي كحظها في صدر الاسلام ، ولكنها وجدت فيه على قدر ما . واشتهر خطباء مصاقع كئش بن ساعدة الايادي ، وأكثم ابن صيفي التميمي وغيرهما .

واكثر ما كانت الخطب عندهم قصيرة ، قللة تعدد اغراضها ، ولانها اسهل للحفظ . وكانوا يتخيرون لها الالفاظ المأنوسة ، والمعاني الواضحة بغية التأثير والاقناع . وربما تخللها الشعر دون تعمد من الخطيب ، لان نثرهم ، بما فيه من رنة موسيقية وتقيد احيانا بالوزن والقافية ، يندمج في الشعر من تلقاء نفسه ، فيتحول نظماً ثم يعود الى حاله . وربما لا يشعر الخطيب بهذا الاندماج لتشابه النثر والشعر عندهم .

على ان هذا التشابه لا يعني ان العرب في جاهليتهم لم يفرقوا بين النظم والنثر . فقد كان للشعراء مكانة ، وللخطباء مكانة دونها . فالشعر احفظ لمفاخر القبيلة وانسابها ، لانه اسهل للرواية . ولو كان النثر عندهم كالشعر لوصلت اليها خطبتهم في كثرتها ، كما وصلت اليها اشعارهم .

وقد يكون الشاعر خطيباً ، والخطيب شاعراً ولكن تغلب عليه احدى الصفتين فيسمى بها . وغالباً يكون خطيب القبيلة شيخها او اميرها ، وقد يكون قاضياً وقائدها في وقت معاً .

وبعد ، فلا يسوغ لنا ان نعد الخطابة في الجاهلية مرتكزة على القواعد العامة ، فانها انما كانت كالشعر تأتى بعامل السليقة والفطرة ، لا بالاعتماد على الفن التعليمي وما فيه من مقدمات ونتائج . وكانت موضوعات الخطب محصورة في اسباب محدودة :

١ - المواعظ الدينية .

٢ - المفاخرة والمنافرة .^(١)

٣ - التحريض على الاخذ بالثار .

٤ - الحض على الصلح بعد الحرب .

٥ - الوصايا والنصائح^(٢)

وجميع هذه الموضوعات تناسب الحياة البدوية ، وما في القبائل من اختلاف وانفصال واستقلال .

ونورد هنا على سبيل المثال خطبة لقس بن ساعدة الايادي اسقف نجران^(٣) ، وقد ادره الرسول فراه في عكاظ على جمل احمر ، وهو يقول :

(١) المنافرة : المحاكمة في الحسب والنسب والمفاخرة فيها . وكانوا يتنافرون الى الناس في ذلك ليقضوا لاحد المتنافرين على الآخر . وفي المنافرة يقوم الشاعر او الخطيب من كل فريق فيبين مفاخر قومه ومعائب منافريهم ، فن فخر الآخر نفروه على خصمه .

(٢) منها وصايا الاءاء لبنيهم عندما تجزهم الوفاة ، ونصائح الكهان والعرافين والحكماء والقضاة والشيوخ . (٣) نجران : بلد في اليمن كان اهله نصارى وفيه كعبة نجران وهو دير شهير في التاريخ .

« أيها الناس !

اسْمَعُوا وَعُوا^(١)، وَإِذَا وَعَيْتُمْ فَأَنْتَفِعُوا. إِنَّهُ مَنْ عَاشَ مَاتَ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ^(٢) وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٌ^(٣) : لَيْلٌ دَاجٌ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ. مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ فَلَا يَرْجِعُونَ، أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا؟ أَمْ تُرْكُوا هُنَاكَ فَنَامُوا؟ أَقَسَمَ قُسٌّ بِاللَّهِ قَسَمًا حَقًّا، لَا آثَمًا وَلَا حَاسِنًا، إِنَّ اللَّهَ دَرِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ دَرِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ.

تَبَا لِأَرْبَابِ الْغَفْلَةِ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ^(٤). يَأْمَعُشَرِ إِيَادَ، أَيْنَ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ! وَأَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ الشَّدَادُ! أَيْنَ مَنْ بَنَى وَشَيَّدَ^(٥)! وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ^(٦)، وَغَرَّدَ الْمَالُ وَالْوَلَدُ! أَيْنَ مَنْ بَعَى وَطَعَى، وَجَمَعَ فَأَوْعَى^(٧) وَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى! أَلَمْ يَكُونُوا أَكْثَرُ مِنْكُمْ أَمْوَالًا؟ وَأَطْوَلَ مِنْكُمْ أَجَالًا^(٨)؟ طَحَنَهُمُ الثَّرَى بِكُلِّهِ^(٩)؛ وَمَزَقَهُمْ بِنِطَاطِهِ، فَتَلَكَّ عِظَامُهُمْ بَالِيَةً، وَيَبُوتُهُمْ خَاوِيَةً^(١٠)، عَمَرَتْهَا^(١١) الذَّيَابُ الْعَاوِيَّةُ. كَلَّا بَلْ هُوَ الْمَعْبُودُ^(١٢)! »

ثم انشأ يقول :

فِي الدَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ - مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ^(١٣)
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ^(١٤)
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا، تَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكْبَارُ

(١) عُوا : احفظوا، من وعى . (٢) فات : ذهب ولم يرجع . (٣) أي لا مهرب مما هو آتٍ . (٤) الخالية : الماضية . (٥) شيد البناء : رفعه . (٦) نجد البيت : زينه . (٧) أوعى : بنخل وشح في النفقة . (٨) آجالاً : أعماراً . (٩) الكلكل : الصدور . (١٠) الخاوية : المقفرة المتهدمة . (١١) عمرتها : أهلتها وسكنتها . (١٢) قوله : هو المعبود : أي إن الله هو الذي طحنهم لا الثرى . (١٣) القرون : هنا الأمم الهالكة أو الأمم بعد الأمم ، مفردة قرن . البصائر : جمع البصيرة وهي العبرة يعتبر بها . (١٤) الموارِد : جمع مورد وهو السير إلى الماء وبلوغه . المصادر : جمع مصدر وهو الرجوع عن الماء . يقول : رأيت

لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي ، وَلَا يَبْقَى مِنَ الْمَاضِينَ غَيْرٌ ^(١)
أَيَقْنْتُ أَنِّي ، لَا مَحَا لَةً ، حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَائِرًا

فانت ترى كيف أدمج الشعر في خطبته ، فجاء كأنه 'قَدْ' من هيكلها ، لا نافراً ولا متقللاً . ورأيت ما فيها من سجع موسيقي لا اثر للعمل فيه .

واليك مثلاً آخر من خطبة لاکثم بن صيفي التميمي . قيل انه فاه بها في حضرة كسرى أنو شروان لما قدم وفود العرب عليه . وكان قد أسمع النعمان بن المنذر في العرب شيئاً أمضه ، فاحب ان يريه ذكاءهم وفضلهم ، فأرسل اليه رهطاً من وجوههم وحكامهم ، وفيهم اکثم بن صيفي ، فقام اکثم فقال :

« إِنَّ أَفْضَلَ الْأَشْيَاءِ أَعَالِيهَا ، وَأَعْلَى الرِّجَالِ مُلُوكُهُمْ ، وَأَفْضَلَ الْمُلُوكِ أَعْمَهُمْ نَفْعًا ، وَأَفْضَلَ الْخُطَبَاءِ أَصْدَقُهُمْ . ^(٢) الصِّدْقُ مَنَاجَاةٌ ^(٣) ، وَالْكَذِبُ مَهْوَاةٌ ^(٤) ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ ، وَالْحَزْمُ مَرْكَبٌ صَغْبٌ ، وَالْعِزُّ مَرْكَبٌ وَطِيٌّ ^(٥) . آفَةُ الرَّأْيِ الْهَوَى ، وَالْعِزُّ مِفْتَاحُ الْفَقْرِ ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ الصَّبْرُ . حُسْنُ الظَّنِّ وَرَطَةٌ ^(٦) وَسُوءُ الظَّنِّ عَصَمَةٌ ^(٧) . إِصْلَاحُ فُسَادِ الرَّعِيَّةِ ، خَيْرٌ مِنْ إِصْلَاحِ فُسَادِ الرَّأْيِ ^(٨) . مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ ^(٩) كَانَ كَالْغَاصِ بِالْمَاءِ . شَرُّ أَلْبِلَادِ بِلَادٌ لَا أَمِيرَ بِهَا . شَرُّ الْمُلُوكِ مَنْ خَافَهُ الْبَرِيُّ . خَيْرُ الْأَعْوَانِ مَنْ لَمْ يُرَأَ بِالْتَّصِيحَةِ . أَحَقُّ الْجُنُودِ بِالنَّصْرِ مَنْ حَسُنَتْ سَرِيرَتُهُ ^(١٠) . حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعَةٍ . أَصْنَمْتُ حُكْمُ ^(١١) وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ . الْبَلَاغَةُ الْإِيحَازُ . »

فهذه الخطبة في إيجازها وقصر جملها ، تمثل الانشاء الجاهلي في بلاغته ، وهي ، كما ترى ، خالية من الشعر والتسجيع ، بعيدة من التكلف ، يصح ان تسير جملها

الذين يردون الموت لا يرجعون . (١) الغابر : الباقي . (٢) مَنَاجَاةٌ : أي باعث على النجاة . (٣) مهوأة : من هوى : سقط ، أي باعث على السقوط . (٤) وطىء : سهل . (٥) الوردية : الحليكة . (٦) العصمة : المنعة . (٧) أي تدبير امرها وتحسين حالها . (٨) بطانة الملك : حاشيته ، مأخوذة من بطانة الثوب . (٩) السريرة : الطوية . أي من اخلص وحسنت طويته . (١٠) الحكم : الحكمة .

امثالاً لما فيها من الحكم والمواعظ . وقد رأينا في خطبة قس بن ساعدة مثالا للوعظ الديني العاطفي بما فيه من وعد ووعد ، وهي في سجعها ، شعرها ، شديدة الوقع ، بعيدة الصدى في النفوس . في حين ان خطبة اكثم بن صيفي تسير هادئة مطمئنة ، ترسل المواعظ والحكم بأناة وتؤدة . وما ذاك الا لاختلاف موقف الخطيبين وتباين غرضهما . فقس بن ساعدة أسقف يريد التبشير بالنصرانية ، وتحويل عبدة الاوثان من غضب الله ونقمته ، فاستعمل لذلك الانشاء العاطفي بما فيه من رنة وتهويل . واكثم بن صيفي اراد ان يعظ الملك ، ويظهر له ذكاء العرب وفضلهم دون ان يغضبه ، فاستعمل لذلك الانشاء الهادي الرصين . وكلاهما اجاد في موقفه ، وبلغ غايته بقصده^(١) وإيجاز .

لامثال

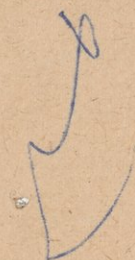
للعرب في جاهليتهم اقوال كثيرة ذهبت امثالاً . فمنها ما كان شعراً ، ومنها ما كان نثراً . وقد جمع الميداني طائفة كبيرة منها في كتابه الموسوم : « بمجمع الامثال » ولهذه الاقوال فائدة لا تنكر ، لصدورها عن مختلف طبقات الشعب ، فيمكننا ان نعرف فيها شيئاً كثيراً من اخلاق العرب واحوالهم . وهي في جملها القصيرة تمثل بلاغة الجاهلي وإيجازه ، ومقدار ما وصل اليه من قوة التعبير . ولكن الامثال الجاهلية مخلوطة بالامثال الاسلامية ، فلا يتسنى التمييز بينها الا اذا كان في المثل ما يدل على جاهلية صاحبه . وهاك شيئاً منها :

إِنَّ الْهَزِيلَ إِذَا شَيْعَ مَاتَ^(٢) . أَوَّلُ الشَّجَرَةِ التَّوَاةُ^(٣) . أُمُّ الْعَجَبَانِ لَا تَفْرَحُ وَلَا تَحْزَنُ^(٤) . أَتَى عَلَيْهِمْ ذُو أَتَى^(٥) . إِنَّ أَخَاكَ مِنْ آسَاكَ^(٦) .

(١) قصد : اي اعتدال دون تطويل . (٢) يُضْرَبُ لِمَنْ اسْتَفْنَى فَتَجَبَّرَ . (٣) يُضْرَبُ لِلْأَمْرِ الصَّغِيرِ يَتَوَلَّدُ مِنْهُ الْكَبِيرُ . (٤) لَانِهِ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ وَلَا شَرٍّ إِنَّمَا تَوَجَّهَ لِحَبْنِهِ . (٥) هَذَا مِنْ كَلَامِ طِيءٍ وَذُو عِنْدَهُمْ بَعْنَى الَّذِي ، أَيِ أَتَى عَلَيْهِمْ الَّذِي أَتَى عَلَى الْخَلْقِ مِنْ حَوَادِثِ الدَّهْرِ . (٦) آسَاكَ : جَعَلَكَ إِسْوَةً لِنَفْسِهِ ، يُضْرَبُ فِي الْحَثِّ عَلَى مِرَاعَةِ الْإِخْوَانِ .

إِنْ كُنْتَ كَذُوبًا فَكُنْ ذَكُورًا^(١) . بِكُلِّ وَادٍ أَثَرٌ مِنْ ثَعْلَبَةٍ^(٢) . بَرَقَ لَوْ
كَانَ لَهُ مَطَرٌ^(٣) . الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ^(٤) .

على انه لو اتيح لنا معرفة الامثال جاهليها واسلاميها ، لما اعطينا صورة تامة
عن النثر قبل الاسلام ، لانها جمل مقتضبة لا تنثني في ذاتها ادباً صحيحاً نستطيع
التعويل عليه . واذا كان لا بد لنا من درس النثر الجاهلي على حقيقته فلا ينبغي
ان نلتمسه في الجاهلية استناداً الى خطبهم وامثالهم ، بل في صدر الاسلام استناداً
الى خطب الخلفاء والامراء وغيرهم ، فان فيها مثالا صادقا للنثر العربي في جاهلية
اصحابه .



(١) يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَكْذِبُ ثُمَّ يَنْسِي فَيُحَدِّثُ بِخِلَافِ ذَلِكَ . (٢) قَالَهُ ثَعْلَبِي رَأَى
مِنْ قَوْمِهِ مَا يَسُوؤُهُ فَانْتَقَلَ عَنْهُمْ فَرَأَى مِنْهُمْ أَيْضًا مِثْلَ ذَلِكَ . (٣) يُضْرَبُ لِمَنْ لَهُ حَسَنُ مَنْظَرٍ
وَلَا مَعْنَى وَرَاءَهُ . (٤) أَيُّ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ .

صدر الاسلام

(٦٢٢ — ٧٥٠ م. ١٠ — ١٣٢ هـ)

« يبتدئ بالهجرة النبوية وينتهي بسقوط »

« الدولة الاموية وقيام العباسيين »

ملحة تاريخية

النبى محمد : مولده . نشأته . انفراده فى القفار . نزول الوحي عليه . من آمن به ؟ . انكار قريش دعوته . هجرته الى المدينة . المهاجرون والانصار . المدينة . التاريخ الحجرى . الحرب بين المسلمين والمشركين . فتح مكة . ازالة الاصنام . انتشار الاسلام . موت النبى . الخلفاء الراشدون : ابو بكر . الاختلاف فى مبايعته . حروب الردة . فتح العراق . موته . عمر بن الخطاب . فتح اليرموك والقدس ودمشق وفارس . مقتل عثمان بن عفان . حصره المناصب فى اقربائه . غضب الشعب عليه . مقتل فرقة وقبرص . علي بن ابي طالب . اخلاقه وورعه . شجاعته . سياسته . تأليف حزب المعارضة . عائشة . الزبير . طلحة . معاوية فى دمشق . واقعة الجمل . واقعة صفين . التحكيم . الخوارج . مقتل علي . الحسين بن علي . تنازله لمعاوية . مدة خلافة الراشدين . الخلفاء الامويون : نقل الخلافة من المدينة الى دمشق . جعل الخلافة وراثية . مدة خلافة بني أمية . عدد خلفائهم . أولهم معاوية ، وآخرهم مروان . صدر الاسلام صددان : المخضرمون ، والامويون . ميزة كل عصر على حدة .

وُلِدَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيُّ الْقُرَشِيُّ فِي مَكَّةَ فِي سَنَةِ ٥٧٠ م . وَأُمُّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ مِنْ قُرَيْشٍ . وَكَانَتْ حَامِلًا بِهِ لَمَّا تَوَفَّى زَوْجَهَا أَبُوهُ ، وَلَمْ يَتَرَكَ لَهَا مِنَ الْمَالِ إِلَّا خَمْسًا مِنَ الْإِبِلِ ، وَقَطِيعًا مِنَ الْغَنَمِ ، وَجَارِيَةً . فَكَفَلَ الصَّيِّ جَدُّهُ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ . ثُمَّ مَاتَتْ أُمُّهُ ، وَمَاتَ جَدُّهُ ، فَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ وَالِدُ عَلِيٍّ ، وَكَانَ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ كَثِيرُ الْعِيَالِ . فَنَشَأَ مُحَمَّدٌ يَتِيمًا فِي كَنَفِ عَمِّهِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْخَامِسَةَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عَمْرِهِ تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، وَهِيَ فِي الْارْبَعِينَ مِنْ عَمْرِهَا ، وَكَانَتْ مِنْ أَغْنِيَاءِ قُرَيْشٍ وَأَسْرَفَهُمْ ، فَأَمَدَتْهُ بِأَهْلِهَا فَأَيَّسَرُوا تَسَعَّتْ حَالَهُ .

غِيَاثُ سُرِّيَّا

وَكَانَ يُعِيلُ إِلَى الْعَزْلَةِ ، وَيَذْهَبُ إِلَى غَارِ قَرْبِ مَكَّةَ يُسَمَّى غَارَ حِرَاءَ ، فَيَنْفَرِدُ فِيهِ مُتَعَبِّدًا .

وَفِيمَا هُوَ نَائِمٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي الْغَارِ ، تَرَى عَلَيْهِ الْوَحْيَ ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ الْارْبَعِينَ ، فَأَخْبَرَ زَوْجَهُ خَدِيجَةَ بِمَا رَأَى ، فَسَارَعَتْ إِلَى قَبُولِ دَعْوَتِهِ ، ثُمَّ تَبِعَهُ بَعْدَهَا ابْنُ عَمِّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَبُو بَكْرٍ .

وَلَكِنَّ قَوْمَهُ انْكَرَوْا دَعْوَتَهُ ، وَسَخَرُوا مِنْهُ وَقَالُوا : « سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ . » ثُمَّ اخْتَدُوا يَضْطَهِّدُونَهُ وَأَتْبَاعَهُ ، فَبَيْسَ مِنْهُمْ فَجُولٌ وَجَهْهُ شَطْرُ الطَّائِفِ ^(١) ، وَدَعَى أَهْلَهَا ، فَإِذَا هُمْ أَقْسَى مِنْ قُرَيْشٍ ، وَاعْرَوَاهُ سَفَهَاءُ هُمْ فَرَجَوْهُ بِالْحِجَارَةِ .

ثُمَّ عَلِمَ أَنَّ قَوْمَهُ يَرِيدُونَ الْإِيْقَاعَ بِهِ ، فَهَاجَرَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى يَثْرِبَ مُسْتَخْفِيًا ، فَلَقِيَ فِي يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِهَا قَبِيلَتِي الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ أَتْبَاعًا يَنَاصِرُونَهُ فَسُتُوا الْأَنْصَارَ ، وَسَمِّيَ الَّذِينَ هَاجَرُوا مَعَ النَّبِيِّ الْمُهَاجِرِينَ ، وَسَمِيَتْ يَثْرِبُ الْمَدِينَةِ ، أَيْ مَدِينَةَ الرَّسُولِ وَمِنْ ذَاكَ الْحَيْنَ يَبْتَدِئُ التَّارِيخُ الْهَجْرِي ، أَيْ سَنَةُ ٦٢٢ م .

وَسَاءَ الْقُرَشِيُّونَ إِنْ يَنْجُو النَّبِيُّ وَيَحْتَمِي فِي يَثْرِبَ ، وَيَلَاقِي هُنَاكَ أَنْصَارًا ، فَنَاصَبُوا أَهْلَهَا الْعَدَاءَ ، وَقَابَلَهُمْ هَؤُلَاءُ بِالْمَثَلِ ، فَقَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى قَوَائِلِهِمْ ، فَابْتَدَأَتْ الْغَزَوَاتُ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَكَانَ النَّصْرُ فِي أَكْثَرِهَا حَلِيفَ الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى فُتِّ فِي

(١) الطائِف : بَلَدٌ فِي الْحِجَازِ لَبَنِي ثَقِيفٍ .

عُصِدَ المشركون ، فغزا النبي مكة بعشرة آلاف مقاتل ، فافتتحها مسلماً في سنة ٦٣٠ م . و ٩ هـ . و وقعت قريش في يده ، فأمنهم واسلموا . ثم دخل الكعبة وأزال ما بها من اصنام وصور وقائميل . واخذ العرب يدخلون في الاسلام افواجا بعد ان اسلمت قريش وهي صاحبة الزعامة هناك ، فتم النصر للنبي ، وبني حجر الزاوية في الوحدة العربية الاسلامية ، وظل يسوسها حتى قبض يوم الاثنين في ١٢ ربيع الاول سنة ١١ هـ . و ٨ حزيران سنة ٦٣٢ م ، وكانت وفاته بالمدينة وفيها قبره .

الخطباء الراشرون — ابو بكر

اختلفت الصحابة بعد موت الرسول فيمن يبايعونه بالخلافة ، فابى المهاجرون من قريش الا ان يكون الخليفة منهم ، وابى الانصار عليهم ذلك ، وقالوا : « منا امير ومنكم امير . » واشتد النزاع حتى كادت تقع الفتنة ، فقال لهم ابو بكر : « منا الامراء ومنكم الوزراء ، وقد رضيت لكم احدهذين الرجلين : عمر بن الخطاب و ابا عبيدة بن الجراح . » فقام عمر وبايع ابا بكر ، وبايعه ابو عبيدة ، وبايعه الناس . فقال الانصار : « لا نبايع الا علي بن ابي طالب . » وكان علي قد تحلف عن المبايعه ، وتحلف معه بنو هاشم ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله . فما زال بهم عمر بن الخطاب حتى حملهم جميعاً على مبايعه ابي بكر ، فاستتب له الامر . ثم ارتدت اغلب قبائل العرب عن الاسلام ، فحاربهم حتى خضد شوكتهم وأرجعهم الى الدين . وفي ايامه افتتح خالد بن الوليد العراق وضرب الجزية على اهله . ومات ابو بكر وجيوش المسلمين تحارب الاروام في اليرموك من ارض فلسطين . قيل انسه مات مسموماً في طبخة ارز ، وقيل : بل استحم في يوم شديد البرد فجم ومات . وكانت خلافته من ٦٣٢-٦٣٤ م و ١١-١٣ هـ .

عمر بن الخطاب

وكان قد اوصى بعده بالخلافة لعمر بن الخطاب فبايع بها . وعلى عهده تم فتح اليرموك والقدس ودمشق وفارس ومصر . ومات عمر مقتولاً ، قتله

فيروز ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة من اجل خراج درهمين لم يعفه منها عمر لورعه
وحرصه على بيت المال . وكانت خلافته من ٦٣٤ - ٦٤٤ م و ١٣ - ٢٣ هـ .

عثمان بن عفان

وكان عمر قد جعل قبل وفاته مجلس شورى للخلافة من ستة اشخاص ، بينهم
علي بن ابي طالب ، و عثمان بن عفان ، فتشاوروا فيما بينهم وبايعوا عثمان بعد جدال .
وعلى عهد عثمان فتحت افريقية وقبرص . ولكنه لم يكن محبوباً لحصره
مناصب الحكم في اقربائه ، فطلب منه الناس ان يعتزل فأبى ، فحاصروه في داره
اربعين يوماً ، ثم تساق محمد بن ابي بكر مع رجلين حائط قصره ، فقتلوه بالحراب
والعمد . وكانت خلافته من ٦٤٤ - ٦٥٥ م و ٢٣ - ٣٥ هـ .

علي بن ابي طالب

ثم بويع علي بن ابي طالب ، فتخلف عن مبايعته بنو أمية اقرباء عثمان ، وبعض
الصحابة . وكان علي من الابطال المغاوير والفرسان المعدودين ، ومن افصح العرب
واخطبهم ، واتقى الناس واورعهم ، ولكنه لم يكن موفقاً في الخلافة ، لانه لم يعرف
ان يداهن في سياسته . وكانت عائشة زوج النبي تؤلب على عثمان وتطعن فيه رغبة
منها في طلحة ، فلما بويع علي ولم يبايع الناس طلحة ، صرخت : « واعثاناه ! ما
قتله الا علي . » وعلم بالامر طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وكانا بايعا
علياً ، فرجعا عن مبايعتهما ، وانضوا الى عائشة ، يناصبان معها ابن ابي طالب
العداء . .

ولم يكن معاوية يومئذ يطمع في الخلافة ، ولكنه توقع الغزل عن ولاية
دمشق فآله الخطب ، فجاهر بعداء علي ، وألف حزب « العثمانية » من اقرباء عثمان
للعطالبة بدم الخليفة « الشهيد » او « المظلوم » .

وذهب بنو أمية وعائشة ومحازبهم الى البصرة ، ففتقوا الحية ابن حنيف اميرها ،
فجاء المدينة وقال لعلي : « بعثني ذا حية وقد جئتكم امرد . » قال : « أصبت
اجراً وخيراً . »

واقعة الجمل

ورأى علي ان الفتنة قائمة ولا بد من اخادها ، فسار الى البصرة بسبعة آلاف مقاتل ، فالتقاء حزب عائشة وطلحة والزبير في جيش كبير ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكانت عائشة على جمل تحرض الرجال على الاقدام ، فومى هودجها وهو كالقنفذ لما علق به من النبال ، بعد ان قُطع على خطام^(١) الجمل سبعون يداً . ولكنها لم تصب باذى ، وارجعها علي الى المدينة مكرومة . وانتهت الواقعة بانتصار علي ، وقتل الزبير ، وجرح طلحة جرحاً لم يلبث ان مات به . وسميت هذه الحرب واقعة الجمل اشارة الى جمل عائشة .

واقعة صفين

ثم سار علي لمحاربة معاوية فقطع الفرات الى الرقة فالتقي جيوش معاوية في سهل صفين ، وهو موضع غربي الرقة على ضفة الفرات اليمنى ، فاقتتلوا ثم تهادنوا ، ثم اقتصلوا . وكانت « ليلة الهزيم » احماها وطيها ، اذ حمل الأشر النحوي قائد جيوش علي حملة زحزحت جيوش الشام عن مراكزها . وبينما جيوش العراق يتقدمون والنصر حليفهم ، اذ رأوا المصاحف^(٢) مرفوعة على رؤوس الخراب في جيش معاوية ، فهابوا ، وتوقفوا عن القتال ، فاخفق علي بجيمله عدوه . ثم اقترح عليه معاوية التحكيم ، فوضي به مكرهاً .

التحكيم

واقام معاوية عنه حكماً عمرو بن العاص ، وهو داهية مثله . واقترح علي علي اصحابه ان يقيم حكماً أبا موسى الاشعري ، وكان قصير الرأي ، فأقامه علي على غير رغبة منه . فأخلي للحكمين مكان يجتمعان فيه مدة ثلاثة ايام ، فأقبل عمرو بن العاص على ابي موسى بانواع من الطعام يشبه بها ، حتى اذا استبطن اخذ يقنعه بان

(١) خطام : زمام . (٢) المصاحف : نسخ القرآن واحداً مصحف .

يخلع علياً وهو يخلع معاوية، فتنجو الامة من الفتنة، وتحقن الدماء. فرضي ابو موسى بذلك، على ان يُبايع بالخلافة عبدالله بن عمر بن الخطاب.

ولما كان يوم التحكيم، اجتمع القوم على مقربة من مكان يعرف بدومة الجندل، فقام ابو موسى فخلع علياً، ولكن ابن العاص لم يُسقط معاوية كما وعد واقسم، بل اثبتته في الولاية على دمشق، واجاز له حق المطالبة بدم الخليفة الشهيد. فاضطرب جيش علي لهذا الحكم، وابى علي ان يذعن له، واراد استئناف القتال، ولكن شغله امر الحوارج من جيشه.

الحوارج

كان قسم كبير من جيش العراق رفض التحكيم، فلما رأوا ما آلت اليه نتيجته غضبوا وخرجوا على علي، ولم يرجعوا معه الى الكوفة، بل ساروا الى حروراء^(١) ثم احتلوا المدائن^(٢) وعاثوا فيها فساداً، نابذين كل سلطة متخذين شعارهم «الحكم لله لا للناس». وحجتهم في ذلك ان علياً ومعاوية كافران، فعلي كافر لانه رضي بالتحكيم، وشك فيما كان يعتقد من انه صاحب الحق الشرعي في الخلافة، وما كان له ان يشك في هذا الحق. فاما وقد فعل فليس من الخلافة في شيء، وقد تجاوز الدين فلا بد له من الاعتراف بالكفر ثم يتوب الى الله، والا فالحوارج حرب عليه. ومعاوية كافر لانه وال بغي على الخليفة، فلما خشي الانكسار لجأ الى التحكيم خديعة وكيداً، فالحوارج عدو له.

فلما استفحل امرهم قصدهم علي بجيشه فالتقوا بالنهر وان^(٣) فأكثر فيهم التقتيل وارجع بعضهم سلباً.

مقتل علي

ثم عاد علي الى الكوفة يتأهب لقتال معاوية. وفي اثناء ذلك اتفق ثلاثة من

(١) حروراء : قرية بظاهر الكوفة، واليهما ينسب الحوارج فيقال لهم الحرورية لان اولهم خرج فيها. (٢) المدائن : يراد بها عدة مدن متجاورة وهي : الموصل والسواد وحلوان ومسايبذان وقرقيساء. (٣) النهر وان : ثلاث قرى بين واسط وبغداد.

الخوارج على قتل « ائمة الضلال » في ليلة واحدة واراد بهم : علياً ، ومعاوية ، وعمرو ابن العاص . ولكن لم يُقتل من هؤلاء الثلاثة غير علي ، ونجا الآخران ، وقاتله عبد الرحمن بن ملجم ضربه بسيف مسجوم وهو في مسجد الكوفة يريد الصلاة ^(١) فمات بعد ثلاثة ايام ، وعمره ٦٣ سنة وخلافته من ٦٥٥ - ٦٦١ م و ٣٥ - ٤٠ هـ .

وبويع الحسن بن علي في الكوفة بعد مقتل ابيه ، ولكنه تنازل لمعاوية نفوراً من الحرب ، وكانت مدة خلافته خمسة اشهر من ٦٦١ - ٦٦١ م و ٤٠ - ٤١ هـ .

الخلفاء الامويون

استولى معاوية على الخلافة بعده ، وانتزعها انتزاعاً من ابن بنت الرسول ^(٢) فجعل قاعدته دمشق بدلاً من المدينة ، لان انصاره في الشام ولولاهم لما تم له الظفر . وتمكن بسياسته وحزمه من توطيد دعائم مملكته ؛ على ما كان يهددها من شر الخوارج الحوورية في الجزيرة ، ومن ثورات انصار علي وابنائهم في الكوفة وما يليها من العراق . وبلغ به الامر ان جعل الخلافة وراثية بعد ان كانت شورية ، ونادى بابنه يزيد ولياً لهده ، وحذا حذوه من جاء بعده من الخلفاء .

وظلت الخلافة في بني أمية من سنة ٦٦١ - ٧٥٠ م و ٤١ - ١٣٢ هـ . فتعاقب عليها منهم اربعة عشر ملكاً اولهم معاوية وآخرهم مروان بن محمد بن مروان ابن الحكم الملقب بالحمار لصبره على الاعمال . ثم انتقلت الى بني العباس .

فيتضح مما تقدم ان صدر الاسلام صدران : الاول عصر المخضرمين ^(٣) اي الذي عاشوا في الجاهلية والاسلام وهو عصر النبي والخلفاء الراشدين . والثاني عصر بني أمية . فينبغي ان ندرس شعر كل عصر على حدة ، لان ميزة الصدر الاول تختلف اختلافاً بيناً عن ميزة الصدر الثاني . واما النثر فلا يصح درسه الا اذا جمعنا العصرين معاً

(١) كان ذلك في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ و ٦٦١ م كانون الثاني ٦٦١ م . (٢) الحسن ابن علي واخوه الحسين من فاطمة ابنة النبي . (٣) المخضرمون : اصل اللفظة مأخوذ من الناقة المخضومة وهي التي قطع طرف اذنهما . فكأن ما ذهب من عصر المخضرمين في الجاهلية ساقط لا يعتد به كما يسقط طرف اذن الناقة المخضومة .

الشعراء المخضرمون

ميزة الشعر المخضرم : لسه ميزة الشعر الجاهلي من حيث التعبير والايجاز، وفيه خصائص التطور الجديد . اكتسب تعابير والفاظاً جديدة من القرآن .
 اصابه فتور بعد وفاة الرسول .

شعراء النبي وشعراء قريش : اخذ شعراء قريش يهاجون النبي واتباعه . فهاجهم شعراء النبي وهم : حسان، وعبدالله بن رواحة ، وكعب بن مالك . شعراء قريش اشهرهم اربعة : ابن الزبيري، ابو سفيان، ابن العاص، ابن الخطّاب . استفاد الشعر من هذه الملاحيات فنهض ، وكثر عدد الشعراء خصوصاً في قريش . لم يصل الينا من هذا الشعر شيء يستحق الذكر . عفى عليه الاسلام لما فيه من التعريض بالنبي .

الشعراء المخضرمون : نظرنا اليهم من حيث زمن اشتهارهم في الشعر، لا من حيث حياتهم في الجاهلية والاسلام .

ميزة الشعر المخضرم

لا نجد فرقاً بين الشعر الجاهلي والشعر المخضرم من حيث الايجاز وقوة التعبير، وطريقة النظم، وتعدد الموضوعات، وبراعة الوصف . الى غير ذلك مما مرّ بنا وعرفناه . فالشعر المخضرم جاهلي في اصله ، ولكن فيه خصائص جديدة : منها ما رأيناه في الشعراء الذين عاشوا في السنوات الملاصقة للاسلام او ادر كوة ، فبدا لنا تطور في لغتهم ، ورقة في الفاظهم ، ووضوح في معانيهم . ومنها ما انفرد به الشعر المخضرم عن الشعر الجاهلي فكان له ميزة خاصة .

ويمتاز الشعر المخضرم بملك النفحة الدينية التي نفحه بها الاسلام بعد ظهوره . فلا ترى فيه يأساً من الحياة وتبرماً بصيرها شأن الشعر الجاهلي ، بل تلمس به ارتياحاً شديداً الى نعيم الآخرة ، الى الجنة التي وعد بها القرآن المتقين . واكتسب الشعر المخضرم خصوصاً ، واللغة عموماً ، تعابير جديدة من القرآن ، والفاظاً لم تكن

مألوفة من قبل ، كالجنة والنار ، والكفر والايان ، والصلاة والزكاة ، والركوع ،
والوضوء الخ . . . وهذه الالفاظ كانت معروفة في الجاهلية ولكنها لم تكن تدل
على معانيها المستحدثة في الاسلام . واكتسب الشعر ايضاً نوعاً جديداً وهو الهجاء
السياسي ، هجاء مرءٍ مقذع أليم ، كان بين شعراء النبي ، وشعراء قريش والاعراب .
ولكن الشعر اصابه فتور بعد وفاة النبي ، فلم يجد من الخلفاء الراشدين مشجعاً ،
وربما نهوا عنه ، وزجروا الشعراء . بيد ان هذا الفتور لا يعني ان الشعر خمد ناره .
فقد بقي في الشعراء طائفة لم تنصرف عنه كالخطيئة مثلاً ، وكعب بن زهير ،
وحسان بن ثابت ، والشاخ بن ضرار ، والناطقة الجعدي وغيرهم . على انه لم
يكن له ذلك الازدهار الذي عرفه في حياة الرسول .

شعراء النبي وشعراء قريش

عرفنا ان قريشاً انكروا على محمد دعوته وحاربوه نحو ثماني سنوات بعد
هجرته . ولم تقتصر الحرب على السيف وحده ، بل كان للشعر فيها شأن كبير .
فان شعراء قريش واحزابها اخذوا يهجون النبي هجاء مرأً ، ويسفون رسالته ،
ويسخرون منها ، ويعيون تابعيه الانصار والمهاجرين . فاضطر النبي ان يقابلهم
بسلاحهم ، لما للشعر من التأثير في نفوس القبائل العربية ، فأرسل عليهم ثلاثة من
شعراء الانصار وهم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة .
فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل اقوالهم ، ويفاخرانهم بالوقائع والايام والمآثر ،
ويذكran لهم مثالبهم . اما عبد الله فكان مقتصراً على تعييرهم الكفر .

وقد استفاد الشعر من هذه الملاحيات فنهض نهضة عظيمة ، وغزت مادته ،
وكثر القول بكثرة الشعراء ، ولا سيما شعراء قريش ، وكانت قبلاً لا تذكر مع
القبائل في الشعر . واشتهر من شعرائها اربعة هاجوا النبي وقاوموا شعراءه وهم
عبد الله بن الزبَعْرى ، وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمر بن العاص ،
وضرار بن الخطاب . ولكن لم يصل الينا من شعرهم الا شيء يسير ليس فيه غناء .
ولا عجب ان تطمس اشعارهم واشعار غيرهم من الذين ناصبوا الرسول العدا .

خصوصاً بعد ان اسلمت قريش ، واصبحت جزيرة العرب لا يسودها دين غير الاسلام ؛ لا عجب ان تطمس هذه الاشعار ، فان فيها ما يثير الخوازات وينبسه كوامن الاحقاد ؛ وان فيها من التعريض بالنبي واصحابه ، ما يمنع المسلمين عن روايتها ، بل ما يهيب بهم الى التعفية عليها ومحو آثارها .

ونحن في بحثنا الشعر الخضرم ، سنقتصر على درس حسان بن ثابت ائبـه الشعراء الذين دافعوا عن الرسول وأخصبهم آثاراً ، وعلى كعب بن زهير اللاميته الشهيرة التي اعتذر بها الى النبي يوم اسلامه .

الشعراء الخضرم

وقد نظرنا الى الشعراء الخضرمين من حيث شعرهم لا من حيث حياتهم ، فعددنا لبيداً والخنساء من الجاهليين لان اكثـر شعرهما في الجاهلية . وعددنا حسان وكعباً من الخضرمين لان ريجها هبت في الاسلام^(١) . اما الخطيئة فقد اشتهر في العصرين واكنه لم يتأثر بالاسلام كثيراً ، فتركنا له جاهليته .

كعب بن زهير

٦٦٢ م و ٤٢ هـ (?)

حياته	:	نشأ في بيت عريق في الشاعرية . كان ابوه يزجره عن الشعر حتى خبر مواهبه . كعب في الاسلام . تأنيبه اخاه بغيراً لاسلامه . اهدار دمه . قدومه على الرسول ، واعتذاره بقصيدته . حديث البردة ، وتاريخ وفاة كعب .
آثاره	:	ابيات متفرقة اشهرها مشوبته .

(١) يقال هبت ريجه : اي نبه ذكره واشهره .

ميزته - بانث سعاد : هو كآبيه في نخل القوافي وثقيفها . المذهب الزهيري . غرابسة ألفاظه ، رأي الدكتور طه حسين . صورة حسية متراكمة . الغزل : وصف الثغر والماء الذي مزجت به خمرة الثغر . له لوحة أبيه وحكمه وامثاله . وصف الناقة . تشبيه حركة ذراعيها بحركة ذراعي الشكلى . صورة قصصية رائعة . مدح النبي والمهاجرين . رفته في الاستعطاف . خشونته في وصف الاسد والقفار . جزالته في المدح . مقابلة مدحه بما نسب الى الأعشى من مدح الرسول . نفسه جاهلي أكثر مما هو اسلامي . اعتذاره عن خوفه وحديث الفيل . منزلته . بارع الفن في معانيه ، بديع التصوير ، واسع المخيلة ، وأحد اساتذة المذهب الزهيري .

ميانه

هو كعب بن زهير بن ابي سلمى المزني ، نشأ في بيت يكتنفه الشعر من كل جانب ، كما عرفنا في كلامنا على والده زهير ، وكفاه بأبيه استاذاً . فنشأت معه ملكة الشعر ، فما ترعرع حتى نظمه ، ولكن والده زجره عنه وضربه بخافسة ان تكون شاعريته لم تستوسق^(١) بعد ، فيروى له ما لا خير فيه . على ان الزجر والضرب لم يصرفا الولد عن الشعر ، وهو جد كلف به ، فلبث يقول غيـر مرتدع حتى ضاق والده ذرعاً ، فأردفه على ناقته وانطلق به الى الصحراء ، واخذ يقول البيت ويستجيز ابنه فيجيز ، فوثق عندئذ باستحكام ملكته ، واذن له بقول الشعر .

كعب في الاسلام

لم يحدثنا الرواة كثيراً عن حياة كعب ، فنحن لا نكاد نعلم عنها ما يستحق الذكر الا خبر اسلامه ، واعتذاره الى النبي بقصيدته الشهيرة . وذلك ان بُجِيزاً اخا كعب وفد الى محمد في اواخر السنة السابعة للهجرة فأسلم ، فاستاء كعب من اخيه ، وقال فيه هذه الايات يؤنبه ويحشه على الارتداد :

(١) لم تستوسق : لم يجتمع بعضها الى بعض ، من استوسقت الابل : اجتمعت .

أَلَا أُبَلِّغُكَ عَنِّي بِحَيْرِ رِسَالَةٍ : فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ ، وَنَحَكَ ، هَلْ لَكَ ؟ ^(١)
 سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأَسَا رَوِيَّةً ، فَأَنْهَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا ، وَعَلَّكَ ^(٢)
 فَفَارَقْتَ أَسْبَابَ الْهُدَى ، وَاتَّبَعْتَهُ ، عَلَى أَيْ شَيْءٍ ، وَبَغَيْرِكَ ، دَلَّكَ ؟ ^(٣)
 عَلَى مَذْهَبٍ لَمْ تُفْلِحْ لَمَّا وَلَا أَبَا عَلَيْهِ ، وَلَمْ تُعْرِفْ عَلَيْهِ أَخَا لَكَ ^(٤)
 فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ ، فَلَسْتَ بِأَسْفٍ ، وَلَا قَائِلٍ ، إِمَّا عَشَرْتَ : « لَمَّا لَكَ » ^(٥)

وبلغت آياته النبي فاهدر دمه . ثم شهد بجور فتح مكة وانتصار محمد ، فأرسل إلى أخيه كعب يحذره ويخبره بالخذال قريش ، وفرار عبدالله بن الزبيري وقال له : « قد أوعد الرسول رجالاً بمكة فقتلهم ، وهو والله قاتلك أو تأتية فتسلم . » فاستطاع كعب ولفظته الأرض ^(٦) ثم قدم المدينة متذكراً ، واستجار بابي بكر ، فأتى به المسجد وهو متلثم بعمامة ، وقال : « يا رسول الله ، رجل يبايعك على الإسلام . » فبسط النبي يده ، فحسر كعب عن وجهه وقال : « هذا مقام العائذ بك يا رسول الله ، أنا كعب بن زهير . » فتجهته الانصار وغلظت عليه ، ولانت له قريش واحبوا اسلامه وإيمانه . فأمنه محمد ، فأنشد كعب قصيدته « بانت سعاد » فسر بها الرسول . ولما وصل إلى قوله :

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ، مُهْتَدٍ مِنْ سَيْفِ اللَّهِ ، مَسْئُولٌ

خلع عليه محمد بُردته ^(٧) . وقد بذل معاوية لكعب فيها عشرة آلاف درهم فلم يبيعها . فلما مات اشتراها معاوية من ورثته - بعشرين ألف درهم وقيل بثلاثين .

(١) فهل لك فيما قلت : أي هل اردتلك في الشهادة التي قلتها حقيقة . (٢) بها : أي منها والضمير عائد على الشهادة . المأمون : من اسماء النبي . روية : تامة مفصصة . انهلك : سقاك أول الشرب . عللك : سقاك تبعاً . أي سقاء فأرواه . (٣) اسباب : طرق . على أي شيء : متعلق بذلك . وبغَيْرِكَ : أي هلك هلاك غيرك من تابعيه ، دعاء عليه . (٤) على مذهب : أي ذلك على مذهب . لم تُفْلِحْ : لم تجد . (٥) لم تفعل : أي لم ترتد . لَمَّا لَكَ : دعاء للعائر بالسلامة . يقول : ان عثرت فلست بداع لك بالسلامة . (٦) لفظته الأرض : أي انه صار لا يجد له مأوى فيها . (٧) البردة : الثوب المخطط .

وتوارثها الخلفاء الامويون والعباسيون ، ويقال انها وصلت الى سلاطين آل عثمان ، وهي الهردة التي يلبسها الخلفاء في العيدين .

ومدح كعب في قصيدته المهاجرين من قريش ؛ وعرض بالانصار لغلظتهم عليه . فانكرو المهاجرون قوله في الانصار ، وقالوا : « لم نقدحنا اذ هجوتهم . » ولم يقبلوا ذلك حتى قال :

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ ، فَلَا يَزَلْ ، فِي مِقْتَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ ^(١)
 أَبَاذِلِينَ نَفْسَهُمْ لِنَيْبِهِمْ ، يَوْمَ الْهَيَاجِ ، وَسَطْوَةِ الْجَبَّارِ ^(٢)
 يَتَطَهَّرُونَ ، كَأَنَّهُ نُسْكٌ لَهُمْ ، بِدِمَاءٍ مِنْ عُلُقُوا مِنْ الْكُفَّارِ ^(٣)
 صَدُّوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ صَدْمَةً ، ذَلَّتْ لَوَقْعَتِهَا جَمِيعُ نِزَارِ ^(٤)

قيل : وأقبل النبي على ابي بكر فاستنشده شعر كعب الذي قاله لاختيه يؤنبه فيه على اسلامه ، فأنشده ابو بكر حتى وصل الى قوله : « سقاك بها المأمون كأساً رويةً : » فقال كعب : « لم اقل هكذا وانما قلت :

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ ، فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَاكَ
 فقال له محمد : « مأمونٌ والله . »

وكانت وفاة كعب في خلافة معاوية ، وجعل بعضهم ^(٥) موته في السنة

(١) المِقْتَب : جماعة الخيل الجياد ما بين (الثلاثين الى الثلاثمائة . و اراد بالمقنب جماعة الانصار . يقول : من اراد كرم الحياة فليكن في جماعة من صالحى الانصار . (٢) سطوة الجبار : اي في الحرب التي لا يسطو بها غير الجبار . (٣) كَأَنَّهُ : الضمير عائد على التطهر ، دل عليه قوله : يتطهرون . النسك : الذبيحة . علقوا : اصابوا . يقول : يتطهرون بدماء من اصابوا من الكفار كأن هذا التطهر ذبيحة لهم يقدمونها لله . (٤) علي : يعني بني علي بن مسعود وهم بنو كنانة . يوم بدر : يريد واقعة بدر الكبرى بين المسلمين والمشركين في السنة الثانية للهجرة . وبدر : بئر ماء قريبة من المدينة على طريق الشام . وكانت قافلة للقرشيين راجعة من الشام الى مكة وعلى رأسها ابو سفيان بن حرب ، فخرج اليها المسلمون من المدينة وقتلوا فانتصروا عليها وغنموا اموالها . وقتل في هذه الواقعة نحو خمسين رجلاً من صناديد قريش و اشرافهم خصوصاً من بني أمية ومخزوم واسد . لوقعها : اي لسدتها وتكرارها . نزار : ابو ربيعة ومُضَر . (٥) جرجي زبدان في تاريخ آداب اللغة العربية .

الرابعة والعشرين للهجرة ، مع انهم ذكروا رواية البردة . فكان عليهم ان ينتبهوا الى ان الشاعر ادرك الخليفة الاموي الاول ، لان معاوية لم يفكر في اشتراء البردة من كعب الا بعد ان تبوأ سدة الخلافة .

اناره

ايات متفرقة في كتب الادب . اشهرها لاميته « بابت سعاد » وهي معدودة من المشوبات . وقد شرحها كثيرون ، وشطرها غير واحد .

سيرته — بابت سعاد

علمنا في كلامنا على الخطيئة ان كعباً كأبيه زهير يهذب شعره ، وينتقي الفاظه ، ويتخير معانيه . واوردنا له ابياتاً يصف فيها نفسه والخطيئة بتنخل القوافي ^(١) وتثقيفها ، ولا عجب ان يشبه الولد اباه وهو سره . وسنرى في درسنا « مشوبته » ان له خاصة زهير في براعة التشبيه والتصوير الحسي ، وله خاصته ايضاً في ارسال الامثال الحكمية الرائعة . وقد نكون منصفين اذا قلنا : ان زهيراً وكعباً والخطيئة ينتحلون مذهباً ادبياً ذا صبغة واحدة . على اننا سنجد في شعر كعب كثيراً من اللفظ الغريب . وقد عزاه الدكتور طه حسين الى ان كعباً قلّد فيه استاذ ابيه اوس ابن حجر . ولعله مصيب برأيه ، فان زهيراً كان راوية اوس كما علمنا ، وعنه اخذ اسلوبه الوصفي وما فيه من التشبيه والصور المادية . وكان اوس جاهلياً قديماً يؤثر اللفظ الغريب في شعره . فجاء شعر كعب وعليه طابع المذهب الزهيري ، او المذهب الاوسي على رأي الدكتور ، مع اشارة الغريب من الالفاظ تشبهاً باستاذ ابيه . فنحن الان امام مذهب ندعوه زهيرياً او اوسياً اذا ذهبنا الى ابعد من زهير ^(٢) .

ولنشرع الآن في درس مشوبة كعب التي اعتذر بها الى الرسول . وقد استهلها

(١) القوافي : اي (قصائد) . (٢) يرى الدكتور طه حسين أن النابغة احد اسانذة المذهب الاوسي لان على شعره طابعه الخاص .

متغزلًا واصفًا ثغر حبيبتيه ، شاكيًا هجرها ، واخلافها ، ومواعيدها العروقية . قال :

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَشْبُولٌ ، مُتِمِّمٌ إِثْرَهَا ، لَمْ يُفِدْ ، مَكْبُولٌ ^(١)
وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ ، إِذْ رَحَلُوا ، إِلَّا أَغْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ ، مَكْبُولٌ ^(٢)
تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ ، إِذَا الْبَتْسَمَتْ ، كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ ، مَعْلُولٌ ^(٣)
شَجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءٍ مَحْنِيَةٍ ، صَافٍ بِأَبْطَاحٍ ، أَضْعَى وَهُوَ مَشْمُولٌ ^(٤)
تَنْفِي الرِّيحِ الْقَدَى عَنْهُ ، وَأَفْرَطُهُ ، مِنْ صَوْبِ سَارِيَةٍ ، بِيضُ يَعَالِيلٍ ^(٥)

(١) بانَتْ : فارقت . المتبول : الذي اسقمه الحب واضعفه . متيم : من استعبده الحب وأذله . لم يُفِدْ : أي لم يجد من يفديه أو لم يرد أن يفدي نفسه . المكبول : الأسير المقيد . يقول : قايي متبول متيم مكبول لم يُفِدْ . (٢) البين : الفراق . الأغن : صفة للظبي الذي في صوته غشة وهي صوت لذيذ يخرج من أقصى الأنف . غضيض الطرف : فاتره مسترخي الاجفان . والطرف : البصر . مكحول : أي مكحول الطرف . وخصها بهذا الوصف غداة البين لانها تكون عند الفراق حزينة منكسرة الاجفان . (٣) تجلو : تكشف . العوارض : الضواحيك من الانسان . ذي ظلم : أي ثغر ذي ظلم . والظلم : ماء الاسنان وبريقها وبياضها . مُنْهَلٌ : مسقي أول السقي . الراح : الخمر . معلول : مسقي تبعًا . وقولاه : عوارض ذي ظلم : اخلال بالفصاحة لتنافر الكلمات فقد اجتمع فيها ثلاثة احرف ذات مخرج واحد فتعسر النطق بها . (٤) شَجَّتْ : مُزجت . بذى شَم : أي بماء ذي شَبَم . والشَبَم : البرودة . المحنية : منعطف الوادي . وانما خص ماء محنية بالذكر لانه يكون اصفى وبارد ، لان الريح تتراكم فيه لانعطافه فتصفيه وتبرده . الابطاح : المسيل الواسع فيه دقاق الحصى . المشمول : من ضربته ريح الشمال ، وريح الشمال اشد تبريدا للماء من غيرها من الرياح . يقول : بتسم سعاد عن ثغر ريقه حلو بارد كأنه سقي خمرة ممزوجة بماء بارد صافٍ ضربته ريح الشمال فاشتدت برودته . (٥) تنفي : تطرد . القذى : ما يقع في الشراب والماء فيكدره . عنه : أي عن هذا الماء . افرطه : زاده وجعله يفيض عن ابطحه . الصوب : المطر . السارية : السحابة تأتي ليلا . البيض : فاعل افرطه . واختلف في معناها ف قيل انها الجبال . ونحن نرى انه اراد بها قطع السحاب . يعاليل : جمع يعلول : وهو القطعة الواحدة من السحاب وما تراكم منه بعضه فوق بعض . قال الكُمَيْت :

كَأَنَّ جُحَانًا وَاهِيًا السَّكَبِ فَوْقَهُ ، كَمَا اخْلُ مِنْ بِيضِ يَعَالِيلٍ يَسْكَبُ

ويجوز ايضا ان يكون قد كفى بالبيض عن البرد . وتكون يعاليل بمعنى النفاخات او الجباب . يقول متابعًا وصف برودة الماء وصفائه : ان هذا الماء الذي مُزجت به خمرة ثغرها تناوحه الرياح دائما فتبرده وتنفي عنه كل ما يكدر صفاءه . ويزيده قوة ومددًا ،

أَكْرَمَ بِهَا خُلَّةً أَوْ أَنْهَا صَدَقَتْ
لَكِنَّهَا خُلَّةٌ، قَدْ سَيْطَ مِنْ دِمَها
فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا،
وَلَا تُمَسِّكَ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ،
فَلَا يَفِرَنَّكَ مَا مَنَنْتَ، وَمَا وَعَدْتَ،
كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مِثْلًا،
أَرْجُو، وَأُمِّلُ أَنْ تَدُومَ مَوْدَتُهَا،
مَوْعِدُهَا، أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصْحَ مُقْبُولٌ^(١)
فَجَعْتُ مَوْعِدًا، وَإِخْلَافٌ، وَتَبْدِيلٌ^(٢)
كَمَا تَلَوْنُ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ^(٣)
إِلَّا كَمَا تُمَسِّكَ أَلْمَاءَ الْقَرَارِيلِ^(٤)
إِنَّ أَلَاءَ إِيَّايَ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلٌ^(٥)
وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْبَاطِلُ^(٦)
وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلٌ^(٧)

أثما ترى كيف تتراكم الصور الحسية في هذه الايات ويتبع بعضها بعضاً ، ولا سيما تشبيهه حلاوة الثغر وبرودته بنجمة شجيت بماء بارد ، ثم الحالفه بوصف هذا الماء ليبالغ في تصوير برودته وصفائه . وانظر الى قوله : « لكنها خلة قدسيط من

و يُقَيِّضُهُ عَنْ مَسِيلِهِ سَحْبٌ بَيَضٌ مِثْرَ كِمَّةٍ تَسْكُبُ عَلَيْهِ الْمَطَرُ ، وَهَذَا الْمَطَرُ مِنْ سَحَابٍ لَيْلِي . وَإِذَا الْمَاءُ تَدَفَّقَ عَنْ مَسِيلِهِ زَادَ صَفَاءً ، وَإِذَا امْطَرَهُ السَّحَابُ لَيْلًا بَقِيَ الْمَاءُ عَلَى أَصْلِهِ مِنَ الْبَرودة . أَوْ يَقُولُ : إِنَّ هَذَا الْمَاءَ زَادَهُ فَيَضَاءً بَرْدٌ تَحْدَرُ كَأَنَّهُ الْحَبَابُ أَوْ نَفَاخَاتُ الْمَاءِ مِنْ مَطَرِ غَمَامَةٍ لَيْلِيَّةٍ ، وَالْمَاءُ يَشْتَدُّ بَرودةً إِذَا سَقَطَ عَلَيْهِ الْمَطَرُ وَالْبَرْدُ مَعًا .

(١) أَكْرَمَ بِهَا : أَي مَا أَكْرَمَهَا . خُلَّةٌ : خَلِيلَةٌ . الْمَوْعِدُ : الْوَعْدُ . يَقُولُ : مَا أَكْرَمَهَا صَاحِبَةٌ لَوْ أَنَّهَا تَصْدَقُ وَعْدَهَا ، أَوْ لَوْ أَنَّهَا تَقْبَلُ النَّصْحَ فَيَمُنَ بِهَوَاهَا . (٢) سَيْطَ : خُلِطَ . مِنْ : بِمَعْنَى الْبَاءِ أَوْ فِي . الْفَجْعُ : الْإِصَابَةُ بِالْمَكْرُوهِ . الْوَكْعُ : الْكُذْبُ . الْإِخْلَافُ : عَدَمُ الْوَفَاءِ . تَبْدِيلٌ : أَي تَغْيِيرُ خَلِيلٍ بِخَلِيلٍ . يَقُولُ : لَكِنْ هَذِهِ الْخُلَّةُ خُلِطَ بِدِمَها صِفَاتُ الْإِسَاءَةِ ، وَالْكَذْبِ ، وَعَدَمُ الْوَفَاءِ وَتَغْيِيرُ الْأَصْحَابِ . (٣) تَلَوْنُ : أَي تَتَلَوْنُ ، تَلْبَسُ لَوْنًا بَعْدَ لَوْنٍ . الْغُولُ : حَيَوَانٌ وَهِيَ كَانَتْ يَتَوَصَّرُهُ الْعَرَبُ بِالْوَلَانِ مَتَنَبِيَّةٌ . يَقُولُ : هَذِهِ الْحَيِيَّةُ لَا تَدُومُ عَلَى حَالَةٍ مِنْ عَهْدِهَا بَلْ تَتَغَيَّرُ دَائِمًا كَمَا تَتَغَيَّرُ الْغُولُ فِي أَلْوَانِ أَثْوَابِهَا . (٤) تُمَسِّكَ وَتُمْسِكُ : وَاحِدٌ . الْعَهْدُ : الذِّمَّةُ . زَعَمْتَ : أَي زَعَمْتَ الْوَفَاءَ بِهِ . (٥) لَا يَفِرَنَّكَ : لَا يَخْذَعُكَ . مَنَنْتَ : مَا حَمَلْتُكَ عَلَى تَمَنِّيهِ . (٦) عُرْقُوبٌ : رَجُلٌ اشْتَهَرَ بِعَدَمِ الْعَرَبِ بِإِخْلَافِ الْوَعْدِ فَضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ . يُقَالُ لِلْمَوَاعِيدِ الْكَاذِبَةِ : الْمَوَاعِيدُ الْعُرْقُوبِيَّةُ . (٧) التَّنْوِيلُ : الْعِطَاءُ . يَقُولُ : إِنِّي مَعَ اتِّصَافِهَا بِالْخِفَاءِ وَإِخْلَافِ الْوَعْدِ وَعَدَمِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ لَا أَقْطَعُ الرَّجَاءَ مِنْ مَوْدَتِهَا . ثُمَّ التَّفَتُّ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخُطَابِ فَقَالَ لَهَا : وَلَا أَحْسِبُ أَنَّ لِي مِنْكَ عِطَاءَ أَرْجُوهُ .

دمها . . . » اراد ان يصفها بالكذب والاخلاف والفجع والتبديل فصور الك هذه الصفات ممزوجة بدمها . ثم انظر الى قوله : « إِلَّا كَمَا تُمْسِكُ الْمَاءُ الْغَرَابِيلُ » . . . فهو لم يجد لديه غير التصوير الحسي لتمثيل نكثها اليهود .

وان في تفجع كعب لفراق حبيته ، وفي شكواه جورها وهجرها ، للوعة تذكرنا لوعة ابيه عند فراق احبابه . واي لوعة ابلغ من قوله :

أَرْجُو وَأُمِّلُ أَنْ تَذْنُو مَوَدَّتْهَا ، وَمَا إِخَالُ لَدَيْنَا مِنْكَ تَنْوِيلُ
فَالْيَأْسُ وَالرَّجَاءُ يَعْتَلِجَانِ ^(١) فِي فَوَادِهِ ، وَاِنَّهُ لَا عِلاجَ أَلِيمَ .

وليس الوعة وحدها تذكرنا بابيه ، بل الحكمة ايضا وضرب المثل في قوله : « وَلَا تُمْسِكْ بِالْعَهْدِ . . . ، إِنَّ الْإِمَامِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ » . . . ، كانت مواعيد عرقوب . . . »

ثم ينتقل الى وصف الناقة فيدع ابداعاً قد يجاري فيه طرفه ، ويتلاعب بالمعاني تلائماً لم يسبقه اليه احد . وفي هذا القسم تكثر الصور المادية ، وتكثر الالفاظ الغريبة ايضا . قال :

أُمِّسْتُ سَعَادُ بِأَرْضٍ ، لَا يُبْلَغُهَا ، إِلَّا أَلْعَتَقُ النَّجِيَّاتُ ، أَلْمَرَّاسِيلُ ^(٢)
وَلَنْ يُبْلَغُهَا إِلَّا عُذَافَرَةٌ ، فِيهَا عَلَى الْآئِنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ ^(٣)
مِنْ كُلِّ نَضَاحَةٍ الذِّفْرَى ، إِذَا عَرَقَتْ ؛ عَرْضُهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ ، مَجْهُولُ ^(٤)

(١) يعتلجان : يتضاربان . (٢) لا يبلغها : أي لا يبلغ سعاد اليها . العتاق : النوق الكرام الاصول . النجيات : جمع نجبية وهي القوية الخفيفة الكريمة . المراسيل : جمع مرسل وهي الناقة السريعة رفع اليدين في السير . (٣) العذافرة : الناقة الصلبة العظيمة ، وهي تأكيد للمبيت الاول . فيها : أي في تلك الناقة . الآين : الاعياء والتعب . الارقال : ضرب من السير سريع . التبغيل : ضرب من السير سريع ايضا وهو فوق الخبب ودون الارقال . ولو ترقى لقال : تبغيل وارقال : ولكن ضرورة النظم احوجته الى ذلك . (٤) من كل نضاحة : اي من كل ناقة نضاحة . والنضاحة الكثيرة السيلان . الذفري : النقرة التي خلف اذن الناقة وهي اول ما يعرق منها . عرضتها : همتها وشغلها . الطامس : المندرس من طمس الطريق . الاعلام : جمع علم وهو العلامة . يقول : من كل ناقة يعرق ما وراء اذنها لشدة السير ، وهمة هذه الناقة ان تسلك طريقاً مندروساً العلامات مجهول المسالك .

تَرْمِي الْغُيُوبَ بَعَيْنِي مُفْرَدٌ لَهَقَ ؟ إِذَا تَوَقَّدَتِ الْخِزَانُ وَالْمِيلُ^(١)

ثم يعنى في وصف تلك الناقة وهو انما اراد بها ناقته ، وان جعل الكلام شاملاً لكل نجبية ، مرسل ، عذافرة . فيصف ضخامة عنقها وطولها ، وعظم وجنتيها ، ونعومة جلدها . الى ان يقول واصفاً اغلاسلها :

يَمْشِي الْقَرَادُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ يُزْلِقُ مِنْهَا لَبَانٌ ، وَأَقْرَابٌ زَهَائِلُ^(٢)

ثم يشبه وجهها في صلابته بمعمل من حديد او حجر مستطيل ، وذنبها بجريد النخل ، وقوائمها بالرماح الصلبة . وهي في سرعتها لا تمس الارض الا تحليلاً^(٣) ولا تحتاج الى تنعيم يقيها الحجارة لصلابة اخفافها^(٤) .

ويصف حركة ذراعيها وسرعة تقلبها ، فيرينا صورة مادية رائعة لم يُسَبِّقَ اليها . فانظر كيف يشبه هذه السرعة ، وكيف يستطرد معها الى وصف شدة الحر :

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرَقَتْ ، وَقَدْ تَلَفَعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ^(٥)

(١) الغيوب : جمع غيب . مفرد : اي ثور وحشي مفرد . لهق : أبيض . الخزان : الامكنة الغليظة الصلبة ، مفردها الخزير . الميل جمع ميلاء وهي العقدة الضخمة من الرمل ، اي ما تماقد وتراكم منه . يقول : هذه الناقة ترمي الغيوب بعينين كأنها عينا ثور وحشي مفرد . والثور الوحشي لا ينفرد عن حليلاته الا اذا طارده القناص ، فيكون في ذلك الحين شديد الخذر فيرمي القيوم بعينيه اي انه تترأى له في الغيب اشباح فيجئ جنونه ويشتد عدوه . وهذه الناقة كأن لها عينييه وتنتظر مثله الى الغيوب . وقوله : اذا توقدت الخزان والميل : اي اذا اشتدت الحرارة وتوقد الحجير في تلك الامكنة الغليظة الصلبة وفي تلك العقد الرملية . فيكون فضل الناقة اكبر اذا اسرعت في الحر الشديد وفي الطريق الوعر المسالك . وقوله : ثور ابيض : دلالة على ان عيني ناقته سوداوان لان بياض الثور الوحشي دليل على سواد عينييه . (٢) القراد : جمع قرادة وهي حيوان صغير يلزق بالدابة . (اللبان : الصدر . الاقرب : جمع قرب وهو الخاصرة . زهاليل : جمع زهلول وهو الاملس . اي يزاق القراد عنها اغلاسل صدرها وخواصرها . (٣) مست الارض تحليلاً : اي مساً يسيراً . كما يخلف الانسان ليفعلن هذا الشيء فيفعل منه اليسير ليتحلل به من التسمم . (٤) الاخفاف : جمع خف وهو للناقة بمنزلة الحافر لغيرها . (٥) الأوب : سرعة التقلب . تلفع : التنفخ . القور : جمع قارة وهي الجبل الصغير . العساquil : السراب مفردها عسقول . وقوله : بالقور العساquil : من القلب : أي تلفع القور بالعساquil . وقوله : اذا عرقت : تأكيد لقوتها وصلابتها لانها اذا كانت في غاية الاسراع في الحر الشديد ، فما بالك بها في غيره . يقول : كأن

يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحَرْبَاءُ مُضْطَجِدًا ، كَأَنَّ ضَاحِيَةَ الشَّمْسِ مَمْلُوءٌ ،^(١)
 وَقَالَ لِلْقَوْمِ هَادِيهِمْ ، وَقَدْ جَعَلْتُ وَرَقَ الْجُنَادِ بِرُكْنٍ خَصِي : قِيلُوا^(٢)
 شَدَّ النَّهَارُ ، ذِرَاعًا عَيْطَلُ نَصَفِ ، قَامَتْ ، فَجَاوَبَهَا نُسُكْدُ مَثَا كَيْلُ^(٣)
 نَوَاحِي ، رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ ، لَيْسَ لَهَا ، لَمَّا نَعَى بِكَرْهَا النَّاعُونَ ، مَعْقُولُ^(٤)
 تُفْرِي اللَّبَانَ بِكَيْفِهَا ، وَمَدْرَعَهَا مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَا ، رَعَايِلُ^(٥)

سرعة تقلب ذراعيها اذا عرقت ، وقد تافعت الجبال بالصراب لاشتداد الحر . وسيأتي خبر
 كأن بعد استطراده الى وصف الحر .

(١) الحرباء : حيوان معروف يتلون بجزء الشمس ويضرب به المثل بالبرد . فيقال :
 اصرد من عين الحرباء اي ابرد ، لانه يدور مع الشمس ويستقبلها بعينه ليستدفي ، مؤنثه :
 حرباءة . مضطجداً : محترقاً بجزء الشمس . الضاحي : البارز للشمس . المملول : المملول : الخبز
 المملول في الملة وهي الرماذ الحار والجمر . يستطرد الى وصف الحر ليبالغ بقوة ناقته
 وصرعتها على اشتداد الحرارة ، فيقول : في ذلك اليوم يحترق الحرباء من حرارة الشمس .
 واذا احترق الحرباء على شدة برده وحبه للشمس ، فالحرارة اذا لا تطاق . ثم يقول : كأن
 الشخص او الحرباء البارز للشمس في ذلك اليوم لاحتراقه ، خبز مملول في الملة . والضمير
 في ضاحيه عائده على اليوم . (٢) الهادي : حادي الابل . الورق : جمع أوراق وورقاء
 وهو الاخضر الذي يضرب الى السواد . الجنادب : ضرب من الجراد مفردا جندب .
 يركضن : يضربن بارجلهن . قيلوا : أمر من قال يقليل قيلولة : وهي الاستراحة وقت
 شدة الحر . يقول : هذا اليوم من شدة حره كان الهادي الذي ينشط الابل على السير يقول
 للركب : قيلوا . وقد جعلت الجنادب الحضر تضرب الحصى بأرجلها لا تستطيع الطيران
 لاعيائها من شدة الحر . (٣) شدَّ النهار : منصوبة على الظرفية أي كان ذلك وقت ارتفاع
 النهار . ذراعاً عيطل نصف : خبر كأن في قوله : كأن أوب ذراعيها . العيطل : المرأة
 الطويلة . النصف : التي بين الشابة والكهولة . قامت : طفت تنوح وتلطم وجهها . نكد :
 جمع نكداء وهي المرأة لا يعيش لها ولد . مثاكيل : جمع مثكال وهي الكثيرة الشكل .
 يقول : كأن أوب ذراعي هذه الناقة ، في مثل هذه الحالات ، أوب ذراعي امرأة طويلة
 متوسطة في السن طفت تنوح وتلطم وجهها فتجاوبها نساء مثاكيل لا يعيش لهن اولاد . شبه
 تقلب ذراعي ناقته في السير وسرعتها بتقلب ذراعي الشكلى وسرعتها في اللطم . وقد جعلها
 امرأة نصفاً لانها تكون في حين استكمال قوتها وبلوغ اشدها ، فتأتي حركتها اسرع وامكن
 في القوة . (٤) الضبعين : المضدين وهو غليظ الذراع بين المرفق والكتف . ومتى كانت
 مسترخية (المضدين) فتكون اسرع حركة من غيرها . (٥) تفري : تقطع . اللبان : الصدر .
 وأل فيه نائبة عن الضمير والاصل لبانها . المدرع : القميص . التراقي : جمع تردوة :

وبعد ان ينتهي من هذه الصورة القصصية البارزة الجمال ، ينتقل الى مدح النبي والاعتذار اليه ، ومدح المهاجرين من قویش . وفي هذا القسم ترقّ الفاظه ؛ ويقلّ غريبه الا في وصف الاسد ، ولا بدع فانه مقام استعطف ولين . والشاعر الجاهلي يجعل لكل مقام مقالا ، فاذا تغزل او استعطف او رثى رقت عاطفته ورتت ألفاظه ، واذا افتخر او مدح اشتدت عاطفته ؛ فتجذل الفاظه ، ويشد اسرها . واذا وصف ناقته والقفار الموحشة والسباع الضارية ، خشت عاطفته ، وخشت ألفاظه معها . وفي هذا القسم تنتهي « مشوبة » كعب . قال :

تَسْعَى الْوُشَاةُ جَنَابَيْهَا ، وَقَوْلُهُمْ : «إِنَّكَ يَا أَبْنَى أَبِي سُلَيْمٍ لَمَقْتُولٌ»^(١)
 وَقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ ، كُنْتُ أَمْلُهُ : «لَا أَلْهِينَكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولٌ»^(٢)
 فَقُلْتُ خَلُوا سَبِيلِي ، لَا أَبَاكُمْ ! فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولٌ^(٣)
 كُلُّ ابْنِ أَنْثَى ، وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ ، يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولٌ^(٤)
 نُبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي ، وَأَعْفُو عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ كَمَا مُمُولٌ^(٥)
 مَهْلًا هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً آآ قُرْآنٍ فِيهِ مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلٌ^(٦)

وهي مقدمة الخلق في اعلى الصدر حيث يترقى النَفْس . رعابيل : جمع رُعْبُول وهو القطعة من الشيء . يقول : هذه المرأة تقطع صدرها بأناملها لذهاب عقلها من الحزن ، وقبصها مشقوق عن عظام صدرها ، وقد تمزق فهو قطع كثيرة . وحاصل المعنى : لما كانت هذه المرأة مسلوبة العقل صارت لا تحس ما تلاقي من الالم في بدنها وما تقطعه من ثيابها . والمراد من تشبيه الناقاة بها في الحالة المذكورة ان (ناقاة صارت مسلوبة الادراك فلا تحس ما تلاقي من مشاق السير ، فهي في جنونها وسرعة حركتها اشبه شيء بهذه المرأة الشكلى .

(١) الوشاة : أي الذين وشوا به الى الرسول . جنابيهما : ناحيتيها والضمير يعود على الناقاة . وقد اعاده ابن هشام على سعاد ، وهذا خطأ منه لان كلام الشاعر على ناقته والوشاة يسمون جنابيهما ، لا جنابى سعاد ، ويقولون له : انك مقتول . وقولهم : اي في حال قولهم لي . مقتول : اي صائر الى القتل مجاز مرسل . فهم يزيّدونه نكايه بعد وشايتهم به . (٢) كنت أمله : أي ارجو اعاقته . لا ألهينك : لا أشغلك عما انت فيه من الفزع والخوف ، فانا مشغول عنك بامور نفسي : (٣) لا ابا لكم : اي لا ابا حراً لكم . (٤) آلة حدباء : كناية عن النعش . (٥) أوعدني : هددني . (٦) هداك : ارشدك ، دعاء له . وهذا وما بعدها الى آخر البيت جملة اعتراضية بين قوله : مهلاً ، والبيت التالي . النافلة : العظيمة الزائدة على

لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ ، وَلَمْ
لَقَدْ أَقَوْمُ مَقَامًا ، لَوْ يَقُومُ بِهِ ،
لَظَلَّ يُرْعَدُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ
حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي ، لَا ، أَنْزَعُهُ ،
لَذَلِكَ أَهَيْبُ عِنْدِي ، إِذَا أَكَلَّمَهُ ،
مِنْ خَادِرٍ ، مِنْ لُيُوثِ الْأَسَدِ ، مَسْكِنُهُ ،
يَعْدُو ، فَيَلْحَمُ ضُرْغَامِينَ ، عَيْشَهُمَا
إِذَا يُسَاوِرُ قَوْمًا ، لَا يَحِلُّ لَهُ

أُذِنَبَ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ ^(١)
أَرَى ، وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفِيلُ ^(٢) ،
مِنْ الرَّسُولِ ، بِإِذْنِ اللَّهِ ، تَنْوِيلِ ^(٣)
فِي كَفِّ ذِي نَقَمَاتٍ ، قِيلَهُ الْفِيلُ ^(٤)
وَقِيلَ : « إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولٌ » ^(٥)
مِنْ بَطْنِ عَشْرِ ، غِيلٌ ، دُونَهُ غِيلٌ ^(٦)
لَحْمٌ مِنْ أَلْقَوْمٍ ، مَعْفُورٌ ، خَرَادِيلُ ^(٧)
أَنْ يَتْرَكَ الْقِرْنَ ، إِلَّا وَهُوَ مَجْدُولٌ ^(٨)

ما يجب من العطاء . تفصيل : من فصل الكلام اذا بينه خلاف اجمله : يقول منتقلاً من
الغيبة الى الخطاب : هداك من خصك بالعطية الزائدة وهي القروآن الذي فيه المواعظ والآيات
المفصلة .

(١) لا تأخذني : لا تهمني وتستدني بسبب اقوال الوشاة . (٢) يقوم به : فاعله
الفيل المحذوف دل عليه ما بعده . يقول : لقد حضرت مجلساً هائلاً لو حضره الفيل ، ورأيت
امراً عظيماً ، وسمعت كلاماً عجباً ، لو رآه وسمعه الفيل لظل . . . في البيت التالي . (٣) يرعد :
تأخذه الرعدة من الفزع . وانما خص الفيل بذلك لانه اراد التعظيم والتهويل ، والفيل اعظم
الحيوانات جثة وأضخمها . التنويل : العطاء واراد به التامين . اي الا ان يكون له تامين
من الرسول . (٤) حتى وضعت يميني : يشير الى وضع كفه بكف النبي ليبايعه على الاسلام .
وقوله : لا انازعه : اي لا اخالفه . ذي نقمات : ذي سطوة ويريد به (النبي) . قيله الفيل :
اي قوله هو القول النافذ . يقول : بقيت خائفاً في هذا المجلس حتى وضعت يدي ماموناً في كف
ذي سطوة قوله هو القول النافذ فاسلمت طائماً له لا اخالفه في شيء . (٥) لَذَلِكَ : أي محمد .
أهيب : أَرَهَب . منسوب : اي منسوب لك امور انت مسئول عنها . (٦) الخادر : الاسد
في خدره أي أجمته . ومن : متعلق باهيب أي اهيب من خادر . ليوث الاسد : أي اجلد
الاسود . عثر : مكان تكثر فيه السباع . الفيل : أجمة الاسد . يقول : ان النبي أهيب
عنده من اسد خادر جلد مسكنه اجمة وراء اجمة من بطن عشر : يريد ان الاسد متى كان كذلك
يكون اشد توحشاً وضراوة . (٧) يلحَم : يُطعم لحماً . ضرغامين : اسدين ويريد بها
ولديه . معفور : ملقى على التراب . خراديل : جمع خردلة وهي القطعة الصغيرة . يتابع
وصف ضراوة الاسد فيقول : يذهب في اول النهار يتطلب صيداً لولديه فيطعمهما لحماً ، وقوت
هذين الشبلين لحوم الناس تلقى امامهما على التراب ، وهذا اللحم قطع صغيرة ليسهل عليها تناوله .
(٨) يساور : يواثب . القِرْن : الحَصم المقارن في الشجاعة وغيرها . اشارة الى ان هذا

مِنْهُ تَظَلُّ سِبَاعُ الْجَوْرِ ضَامِرَةٌ ، وَلَا تَمَسُّ بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ ^(١)
 وَلَا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ ، مُطَرِّحُ الْبَزِّ وَالْدَرَسَانَ ، مَا كُولُ ^(٢)
 إِنْ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ، مُهَنْدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ ، مَسْلُولُ ^(٣)
 فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، قَالَ قَاتِلُهُمْ بِيْطَنُ مَكَّةَ ، لَمَّا أَسْلَمُوا : «زُولُوا» ^(٤)
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ ، عِنْدَ الْإِقْدَاءِ ، وَلَا مِيلٌ مَعَاذِيلُ ^(٥)
 شَمُّ الْعَرَانِينَ ، أَبْطَالٌ ، لَبُوسُهُمْ ، مَنْ نَسَجَ دَاوُدُ فِي الْهَيْجَا سَرَائِيلَ ^(٦)
 بِيضٌ سَوَابِغٌ قَدْ شَكَّتْ لَهَا حَلَقٌ ، كَأَنَّهُ حَلَقُ الْقَفْعَاءِ ، مَجْدُولُ ^(٧)

الاسد لا يواثب الضعيف والجبان . مجدول : ملقى على الجذالة وهي الارض . يقول : هذا الاسد لشدته لا يتأتى له الا ان يجدل قرنه عندما يواثبه .

(١) الجَوْر : ما اتسع من الاودية . ضامرة : ساكنة هادئة . تمس : أي تمسح .
 الاراجيل : جمع اراجل ، جمع أرجلة ، جمع رجيل وهو الرجل ضد الفارس . والاراجيل
 الصيادون . يقول : تخاف من هبة هذا الاسد سباع الوادي فهدأ وتسكن ، ويخاف منه
 الرجال او الصيادون فما يشون بواديه . (٢) اخو ثقة : أي شجاع موثوق بشجاعته . المطرح :
 المطروح . البز : هنا السلاح . الدرسان : الثياب الخلقفة التي درست مفردها درس .
 ماكول : صفة اخرى لقوله : اخو ثقة . يقول : لا يزال مجندلاً في واديه شجاع
 مطروح السلاح والثياب البالية ، ماكول لحمه . (٣) يستضاء به : أي يهتدي به أي سيف
 هداية لا سيف ضلال . مهند : منسوب الى الهند وهو احسن السيوف . مسلول : أي مسلول
 على الكفار (٤) في فتية : جمع فتى وهو السخي الكريم وان كان شيخاً . والجار متعلق
 بمسلول . بطن مكة : وادعها وبطحاؤها . أسلموا : دانوا بالاسلام . زولوا : هاجروا .
 وانما خص قريش بالذكر لان غالب المهاجرين كانوا منها . (٥) انكاس : جمع نكس وهو
 الرجل الضعيف . كُشِف : جمع اكشف وهو الذي لا ترس معه في الحرب . ميل جمع
 أميل : وهو الذي لا يثبت في الحرب او على ظهر جواده . معاذيل : جمع معزال وهو الذي
 لا سلاح معه . يقول : هاجروا ولكن لم يهاجر منهم ضفاف بل شجعان لا كُشِف ولا ميل ولا
 معاذيل . (٦) شَم : جمع أشم وهو العالي المرتفع . العرائين : جمع عرينين وهو الانف . وشم
 العرائين : كناية عن الانفة والاباء . الهيجا : الحرب . سرايل : جمع سربال وهو الدرغ . أي
 لبوسهم في الحرب دروع من نسج داود وهي سابفات الدروع ، ويسبونها الى النبي داود .
 (٧) بيض : صفة اولى لسرايل والمراد منها المجلوة المصقولة لاستمرار حروبهم فلا يركبها
 الصهداء . السوابغ : جمع سابعة وهي صفة ثانية لسرايل والمراد منها الطوال . واذا كانت

لَا يَفْرُحُونَ ، إِذَا نَالَتْ رِمَاحُهُمْ ، قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا ، إِذَا نِيلُوا ^(١)
يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرِ ، يَغْصُهُمْ ضَرْبٌ ، إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ ^(٢)
لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُجُورِهِمْ ، وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ ^(٣)

فقد رأيت كيف ان كعباً مدح الرسول بأسلوب جاهلي صرف ، دون ان يشير الى فرض من فروض الدين الاسلامي ، او الى آية من القرآن ؛ ذلك بانه كان يحجل حقيقة الاسلام يوم نظم قصيدته ، وهو لم يُسلم الارهبة و فرقا . فاذا قابلنا مدحه بالقصيدة التي نسبت الى الاعشى في مدح الرسول ، تبين لنا الفرق بينهما ، وعرفنا الصحيح من المنحول . ولولم تكن هذه القصيدة قيلت في النبي واشتهر كعب بها ، لما جاز لنا ان نعدده من الشعراء المخضرمين لان النفس الجاهلي فيه اقوى من النفس الاسلامي .

وبعد ، فان في هذه الابيات ما في غيرها من تأثير المذهب الزهيري ، فالصور

الدرع سوابغ ثقل حملها الا على الاقوياء فسدل بذلك على قوتهم . شكت لها حلق : أي دخل بعضها في بعض . القفعا : شجر ينسط على وجه الارض له حلق يشبه به حلق الصدر . وحاصل معنى البيت ان دروعهم صافية مجلوة مصقولة طويلة تامة تداخل بعضها في بعض محكمة الصنعة . (١) نالت : اي اصاب . مجازيع : جمع مجزاع وهو كثير الجزع والخوف . نيلوا : أصيبوا . يقول : انهم اذا غلبوا عدوهم لا يفرحون بذلك لكونه من عادتهم ان يغلوه ، واذا غلبهم العدو لا يجزعون من لقائه ثانياً لشقتهم بالقلب عليه روى ابن سلام وابن قتبية انه : « لما بلغ كعب قوله : ذالوا فما زال انكاس التفت الرسول الى من عنده من قریش كأنه يومئ اليهم ان يسمعوا ما يقول فيهم ابن زهير » . (٢) الزُّهر : جمع ازهر وهو الابيض . يغصهم : يمتلئهم ويحجمهم . ضرب : اي ضربهم الاعداء بالسيف . عرَد : هرب . السود : اي الجمال السود . التَّنَائِيل : جمع تنبال وهو القصير . يقول : يمشون الى الحرب مشي الجمال البيض : وهي احسن الجمال جسماً وقوة - يحجمهم ضربهم الاعداء ، اذا ما هرب غيرهم من الحرب كما تهرب من الاحمال الجمال السود القصار - وهي اُردأ الجمال - وفي هذا البيت يعرض بالانصار قريضاً غير ظاهر ولكن دل عليه سكوته عن مدحهم . وما كان من غلظتهم عليه عند قدومه . (٣) حياض : جمع حوض وهو مجمع الماء . وحياض الموت : موارد واشد مواقف الحرب خطراً . وهو تشبيه اضافي مؤكد أي موت كحياض الماء ترده الناس . تهلل : تأخر . يقول : لا يقع طعن الاعداء في ظهورهم بل في نخورهم لانهم لا ينهزمون ولبس لهم تأخر عن موارد الحمام .

المادية قوية ، ولا سيما تشبيه النبي بالاسد ، ثم وصف هذا الاسد وصفاً قصصياً عوفناه
بزهير . وتظهر لنا حكمة زهير في قوله : « كل ابن أنثى وان طالت سلامته ... »
ويظهر لنا إيمان زهير على جاهليته في قوله : « فكلُّ ما قدَّر الرحمنُ مفعولٌ ... »

وما اجمال التصوير على بداوة المعنى في وصفه هيبية الرسول ، وما يستولي من
الفرع على المائل في حضرته . وكان الشاعر اراد الاعتذار عن خوفه فلم يجد غير
الفيل الضخم مثالاً للجرأة فقال ، لو وقف الفيل موقني ، ورأى ما رأيت ، وسمع
ما سمعت ، لظلَّ يُرعد ، فلا لوم عليّ اذا هبت الرسول فهو أهيب عندي من اسد
في بطن عثر ، كثير الصيد ، شديد الضراوة .

أو ليس في هذا الاعتذار ، وفي ذاك التمثيل سداجة جاهلية خشنة ، ولكنها
لطيفة مستحبة ؟ ...

مفرته

عدّه ابن سلاّم في الطبقة الثانية قبل الخطيئة . ولو جاز لنا ان نبني حكماً
صحيحاً على شعره ؛ وليس لدينا منه ما يعتمد به غير مشوبته ، لقلنا : ان له من
البراعة والتصرف في المعاني ما يضعه في مصاف افحل الشعراء الجاهليين . وحسبنا ان
ننظر الى تفننه في وصف الماء بعد ان مزج به الحمة التي علّ بها ثغر سعاد ، ثم الى
تفننه في وصف حركات المرأة الشكلي بعد ان شبه ذراعي ناقتة بذراعيها في السرعة
والتقلب ثم الى الحاحه في وصف ضراوة الاسد بعد ان فضّل الرسول عليه في الهيبة .
حسبنا ان ننظر الى كل ذلك لنبتين منزلة الشاعر السامية ، وبراعته في سوق المعاني
والتلاعب بها والغوص على دررها البعيدة القوار .

وقصارى القول ان كعباً شاعراً بارع الفن ، ورساماً بديع التصوير ، ومخترع
واسع الخيلة واحد اساتذة المذهب الزهيري .



حسان بن ثابت الانصاري

٦٧٠ م و ٥٥٠ هـ (?)

حياته : يعني الاصل، يثري النشأة . لقي حظوة عند الفساسة فمدحهم . اسلم في جملة من اسلم من الانصار . حسان الجبان . حديث صفية بنت عبد المطلب . فخره بسيفه أمام الرسول . حسان الشاعر . هجوه المشركين . استرشاده بابي بكر . موته في خلافة معاوية .

آثاره : ديوان فيه شعر كثير في اغراض مختلفة . من اصحاب المذاهب . نسبت اليه اشعار ليست له .

ميزته : شاعر الرسول . في فضاله عن النبي يصور حالة عصره . سبب وصول شعر حسان اليما . فن الشعر السياسي الصحيح . جهاد بين انصار الدين القديم وانصار الدين الجديد . الاقذاع والفحش . موقفه الخرج في الهجو وطريقته المؤلمة . صدق هجائه وأمله بالشواب . الفاظ جديدة احدثها الاسلام . مدحه : يعني بوصف شمائل الرسول، وقصديق الرسالة، ويعرض بمن يكذبا . مدح جديد فطري صقله الدين . شعره التاريخي : نيزة من تاريخ الصدر الاول للاسلام . يذكر غزوات النبي ومن قتل . شعره في الجاهلية . بين الجاهلية والاسلام . لا يتسع له الخيال . اكثر قصائده قصيرة . شعره الجاهلي أوسع خيالا . يخلو شعره من التشايب التمثيلية . لا يتم الوصف . كثير القطع في مطالعته سريره . سبب ذلك . رأي الاصمعي . اللين والاسفاف . سببها . مقلته : شاعر مؤرخ، مجدد، طليعة الشعراء السياسيين .

حياته

هو حسان بن ثابت بن المُنذر بن حوَّام من بني النَجَّار من قبيلة الخزرج ، ينتهي نسبه الى قحطان . فهو يعني الاصل يثري النشأة . وكان يُكنى ابا الوليد ، وأبا عبد الرحمن وأبا الحسام . وقد لقي حظوة في الجاهلية عند ملوك غسان فمدحهم

واسترفدهم ، فأفاضوا عليه النعم ، فحفظ لهم الجميل ، وبقي يذكروهم بالخير الى آخر عمره .

ولما ظهر الاسلام ، وهاجر النبي الى يثرب ، اسلمت الأوس والخزرج ، واسلم حسّان معهم فكان في جملة الانصار .

حسان الجاه

ولكنه كان جباناً شديد الجبن ، فلم يجرد سيفاً لنصرة الرسول ، ولا شهد واقعة من وقائع المسلمين واهل الشرك . بل كان يتخلف في المنازل مع النساء والاولاد . حدثت صَفِيَّة بنت عبد المطلب قالت : « كنت يوم الخندق ^(١) في فارع ^(٢) حصن حسّان بن ثابت ؛ وكان حسّان معنا فيه مع النساء والصبيان ، فربنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن . وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ، وليس بيننا وبينهم احد يدفع عنا ، ورسول الله والمسلمون في نخور عدوهم ، لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذا اتانا آت . فقلت : « يا حسّان ، ان هذا اليهودي ، كما ترى ، يطوف بالحصن ، واني والله ما آمنه ان يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله واصحابه ، فانزل اليه فاقتله . » فقال حسّان : « يَغْفِرُ الله لك يا ابنة عبد المطلب ، لقد عرفت ما انا بصاحب هذا . » فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئاً ، اعتجرت ^(٣) ثم اخذت عموداً وتزلت اليه من الحصن فضربت به العمود حتى قتلته . فلما فرغت منه رجعت الى الحصن

(١) يوم الخندق ويقال له غزوة الاحزاب : هو يوم بين النبي والاحزاب في السنة الخامسة للهجرة . وسببه ان يهود المدينة بني قريظة والنضير حزبوا الاحزاب على الرسول وقدموا مكة ودعوا قريباً الى مجاربتهم ، وقالوا : نحن معكم حتى نستأصله . فاجابوهم الى ذلك . ثم اتوا غطفان ودعوهم فاجابوا ايضاً . وسمع الرسول بالخير فامر بحفر الخندق في المدينة ، ثم التقى الجيشان فاشتد الامر على المسلمين ، فبعث الرسول الى قائدي غطفان ان يرجعا على ان يعطيهم ثلث ثمار المدينة . ثم اختلفت قريش واليهود ، وهبت عليهم ريح شديدة في ليل شائية ، فرجموا ورجعت غطفان لرجوع قريش وانتهى القتال . (٢) فارع : مرتفع . (٣) اعتجرت المرأة : لبست المعجر وهو ثوب تشده على رأسها .

فقلت : « يا حسان انزل اليه فاسلبه ، فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل . » قال :
« ما لي الى سلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب . »

وانشد حسان النبي يوماً قوله :

لَقَدْ غَدَوْتُ أَمَامَ الْقَوْمِ مُنْتَطِقًا بِصَارِمٍ مِثْلَ لَوْنِ الْمِلْحِ قَطَاعٌ ^(١)
تَحْفِزُ عَنِّي نَجَادَ السَّيْفِ سَابِغَةً ، فَضْفَاضَةً مِثْلَ لَوْنِ النَّهْيِ بِالْقَاعِ ^(٢)

فضحك النبي لوصف حسان نفسه بما تصف به الفرسان نفسها وهو يعلم جنبه .

مسانه الشاعر

ولئن فات حسان ان يدافع عن نبيه بحسامه ، لقد اتيح له ان يناصره بلسانه ،
وهو سلاحه الوحيد الذي كان يستطيع ان يشهره على الاعداء . فاصبح شاعر
الرسول يدحه ويرد على من يهجمه من شعراء قريش . وكان النبي يقول له : « اهجمهم
وروح القدس معك ، واستعن بالي بكر فانه علامة قريش لانساب العرب . » فكان
ابو بكر يدله على معايب القوم ومثالبهم . ويقول له : « كف عن فلانة واذكر
فلانة ، وكف عن فلان واذكر فلاناً . » فكان يفعل ومحمد يعطيه ويحسن له
الجائزة ، وقد وهبه سيرين القبطية اخت مارية أم ولده ابراهيم ، فولدت له عبد
الرحمن الشاعر . وما زال حسان يعيش من مال المسلمين حتى مات بعد ان كُفَّ بصره
في اواخر ايامه . وكانت وفاته بالمدينة في خلافة معاوية ، وهو من المعمرين .

(١) منتطقاً : شاذاً وسطه . بصارم : سيف قاطع . مثل لون الملح : اي ابيض . قطاع :
مبالغة في القطع . (٢) تحفيز : تدفع . نجاد السيف : حمائله . سابغة : درع طويلة نامة .
فضفاضة : واسعة . النهي : الغدير . القاع : سهل مطمئن انفرجت عنه الجبال . وقوله :
تحفيز عني نجاد السيف : اي انه يقصد نجاد سيفه على درع سابغة في فاصل بينها فكأنها تدفع
السيف عنه . وقوله : مثل لون النهي بالقاع : اي انها مجلوة بيضاء كلون الغدير . وقوله :
بالقاع : اي ان المياه صافية لجريها في مطمئن من الارض ، شبه بها صفاء الدرع وبياضها .

ديوان فيه قصائد كثيرة في المدح والهجاء والثناء والغزل والفخر . وهو من اصحاب المذاهبات ^(١) ومطلع مذهبه :

لَعَمْرُ اَيْبِكَ الْحَيْرِ ، يَأْسُغْتُ مَا نَبَاً عَلَيَّ لِسَانِي ، فِي الْخُطُوبِ وَلَا يَدِي ^(٢)

ونسبت اليه اشعار ليست له . قال ابن سلام : « وقد حُمِلَ على حسان ما لم يُحْمَلْ على احد ، لما تعاضت ^(٣) قريش وضعوا عليه اشعاراً كثيرة لا تليق به . »

سيرته — ساعر الرسول

لحسان شعر جميل في الجاهلية لا يُبْخَسُ حقه ، وقد يكون اجود من شعره في الاسلام كما يزعم الاصمعي . ولكن شهرة حسان قامت على انه ساعر الرسول ، فينبغي لنا ان ننصف الى درس هذه الميزة التي خُص بها دون غيره لنتبين سرها ونزور حصاتها . فان لشعر حسان منزلة ليست لسواه من شعراء الصدر الاول . فهو في نضاله عن النبي يصور حالة ذلك العصر اصدق تصوير ، ويمثل حقيقة تهاجي الانصار والقرشيين وما في هذا الهجو من فُحش واقداع . فنحن مدينون لشعر حسان في درس هذا النوع الجديد الذي دخل على ادابنا العربية ، ولو لم يصل اليها شعره لما تسنى لنا ان نقف على حقيقة هذا النوع ، ونتبين خصائصه بشكل واضح مُبين .

ولسنا نعجب لوصل شعر حسان على ما فيه من هجاء مقذع ، فان الرواة لم يتحرجوا من حفظه وروايته ، وكلُّه ذود عن بيضة الدين ، ولكنهم تحرجوا وانفوا

(١) المذاهبات : اي المكتوبة بماء الذهب او التي تستحق ان تكتب بماء الذهب .
(٢) الحير : نعت لايبك . شعث : يريد بها شماء صاحبه . ويجوز ان تقول : يا شعث بالفتح على تقدير الترخيم . نبا : امتنع ، والتوى . الخطوب : الامور . يقول : مقسماً : لعمر ايبك الكريم يا شماء ان لساني لم ينب في الخطوب ولا نبت يدي . و اراد بيده سيفه الذي تحمله يده . (٣) تعاضت : جاءت بالزور والبهتان . يريد يوم كانت تجاهد النبي وضعت على حسان شعراً سخيلاً ساقطاً لا يليق به .

من ذكر شعر هُجِّي به الرسول . ولعلنا نستطيع ان ندرك مبلغ اهمال اشعار القوشيين والتأثم من روايتها ، في حديث لعبد الله بن الزبُعرى بعد اسلامه . وذلك لما قدم المدينة في صحبة رضرار بن الخطاب لملاحاة حسان ، فقال ابن الزبُعرى : « يا ابا الوليد ان شعرك يُحتمل في الاسلام ولا يُحتمل شعرنا ، وقد احببنا ان نُسمعك وتُسمعنا . » فاذا كان ابن الزبُعرى يستنكر رواية شعره بعد ان اسلم ، فالرواة اولى بان يطمسوه ولا يحفظوه .

فنحن اذاً في درسنا شعر حسان نطالع صفحة تاريخية جليلة ، ونطلع على فن جديد الا وهو فن الشعر السياسي الصحيح ، ونقول : الصحيح ، لان العرب في جاهليتهم عرفوا شيئاً منه في منافراتهم ومفاخراتهم ، ولكنه كان ضئيلاً ضعيف الاثر ، لا يستند في كثرتة الى عقيدة صحيحة ، وربما قصد منه التكبس كما كان يفعل الاعشى والحطيئة .

ومن المعلوم ان المنافرات في الجاهلية كانت تجري بين شخصين او بين قبيلتين ، كما وقع لتغلب وبكر في حضرة عمرو بن هند ، ولكن تأثيرها الموضوعي لم يكن له من القوة ما يجعل لها هيكلًا قائمًا بنفسه ، او يخلق منها فناً مستقلاً عن غيره . واما الشعر الذي نحن بصددده فهو حرب عوان بل جهاد عنيف بين انصار الدين القديم وانصار الدين الجديد سُحذت له القرائح ، وانطلقت الالسنه حداداً ، لا للتكسب والاستجداء ، بل للدفاع عن سلطتين دينيتين زمنيتين تتنازعان البقاء . فلا غرو ان يترك هذا الجهاد اثرًا قويًا في الادب . ويكون فاتحة الشعر السياسي الصحيح الذي سنراه مزدهراً في الصدر الثاني للاسلام . ثم لا غرو ان نجد في هذا الشعر اقذاً شديداً لم نعهده من قبل ، فهو وليد عصبية قوية ، احدثت في النفوس ميلاً غريباً الى النكاية والتشفي ، فلم يقصر الشعراء هجوهم على التعبير بالانكسارات او على نيل المهجو من منزلته الاجتماعية ، بل صاروا الى ابعاد من ذلك مدى ، وابلغ ايلاماً : الى نهش الانساب ، وتزويق الاعراض . ففي شعر حسان كثير من الابيات التي ينعنا الادب من روايتها ، ولا بد ان يكون مثلها في شعر ابن الزبُعرى وغيره من شعراء قويش .

على ان موقف حسان كان حرباً في هجو القرشيين وهم انساب محمد . فالرواة
يحدثوننا انه لما اراد هجاءهم قال له الرسول : « وكيف تصنع بي ؟ » فقال :
« اسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين . » فبعثه الى ابي بكر ليدله على
الاشخاص الذين يستطيع هجوهم ، والاشخاص الذين لا ينبغي ان يعرض لهم ،
فدله ابو بكر كما ذكرنا ، فهجاءهم حسان ونال منهم نيلاً شديداً ، وقد اتخذ لذلك
اسلوباً سياسياً حكماً ، كان يجعل فيه المهجو من خشارة قريش ، ولا يرتفع له رأس
الى الذوابات من هاشم . واليك مثالا هجاءه لابي سفيان بن الحرث ^(١) :

أَقْدَ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ ابْنَ هَاشِمٍ ، هُوَ الْغَضُّ ذُو الْأَفْئَانِ ، لَا أَلْوَاحِدُ الْوَعْدُ ^(٢)
وَمَا لَكَ فِيهِمْ مَخْتِدٌ يَغْوِرُ فُونَهُ ، فَذُونُكَ ، فَالْصَّقْ مِثْلَ مَا لَصَقَ الْقُرْدُ ^(٣)
وَأَنَّ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ، بَنُو بِنْتٍ مَخْزُومٍ ، وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ ^(٤)
وَمَا وَلَدَتْ أَفْنَاءَ زَهْرَةَ مِنْكُمْ ، كَرِيماً ، وَلَمْ يَقْرَبْ عَجَائِزُكَ الْمَجْدُ ^(٥)
وَلَسْتَ كَعَبَّاسٍ ، وَلَا كَأَبْنِ أُمِّهِ ، وَلَسَيْنُ هَجِينٌ لَيْسَ يُورَى لَهُ زَنْدٌ ^(٦)

(١) هو ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم النبي واخوه من الرضاع
كان في جاهليته يهجو محمداً ثم اسلم . (٢) الغضن ذو الافئان : المراد محمد . الافئان : الاغصان
وفروعها مفردة فنن . الواحد الوعد : ابو سفيان . والوعد : الرذل الدنيء . يقول :
يعلم الناس ان ابن هاشم هو محمد غصن تلك الدوحة الممتدة القروع ، لا ابو سفيان الوعد
المنفرد بنفسه . (٣) المختد : الاصل . القرد : القرداد وهو دويبة تلصق بالبعير كالقمل
بالانسان . (٤) سنام كل شيء : اعلاه مأخوذ من سنام البعير وهو خيار ما فيه . بنت
مخزوم : هي فاطمة جدة محمد لابيه . (٥) بنو زهرة : حي من قريش اخوال محمد .
وزهرة : امرأة كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر نسب ولده اليها . وقوله :
افئاء زهرة . أي ابناء لها لا يعرف من هم ، تقول رجل من افئاء الناس : أي لا يعرف من
هو . وقوله : ولم يقرب عجائزك المجد : اي ولم يقرب المجد أمهاتك . (٦) العباس :
عم الرسول . ابن امه : اخوه ضرار . وأمها نقيلة بنت خباب إحدى نساء النضر بن
قاسط . الهجين : العربي ابن الأمة . لا يورى له زند : كناية عن لوئمه وشحه . يورى :
يقدح لتخرج ناره . الزند : العود تقدح به النار .

وَأَنْتَ زَنْيِمٌ نَيْطٌ فِي آلِ هَاشِمٍ . كَمَا نَيْطٌ خَلْفَ الرَّأْكِبِ الْقَدْحُ الْفَرْدُ^(١)
وَأَنَّ أَمْرًا ، كَأَنَّ سُمَيَّةَ أُمَّهُ ، وَسَمْرَاءَ ، مَغْلُوبٌ ، إِذَا بَلَغَ الْجَهْدُ^(٢)

فهذه الابيات تظهر لنا حرج موقف حسان . فانه في هجوه ابا سفيان يهجو ابن عم الرسول ، فما استقام له ان يعين في ذم والده الحرث ، فاقصر على ان يجعله عبداً بين اخوته والد النبي واعمامه ، ثم عطف على ابي سفيان من جهة أمه وأم ابيه فهشما ، وجعل ابا سفيان من بني هاشم كقدح الراكب من الرحل ، فاخرجه من الدوحة الهاشمية التي ينتمي اليها الرسول : « هو الغصن ذو الافنان ، لا الواحد الوغد . »

ومثل هذا الهجاء مؤلم ممض يوغر الصدور ، ويثير الضغائن ؛ ويهتك الحرمات والانساب . قيل : لما بلغ ابا سفيان اصاب منه مقتلاً ، فقال : « هذا شعر لم ينبغي عنه ابن ابي قحافة^(٣) . » فهو يعلم ان تلك الامور لا يعرفها الا علامة بالانساب كأي بكر .

وكان هجو حسان على مرارته صادقاً لا تكلف فيه ، لم يندفع الشاعر اليه حباً للتكسب والاستجداء ، بل ذود عن دين يؤمن به وبرسوله ، وأمل بالثواب في الدنيا الباقية . والابيات الاتية تريك ما في نفسه من ايمان قوي وأمل كبير ؛ وقد قالها يهجو ابا سفيان ايضاً :

عَدِمْنَا خَيْلَنَا ، إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ، تُثِيرُ النَّتْعَ ، مَوْعِدُهَا كَدَاءُ^(٤)

(١) الزنيم : هو الدعي المستلحق في قوم ليس منهم . نيط : عُلق . القدح الفرد : يقال : لا تجعلوني كقدح الراكب : أي لا تجعلوني آخراً . لان الراكب يعلق قدحه في آخر رحله بعد فراغه من استصحاب اهبطه . يقول : انت دعي مستلحق في بني هاشم كالقدح الذي يفرده الراكب عن سائر اهبطه ويعلقه في آخر الرحل . (٢) سُمَيَّةُ : أم ابي سفيان . سمراء : أم ابيه الحرث . الجهد : المشقة . وقوله : اذا بلغ الجهد : أي بلغ الجهد اقصاه . يقول : مها بلغ الجهد في اعلاء رجل امه سُمَيَّة او سمراء فهذا الرجل مغلوب على امره . قال صاحب جمهرة العرب : لما اسلم ابو سفيان قال له النبي : « انت مني وانا منك ولا سبيل الى حسان » . (٣) ابو قحافة : والد ابي بكر الصديق . (٤) النتع : الغبار . كدء : التثنية العليا بمكة بمالي المقابر وهو الملقى . يقول : لا عاشت لنا خيل نركبها ان لم يرتفع غبارها في معلى مكة .

- تَطْلُ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ، تَلَطَّمُنَّ بِالْخُمُرِ الْبَسَاءِ (١)
 فَإِذَا تُعْرَضُوا عَنَّا اعْتَمِرْنَا ، وَكَانَ الْفَتْحُ ، وَأَنْكَشَفَ الْغَطَاءُ (٢)
 وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِحِلَادِ يَوْمٍ ، يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ (٣)
 وَجَبْرِيلُ أَمِينُ اللَّهِ فِينَا ، وَرُوحُ الْقُدُسِ أَيْسَ لَهُ كِفَاءُ (٤)
 وَقَالَ اللَّهُ : « قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ، يَقُولُ الْحَقَّ ، إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ ، (٥)
 شَهِدْتُ بِهِ ، فَاقْبِرُوا صَدْقَهُ » ، فَقُلْتُمْ : « لَا تَقُومُ ، وَلَا نَشَاءُ » (٦)
 وَقَالَ اللَّهُ : « قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا ، هُمْ الْأَنْصَارُ ، عَرْضَتْهَا الْقَلَاءُ » (٧)
 لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍ ، سَبَابٌ ، أَوْ قِتَالٌ ، أَوْ هِجَاءُ (٨)
 فَتَحَكِّمُ بِالْقَوَائِي مَنْ هَجَانَا ، وَنَضْرِبُ ، حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ (٩)
 أَلَا أَيْلِغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي ، مُغْلَقَةً ، فَقَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ (١٠)

(١) متمطرات : ممرعات يسبق بعضها بعضاً . لطَّحه : ضرب خده ، كالتَّطْمِمْه . الخمر : جمع خمار وهو ما تنطى به المرأة رأسها . قيل : وكان حسان اوحى اليه بهذا فقد روى ان نساء مكة يوم فتحها ظلن يضربن وجوه الخيل ليردنها . (٢) اعتمرنا : زرنا البيت الحرام . والفرق بين الاعتار والحج ان العمرة تكون السنة كلها والحج في وقت واحد في السنة . يقول : ان اعرضتم عنا وتركتهمونا تزور البيت ، فيتم الفتح وينكشف الغطاء عما وعد الله به النبي من فتح مكة ، تنتهي الحرب بيننا وبينكم والا . . . (٣) الجلاد : التضارب بالسيوف . (٤) ليس له كفاء : اي ليس له نظير . روح القدس : اي روح الله والمراد جبريل . وفي هذا البيت يجعل كفة اصحاب النبي راجحة بعد ان ساوى بينهم وبين العدو في البيت السابق في قوله : يعز الله فيه من يشاء . (٥) عبداً : يعني رسولا . البلاء : الامتحان والاختبار يكون في الخير وفي الشر . يقول : ارسلنا اليكم رسولا ينطق بالحق ، لنمتحنكم به لعلكم تحتدون وينفع الاختبار . (٦) شهدت به : اي صدقت به . لا نشاء : أي لا نشاء ان نصديق به . (٧) الانصار : قبيلتا الاوس والخزرج . عرضتها : همتها وديدنھا . اللقاء : اي لقاء (الفرسان في الحروب) . (٨) لنا : اي الانصار . من معد : يريد قريشاً لانهم من معد بن عدنان . (٩) نحكم : تمنع ونرد . القوائى : النقائد . ونضرب : اي نضرب بالسيوف . حين تختلط الدماء : حين تحتدم الحرب وتسيل الدماء . والضرب بالسيوف يدل على التحام الجيشين واشتداد القتال . يقول : ان قومه يجالدون في اشد مواقف الحرب . (١٠) المغلقة : الرسالة المحمولة من بلد الى بلد . برح الخلفاء : اي وضع الامر .

بَانَ سُيُوفُنَا تَرَكَتْكَ عَبْدًا ، وَعَبَدَ الدَّارَ ، سَادَتْهَا الْإِمَاءُ ^(١)
 هَجَوْتُ مُحَمَّدًا ، فَأَجَبْتُ عَنْهُ ، وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْخِزَاءُ ^(٢)
 أَتَهْجُوهُ ، وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ ، فَشَرُّكُمْ لِمَا إِخْبَرَكُمْ الْفِدَاءُ ^(٣)
 هَجَوْتُ مُبَارَكًا ، بَرًّا ، حَنِيفًا ، أَمِينَ اللَّهِ ، شَيْعَتُهُ الْوَفَاءُ ^(٤)
 فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ ، وَيَمْدُحْهُ وَيَنْصُرْهُ ، سَوَاءٌ ^(٥)
 فَإِنْ أَرِي ، وَوَالِدَهُ ، وَعَرِضِي ، لِعَرَضِ مُحَمَّدٍ ، مِنْكُمْ فَوَقَاءُ ^(٦)

فهذا الارتياح الى حسن المصير ، لم يكن في عباد الاوثان من شعراء الجاهلية ، بل حملة اليهم الاسلام ، فاصبحوا وفي نفوسهم امل كبير ، يجاهدون في سبيل نبيهم ودينه ، لا بغية لهم غير الجنة التي وعدوا ، ونعيمها «وعند الله في ذلك الجزاء .»

وفي هذا الشعر الفاظ جديدة لم نألفها قبل لقوله : «جهريل امين الله ، وروح

(١) بَانَ : الباء متعلق بمغافلة فكأنه يقول : ابلغه رسالة تخبره بأن سيوفنا . عبدًا : أي ذليلاً . وعبد الدار : اي وتركت عبد الدار وهم بطن من قریش لهم السقاية والحجابة في البيت الحرام . الاماء : الجواري . وقوله : تركنا عبد الدار سادتها الاماء : يشير الى غزوة أحد حيث قُتِلَ حملة اللواء من بني عبد الدار ، فحملة عبد لله فقتل ، ثم اخذته امرأة منهم فاحتسوا حواليه . وغزوة أحد : كانت في السنة الثالثة للهجرة . وأحد : اسم جبل قرب المدينة . وفي هذه الغزوة انكسر المسلمون وجرح النبي . (٢) الجزاء : المكافاة . يروى ان محمدا حين سمع منه ذلك قال : « جزاؤك على الله الجنة يا حسان » . (٣) أتهجوه : استغفم تعجبي او تهكمي . الكفف : النظير . وقوله : فشرُّكم لما اخبركم الفداء : جملة الزخشي من باب اسلوب المنصف الذي يقيم المساواة بينه وبين خصمه لاجئاً في الجدل الى التعريض والتورية كقول الرجل لصاحبه : علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا لكاذب . ونحن نرى ان قوله في صدر البيت : « لست له بكف » كافٍ للدلالة على ان الشر في جانب ابي سفيان والخير في جانب محمد . والبيت التالي يزيل كل التباس . (٤) البَرَّ : الصالح والكثير البر . الحنيف : الذي يميل الى الحق . (٥) يقول : لا يضركم هجاءكم ولا ينفعكم مدحكم ونصركم لانكم اذلاء لاتستطيعون ان تنفعوه او تضروه . (٦) المرض : كل ما تجب المحافظة عليه ومنه النفس . وقاء : صيانة وحماية . يروى انه لما بلغ حسان هذا البيت قال له محمد : « وذاك الله يا حسان حرّ النار » .

القدس ، وأرسلتُ عبداً بمعنى الرسول ، وشهدتُ به ، ورسول الله . « فهذه الالفاظ وغيرها احدث القرآن معانيها في الاسلام .

عده

ولحسن في مدح النبي اسلوب غير الاسلوب الذي عهدناه في الجاهلية ، فهو لا يشبه محمداً بالاسد فعل كعب بن زهير ، ولا يُعْن في وصف جوده وسخائه كمن يريد الاستجداء والتكسب من ممدوحه ، بل يعني بوصف شئائه العسر ، ويلج في ذكر الرسالة والتصديق بها ، وذكر ما حمل الاسلام للعرب من نور وهداية ، وأمل بعد يأس ، ويُعرض احياتاً بين انكر النبوة وكذب بها . كقوله :

شَهِدْتُ بِهِ فَقَوْمُوا صَدِّقُوهُ ، فَقُلْتُمْ : « لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ »

ومن قوله في كلمة يمدح بها الرسول :

أَغْرُ ، عَلَيْهِ لِلنَّبِوَةِ خَاتَمٌ ، مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ ، يَلُوحُ وَيَشْهَدُ ^(١)
وَضَمَّ الْإِلَهِ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ ، إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمَوْذِنُ : « أَشْهَدُ » ^(٢)
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيَجْلَهُ ، قَدُوا الْعَرْشَ مَحْمُودٌ ، وَهَذَا مُحَمَّدٌ ^(٣)
نَبِيُّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ ، وَفَقْدَةٍ ، مِنَ الرُّسُلِ ، وَالْأَوْتَانِ فِي الْأَرْضِ تُعْبَدُ ^(٤)
فَأَمْسَى سِرَاجاً مُسْتَبِيرًا ، وَهَادِيًا ، يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمُهَنْدُ ^(٥)

(١) أغر : كريم (الفعال) واضحا . خاتم النبوة : قيل انه شامة خضراء او سوداء محتفزة في اللحم . مشهود : اي مشهود به . يلوح : يلمع . يشهد : يُنظر . (٢) الخمس : المصلوات الخمس . وقوله : اذا قال الموزن أشهد : اي اذا قال : « أشهد أن لا اله الا الله » ، وأشهد أن محمداً رسول الله » وهي بيان لقوله : وضَمَّ الاله اسم النبي الى اسمه . (٣) قوله : ذو العرش محمود وهذا محمد : بيان لقوله : وشق له من اسمه . (٤) الفترة : الفاصل من الزمن بين كل رسولين . (٥) مستبيراً : منيراً . يلوح : يلمع . الصقيل : السيف المصقول . المهند : المطبوع بالهند : يقول : أمسى سراجاً للهدى يلمع لمعان السيف الصقيل . وكان من عادة العرب انهم اذا ارادوا استدعاء من حولهم من القوم شهرروا السيف (الصقيل) فيبرق فيُنظر لمعانه من بعد فيأتون اليه مهتدين بنوره .

وَأَنْذَرْنَا نَاراً ، وَبَشَّرَ جَنَّةً ، وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ ، فَأَلَّهَ نَحْمَدُ^(١)
فهذا المدح جديد في نوعه وطريقته ، جديد في تعابيره والمفاظه ، جديد في
النفحة الدينية العابقة منه . بيد انه ساذج لا تعدوه الفطرة الجاهلية ، ولكنها فطرة
صقلها الدين وجلالها الايمان .

سُعره التاريخي

ولست ميزة حَسَّان في شعره مقصورة على خصائصه في المدح والهجاء ، بل له
خاصة ذات منزلة عالية ، وهي خاصة المؤرخ الامين لحوادث عصره ، فانه يحدثننا
عن غزوات النبي وايامها ، ويذكر لنا اسماء من قُتل من الصحابة ومن قُتل من
المشركين ، ويرثي من قُتل بعد النبي من الخلفاء الراشدين . فكأنك ، وانت تقرأ
شعره تطالع نبذة من تاريخ الصدر الاول للاسلام . فمن ذلك قوله :

وَكَُنَّا مَتًى يَغْزُ النَّبِيُّ قَبِيلَهُ ؛ نَصِلُ حَافَتَيْهِ بِالْقَنَا وَالْقَنَا بِلِ^(٢)
وَيَوْمَ قُرَيْشٍ إِذَا تَوْنَا بِجَمْعِهِمْ ، وَطُشْنَا أَلْعَدُوَّ وَطَاةَ الْمُتَشَاقِلِ^(٣)
وَفِي أَحَدِ يَوْمٍ لَهُمْ كَانَ مُخْزِياً ، نُطَاعُهُمْ بِالسَّهْمِ وَالذَّوَابِلِ^(٤)
وَيَوْمَ ثَقِيفٍ ، إِذَا أَتَيْنَا دِيَارَهُمْ ، كِتَابٌ ، نَمْشِي حَوْلَهَا بِالْمَنَاصِلِ^(٥) ،

(١) أنذرنا : أعلمنا وحذرنا . ناراً : اي جهنم . (٢) نصل حافتيه : اي نحدق بجانيه
القنا : جمع : قناة وهي الرمح . القنابل : جمع قنبلة وقنبل وهي الطائفة من الخيل .
يقول : متى يغزُ النبي نحدق به برماحنا وخيولنا لنذافع عنه . (٣) يوم قریش : اي يوم اتتنا
قریش . ولعله يريد به غزوة بدر . المتشاقل : من تكلف (الثقل) ويريد بها وطاة ثقيلة . (٤)
قوله : كان مخزياً : يشير الى انضمامهم حول اللواء يحمله عبد ثم تحمله امرأة . وقد ذكرنا
ذلك قبلاً . السهمري : الرمح الصليب العود منسوب الى سهمر رجل كان يقوم الرماح .
الذوايل : جمع ذابل وهو الرمح اليابس القناة . وقوله : السهمري الذوايل ، جعل (العت
لجاعة اجزائه اي ان كل جزء من اجزائه ذابل . ومن ذلك قولك : ثوب خلق اي بال ،
وثوب اخلاق اي كل جزء من اجزائه خلق . او جعل الصفه تقوم مقام الموصوف المحذوف
وهو القنا . (٥) يوم ثقيف : هو يوم (الطائف في السنة الثامنة للهجرة ، حاصر فيها المسلمون
الطائف وكان قد تحصن فيها بنو ثقيف وهوازن فبقي الحصار ثمانية عشر يوماً ثم ارتد المسلمون
عنها . المناصل : جمع منصل وهو السيف .

فَقَرُّوا ، وَشَدَّ اللَّهُ رُكْنَ نَيْبِهِ ،
فَقَرُّوا إِلَى حِصْنِ الْقُصُورِ ، وَغَلَقُوا ،
وَأَعْطُوا بِأَيْدِيهِمْ صَغَارًا ، وَتَابَعُوا ،
وَمِنْ قَوْلِهِ فِي يَوْمِ أَحَدَ :

فَدَعِ ذِكْرَ دَارٍ بَدَدَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا
وَقُلْ : إِنْ يَكُنْ يَوْمٌ بِأَحَدٍ يَعُدُّهُ
وَقَدْ ضَارَبَتْ فِيهِ بَنُو الْأَوْسِ كُلُّهُمْ ،
وَحَامِي بَنُو النَّجَّارِ فِيهِ وَضَارِبُوا ،
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ لَا يَخْذُلُونَهُ ،
بِأَيِّمَا نِهِمْ بِيضٌ ، إِذَا حَمِيَ الْوُغَى ،
كَمَا غَادَرَتْ فِي النَّفْعِ عُثْمَانُ ثَاوِيًا ،

نَوَى ، فَرَقَّتْ بَيْنَ الْجَمِيعِ ، قَطُوعٌ ،
سَفِيهٌ ، فَإِنَّ الْحَقَّ سَوْفَ يَشِيعُ ،
وَكَانَ لَهُمْ ذِكْرٌ هُنَاكَ رَفِيعٌ
وَمَا كَانَ مِنْهُمْ فِي اللَّقَاءِ جَزُوعٌ ،
لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَفِيعٌ ،
فَلَا بُدَّ أَنْ يَزْدَى بِهِمْ صَرِيعٌ ،
وَسَعْدًا صَرِيعًا ، وَالْوَشِيعُ شُرُوعٌ ،

(١) الحقيقة : ما يلزم الرجل حفظه والدفاع عنه . الباسل : الشجاع . (٢) حصن القصور : اي الحصن ذو القصور في الطائف . وكائن : وكم . المشفق : الخائف . الوائل : الناجي . يقول : وكم من خائف لا ينجو ولا ينفعه التحصن والحذر . (٣) الصغار : الذل . يقول : اذلوا انفسهم بأيديهم وتابعوا هذا الصغار . ثم التفت من الغيبة الى الخطاب فقال : فأولى لكم أولى : وهو تهديد معناه : قاربكم الشر فاحذروا ، أو الويل لكم . الحداة : جمع حاد وهو السائق . الزوامل : جمع زاملة وهي البعير يحمل عليه الرجل متاعه وطعامه . (٤) بددت : شتت . نوى : بعد ، فاعل بددت . قطوع : فاصلة . (٥) أحد : بالتسكين لضرورة الشعر . يعدُّه : يحسبه . سفيهه : جاهل . يشيع : يظهر وينتشر . يقول : ان يكن يوم باحد يحسبه سفيهه من قريش نصرًا لهم فان الحق سوف يظهر ويشيع . (٦) في اللقاء : اي في لقاء الاعداء . جزوع : جبان شديد الخوف . (٧) أمام رسول الله : اي ضاربوا امامه . يخذلونه : يتركونه ضد ينصرونه . (٨) الايمان : جمع بين اي اليد اليمنى . بيض : سيوف . يردى : يموت . الصريع : المطروح على الارض . اي اذا حمى وطيس الحرب ، لا بد لكل من هذه السيوف ان يقتل فارسًا . (٩) غادرت : تركت ، فاعلها بيض . النفع : الفبار . عثمان : هو ابن طلحة بن ابي طلحة من مشركي قريش . ثاويًا : ميثًا . وسعدا : هو اخو عثمان . الوشيح : شجر الرماح ويريد به الرماح نفسها . شروع : مسددة للطن مفردها شارع ، من شرع الرمح فشرع : سدده للطن فتسدد ، لازم متعد .

وَقَدْ غَادَرَتْ تَحْتَ الْعِجَاجَةِ ، مُسْنَدًا
 بِكَفِ رَسُولِ اللَّهِ ، حَتَّى تَلْفَقَتْ ،
 فَإِنْ تَذَكَّرُوا قَتْلِي ، وَحِمَزَةُ فِيهِمْ ،
 فَإِنْ جَنَّانَ الْخُلْدِ مَنْزِلُهُ رِبْهًا ،
 وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ ، أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ
 أُنْيَا ، وَقَدْ بَلَ الْقَمِيصَ نَجِيعٌ (١)
 عَلَى الْقَوْمِ ، مِمَّا قَدْ يُشْرَنَ ، نُقُوعٌ (٢)
 قَتِيلٌ ، تَوَى اللَّهُ ، وَهُوَ مُطِيعٌ (٣)
 وَأَمْرُ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ سَرِيعٌ (٤)
 حَمِيمٌ مَعًا فِي جَوْفِهَا ، وَضَرِيعٌ (٥)
 وَقَوْلُهُ فِي رِثَاءِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ :

ضَحَّوْا بِأَسْمَطَ ، عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ ،
 لَتَسْمَعَنَّ وَشَيْكَا فِي دِيَارِهِمْ :
 يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْنِيحًا وَقُرَانًا (٦)
 اللَّهُ أَكْبَرُ ! يَا ثَارَاتِ عُثْمَانَا ! (٧)

فهذه الامثلة كافية لظهار الفوائد التاريخية في شعر حسّان ، وهي كثيرة تجدها في كل قصيدة من قصائده الاسلامية .

(١) مسنداً : متكئاً أي مطعوناً صريعاً . أيّ : هو ابن خلف الجُمُحِي قتلته محمد بن عبيد . النجيع : الدم . (٢) بكف : الباء متعلق بقوله : مسنداً . تلفقت : أي التفت . يشرن : يعلن ويهيجن ، والنون تعود على الخيول المقدرة . النقوع : جمع نقع وهو الفيل . يقول : ترك أبي بن خلف صريعاً بكف رسول الله واشتد الطراد حتى انتف على القوم النقع مما يثيره وقع حوافر الجياد . (٣) قتلى : أي قتلى منا . حمزة : هو ابن عبيد المطالب عم محمد . يقول : فإن تذكروا منا قتلى فيهم حمزة فهو قتيل مات مطيعاً في سبيل الله . (٤) يقول : فإن حمزة مقله في جنان الخلد يقضي الله بجاله سريعاً (٥) الحميم : الماء الحار . في جوفها : أي جوف النار . الضريع : طعام اهل النار . وهذه من الالفاظ المحدثه في الاسلام . وفي القرآن : « لَيْسَ لِمَنْ ظَلَمَ ظُلْمًا إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ لَا يَسْمَنُ وَلَا يَغْنَى مِنْ جُوعٍ » والضريع في الاصل : شوك كبير . وقوله : حميم معاً : أي حميم وضريع معاً . (٦) ضحّوا : أي فتكوا وقدموا ذبيحة . الاشط : الاشيب من خالط يياض رأسه سواد . العنوان : دليل الشيء وصورته . السجود : الخناء الرأس بخضوع ، أي عنوان السجود على وجهه . قرأنا : أي قراءة للقرآن . (٧) لتسمعَنَّ : اللام للقسم . والمضارع اتصل بنون التوكيد الثقيلة للدلالة على المستقبل . وشيكاً : قريباً . يقول مخاطباً نفسه على سبيل التجريد او مخاطباً صاحِباً له : والله لتسمعَنَّ قريباً في ديار الذين قتلوه اصواتاً تنادي : الله اكبر ! يا ثارات عثمان : جهدهم بقرب محبي جيش معاوية والتكبير عادة المسلمين في الحروب . وعادة العرب ان ينادوا في الحرب عند طلب الثار : يا ثارات فلان .

شعره في الجاهلية

ذكرنا في بدء كلامنا على ميزة حسّان ما زعم الاصمعي من ان شعره في الجاهلية اجود منه في الاسلام . فنحن نقدم امثلة من جيد شعره الجاهلي على ان نعود الى رأي الاصمعي في ما بعد فن قوله يدح بني غسان :

لله در عصابة نادتهم ، يوماً بجلق في الزمان الأول^(١)
 اولاد جفنة حول قبر ابيهم ، قبر ابن مارية الكريم المفضل^(٢)
 يفسون حتى ما تهر كلابهم ، لا يسألون عن السواد الثقيل^(٣)
 يسفون من ورد البريص عليهم ، بردي يصفق بالرحيق السلسل^(٤)
 يبيض الوجوه ، كريمة احسابهم ، شم الانوف من الطراز الأول^(٥)

ومن قوله ايضاً :

فسود ذا المال القليل ، اذا بدت مروءته فينا ، وإن كان معدماً^(٦)
 وإنا لنفري الضيف ، إن جاء طارقاً ، من الشحم ما اضحى صحيحاً مسلماً^(٧)

(١) لله در : دعاء ، اي من الله كثرة خيرهم ، او على الله مكافأهم بالخير . العصابة : الجماعة . جلّيق : دمشق او موضع بقربها . في الزمان الاول : اي في العام قبل العام الماضي .
 (٢) جفنة : أبو ملوك غسان . ابن مارية : الحرث الاعرج ، وهي مارية بنت الارقم ذات القرطين قيل كان في قرطبيها مثنا دينار . المفضل : ذو الفضال . (٣) يفسون : تأنيهم . ما تهر : ما تبيع . السواد : الشخص . يقول : تأنيهم الاضياف فما تنبجهم كلابهم لاستئناسها بهم وتعودها اياهم ، ويضيفون الشخص دون ان يسألوا عنه . (٤) البريص : غوطة دمشق وفيها قصور الفساسة . بردي : اعظم اهر دمشق . يصفق : يمزج ويروق .
 الرحيق : الخمر البيضاء . السلسل : السهل الدخول في الخلق . (٥) الاحساب : جمع حسب وهو الشرف والمفخرة . الشّم : جمع اشم وهو المرتفع . وشم الانوف : كناية عن الانفة وعزة النفس . الطراز : الشكل . (٦) نسود . نجعلهم سيّداً . المعدم : الفقير لا يملك شيئاً . يقول : نجعل الفقير المعدم فينا سيّداً اذا بدت لنا مروءته ، اي انهم لا ينظرون الى الغنى بل الى استحقاق الشخص ونخوته . (٧) من الشحم : اي من شحم الابل . وقوله : ما اضحى صحيحاً مسلماً : اي انهم لا يطعمون ضيفهم غير الشحم الصحيح السالم الذي لا مرض فيه .

أَلَسْنَا نَرُدُّكَ الْكَبْشَ عَنْ طِيَّةِ الْهَوَى ، وَنَقْلَبُ مُرَّانَ الْوَشِيحِ مُحْطَمًا ^(١) ،
لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغَرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَى ، وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا ^(٢) ،

مسانيد بين الجاهلية والاسلام

وحسان في شعره الجاهلي مثله في شعره الاسلامي ، لا يتسع له الخيال فيطول نفسه . فأكثر قصائده قصيرة ، واطولها لا يزيد على الاربعين بيتاً . على انه في قصائده الجاهلية اوسع خيالا منه في قصائده الاسلامية ، ولعل عنايته بذكر الحوادث التاريخية أثرت في مخيلته ، او لعل هذا الضعف ناتج عن كبر السن . ولست تجد في شعره تلك التشابيه التمثيلية الخصبه التي عرفتھا في اشعار غيره من الجاهليين ؛ فهو اذا وصف شيئاً لا يعن في وصفه فيتمه ، بل ينتقل بسرعة الى غيره كمن ضاق صدره فطلب التنفس . ولذلك كثر في مطالعه الاقتضاب والقطع بما يشبه التخلص ، فما يكاد يستهل قصيدته بالغزل وذكر الديار حتى ينتقل بعد بيتين او ثلاثة الى غرضه مدحاً كان او هجاء ، واكثر ما يكون انتقاله بقوله : « دع هذا ، ودع ذكر ذا » ، واغلب هذا الانتقال المقتضب في شعره الاسلامي . مثال ذلك :

هَلْ رَسَمُ دَارِسَةِ الْمَقَامِ يَبَابُ ، مُتَكَلِّمٌ لِلْمَحَاوِرِ بِجَوَابِ ؟ ^(٣)
وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِهَا الْجُلُولَ يَزِينُهُمْ بَيْضُ الْوُجُوهِ ، ثَوَاقِبُ الْأَحْسَابِ ^(٤)

(١) أَلَسْنَا نَرُدُّ : استفهام انكاري يفيد الاثبات لوروده على النفي اي نرد الكبش .
الكبش : القائد وسيد القوم . الطيئة : الحاجة ، وطيئة الهوى : اي الحاجة التي يجوهاها .
المران : جمع مارن وهو الرمح اللين المهزء . الوشيج : شجر الرماح . محطماً : مكسراً .
يقول : نحن نرد سيد القوم وقائدهم عن غرضه فينا ونطاعن بالرماح حتى تتكسر . (٢) الجفنات :
القصاص مفردة جفنة . الغر : البيض . النجدة : الشجاعة والشدة والقتال . زعموا ان
الخنساء انتقدت هذا البيت في سوق عكاظ وقد اظهرنا بطلان هذا الزعم في كلامنا عليها .
(٣) دارسة المقام : صفة للديار . يباب : ليس فيها احد . المحاور : المخاطب . وقوله :
يجواب : الجار متعلق بمتكلم . (٤) بها : أي بدارسة المقام . الجلول : جمع حال وهو
المقيم في المكان . ثواقب : جمع ثاقب وهو النير . الاحساب : جمع حسب وهو الشرف
والفعال الصالح . أي يزين الجلول وجوههم البيض واحسابهم الثواقب .

فَدَعِ الدِّيَارَ ، وَذِكْرَ كُلِّ خَرِيدَةٍ .
وَأَشْكُ الْهُومَ إِلَى الْإِلَهِ ، وَمَا تَرَى ،
بَيْضَاءَ ، آنَسَةِ الْحَدِيثِ ، كَعَابِ (١)
مِنْ مَعْشَرٍ مُتَأَلِّينَ ، غَضَابِ (٢)

وقوله :

عَوَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْكَيْثِ ،
تَعَاوَرَهَا الرِّيحُ ، وَكُلُّ جَوْنِ ،
فَأَمْسَى رَسْمُهَا خَلْقًا ، وَأَمْسَتْ
فَدَعُ عَنْكَ التَّذَكُّرَ كُلَّ يَوْمٍ ،
كَحَطِّ الْوُحْيِ فِي الْوَرَقِ الْقَشِيبِ (٣)
مِنْ الْوُسْمِيِّ مِنْهُمْ سَكُوبِ (٤)
يَبَابًا ، بَعْدَ سَاكِينِهَا الْحَيْبِ (٥)
وَرَدَّ حَزَاةَ الصَّدْرِ الْكَئِيبِ (٦)

وقد يكون هذا الضعف الخيالي هو الذي حمل الاصمعي على الزعم ان شعر
حسان في الجاهلية اجود منه في الاسلام . وعلل ذلك بقوله : « الشعر نكد يقوى في
الشَّرِّ ويسهل ، فاذا دخل في الحيو ضعف ولان . هذا حسان فحل من فحول الجاهلية
فلما جاء الاسلام سقط شعره . » وقيل لحسان : « لَانَ شعركُ أو هَرَمَ في الاسلام
يا ابا الحسام . » فقال : « يا ابن اخي ، ان الاسلام يمنع من الكذب وان الشعر
يزينه الكذب . » يريد بذلك ان التجويد في الشعر الافراط في الوصف والتزيين
بغير الحق ؛ وذلك كله كذب .

وربما اراد الاصمعي ان يقول ايضاً : ان شعر حسان الاسلامي لَيِّنَ يكثر فيه
الاسفاف . فاللين من خصائص الشاعر الانصاري ، ولا يخلو منه شعره الجاعلي .
واما الاسفاف فيمكننا ان نعود ببعضه على التحمل مستنديين الى قول ابن سلام
من ان حسان حمل عليه ما لم يُحْمَلْ على احد ، وبعضه الآخر على الشاعر نفسه
لان كثرة اللين تؤدى الى الاسفاف .

(١) الخريدة : البكر الحبيبة . الكعاب : الناهد . (٢) متأبين : متجمعين ويريد
بهم المشركين . (٣) الكئيب : تل الرمل ينقاد محدودباً . الوحي : الكتابة . القشيب :
الجديد . شبه آثار الديار بالسطور في الورق . وهذا المعنى اكثر الشعراء من طرقة . (٤) تعاورها :
تداولها أي تهمب مرة شمالاً ومرة جنوباً ومرة دُوراً ومرة قبولا . الجون : السحاب الاسود .
الوسمي : مطر اول الربيع سمي بذلك لانه يسمُّ الارض بالنبات . المنهم : السائل .
السكوب : دائم الحملان . (٥) الرسم : الاثر ليس له شخص قائم خلاف الطلل . الملقى :
البالي . يباباً : خلاء . (٦) الحزاة ما حز في القلب واورجه . الكئيب : الحزين الشجي .

والذين في حسان ناتج عن نشأته ، فهو من شعراء القرى ^(١) والشعراء القرويون معروفون بركة شعرهم لتنعيمهم واخذهم بأسباب الحضارة ، خلافاً لشعراء البادية .
 وإذا كان شعره زاد ليناً في الاسلام وأسف أحياناً ، فمخلوطة من براءة الوصف ، ومن الصور الخيالية الرائعة ؛ ثم لاعتاد الشاعر على الارتجال ^(٢) أكثر من التحكيك والتنخل ، فكثرت في شعره الكلام الساقط ، والاقواء ، والتوجيه ^(٣) ثم لتأثير أسلوب القرآن في نفسه ، وما في هذا الأسلوب من رقة في اللفظ والتعبير ، فقد عدل بالشاعر عن الالفاظ الغريبة الصلبة الى الرقيقة السهلة ، ولكن أنى لحسان ان يجاريه في نضاعة بيانه ، وبلاغة تعبيره ، فزاد ليناً على لين ، واسف مرة بعد مرة فسقط أكثر شعره في الاسلام . على ان له بعض قصائد في المهجو والفخر وذكر الوقائع تعد من أطيب الشعر واجوده .

عن زلفه

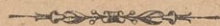
قال ابو عبيدة : « فَضَّلَ حَسَّانُ الشعراء بثلاث : كان شاعر الانصار في الجاهلية وشاعر النبي في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الاسلام . » وقال ايضاً : « اجمعت ، العرب على ان حسان اشعر اهل المدر ^(٤) . » وقال الاصمعي : « حسان فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الاسلام سقط شعره . » وقال الخطيئة : « ابلغوا الانصار ان شاعروهم اشعر العرب حيث يقول :

يُغَشُّونَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ ، لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُثْبِلِ . »

(١) شعراء القرى عند العرب : الشعراء الذين ينشئون في المدن . والقرى العربية خمس : المدينة ، ومكة ، والطائف ، واليمامة ، والبحرين . (٢) حسان مشهور بارتجاله ، ومن أطيب قصائده الارتجالية « عينيته » :
 إِنِ الذَّوَائِبُ مِنْ فُهْرٍ ، وَإِخْوَتُهُمْ ، قَدْ يَبْنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَبَعُ
 (الذوائب : الاعالي مفردا ذوائب . فهر : اصل قريش ويريد بهم المهاجرين . اخوتهم : أي الانصار . السنة : الخطه والنظام .)

(٣) الاقواء : الاختلاف في حركة الروي . التوجيه : الاختلاف في حركة ما قبل الروي الساكن . (٤) المدر : أي اهل الحضر ، والمدر : الطين ، اي الذين يننون منازلهم بالطين . وعكسهم اهل الوب : اي الذين يعملون بيوتهم من الوبر وهو الشعر .

وقال عمرو بن العلاء : «حسان اشعر اهل الحضر .» وقال ابو الفرج الاصفهاني :
«حسان فحل من فحول الشعراء .» وقال الحرث بن عوف المري لمحمد : «أجرتني
من شعر حسان ، فوالله لو منج به ماء البحر لمزجه .» وكان حسان قد هجاه بقوله :
وَأَمَانَةُ الْمُرِّيِّ ، حَيْثُ لَقِيْتَهُ ، مِثْلَ الزُّجَاجَةِ ، صَدْعُهَا لَمْ يُجْبَرْ .
وكان محمد يقول لحسان : «اهجهم ، فوالله أشدك أشد عليهم من نضح
النبيل في غلَس الظلام^(١) .» وقال ايضاً : «امروؤ القيس صاحب لواء الشعراء في النار ،
وحسان بن ثابت يقيود جموعهم الى الجنة .» وكان حسان كثير الادعاء ، يدلّع
لسانه ويقول : «والله لو وضعت على شعر خلقه ، او على صخر لفلقه .»
اما نحن فنرى ان حسان في شعره الجاهلي مجيد ، ولكنه لم يبلغ شأو فحول
الشعراء . وفي شعره الاسلامي مجيد في بعضه ولا سيما الهجو والفخر ، ضعيف في
اكثره ولا سيما مدحه ورتاؤه للرسول ، ولكن فيه من الفوائد التاريخية ، ومن
جديد الاسلوب ما ليس في شعره الجاهلي . فحسان في الاسلام شاعر مؤرخ ، وشاعر
مجدد في وقت واحد ، وهو في دفاعه عن النبي طليعة الشعراء السياسيين .



(١) النضح : رمي النبيل . الغلَس : ظلمة آخر الليل : وهي هنا الظلمة على الاطلاق .

الشعراء الاسلاميون^(١)

مبزة الشعر الاسلامي

تكاثر عدد الشعراء في هذا العصر لاسباب سياسية واجتماعية سنأتي على ذكرها ، فتطور الشعر تطوراً محسوساً بتأثير هذه الاسباب ، وظهرت فيه فنون جديدة كانت ضعيفة في الجاهلية فقيوت في الاسلام : كالغزل والشعر السياسي . وقد ورث الشعراء الاسلاميون من شعراء الجاهلية اليجاز ، وقوة التعبير ، وعمق التصور ، وبداهة الفكر ، ومتانة السبك . ثم تشققوا بالقرآن فانطبعوا على رفته وبيانه الناصع .

على ان تقدمهم في الحضارة اضعف فطرتهم ، فخرجوا عن سذاجة البدوي في جاهليته ، وظهر على شعرهم ترف العصر ورخاؤه ، وأثر انتقالهم من الحيام الى القصور ، واختلاطهم بعد الفتوحات بابناء المدينيات القديمة كالفرس في العراق وفارس ، والروم في الشام ومصر .

ولكن العصر الاسلامي لم يطل عمره ، فبلغ اهلوه غايتهم من التأنق والعمران ، بل اذيل منه وهو في إبان شوطه ، فتلقاه العباسيون طويلاً يانعاً ، فاستغلوه واحسنوا انماؤه فأورق وازدهر على ايديهم . ولذلك لم يدرك الشعراء الاسلاميون شأو المولدين^(٢) في الرقة والتصرف في المعاني .

وقد كثر المدح والتفاخر ، والهجاء المقذع في شعر الاسلاميين ، لعلاقة هذه الاغراض بالاحزاب السياسية ، وكثر الشعراء الغزلون الذين قصروا همهم على الغزل والتشبيب لتأثير المدينية الجديدة في نفوسهم .

(١) نعتي بالشعراء الاسلاميين الذين ولدوا ونشأوا في صدر الاسلام وتأدبوا بآدبه الخالص .

(٢) الشعراء المولدون او المحدثون : هم الشعراء الذين جاؤوا بعد الاسلاميين في العصر العباسي .

نهضة الغزل

الغزل الجاهلي : الشاعر الجاهلي مادي أكثر مما هو روعي . طريقته في الغزل . تعدد أغراضه . انصرافه الى الغزو والغارات .
 الغزل في الاسلام : تطور الحياة . رقة الامزجة والاذواق . امتناع الغزو والغارات . الشاعر الاسلامي اضاف الى الوصف المادي وصفا روحيا . اصبح الغزل فنا مستقلاً بنفسه . انحصاره في جزيرة العرب . نوعه البدوي ، ونوعه الحضري . الفرق بين النوعين . هل للشاعر البدوي في غزله خصائص متميزة ؟ كيف اصبحت مكة والمدينة في هذا العصر ؟ طريقة شعرائهما في الغزل ؟ تشبيهم بالنساء الاشراف . اشهر شعراء الغزل على نوعيه .

قلنا ان الغزل من الفنون التي كانت ضعيفة في الجاهلية فقويت في الاسلام ، ذلك بان الشاعر الجاهلي قلما قصر كلمته ^(١) على فن واحد ، فهو في شعره كثير التنقل ، متعدد الأغراض . وكان له من الغزوات والمفاخرات ما يمنعه من الانصراف الى التشبيب بالنساء . بيد انه تغزل وبكى على الطلول ، وشب بالمرأة ، وكان صادقاً في غزله وبكائه ، مجيداً في تشبيهه ووصفه ، ولكنه لم يحسن تصوير عواطفه وما يشعر به من صباية وألم ، او من أمل وارتياح . فاكتفى بذكر الديار الدارسة تلعب بها الرياح والامطار ، وتسرح بها الآرام والوحوش ، واكتفى بوصف الفراق من تحمل الاحبة ، الى الوداع ، الى سير الاظعان في الاودية والجال . واكتفى بوصف اعضاء المرأة والتشبيب بمحاسنها . فالشاعر الجاهلي مادي في تصويره أكثر مما هو روعي ، ولذلك لم يحسن التعبير عن تأثراته النفسية ، ولا احسن وصف سواها من الاشياء غير المنظورة .

اما في الاسلام فتطورت الحياة بتأثير القرآن واختلاط العرب بالشعوب الاعجمية من روم وفارس ، فرقت الامزجة والاذواق ، وقوي الاحساس في النفوس . وكان للامويين من السلطان في اَبان دولتهم ما كبح جماح البدو ومنعهم من الغزو والغارات

ففرغ الشاعر الى نفسه يتفحصها ويتبين خفاياها، واصبح يلذ له ان يعبر عما يحس فيها من عاطفة او هوى، وحزن او سرور . فلم يبق الغزل غرضاً تابعاً لغيره من الاغراض الشعرية ، او واسطة يستهل بها الشاعر قصيدته للوصول الى غايته ، بل صار فناً مستقلاً بنفسه ، له اتباع تخصصوا به ووقفوا عليه شعرهم ، ولم يبق مقصوراً على الوصف المادي بل اضيف اليه شيء جديد ينبعث من الروح وهو وصف العواطف والاهواء وما يتصل بها من التأثيرات النفسية .

على ان هذا الفن بقي محصوراً في الجزيرة العربية لبعدها من سياسة الاحزاب في الشام والعراق . اما الشعراء الذين اتصلوا بالبلاط الاموي ، وغيرهم من شعراء الاحزاب ؛ فلم ينصرفوا الى اتقان هذا الفن بل لبثوا يقلدون فيه من تقدمهم ، ويوظفون به اغراضهم من مدح او هجاء ، وقل من نظم منهم شعراً غزلياً صرفاً . وينقسم الغزل في جزيرة العرب الى نوعين : بدوي وحضري . فالبدوي غلبت عليه العفة والرصانة لسذاجته وقربه من الفطرة ، وبعده من ملاهي الحضارة ومفاسدها . واصحابه عرفوا بالشعراء العذريين ^(١) وكانت مواطنهم في بوادي نجد والحجاز ؛ وهم في غزلهم لا يشبهون الا بامرأة واحدة ، يحبونها حباً صادقاً عفيفاً . واكثر ما يطيب لهم وصف ما يلاقون من ألم البعد ، ومرارة الهجران والصدود . واشهر اولئك الشعراء : جميل بن مَعْمَر ، وقيس بن ذَرِيح ، وقيس بن الْمَلَسَّوح أو مجنون ليلى ان صح وجوده .

ولكن هؤلاء المتيمين ليس لهم خصائص متميزة في اشعارهم فقد تغزلوا كلهم بأسلوب واحد ، وتواطؤوا على المعاني والالفاظ في بث لواعجهم ، ووصف خيلاتهم ، فاختلفت اقوالهم بعضها ببعض ، فأصبح يضاف الى جميل ما يضاف الى قيس بن ذريح ، ويضاف الى المجنون ما يضاف اليهما ، ويضاف اليهما ما يضاف الى المجنون . واخترعت اخبار عنهم تناسب هذه الاشعار ، فيها كثير من الغلو والتناقض ، ولكنها

(١) العذريون : نسبة الى قبيلة بني عذرة وهم قوم عرفوا بالحب الصادق العفيف حتى قيل انهم كانوا اذا احبوا ماتوا ، فنسب اليهم الحب العفيف ف قيل له : الهوى العذري . وبين الشعراء العذريين من ليسوا من بني عذرة ولكنهم نسبوا اليهم لمقتهم .

تلمتي جميعاً في موقف واحد . وهو ان الشاعر احب فتاة فشرب بها ، ثم خطبها الى اهلها فردوه مخافة التعيير لاشتهار حبه لها وقوله فيها ، ولم يستطع الوصول اليها لعفة نفسه وعفة نفسها ، ولكنه كان يجتمع بها سرّاً ، فعرف اهلها بحبها ، فاستعدوا عليه السلطان ، فأهدر دمه ، ففرّ هائماً على وجهه يقطع القفار وينشد الاشعار ، حتى يأتيه الموت فينقذه من عذابه .

واما الغزل الحضري فقد غلب عليه الرخاء والترف ، والعبث والتهتك ، فصور شعراؤه حياتهم الناعمة ادق تصوير ، وتغنوا في اساليبهم فأبدعوا ، ولا سيما اسلوب الغزل القصصي . وكانت مواطنهم مكة والمدينة ، وفيهما القرشيون والانصار .

وخشي الخلفاء الامويون ان يشتغل هؤلاء الاشراف بالسياسة فتطمح انظارهم الى الخلافة وكلهم له الحق بها ، فاجبروهم ان لا يهروا الحجاز الا بأذن منهم ، ولكنهم أسبغوا عليهم النعم الكثيرة ، وفرضوا لهم الارزاق الواسعة من بيت المال ، فالتهموا عن طلب الملك ، وانصرفوا الى العبث والمجون . فاصبحت مكة والمدينة موطنين للذة واللهو والقصف ، وشاع فيهما فنُّ الغناء ، فكان الشعراء الغزلون ينظمون ، ويتغنى بشعارهم القيان والمغنون . وكان لهؤلاء الشعراء منزلة ليست لغيرهم ، يرفعهم اليها كرم محبتهم . فلم يتورعوا عن التشبيب بنساء الخلفاء والامراء ، وسر اولئك النسوة بأقوالهم ، فكان يتعرضن لهم ليشبوا بهن ، واطالما شفعن لهم اذا غضب الخليفة على احدهم واراد عقابه .

فيتضح من ذلك ان الشاعر الحضري لم يقتصر في تشبيهه على امرأة واحدة كالشاعر البدوي ، بل كان موكلاً بالجمال يتبعه اين رآه . واشهر هؤلاء الشعراء الغزلين : عمر بن ابي ربيعة ، والعرجي القرشيان ، والأحوص بن محمد الانصاري .

فأما وقد عرفنا كيف نهض الغزل في الصدر الثاني من الاسلام فينبغي لنسا ان نتخذ مثلاً لدرس شعاعين مشهورين وهما : جميل بن مَعَرٍّ حامل لوائه البدوي ، وعمر بن ابي ربيعة رافع عرش حضارته . ولنبدأ بجميل .

جميل بن معمر

٧٠١ م و ٨٢ هـ

- حياته : جميل بُشينة من بني عُذرة . وبُشينة صاحبه . اول حبه لها . خبره مع توبة . هدر دمه وهربه الى اليمن . رجوعه وذهابه الى مصر . موته . بلوغ الخبر لبُشينة . عفة جميل وكلامه لابن سهل . اخبار جميل . السخف والغلو والتناقض في قصته . سبب ذلك . الاعتماد في الدرس على شعره دون اخباره
- آثاره : اشعار واخبار في كتب الادب . مجموعة خطية من شعره في برلين .
- ميزته : جلالة البداوة . رقة العاطفة . رصانة الاسلوب . الحب الصادق العفيف . القناعة منه بالشيء الزهيد . اختلاف غزله عن غزل الجاهليين . وصف اشاعر نفسه وآلامه مع الوصف المادي لمحبوبته . التفاته من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة . جمال هذا التنقل . الغلو البريء الساذج .
- مترنمه : زعيم الشعراء الغزلين في صدق مودته ، وزعيم المذريين في عفافه .

حياته

هو جميل بن عبدالله بن معمر العذري ، اشتهر بحبه لابنة عمه بُشينة ، فعُرف بجميل بُشينة . وكانا يقيان في وادي القرى ^(١) ، واحبها وهو غلام صغير . قيل انه اقبل يوماً بابله حتى اوردها وادياً يقال له بغيض ، فاضجع وارسل ابله مصعدة واهل بُشينة بذيل الوادي . فأقبلت بُشينة وجارة لها واردتين ، فترتا على فِصال ^(٢) لجميل بُرُوك ^(٣) ، فعزقتم ^(٤) بُشينة ، وكانت حينئذ جويرية لم تُدرك ، فسبها جميل فسبته ، فمأخ اليه سبابها واحبها . وفي ذلك يقول :

وَأَوَّلُ مَا قَادَ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا ،
بِوَادِي بَغِيضٍ ، يَا بُشَيْنَ ، سَبَابُ

(١) وادي القرى : موضع في الحجاز قريب من المدينة . (٢) الفِصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة اذا فصل عن أمه . (٣) البُرُوك : جمع بارك وهو اللابل بمعنى الجالس للانسان . (٤) عزقتم : ضربتم فأتختنهم .

فَقُلْنَا لَهَا قَوْلًا ، فَجَاءَتْ بِمِثْلِهِ ، لِكُلِّ كَلَامٍ ، يَأْبَثِينَ ، جَوَابُ
ثم صارت بشينة شابة ، وصار جميل شاباً ، فازداد بها هيماً وطقق ينسب بها
حتى اشتهر امره . فخطبها الى اهلها فردوه مخافة ان يعيروهم الناس لقوله فيها
وشيوع حبه لها .

واتفق مرة ان توبة بن الحُمَيْر صاحب ليلي الانخيلية مر ببني عُدرة ، فرأته
بشينة فجعلت تنظر اليه وجميل حاضر ، فشارت الغيرة في قلب جميل فقال لتوبة :
« هل لك في الصراع ؟ » قال : « ذلك اليك . » فأعطت بشينة جميلاً ملاءة حمراء فاتزر
بها وصارع توبة فصروعه . ثم قال : « هل لك في النضال ^(١) ؟ » قال : « نعم . »
فناضله فنضله ^(٢) جميل . ثم قال : « هل لك في السباق ؟ » قال : « نعم . » فسابقه
فسابقه جميل . فقال توبة : « يا هذا انما تفعل ذلك بريح هذه الجلاسة ، ولكن
اهبط بنا الوادي . » فهبط ، فصروعه توبة ، ونضله ، وسبقه .

وكان عند بشينة مثل ما عند جميل ؛ فلما رأت غيرة عليها زادت شغفاً به .
واخذوا يجتمعان على موعد عند غفلات الرجال ، فعرف قومه بها فجمعوا له جمعاً ،
وترصدوه ذات ليلة ليقتلوه فحذرته بشينة ، فاستخفى وقال :

وَلَوْ أَنَّ أَلْفًا دُونَ بَشْتَةٍ ، كُلُّهُمْ غِيَارِي ، وَكُلُّ مَزْمُوعٍ عَلَى قَتْلِي ^(٣)
لَحَاوَلْتُهَا ، إِمَّا نَهَاراً مُجَاهِراً ، وَإِمَّا سُرَى لَيْلٍ ، وَلَوْ قَطَعُوا رِجْلِي ^(٤)
ثم هجا قومها فاستعدوا عليه مروان بن الحَكَم ، وهو على المدينة من قبل
معاوية ، فأهدر دمه او نذر ليقطن لسانه ، فهرب جميل الى اليمن وفي ذلك يقول :
أَتَانِي عَنْ مَرْوَانَ بِالْغَيْبِ أَنَّهُ مُقَيَّدُ دِمِي ^(٥) ، أَوْ قَاطِعٌ مِنْ لِسَانِي ^(٦)
فَفِي الْغَيْبِ مَنَجَاةٌ ، وَفِي الْأَرْضِ مَذْهَبٌ ، إِذَا نَحْنُ رَفَعْنَا لَهُنَّ الْمَثَانِيَا ^(٦)
فأقام هناك الى ان غزل مروان ، فرجع الى بلده .

(١) النضال : رمي النبال . (٢) ناضله : غالبه في الرمي . فضله : فغلبه . (٣) بَشْتَةٍ :
تكبير بشينة وهي المرأة الحسناء البضة . (٤) لحاولتها : أي لطلبتها . (٥) مقيد دمي : أي
مهدر دمي . (٦) العيس : الابل . المثاني : جمع مثناة وهي الجبل من صوف او شعر . اي اذا نحن
رفعنا الجبال للعيس فتنتطلق في سيرها .

وانتجع اهل بُشينة الشام فوحد جميل اليهم ، فشكوه الى عشيرته فغفقه اهله
وهددوه ، فانقطع عنها . ثم لجأ الى مصر وعليها عبد العزيز بن مروان فأحسن
وفادته . ولكنه لم يلبث ان مرض مَرَضَةً فمات بها .

قيل لما حضرت جميلًا الوفاة دعا برجل وقال له : « هل لك ان اعطيك كل ما
أُخْلِفَه على ان تفعل شيئاً اعهد به اليك ؟ » قال : « نعم . » قال : « اذا متُ فخذ
حلي هذه واغزلها جانباً ، وكل شيء سواها لك ، وارحل الى رهط بشينة على ناقتي
هذه ، والبس حلي هذه اذا وصلت ، واشققها ثم اعلُ على شرفٍ ، وصح بهذه
الايات :

صَدَعَ النَّعْيُ ، وَمَا كُنِّي ، بِجَمِيلٍ ، وَتَوَى بِمِصْرَ ثَوَاءً غَيْرَ قَفُولٍ ^(١)
وَلَقَدْ أَجْرُ الدَّيْلِ فِي وَادِي الْفَرَى ، نَشْوَانٌ بَيْنَ مَزَارِعٍ وَنَخِيلٍ ^(٢)
قَوْمِي بُشِينَةُ ، فَأَنْذِرِي بِعَوِيلٍ ، وَأَبْيِي خَلِيلِكَ دُونَ كُلِّ خَلِيلٍ

فلما اتى الرجل وانشد الايات ، برزت بشينة وقالت : « يا هذا ، ان كنت
صادقاً فقد قتلتني ، وان كنت كاذباً فقد فضحتني » فقال : « ما انا الا صادق . »
واراها الحلة . فصاحت وصكت ، وجهها ، فاجتمع نساء الحي يبيكين معها حتى
صعقت ^(٣) ، فمكثت مغشياً عليها ساعة ثم قامت وقالت :

وَإِنْ سُلُوِي عَنْ جَمِيلٍ لَسَاعَةً ، مِنْ الدَّهْرِ مَا حَانَتْ ، وَلَا حَانَ حِينُهَا ^(٤)
سَوَاءٌ عَلَيْنَا يَا جَمِيلُ بَنُ مَعْمَرٍ ، إِذَا مُتَ ، بِأَسَاءِ الْحَيَاةِ وَلَيْنَهَا ^(٥)

(١) صدع : تكلم بالحق جهاراً ، اي صرح النعي . بجميل : متعلق بصدع . وقوله :
ما كني : اي ما ستر ولا تكلم بصورة الكناية وهي ضد التصريح . توى : اقام والضيمير
يعود على جميل . غير قفول : غير راجع اي ثواء شخص غير راجع (٢) ولقد أجر
الذيل : التفات الى المتكلم وهو جميل . وجر الذيل : كناية عن التيه والتبختر في المشي .
النشوان : السكران . وهنا نشوان من الطرب والعز والسعادة لا من الخمر . النخيل والنخل :
واحد . (٣) صعقت : غشي عليها . (٤) نقول : ان زمن سلوها عن جميل لم يقرب ولا قرب وقته .
(٥) بأساء الحياة : بؤسها . لينها : رخاؤها . تقول : اذا مت يا جميل فالبؤس والرخاء
سيبان عندنا . اي لا تبقى للحياة قيمة عندها .

وقال عباس بن سهل الساعدي : « آقيني رجل من اصحابي فقال : « هل لك في جميل ، فانه يعتل ، نعوذه ؟ » فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه ، فنظر اليّ وقال : « يا ابن سهل ، ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ، ولم يزن ، ولم يقتل النفس ، ولم يسرق ، يشهد ان لا إله الا الله ؟ » قلتُ : « اظنه قد نجا ، وارجوه الجنة ؛ فمن هذا الرجل ؟ » قال : « انا » قلتُ : « ما احسبك سلمت وانت تشب ببيئته منذ عشرين سنة . » قال : « لا نالتي شفاعة محمد ان كنت وضعت يدي عليها لريبة . » وكان جميل طويل القامة ، عريض ما بين المنكبين ، جميل الخلقة ، حسن النزة ^(١) .

اخبار جميل

لصاحب بيئته اخبار كثيرة يتألف منها قصة فكهة لمن اراد التسليمة دون ان يشغل فكره بالدرس والانتقاد، ولكن اذا رماها بنظر الناقد بدا له ما فيها من سخف وغلو وتناقض ، مما يدل على ان واضعها قليل الحظ من فن التأليف . فهو يروي لنامرة خيراً يصور فيه جميلاً مثلاً للعفة ، كما نعهده في شعره ، ثم يشفعه بنجر آخر يشوه هذه العفة ويفسدها . ويحدثنا مرة اخرى عن وفاء جميل حديثاً لذيذاً ، ولكنه لا يلبث ان ينقضه بغيره فيرينا هذا العاشق غادراً لثيماً . وهكذا يصح القول في شجاعة جميل وجبنه .

وبين ان هذه المناقضات تعود باجمعها على تعدد رواة القصة ووضاعها . فانهم لم يقصدوا منها خدمة الحقيقة والتاريخ وانما مفاكهة الناس في ذلك العصر الاموي الذي كثر فيه الترف واللهو ، فكان احب شيء الى قومه استماع اخبار العشاق المتيمين . ونحن في درسنا جميلاً نعتمد على شعره ، لا على تلك الاقاصيص المتفرقة التي ليس لها قيمة تاريخية ولا فنية ، وليس لها نفع لولا حسن انشائها . واما شعره فيمكننا ان نتمثل فيه حالة جميل وغير جميل من اولئك الشعراء الغزلين الذين عظموا البادية بانفاسهم في الصدر الثاني للاسلام .

لجميل اشعار واخبار متفرقة في كتب الادب ، واكثر شعره في الغزل وله اقوال في الفخر والهجاء . وكان له ديوان كبير معروف في ايام ابن خلكان ^(١) فضاع ، ولكن بقي له اشعار مجموعة في كتاب ، منه نسخة خطية في برلين .

حبرته — الغزل البدوي

جلال البداوة وسذاجتها ، ورقة العاطفة ولوعتها ، ورصانة العبارة وقوتها : شيء يتألف منه شعر جميل .

عفاف النفس وقناعتها ، وصدق المودة ووفائها : هذا هو حب جميل .

وما جميل الا زعيم الشعراء المتيمين ، واستاذ الغزل البدوي في نهضته الاسلامية ؛ فاذا انت قرأته تعلم مبلغ تطور الشعر الغزلي على عهد بني امية وغير الفرق بينه وبين الغزل في الجاهلية ، ثم ترى تلك اللوعة الصادقة ، وذلك الحب العفيف . فانظر اليه كيف يشكو الى بثينة وجده ويتقاضاها دينه ، وكانت وعدته باللقاء فاخلفت مكرهة لا محتارة :

وَكَأَنَّ طَارِقَهَا ، عَلَى عَالِ الْكَرَى ، وَالنَّجْمُ وَهْنًا قَدْ دَنَا لِتَغُورِ ، ^(٢)
يَسْتَأْفُ رِيحَ مُدَامَةٍ مَعْجُونَةٍ ، بِذِكْرِ مَسْكَ ، أَوْ سَحِيقِ الْعَنْبَرِ ^(٣)
إِنِّي لَا حَفْظُ غَيْبِكُمْ وَيَسْرُنِي ، إِذْ تُذْكَرِينَ بِصَالِحٍ ، أَنْ تُذْكَرِي

(١) ابن خلكان : عالم مؤرخ شهير توفي سنة ١٢٨٢ م ٦٨١ هـ . (٢) طارقها : زائرها ليلاً . العلى : الشرب تباعاً . الكرى : الرقاد . الوهن : الليل عند ادباره . (تغور : الغياب . يقول : كأن زائرها ليلاً ، وقد سقاها الرقاد تباعاً من خمرته فاسكرها فنمات طويلاً . ثم قال : والنجم في آخر الليل قد دنا للغياب . يشير الى قرب طلوع الصباح . وخبر كأن في البيت التالي . (٣) يستأف : يشم . والجملة خبر كأن . يقول : كان زائرها وقد عليها الكرى بشرابه يشم عند الصباح ريح خمرة معجونة بالمسك الذكي ، او بمسحوق العنبر . يشير الى طيب رائحة فمها في الضحى اذ يخبث الفم من الاجرة التي تتصاعد اليه من المعدة في اثناء الرقاد . والمعنى : ان بثينة لا يحمل رقادها الى فمها هذه الاجرة الكريهة بل يسقيه خمرة معجونة بالمسك والعنبر .

وَيَكُونُ يَوْمٌ ، لَا أَرَى لَكَ مُرْسَلًا ،
يَا لَيْتَنِي أَلْقَى الْحَمِيَّةَ بَغْتَةً ،
أَوْ اسْتَطِيعُ تَجَلُّدًا عَنْ ذِكْرِكُمْ ،
لَا تَحْسَبِي أَنِّي هَجَرْتُكَ طَائِعًا ،
فَلْتَبْكِينَ أَلْبَاكِيَّاتُ ، وَإِنْ أُبِخَ ،
يَهْوَاكَ مَا عَشْتُ ، أَلْفُؤَادُ ، فَإِنْ أُمْتُ ،
إِنِّي إِلَيْكَ بِمَا وَعَدْتُ لَنَاظِرٌ
يَعْدُ الدُّيُونَ ، وَلَيْسَ يُنْجِزُ مَوْعِدًا
مَا أَنتِ وَالْوَعْدُ الَّذِي تَعِدِينِنِي ،

(١) أَوْلَيْتَنِي فِيهِ ، عَلَيَّ كَأَشْهُرٍ
(٢) إِنْ كَانَ يَوْمٌ لِقَائِكُمْ لَمْ يُقَدَّرْ ،
(٣) فَيُفِيقُ بَعْضُ صَبَابَتِي وَتَفَكُّرِي
(٤) حَدَثٌ ، أَعْمَرُكَ ، رَائِعٌ أَنْ تُهَجِّرِي
(٥) يَوْمًا بِسِرِّكَ مُعَلِّنًا ، لَمْ أَعْذَرَ
(٦) يَتَّبِعُ صَدَائِي صَدَاكَ بَيْنَ الْأَقْبَرِ
(٧) نَظَرَ الْفَقِيرَ إِلَى الْغَنِيِّ الْمَكْثَرِ
(٨) هَذَا الْغَرِيمُ لَنَا ، وَلَيْسَ بِمُعْسِرٍ
(٩) إِلَّا كَبَّرَ سَحَابَةً لَمْ تُمَطِّرْ

فهذا الغزل يختلف عن غزل امرئ القيس وطرفة وزهير وغيرهم من الجاهليين ،

(١) مُرْسَلًا : رسولاً . يقول : ان يومه يصير كالاشهر في طوله ان لم يجتمع بها او لم يات منها رسول . (٢) لم يُقَدَّرْ : أي لم يكن مكتوباً في لوح القضاء والقدر . (٣) او استطيع : اي او ليتني استطيع . يُفِيقُ . يصحو . الصبابة : حرارة الشوق . تفكري : اي تفكري بكم . (٤) حدث : اي امر عظيم . رائع : مخيف . (٥) فلتبكين الباكيات : أي فلامت ولتندبني النواذب اذا هجرتك ، وان بحت بسرك فلا عذر لي منك . (٦) الاقبر : جمع قبر . يقول : يهواك فؤادي مدة عيشي . وتعريف الفؤاد ينوب عن ياء المتكلم . ثم قال : واذا مت يتبع رجعي صوتي رجع صوتك بين القبور ، أي انها اذا وقفت على قبره ونادته أجابها من بين القبور . ومن ذلك قول توبة بن الحمير :

ولو أن ليلى الأخيلىمة ساجت عليّ ، ودوني جندلٌ وصفائحُ ،
لَسَلَسْتُ تسليمَ البشاشة ، أو زقا إيمها صدّي من جانبِ القبرِ صائحُ

(الجندل : الحجارة . الصفائح : الحجارة العراض . زقا : صاح)

(٧) بما وعدت : اي بما وعدت من لقاء : المكثّر : ذو المال . وقوله : نظر الفقير الى الغني : اي نظرة خشوع واستعطاء . (٨) يعد الديون : أي وفاءها . وديون جميل على بشيمة هي مواعيد اللقاء . يُنْجِزُ : يفي . الغريم : الدائن والمدين ، والمراد هنا المعنى الثاني . وقوله : هذا الغريم : أي بشيمة لانها مدينة له بوعدها . المعسر : من ضاقت ذات يده فعجز عن دفع المال : اي ان بشيمة تستطيع ان تفي دينها لانها غير عاجزة عن ادائه . (٩) اي وعدها كاذب كالبرق الخلب الذي لا مطر بعده .

اذ لا يقتصر على التشبيب بحاسن المرأة بل يضيف اليه شيئاً روحياً يعني بنفس
الشاعر وعواطفه . وربما كانت عناية الشاعر الاسلامي بنفسه اكثر من عنايته
بوصف محبوبته . ففي هذه القصيدة لا يكاد جميل يذكر بشئنة وطيب نكهتها
حتى ينصرف الى نفسه ، فيبت شكايته وما يلاقيه من ألم البعد ، ثم يشرح هواه
الذي يرافقه الى ما بعد الموت « يتبع صداي صدك بين الأقر . » ثم يتقاضى ديونه
ويلح في طلبها ، ولكنه يقنط أخيراً من وفائها فيقول :

مَا أَنْتِ وَالْوَعْدُ الَّذِي تَعِدِينِنِي ، إِلَّا كَبَرَقِ سَحَابَةٍ لَمْ تُعْطَرْ

وهو في شكايته وشرح هواه وتقاضيه ديونه ، ملتاع صادق اللوعة لا يتكلف
الحب تكلفاً ، وعف اللسان والضمير لا تخرج من فمه كلمة تخدش جبين الادب .
وما اجمل هذا الالتفات في شعره من الغيبة الى الخطاب ، ومن الخطاب الى الغيبة ،
وما اشد وقعه في النفس ، فانه في كل التفاتة ينبه السامع ، ويبعث فيه نشاطاً جديداً
للاصغاء اليه .

ومن قوله وقد ازمع السفر الى مصر :

أَلَا لَيْتَ رَيْعَانَ الشَّبَابِ جَدِيدُ ، وَدَهْوَاً تَوَلَّى ، يَا بُيْنَ ، يَعُودُ^(١) ،
فَنَغْنَى كَمَا كُنَّا نَكُونُ ، وَأَنْتُمْ قَرِيبُ ، وَإِذَا مَا تَبْدَلِينَ زَهِيدُ^(٢) ،
وَمَا أَنْسَمَ الْأَشْيَاءَ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا ، وَقَدْ قَرَّبْتَ نَضْوِي : «مِصْرُ تُرِيدُ؟»^(٣) ،
وَلَا قَوْلَهَا : «لَوْلَا الْعُيُونُ الَّتِي تَرَى ، أَتَيْتُكَ ، فَأَعْذُرْنِي ، فِدَاكَ جُدُودُ!»^(٤) ،
ويقول في ختامها وهي طويلة :

يَمُوتُ الْهَوَى مِتِّي إِذَا مَا لَقِيْتُهَا ، وَيَحْيَا إِذَا فَارَقْتُهَا ، فَيَعُودُ^(٥) ،

(١) تولى : ذهب ومضى . (٢) نغنى : نعيش . كما كنا نكون : اي كما كنا نعيش .
وقوله قريب ، يقال : انتم قريب وانتم قريب على المفرد والجمع . يقول : نعيش كما كنا
نعيش اذ كنتم لا احظى منك بغير النظر ، وهو شيء زهيد تبديلينه وانسا به راض . (٣) م
الاشياء : اي من الاشياء . استعملت في الشعر . النضو : المهزول من الابل لكثرة الاسفار .
وقوله قُربت نضوي : أي قُربت ناقتي للرحيل . (٤) العيون : الرقباء مجاز مرسل .
فدناك جدود : أي فدناك جدود لي . (٥) قوله : يموت الهوى ميني : اي ان شوقه يحمده
عندما يراها لشدة عفافه وحيائه . واذا ابتعد عنها عاوده الشوق .

يَقُولُونَ : « جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِغُرُورٍ ! » وَأَيَّ جِهَادٍ غَيْرُهُنَّ أُرِيدُ ؟ ^(١)
 لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ ، وَكُلُّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدٌ ^(٢)

وَيُحْسِنُ بَكَ أَلَّا تَغْفَلَ عَنْ قَوْلِهِ : « يَمُوتُ الْهُوَى مَنِي إِذَا مَا لَقِيَتْهَا . . . » فَانْه
 يَصُورُ حُبَّ جَمِيلٍ وَعَفَّةَ جَمِيلٍ . فَأَكْرَمَ بِحُبِّ هَؤُلَاءِ الْعَذْرَوَاتِ ، يُزِينُهُ الطَّهَرُ وَالْوَفَاءُ .
 وَمَنْ قَوْلُهُ :

لَقَدْ فَرِحَ الْوَلَسُونَ أَنْ صَرَمْتَ حَبْلِي
 يَقُولُونَ : « مَهْلًا ! يَا جَمِيلُ » وَإِنِّي
 أَحِلُّمًا ! فَقَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ أَوَانُهُ ،
 وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا سَاعِيًا بِبَشِيمَةٍ ،
 إِذَا مَا تَرَا جَعْنَا الَّذِي كَانَ يَنْتَنَا ،
 كِلَانَا بَكِي ، أَوْ كَادَ يَبْكِي صَبَابَةً ،
 وَفِيهَا يَقُولُ :

أَجْدَكَ ! لَا أَلْقَى بُشِينَةً مَرَّةً ،
 مِنْ الدَّهْرِ ، إِلَّا خَائِفًا أَوْ عَلَى رَحْلِ ! ^(٨)

(١) جَاهِدُ : أَيِ جَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . غَيْرُهُنَّ : الضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى النِّسَاءِ أَيِ غَيْرِ جِهَادِي
 فِي حَبْنٍ . وَهُوَ يُرِيدُ وَاحِدَةً وَلَكِنَّهُ أَطْلَقَ الْكَلَامَ عَلَى مَجْمُوعِ جِنْسِ النِّسَاءِ . (٢) بَشَاشَةٌ :
 أَيِ طَلَاوَةٍ . شَهِيدٌ : أَيِ لَهُ ثَوَابٌ وَأَجْرٌ لَانَهُ مَاتَ مُجَاهِدًا فِي حَبْنٍ . (٣) صَرَمٌ : قَطَعَ . وَصَرَمْتُ
 حَبْلِي : أَيِ هَجَرْتُ وَقَطَعْتُ حَبْلَ مُودَتِهِ . (٤) الْحِلْمُ : الْعَقْلُ . وَقَوْلُهُ : أَحِلُّمًا : الْاسْتِفْهَامُ هُنَا
 لِلْإِسْتِغَادِ ، أَيِ انْهَمِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَصْبِرَ عَنْ بُشِينَةٍ فَيَقُولُ : أَتُرِيدُونَ أَنْ أَحِلْمَ وَاصْبِرْ عَنْهَا بَعْدَ
 أَنْ مَضَى أَوَانُ الْحِلْمِ ، أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ أَخْشَى وَلَطَلَمَا أُوْعِدْتُ بِالْقَتْلِ . وَقَوْلُهُ أَحِلُّمًا : مَصْدَرُ الْفِعْلِ
 مَحْذُوفٌ . (٥) لَمْ يَصِدْ : لَمْ يَقْصِدْ . يَقُولُ : كَمْ مِنْ وَاشٍ سَعَى بِأَحْدُنَا إِلَى الْآخِرِ وَلَمْ يَقْصِدْ أَحْدُنَا إِلَى
 ذَلِكَ الْوَاشِي فَيَكْفِيهِ هَذِهِ السَّمَايَةُ . وَقَوْلُهُ : بِكَفٍ وَلَا رَجُلٍ : أَيِ سَارَ إِلَيْهِ حَبْوًا عَلَى الْيَدَيْنِ
 أَوْ مَشِيًا عَلَى الرِّجْلَيْنِ . (٦) يَقُولُ : إِذَا مَا تَعَانَبْنَا بَعْدَ سَمِيِّ الْوُشَاةِ تَرَا ضِينًا فَتَبْكِي بِبُشِينَةٍ وَيَخْتَلِطُ
 دَمْعُهَا بِكَحْلِهَا . (٧) كِلَانَا بِكِي : أَيِ كِلَانَا بِكِي فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ . ثُمَّ قَالَ : أَوْ كَادَ يَبْكِي .
 ثُمَّ قَالَ : وَلَكِنْ بُشِينَةٌ اسْتَعْجَلَتْ عِبْرَةَ قَبْلِي . (٨) الْجِدُّ : ضِدُّ الْهَزْلِ . وَقَوْلُهُ : أَجْدَكَ : أَيِ
 أَجِدُّ مِنْكَ ، مَنْصُوبَةٌ عَلَى تَرْعِ الْخَائِضِ ، أَوْ عَلَى إِخْصَا مَفْعُولٍ مُطْلَقٍ وَالتَّقْدِيرُ : أَتَجِدُّ جَدًّا . وَقَوْلُهُ :
 خَائِفٌ : أَيِ خَائِفٌ مِنَ الْوُشَاةِ وَالرِّقَبَاءِ . وَقَوْلُهُ : أَوْ عَلَى رَحْلِ : أَيِ مُودِعٍ مَزْمَعِ السَّفَرِ .

خَلِيلِي فِيمَا عَشْتُمَا ، هَلْ رَأَيْتُمَا
أَبَيْتَ مَعَ الْهَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا ،
قَتِيلًا ، بَكِيٍّ مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي؟
وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ، ذَوُو فَضْلٍ ^(١)

وقد تجد في غزل جميل شيئاً من الغلو ولكنه بريء ساذج ، تدافع به اللوعة
من جميع جهاته ، فلا تنكره عليه ، ولا تحس فيه تكلفاً او اغراباً ، بل يلذ لك ان
تسمعه يقول :

فَلَوْ أَرْسَلْتَ يَوْمًا بُشَيْنَةً تَبْتَغِي
لَأَعْطَيْتَهَا مَا جَاءَ يَنْغِي رَسُولُهَا ،
يَمِينِي مَالِي يَا بُشَيْنَ ، فَإِنَّمَا
فَمَا لَكَ ، لَمَّا خَبَرَ النَّاسُ أَنَّنِي
فَأُبَلِي عَذْرًا ، أَوْ أَجِيءُ بِشَاهِدٍ ،
وَكُنْتُ ، وَإِنَّ عَزَّتْ عَلَيَّ ، بِقَائِلٍ
وَلَبِثْتُ قَوْمًا فِيكَ قَدْ نَذَرُوا دَمِي ،
إِذَا مَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا عَنْ جَنَابِهِ ،
يَمِينِي ، وَلَوْ عَزَّتْ عَلَيَّ يَمِينِي ،
وَقُلْتُ لَهَا بَعْدَ الْيَمِينِ : سَلِيمِي ،
يَمِينُ عِنْدَ الْمَالِ كَسْلُ ضَمِيرٍ
أَسَأْتُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، لَمْ تَسْلِمِي ^(٢)
مِنَ النَّاسِ عَدْلٍ : أَنَّهُمْ ظَلَمُونِي ^(٣)
لَهَا بَعْدَ صَوْمٍ : يَا بُشَيْنَ صَلِّمِي ^(٤)
فَلَيْتَ الرِّجَالَ الْمُوَعِدِينَ لِقَوْنِي ^(٥)
يَقُولُونَ : « مِنْ هَذَا؟ » وَقَدْ عَرَفُونِي ^(٦)

أفليس من الغلو الساذج ان ترى الشاعر يجود بيمينه غير آسف عليها ، ثم لا يجد
ذلك كافياً لاظهار حبه اذا لم يشفعه ببذل ماله فيقول : « سَلِيمِي مَالِي يَا بُشَيْنَ . . . »
وهو على تهالكه في حبها شجاع باسل يهدد قومها : « فَلَيْتَ الرِّجَالَ الْمُوَعِدِينَ
لِقَوْنِي . » وفخور معجب بنفسه : « يَقُولُونَ : مِنْ هَذَا؟ » وقد عرفوني . « وَأَنُوفُ
يَأْبَى الضِّمِيمَ وَلَوْ كَانَ الْحَبِيبُ الْفَاعِلُ :

وَكُنْتُ ، وَإِنَّ عَزَّتْ عَلَيَّ ، بِقَائِلٍ
لَهَا بَعْدَ صَوْمٍ : يَا بُشَيْنَ صَلِّمِي

(١) الهلاك : الصعاليك . موسعون : اغنياء قادرون . (٢) الظاهر : الغيب ، وقولهم
ظهر الغيب من باب اضافة الشيء الى نفسه كنسيم الصبا والمعنى : أسأت اليك في غيابك . (٣) ابلي
عذراً : اي اقدم لك عذراً مقبولاً . (٤) الصرم : القطيعة والهجر . وقوله : وان عزت علي :
اي عزت عليه بثينة ان يصلها . (٥) نذروا دمي : اوجبوا هدره على انفسهم . الموعدين : المهديين .
وقوله فيك : اي لاجلك والمعنى : نذروا دمي لاجلك . (٦) عن جنابه : عن بعد .

ولكنه ، وان صرمت حباله ، لا يرضى بها بديلاً ، ولا يسمع قوله العواذل فيها :

فَلَرُبَّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَصَلَهَا ، بِالْجِدِّ تَخْلُطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ ^(١) ،
 - : لَوْ أَنَّ فِي صَدْرِي كَقَدَرِ قَلَامَةٍ ، فَضْلاً ، وَصَلْتُكَ ، أَوْ أَتَتْكَ رَسَائِلِي ^(٢) ،
 صَادَتْ فُؤَادِي ، يَا بُشَيْنُ ، حَبَالُكُمْ ، يَوْمَ الْحُجُونَ ، وَأَخْطَأْتُكَ حَبَائِلِي ^(٣) ،
 مَنِيَّتِي ، فَلَوَيْتَ مَا مَنِيَّتِي ، وَجَعَلْتَ عَاجِلَ مَا وَعَدْتَ كَآجِلِ ^(٤) ،
 وَتَشَاقَلْتَ لَمَّا رَأَتْ كَلْفِي رِبَهَا ، أَحَبُّ إِلَيَّ بِذَلِكَ مِنْ مُتَشَاوِلِ ^(٥) ،
 وَأَطَعْتَ فِي عَوَازِلٍ فَهَجَرْتَنِي ، وَعَصَيْتُ فَيْكَ ، وَإِنْ جَهَدَنْ ، عَوَازِلِي ^(٦) ،
 حَاوَلْتَنِي لِأَبْتِ حَبْلِ وَصَالِكُمْ ، مِنْي ، وَلَسْتُ ، وَإِنْ جَهَدَنْ ، بِقَاعِلِ ؟ ^(٧) ،
 وَيَقْلُنَ : « إِنَّكَ قَدْ رَضَيْتَ بِبَاطِلِ مِنْهَا ، فَهَلْ لَكَ فِي اجْتِنَابِ الْبَاطِلِ ؟ » ^(٨) ،
 لِيُزِلَنَّ عَنْكَ هَوَايَ ، ثُمَّ يَصْلَتَنِي ، وَإِذَا هَوَيْتُ ، فَمَا هَوَايَ بِزَائِلِ ^(٩) ،
 فَرَدَدْتُهُنَّ ، وَقَدْ سَعَيْنَ بِهَجْرِكُمْ لَمَّا سَعَيْنَ لَهُ ، بِأَفُوقِ نَاصِلِ ^(١٠) ،

(١) يقول : رب امرأة تعرض علي نفسها لاتزوجها ، وهي في كلامها تخلط الجد بالهزل ، وذلك لكي تجعل لنفسها مجالا للتخلص اذا رأت مني جفاءً وصدوداً . (٢) القلامة : ما ينقطع من الظفر . يقول مجيباً تلك التي عرضت نفسها عليه : لو بقي في صدري فراغ يزيد على الحب بقدر القلامة لاجبت طلبك فوصلتك ، او ارسلت اليك عارضاً نفسي قبل ان تعرضني نفسك . (٣) الحجون : جبل بمكة عنده مدافن اهلها . يقول : صادتني اشراكك يوم النقائنا في الحجون ، اما انا فلم استطع اصطيداك بل اخطأتك اشراكي . (٤) منيتي : حملتي على تمنيتك . لويت : طويت . يقول : وعدتني وصلاً عاجلاً ثم اجلت هذا الوعد . (٥) تشاقلت : تباطأت . كلفي : حي وولهي . يقول : تباطأت عن وصالي لما رأت شدة حبي لما ، ولكن ما احبها في تباطؤها الى قلبي . (٦) العواذل : جمع عاذلة وهي التي تلوم في الحب . جهدن : عين . أي عصيت في حبك عواذلي وقد عيين وهن يلجنني ليرددنني عن هواي . (٧) حاولتني : أردتني وطلبت مني . لابت : لاقطع . جهدن : عيين . (٨) ويقان : الضمير يعود على العواذل ، اي ويقان لي . (٩) ليزلن : ليمحجن ويلاشين . يقول : وهن يقان ذلك ليمعدن حبي عنك ويلاشينه ثم يصلتنني ، ولكنني اذا احببت فليس حبي بزائل . (١٠) الافوق : السهم الذي كثر فوقه وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . الناصل : ما لا نصل فيه . يقول : فرددتهم لما سعين بهجركم فاخفق مساعن فكانهن رمين بسهم مكسور الفوق لا نصل له فلم يصبن المرمي

يَعْضَضْنَ مِنْ غَيْظٍ عَلَيَّ أَنَا مَلَأَ ، وَوَدِدْتُ لَوْ يَعْضَضْنَ صُحْمَ جَنَادِلٍ ^(١)
وَيَقْتُلْنَ : « إِنَّكَ يَا بُنَيَّ ، بِخَيْلَةٍ » ، نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ضَنِينٍ بَاخِلٍ ! ^(٢)

ففي هذه الايات كثير من الجمال ، سواء في سهولة اللفظ وجودة المعنى ، او في صدق الوفاء وشرف العاطفة . فقد ردَّ الشاعر تلك التي عرضت عليه نفسها ردًّا لطيفاً لان حب بشينة لم يترك في صدره فراغاً لغيرها . ثم شكى الى بشينة ما يعاني من حبها ، وما تصنع العواذل للتفريق بينهما . والله ابوه ما ابلغ الالم وحب التشفي من عواذله في قوله : « ووددت لو يعضضن صُحْمَ جنادل . » بل ما اشدَّ وفاءه في قوله : « واذا هويت فما هواي بزايل . » وما اعظم قناعته وصدق ولائه حيث يقول :

وَيَقْتُلْنَ : « إِنَّكَ يَا بُنَيَّ بِخَيْلَةٍ » ، نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ضَنِينٍ بَاخِلٍ !

الا وان قناعة جميل ، ورضاه من بشينة بالشيء الزهيد ، يتمثلان في ثلاثة ايات له اذ يقول :

وَأَيُّ لَأَرْضِي مِنْ بُشِينَةٍ بِالَّذِي ، لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَالِشِي لَقَرَّتْ بِلَابِلُهُ ، ^(١)
رَبْلًا ، وَبِأَلَا أَسْتَطِيعَ ، وَبِالْمُنَى ، وَبِالْأَمَلِ الْخَوْجُو قَدْ خَابَ أَمَلُهُ ^(٢)
وَبِالنَّظَرَةِ الْعَجَلَى ، وَبِالْحَوْلِ يَنْقُضِي ، وَأَخْرُهُ ، لَا نَلْتَقِي ، وَأَوَائِلُهُ ^(٣)

ولعل هذه الايات لا تمثل القناعة مجردة ، بل تمثل معها ذلك الحب العفيف الذي اشتهر به عشاق بني عُذرة وفي طليعتهم جميل .

(١) الانامل : الاصابع . الصُحْم : جمع اصم وهو الصَّئْب . الجنادل : جمع جندل وهو الحجارة والصخور . (٢) قوله : من ضنين باخل : اي من شخص ضنين باخل . (٣) قرَّت : بردت وسكنت . البلايل : جمع بئبال وهو شدة الهم والوسواس . (٤) بلا وما بعدها : بيان لقوله : واني لارضى بالذي ، اي ارضى من بشينة ان تقول : لا اذا سألتها شيئاً ، وان تقول : لا استطيع ، اذا طلبت منها موعدا . وارضى منها بالني : اي بالتمنيات مفردة منية . وارضى بالامل ، ارجوه واخيب فيه . (٥) ثم يقول : وارضى منها بالنظرة المستعجلة ، وبأن تمضي اواخر السنة واوائلها دون ان نلتقي بعد هذه النظرة .

قال عبد الرحمن بن أزهر : « جميل اشعر اهل الاسلام . » وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري : « جميل اشعر اهل الجاهلية والاسلام ، والله ما لأحد منهم مثل هجائه ولا نسييه . » وقال محمد بن سلام : « كان لكثير حظ وافر ، وجميل مُقدّم عليه وعلى اصحاب النسيب في النسب . وكان جميل صادق الصبابة والعشق ، ولم يكن كثير بعاشق ولكنه كان يتقوّل . » ورأي ابن سلام هو المعول عليه ، فان جميلاً في صدق مودته وخلوص وفائه ، يتقدّم الشعراء الغزلين على الاطلاق ، وهو في عفة نفسه وشرف عاطفته يقود شرازم الشعراء العذريين الى جهاد الحب العفيف .

عمر بن أبي ربيعة

٦٤٤ — ٧١١ م و ٢٣ — ٩٣ هـ

حياته : ولد يوم قتل عمر بن الخطّاب في اسرة شريفة غنية من قريش . انصرف الى اللهو . استقبله الخواج في مكة . اخبره مع الحسان . تعرضن له . خبره مع فاطمة بنت عبد الملك . خبره مع عائشة بنت طلحة . اخلاق المرأة الحجازية المترفة . سكينه بنت الحسين . خبره مع هند بنت الحرث المريّة . مشاركة المرأة للرجل في ملاهيّه . حبه . ميوكل بالجمال . وصيته للفتيين . حب النساء له . زواجه كلثم المخزومية . زواجه الجارية الجمحية . نوبته . تلهفه على شبابه . مساعدته الفتى المحب على الزواج . وقوله الشعر بعد حلقه . موته في أيام عمر بن عبد العزيز ونفيه . تكذيب هذه الرواية . دعاء المرأة عليه وموته . تكلف هذه الرواية .

آثاره : ديوان شعر كانه في الغزل اشهره الرائية .

استاذ الغزل الحضري . قصر همه على الغزل . وسع نطاقه القصصي بما فيه من حوار غميلي . وكل نفسه بحال المرأة . يمثل عصره في شعره ، ويمثل نفسه اللطيفة . تأثير مذهبه في الشباب الحجازي والنساء . اعجابه بنفسه . راقيته ، يستهلها بذكر نعم ، ويكرر اسمها . حوار الاخنتين لما رأناه لوحث الاسفار وجهه . زيارته لها . الصلة بينه وبين امرئ القيس . لم يكن عمر مقلدا بل محسن ومجدد . القصص اسلوب ابن ابي ربيعة لانه احتكره ولم يجاره احد فيه . نلفظه في الوصول الى حاجته ، انتظاره سنوح فرصة الزيارة . تعابير قرشية في لغة النساء . توييخن له . وصيتهن له . مترلته : قول جرير في تطور شعره . تأثير شعره في النساء . هو شاعر قریش وفتاها وزعيم الغزلين على الاطلاق .

حياته

هو نعم بن عبد الله بن ابي ربيعة ، حذيفة بن المغيرة المخزومي القرشي . ويكنى ابا الخطاب ، وأمه يقال لها مجد ، سببت من حضر موت او من حمير ، فتزوجها عبد الله بن ابي ربيعة ، وكان تاجراً موسراً وعاملاً للنبي والخلفاء الثلاثة من بعده ، فولدت له شاعراً يوم قتل عمر بن الخطاب ، فنشأ في اسرة عظيمة الجاه ، ضخمة الثروة ، متوفر فيها اسباب الترف والتعيم . وقضت مصلحة بني أمية باقصاء القرشيين عن الحياة السياسية ، فانصرف عمر الى اللهو والعبث ، وكان له من شبابه وجماله وشاعريته ومحتده وثروته ما سهل له سبل المازلات ، فلها كثيراً وعبث كثيراً . فلم تعرض له حسناء قرشية او غير قرشية الا شبيبها وشهرها . وكان يقضي ايامه لاهياً مستمتعاً حتى اذا آن موسم الحج اعتمر ^(١) ولبس الحلل الفاخرة ، وركب النجائب ^(٢) المخطوبة بالحناء ، عليها القُطوع ^(٣) والديباج ، واسبل لِمَتَه ^(٤) وخرج من مكة يتلقى الحجاج المدنيين والعراقيات والشاميات فيتعرض لهن ويتبعهن الى مناسك الحج ، ولا يزال يترقب خروجهن للطواف في الكعبة ، حتى ينظر اليهن مخرمات فيرى منهن ما لا يراه خارج الحرم فيصفهن ويشهرهن بشعره .

(١) اعتمر الرجل : لبس العمرة أي العمامة . (٢) النجائب : كرائم النوق . (٣) القُطوع : جمع قطع وهو الطنفسة يجعلها الراكب تحته ونطفي كنفه البمبر . (٤) لِمَتَه : شعره .

وكان الحسان لا يسوؤهنَّ أن يشبَّ بهنَّ ابن أبي ربيعة ، ولطالما التمسن الاجتماع به وطلبن اليه أن يقول فيهنَّ متغزلاً ، على أن لا يقول هُجراً ^(١) مخافة أن يفضحن . فكان يتعفف في غزله مرة ، ثم يتعهر مراراً ، فيذكر حوادثه معهنَّ بقلب قصصي رائع الفن . ولولا تعهره لما خشي شره بعض كرائم النساء فصرن يخفن الخروج الى الحج حذراً من أن يراهنَّ فلا يسلمن من شيطان شعره .

على أن تعهره كان يقف به غالباً عند طائفة من صواحيبه فلا يجاوزهنَّ الى اللواتي يعرضن له في الطواف ، او الى الْمُحَصَّنات الموسومات بالعفاف . وقد يتورع من تشبه بمليحة حرمة او خوفاً ، شأنه مع فاطمة بنت عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي . فقد روى صاحب الاغاني : انها حجَّت ، فكتب الحُجَّاج ^(٢) الى عمر بن أبي ربيعة يتوعده ، أن ذكرها في شعره ، بكل مكروه . وكانت تحب أن يقول فيها شيئاً وتعرض لذلك ، فلم يفعل خوفاً من الحُجَّاج . فلما قضت حُجَّها خرجت ، فمرَّ بها رجل فقال له : « من انت ؟ » قال : « من اهل مكة . » قالت : « عليك وعلى اهل بلدك لعنة الله ! » قال : « ولم ذاك ؟ » قالت : « حججت فدخلت مكة ومعني من الجواري ما لم ترَ الأعين مثلهن ، فلم يستطع الفاسق ^(٣) ابن أبي ربيعة أن يزودنا من شعره ابياتاً نلهم بها في الطريق في سفرنا . » قال : « فاني لا اراه الا قد فعل . » قالت : « فأتنا بشيء أن كان قاله ولك بكل بيت عشرة دنانير . » فمضى اليه فأخبره . فقال : لقد فعلت ، ولكن أحب أن تكتم علي . » قال « افعل . » فأنشده قوله :

رَاعَ الْفَوَادَ تَفَرَّقُ الْأَجَابِ ، يَوْمَ الرَّحِيلِ ، فَهَاجَ لِي أَطْرَائِي ^(٤)

ولكنه لم يذكرها باسمها فوفاً من عبد الملك بن مروان ومن الحُجَّاج

(١) هجرا : فحشاً . (٢) الحُجَّاج بن يوسف اقامه عبد الملك بن مروان اميراً على الحجاز بعد انتصاره على الزبيريين . (٣) كان عمر يلقب بالفاسق تجبياً مرة وتحقيراً مرة اخرى وأكثر ما كانت تلقبه به النساء مداعبة . (٤) راع : أخاف . الاطراب : جمع الطرب : وهي خفة تلحقك من سرور او حزن وهنا بمعنى الحزن .

وجرى له مثل ذلك مع عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وهي قرشية من بني تيم بن مرة . فقد رآها وهو يطوف بالبيت ، وكانت من اجمل اهل دهرها ؛ فبهت لما رآها . ورأته وعلمت انها قد وقعت في نفسه ، فبعثت اليه جارية لها وقالت : « قولي له : اتق الله ولا تقل هجراً ؛ فان هذا مقام لا بُدَّ فيه مما رأيت . » فقال للجارية : « أقرئها السلام وقولي لها : ابن عمك لا يقول الا خيراً . » وقال فيها :
لِعَائِشَةَ ابْنَةُ التَّيْمِيِّ عِنْدِي ، حِمَى فِي الْقَلْبِ لَا يُرْعَى حِمَاهَا (١)

ثم شبب بها كثيراً ، فبلغ ذلك فتيان بني تيم ، ابلغهم اياه فتى منهم وقال لهم : « يا بني تيم بن مرة ! ليقذفن بنو مخزوم بناتنا بالعظام . » فحشى ولد أبي بكر ، وولد طلحة بن عبيد الله الى عمر بن أبي ربيعة فاعلموه بذلك ، واخبروه بما بلغهم ؛ فقال لهم : « والله لا اذكرها في شعر ابداً . » ثم اخذ يكتفي عن اسمها في قصائده ويتلطف في تبليغها ما يريد على اعداء المغنين .

ففيما كنا ان نستدل من هذين الخبرين على اخلاق المرأة المترفة في العصر الأموي ، وميلها الى الشعر ؛ واستلطافها ان يقال فيها الغزل البهري . من الفحش . ذلك بانها كانت على جانب عظيم من الادب ، ولها في الشعر نظر صائب وذوق سليم ، يرقئها (٢) جيد وينفوها رديته ، ويسرها ان تجالس الشعراء وتحادثهم وتستمشدهم . ومنهن من جعلت دارها ندوة ادبية ، تجمع فيها الشعراء والمغنين وتجادلهم وتنتقد اقوالهم وغنائهم انتقاداً مرأياً ، كسكينة بنت الحسين بن علي بن ابي طالب ، وكانت تنافس عائشة في الجمال وربما فضلتها ، ولسكينة اخبار كثيرة مع عمر بن أبي ربيعة ، وله فيها غزل رقيق تغني به المغنون .

ونستطيع ان نتبين مبلغ ترف المرأة الحجازية في هذا العصر ، وحبها للشعر واللهو في خبر لابن ابي ربيعة مع احدى سيدات قریش ، وهي هند بنت الحرث المريّة ، وهذا الخبر حدثه عمر عن نفسه ورواه صاحب الاغانى قال : « بينا انا منذ

(١) قوله : لا يرعى حماها : اي لا ينتهك ولا يسكنه سواها . (٢) يرقئها : يسحرها واصله من رقاء : عودته ونفث في عودته اي نفخ مع ريق يسير . والعود : عقدة تعدها النساء السواحر ويفتنن فيها . ومنه في سورة الفلق : « وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . »

اعوام جالس اذ اتاني خالد الخريت فقال لي : « يا ابا الخطاب ، مرت بي اربع نسوة قبيل العشاء يُردن موضع كذا وكذا لم أر مثلهن في بدور ولا حضر ، فيهن هند بنت الحوث المربية ، فهل لك ان تأتين متذكراً فتسمع من حديثهن وتتمع بالنظر اليهن ولا يعلمن من انت ؟ » فقلت : « ويحك ! وكيف لي ان أخفي نفسي ؟ » قال : « تلبس لبسة أعرابي ثم تجلس على قعود ^(١) ، فلا يشعرون إلا بك وقد هجمت عليهن . » ففعلت ما قال وجلست على قعود ثم اتيتهم فسلمت عليهن ثم وقفت بقربهن ، فسألني ان انشدن واحدتهن ، فأنشدتهم لكثير وجميل والأحوصل ونصيب وغيرهم ، فقلن لي : « ويحك يا اعرابي ! ما أملحك وأظرفك ! لو تزلت فتحدثت معنا يوماً هذا ، فإذا امسيت انصرفت في حفظ الله ، » فالتحت بعاري ثم تحدثت معهن وانشدتهن فسررن بي وجدلن ^(٢) بقوبي واعجبهن حديثي ، ثم انهن تعامزن وجعل بعضهن يقول لبعض : « كأننا نعرف هذا الاعرابي ! ما اشبهه بعمر ابن ابي ربيعة ، » فقالت احداهن : « هو والله عمر ! » فمدت هنديدها فانترعت عمامتي فألقته عن رأسي ثم قالت لي : هيه ^(٣) يا عمر ! أتراك خدعتنا منذ اليوم ! بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالد فارسلناه اليك لتأتينا في اسوأ هيئة ونحن كما ترى .

فحسبك من هذا الخبر دليل على حرية المرأة الحجازية وتحضرها في العصر الأموي ، وبوسعك ان تقابلها بشقيقتها في العصر الجاهلي فتري الفرق بينهما وتعلم مبلغ التطور السريع الذي أحدثته الاسلام في نفوس العرب ، فاستبدلوا من الحشونة رقة ومن الواد ^(٤) حباً ومن الناقة امرأة . وافادوا مسالا كثيراً من فتوحاتهم ، فاستعنت احوالهم بعد ضيق ، فاستمتعوا بحياتهم واغرقوا في الاستمتاع . وكان للشباب الحجازي المترف دافع من السياسة الى اللهو والعبث ، فتهافت عليها ، والمرأة حظها من كل ذلك ، فشاركته في تهافته ، وكان عصرهما عصر دعاية ومجون .

(١) القعود : الناقة الطويلة القوائم . او من الابل ما يمتعه الراعي في كل حاجة .
(٢) جدلن : فرحن . (٣) هيه : كلمة استرادة . (٤) الواد : دفن البنت حية تخلصاً من عارها او مووتها وكان بعض العرب في جاهليتهم يبدون بناتهم فجرمه الاسلام .

لم يقف ابن ابي ربيعة حبه على امرأة واحدة كما وقف جميل حبه على بُشينة ، بل كان تبع نساء يتنقل كالطائر من فن الى فن ، او كالنحلة من زهرة الى زهرة . واكتمه على تنقله كان صادقاً في حبه لانه انما كان يهوى الجمال ، فما رأى مليحة الا احبها واستطير اليها فؤاده ، فهو صادق في حبه للجمال ، كاذب في اخلاصه للمرأة التي يحبها . ولعل ابلغ تعريف لحب ابن ابي ربيعة حديثه لمصعب بن عروة بن الزبير واخيه عثمان ، وكان قد أسنَّ وجفَّ عوده ، فبصر بها يطوفان بالبيت وهما فتيان ، فأقبل عليهما وقال : « يا ابني اخي لقد كنتُ موكلًا بالجمال أتبعه ، واني رأيتكما فراقني حُسنكما وجمالكما ، فاستمتعا بشبابكما قبل ان تندما عليه . »

وكان عمر ناعماً في حبه تهواه النساء لجماله وشاعريته وجاهه ، فلم يزره الصدود الا غواراً . وستجد اثر هذه النعمة مطبوعاً على شعره ، واذا رايت فيه شيئاً من التلم والشكوى فانما هو ناتج عن فراق حسناء لحبها في الطواف فاتبعها فأفلتت من يده ، او عن هجران موقوت سببته غيرة المرأة عليه لتنقله في الحب وعدم اخلاصه .

زواجه

كان عمر يهوى كلثم بنت سَعْد الخزومية وهي تصد وتنتع عنه لعلمها بغدره ، وما زال يبعث اليها الرسل حتى اذنت له بزيارتها ، فكث عندها شهراً لا يدري اهله اين هو . ثم استأذنها في الخروج فقالت : « والله لا تخرج الا بعد ان تتزوجني . » ففعل وتزوجها فولدت منه ابنتين احدهما جُوان ، وماتت عنده . وكان جُوان هذا امراً صالحاً فلم يسلك مسلك ابيه وقد استعمله بعض ولاة مكة على بُبالة^(١) فحمل على خُثَم^(٢) في صدقات اموالهم حملاً شديداً فجعلت خُثَم سنة جُوان تاريخاً . قال ضُبارة بن الطُفَيْل :

وَكُوْشِهْدَتْنِي فِي لَيْالٍ مَضِيْنَ لِيْ ، لِعَامِيْنَ مَرًّا قَبْلَ عَامِ جُوانِ ،

(١) بُبالة : بلدة من ارض تهامة في طريق اليمن . (٢) خُثَم : اسم قبيلة .

رَأَتْنا كَرِيمِي مَعْشَرٌ ، حُمَّ بَيْنَنَا هَوًى ، فَحَفِظْنَاهُ بِحُسْنِ صِيَانٍ ^(١)
وفي جُوان يقول العرجي :

شَهِيدِي جُوانٌ عَلَى حُبِّهَا ، أَلَيْسَ بَعْدَلٍ عَلَيْهَا جُوانٌ ؟
فجاء جُوانٌ الى العرجي فقال له : « يا هذا ، مالي ومالك ، تُشهرني في شعرك ؟
متى اشهدتني على صاحبك هذه ؟ ومتى كنت انا اشهد في مثل هذا ! »

ويروي لنا صاحب الاغاني خبر زواج آخر لابن ابي ربيعة هو اطروفة ^(٢) في بابه ،
ومنه نعلم مبلغ تأثير شعر عمر في الحرائر ، وتُخَوِّفُ الناس على بناتهم هذا الشعر
الساحر الفاضح . قيل : ولدت لرجل من بني جَمَحٍ جارية لم يولد مثلها بالحجاز
حسناً ، وكان من أهل مكة ، فقال : « كَأَنِّي بِهَا وَقَدْ كَبُرْتُ فَشَبَّ بِهَا عَمْرُ بْنُ أَبِي
رَبِيعَةَ وَفَضَحَهَا وَنَوَّهَ بِاسْمِهَا كَمَا فَعَلَ بِنِسَاءِ قُرَيْشٍ ، وَاللَّهِ لَا اقْتَبَحْتُ بِمَكَّةَ . » فباع
ضبيعة له بالطائف ومكة ورحل بابتها الى البصرة ، فاقام بها وابتاع هناك ضبيعة
ونشأت ابنته من اجل اهل زمانها . ومات ابوها فلم تر احداً من بني جَمَحٍ حضر
جنازته ، ولا وجدت لها مسعداً ^(٣) ولا عليها داخلاً ^(٤) فقالت لداية ^(٥) لها سوداء :
« مَنْ نَحْنُ ؟ وَمِنْ أَيِّ الْبِلَادِ نَحْنُ ؟ » فخبرتها ، فقالت : « لَا جَرَمَ وَاللَّهِ ، لَا اقْتَبَحْتُ فِي
هَذَا الْبَلَدِ الَّذِي أَنَا فِيهِ غَرِيبَةً . » فباعَت الضبيعة والدار ، وخوجت في ايام الحج .

وكان ابن ابي ربيعة قد خرج للقاء الحواج العراقيات ، فاذا قبة مكشوفة فيها
جارية كأنها القمر ، تعادها ^(٦) جارية سوداء كالسبج ^(٧) . فقال للسوداء : « مَنْ
أَنْتِ ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَنْتِ يَا خَالَةَ ؟ » فقالت : « لَقَدْ اطَّالَ اللَّهُ تَعَالَى ، إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ
هَذَا الْعَالَمَ مَنْ هُمْ وَمِنْ أَيْنَ هُمْ . » قال : « فَأَخْبِرِيْنِي عَسَى أَنْ يَكُونَ لَكَ شَأْنٌ . »
قالت : « نَحْنُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَأَمَّا الْأَصْلُ وَالْمُنْشَأُ فَمَكَّةُ ، وَقَدْ رَجَعْنَا إِلَى الْأَصْلِ
وَرَحَلْنَا إِلَى بَلَدِنَا ، » فضحك . فلما نظرت الى سواد ثِيَابِيَّ ^(٨) قالت : « قَدْ عَرَفْنَاكَ . »

(١) حُمَّ : قُدِّرَ . (٢) الاطروفة : الحديث النادر . (٣) المسعد : من تساعد المرأة في
النوح على فقيدتها من جارها او ذوات قرابتها . (٤) داخلاً : اي زائراً . (٥) الداية :
المرضع وقد تظل مع الطفلة تربيها حتى تشب . (٦) تعادها : تركب معها في احد شقبي
لهودج . (٧) السبج : كساء اسود . (٨) الثياب : ثيابي وهي خرس في مقدمة

قال : « ومن انا ؟ » قالت : « عمر بن ابي ربيعة ! » قال : « وبم عرفتي ؟ » قالت :
« بسواد ثيابتيك وبهيئتك التي ليست الا لقريش . » فاذنوا يقول :
قُلْتُ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَصَدَّتْ وَقَالَتْ : « أُمَيْدٌ سُؤَالُكَ الْعَالَمِينَ ! » (١)
فَوَأْتِ حَرِصِي الْفَتَاةُ ، فَقَالَتْ : « خَيْرِيهِ ، مِنْ أَجْلِ مَنْ تَكْتُمِينَا ؟ » (٢)
- : « نَحْنُ مِنْ سَاكِنِي الْعِرَاقِ ، وَكُنَّا قَبْلَهُ قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا ،
« قَدْ صَدَقْنَاكَ إِذْ سَأَلْتَ ، فَمَنْ أَنْتَ - ؟ عَسَى أَنْ يَجُرَّ شَأْنُ شُؤُونَا ، » (٣)
« وَزَيَّ أَدْنَى عَرَفْنَاكَ بِالنَّعْتِ - بِظَنِّ ، وَمَا قَتَلْنَا يَقِينًا ، » (٤)
« بِسَوَادِ الثَّيَّابَيْنِ ، وَنَعْتِ ، قَدْ نَرَاهُ لِنَاظِرٍ مُسْتَبِينًا . » (٥)

ولم يزل بها حتى تزوجها .

توبته

على ان صاحبنا لم يشأ ان تنقضي حياته بالفتك والمجون ، فالرواة يحدثوننا بانه
ما بلغ الاربعين حتى نكح وتاب الى ربه وحلف ألا يقول بيت شعر الا اعتق

الفم . والثنايا : اربعة اضراس ثنتان من فوق وثنتان من أسفل . ولسواد ثيابي عمر خبر
وهو انه اتى صاحبه « الثريا » يوماً ومعه صديق له يصاحبه ، فلما كشفت الثريا الستر
وارادت الخروج اليه رأت صاحبه فرجعت ، فقال لها : « انه ليس بمن احتشمه ولا اخفي
عنه شيئاً » ، واستلقى فضحك - وكان النساء اذا ذك يتختمن في أصابعهن العشر - فخرجت
اليه فضربته بظاهر كفها ، فاصابت الخواتم ثنيته العلييين فنفضتا (اي قلقتا وتحركتا)
وكادتَا تسقطان ، فقدم البصرة فمولجنا له فثبتنا واسودتا .

(١) أُمَيْدٌ : اي امقسم انت سُؤَالُكَ على الناس واحداً واحداً حتى نعلمهم . من ابدى
المال والعطاء : فرقهم عليهم . (٢) فرات حرصي : اي حرصي على معرفتهم . (٣) قد صدقناك :
اي صدقناك الخبر . عسى ان يجر شأن شُؤُونَا : جواب لقوله لها : « عسى ان يكون لذلك
شأن » . (٤) قوله : وما قتلنا يقينا : اي لم نعلم من انت علماً تاماً بل بالظن وبما بك من
نعوت اي صفات . (٥) قوله : ونعت قد نراه لناظر مستبين : اي بهيئته القرشية . وكان
القرشي كثير الخيلاء وفيه النبوة والخلافة . قال الاخطل في وصف السكران :
مشى قرشية لاشك فيها ، وأرعى من مآزره الفضولا
اي مشية قرشية

رقبة . ولكنه ظل على الرغم منه يحن الى شبابه وجماله ، فتعمر به ساعات يتلهم فيها على ما مضى من صباه وصباه . فقد رأيت وصيته للغلامين الجميلين الذين شاهدهما يطوفان بالحرم . وابصر مرة فتى جميلاً عليه جمة^(١) فجعل يد الحصلة من شعره ثم يرسلها فترجع على ما كانت عليه ، ويقول : « واشباباه ! » ونظر مرة الى رجل يكلم امرأة في الطواف فعاب ذلك عليه وانكره ، فقال له : « انها ابنة عمي . » قال : « ذلك اشنع لامرك . » فقال : « اني خطبتها الى عمي ، فأبى عليّ الا بصداق اربع مئة دينار وانا غير مطيق ذلك ، » وشكا اليه من حبها وكلفه بها امرأة عظيماً ، وتحمل^(٢) به على عمه فسار معه اليه فكأمه ، فقال له : « هو مملق^(٣) وليس عندي ما اصلح به امره . » فقال له عمر : « وكم الذي تريده منه ؟ » قال : « اربع مئة دينار . » فقال له : « هي عليّ فزوجه . » ففعل ذلك .

وانصرف عمر الى منزله يحدث نفسه ، فجعلت جارية له تكلمه فلا يرد عليها جواباً ، فقلت له : « انّ لك لأمرأاً وارك تريد ان تقول شعراً ؟ » فقال :

تَقُولُ وَلَيْدَتِي ، لَمَّا رَأَيْتَنِي	طَرَبْتُ ، وَكُنْتُ قَدْ أَقْصَرْتُ حِينًا : ^(٤)
« أُرَاكَ أَلْيَوْمَ قَدْ أَحْدَثْتَ أَمْرًا ،	وَهَاجَ لَكَ أَلْهَوَى دَاءٌ دَفِينًا »
« وَكُنْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ ذُو عَزَاء ،	إِذَا مَا بَشَتْ فَارَقْتَ الْفَرِيئَا » ^(٥)
« يَرَبِّكَ هَلْ أَتَاكَ لَهَا رَسُولٌ ،	فَشَاقَكَ ، أَمْ لَقِيتَ لَهَا خَدِينَا ؟ » ^(٦)
فَقُلْتُ : شَكََا إِلَيَّ أَخٌ مُجِيبٌ ،	كَبَعُضَ زَمَانِنَا إِذْ تَعْلَمِينَا ^(٧)
فَقَصَّ عَلَيَّ مَا يَلْقَى بِهِنْدٍ ،	فَدَكَّرَ بَعْضَ مَا كُنَّا نَسِينَا
وَذُو الشَّقِّ الْقَدِيمِ ، وَإِنْ تَعَزَّى ،	مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقَيْنَا

(١) الجمة : مجتمع شعر الراس . (٢) يقال تحمّل فلان على فلان اذا استشفع به لديه . (٣) مملق : فقير . (٤) الوليدة : الامة . (٥) القوين : العشير والمصاحب . (٦) لها : اي لصاحبتها ، وقد دل عليها لفظة القرنين في البيت السابق على تذكير المونث كما تقول : الحليب للحبيبة . الخدين : الخليل والخاليلة . (٧) قوله : كبعض زماننا : اي كبعض اهل زماننا . وفيه بيان لحالة العصر الذي عاش فيه .

وَكَمْ مِنْ خُلَّةٍ أَعْرَضْتُ عَنْهَا ، لِعَايِرِ قَلِي ، وَكُنْتُ بِهَا ضَنِينًا ^(١)
أَرَدْتُ بِعَادَهَا فَصَدَدْتُ عَنْهَا ، وَلَوْ جَنَّ الْفُؤَادُ بِهَا جُنُونًا ^(٢)

ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم لكل بيت واحد برّاً بحلفه .

واخبار ابن ابي ربيعة بعد توبته قليلة لم يُغن بها الرواة عنايتهم باخبار فتكه .

صوته

يختلف الرواة في موته فمنهم من يزعم ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة نفاه الى دَهْلَك ^(٣) . ثم رأى ابن ابي ربيعة ان يكفر عن سيئاته بالتوبة والجهاد فغزا في البحر فاحتارقت السفينة التي كان فيها واحترق هو ايضاً . ويزعم غيرهم انه نظر في الطواف الى امرأة شريفة فرأى احسن خلق الله صورة ، فذهب عقله عليها وكلها فلم تجبه ، فشبب بها ، فبلغها شعره فجزعت منه فقبل لها : « اذكريه لزوجك فانه سينكر عليه قوله . » فقالت : « كلا والله لا اشكوه الا الى الله . » ثم قالت : « اللهم ان كان نوره باسمي ظالمًا فاجعله طعاماً للريح . » فضرب الدهر من ضربه ^(٤) ، ثم انه غدا يوماً على فوس فهبت ريح فتزل فاستتر بسلمة ^(٥) ، فعصفت الريح فخدشه غصن منها فدمي وورم به ومات من ذلك .

ولا يخفى ما في الرواية الثانية من التكلف والاصطناع ، واما الرواية الاولى فينفى تاريخ وفاة ابن ابي ربيعة ، فان اكثر الرواة متفقون على انه مات في السنة الثالثة والتسعين للهجرة . ونحن نعلم ان عمر بن عبد العزيز لم يسايح بالخلافة الا في السنة التاسعة والتسعين ^(٦) اي بعد وفاة الشاعر بست سنوات ، حتى ان ابن ابي

(١) الخلة : الخلية . القلي : البغض . ضنيناً : بخيلاً . (٢) قوله : اردت بعادها : اي توبة وندامة . (٣) دهلک : جزيرة من بلاد الحبش في البحر الاحمر بين بر اليمن وبر الحبش على ٢٥ ميلاً من مصوع الى الشرق وفي جوارها عدة جزر صغيرة تدعى جزائر دهلک . (٤) يقال : ضرب الدهر من ضربه : أي مرّ من مروره وذهب بعضه ، والمراد انه مرت مدة من الدهر . (٥) السلمة : واحدة السلم وهو شجر من العضاء ورقها القَرظ الذي يدبغ به الاديم . (٦) خلافة عمر بن عبد العزيز من سنة ٧١٧ - ٧١٩ م و ٩٩ - ١٠١ هـ .

ربيعة لم يدرك خلافة سليمان بن عبد الملك ^(١) بل هلك في خلافة اخيه الوليد ^(٢) والدليل على ذلك ما رواه ابو الفرج في الاغانى، قال: «خرجت الثريا ^(٣) الى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة بدمشق في دين عليها، فبينما هي عند ام البنين بنت عبد العزيز ابن مروان ^(٤)، اذ دخل عليها الوليد فقال: «من هذه؟» فقالت: «الثريا جاءتني تطلب اليك في قضاء دين عليها وحوائج لها.» فاقبل عليها الوليد فقال: «أتروني من شعر عمر بن ابي ربيعة شيئاً؟» قالت: «نعم، أما إنه يوحى الله كان عفيفاً عفيف الشعر؟» ثم انشدته قوله:

إِذْ فَوَّادِي يَهْوَى الرَّبَابَ، وَأَتَى الدَّ - هَرَحَتِي أَلَمَّاتٍ أَنْسَى الرَّبَابَا ^(٥)
وَحَسَانًا جَوَارِيًا خَفَرَاتٍ، حَافِظَاتٍ عِنْدَ أَلْهَوَى الْأَحْسَابَا ^(٦)
لَا يَكْثُرْنَ فِي الْحَدِيثِ وَلَا يَتَّبِعْنَ - يَنْعَقْنَ بِالْبَهَامِ، الظَّرَابَا ^(٧)

فقضى حوائجها وانصرفت بما ارادت منه، فلما خلا الوليد بام البنين قال لها: «لله در الثريا! أتدري ما ارادت بانشادها ما انشدتني من شعر عمر؟» قالت: «لا»، قال: «لما عرضت لها به عرضت لي بان امي اعرابية.» وام الوليد وسليمان ولادة بنت العباس من بني عباس.

فمن هذه الرواية نعلم ان ابن ابي ربيعة توفي في خلافة الوليد ولم يدرك سليمان، ولا ادرك عمر بن عبد العزيز. فخبر نفيه الى دهلك وغزوه واحتراق السفينة به

(١) خلافة سليمان بن عبد الملك من ٧١٤ - ٧١٧ م و ٩٦ - ٩٩ هـ. (٢) خلافة الوليد ابن عبد الملك من ٧٠٥ - ٧١٤ م و ٨٦ - ٩٦ هـ. (٣) الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحرث ابن أمية الاصغر، القرشية إحدى صواحب عمر. (٤) أم البنين: زوجة الوليد بن عبد الملك. (٥) الرباب: اسم امرأة. انى: بمعنى كيف. وقوله: الدهر: اي مدى الدهر، والمراد مدى العمر. يقول: كيف انسى الرباب مدى العمر وحتى الممات. (٦) وحساناً: معطوفة على قوله: انسى الربابا. خفرات: حيات. الاحساب: الشرف، اي يحفظان شرفهن في الحب. (٧) لا يكثرون في الحديث: اي لسن بثرثارات. ينعقن: من نعى الراعي بالغنم صاحبهما وزجرها. البهام: جمع بهمة وهي الصغير من اولاد الغنم: الضأن والمز والبقر من الوحش وغيرها، الذكر والانثى في ذلك سواء. الظراب: الروابي الصغار مفردا ظرب. يقول: لا يتبعن الروابي ناعقات بالبهام. يريد انهن لسن اعرايات راعيات للغنم.

مصنوع لا شك في اصطناعه ، وضعة انصار بني أمية ليبالغوا في غيرة خلفائهم على الخرمات ، فجعلوا الشاعر طريداً خليفة اشهر بتحرجه وهو عمرو بن عبد العزيز ولكنهم لم يمتنبوا الى تاريخ خلافته ولا الى تاريخ موت ابن ابي ربيعة . وقد وقع بعض كتابنا المعاصرين في خطئهم ^(١) ، فتبعوهم على غير روية ، وذكروا حادثة النبي دون ان ينظروا الى السنوات الست التي تفصل بينها وبين تاريخ الوفاة .

فيتبين لنا من كل ذلك ان موت ابن ابي ربيعة مجهول السبب لعدم اهتمام الرواة باخبار الشاعر بعد توبته ، ولكنهم كادوا يجمعون على انه توفي وقد قارب السبعين او جاوزها .

أما

ديوان شعر كله في الغزل والنسيب ، واخبار كثيرة متفرقة في كتب الادب ، جمع منها صاحب الاغاني طائفة حسنة في اكثر من ١٨٠ صفحة . واشهر شعره « رائيته » التي مطلعها :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ ، غَدَاةَ غَدٍ ، أَمْ رَائِحُ فَمُهَجَّرُ ؟

ميرته — الغزل الحضري

عرفت ميزة الغزل الحضري في كلامنا على نهضة هذا الفن ، وعرفت ان زعيمه عمرو بن ابي ربيعة الخزومي ؛ وقد استحق صاحبنا هذا اللقب لعدة اسباب ؛ منها : انه هو اول شاعر قصر همه على الغزل دون غيره ونظم فيه القصائد الطوال ، واول شاعر وسع نطاقه القصصي وادخل فيه الحوار التمثيلي اللذيذ ، واول شاعر اجاد تصوير عواطف المرأة ، واختلاجات نفسها ، واختلاف حركاتها . وهو في دغابته ومجونه يصور الحياة الاجتماعية في حواضر الحجاز ، وفي تشبيبه وقصصه يمثل لنا ترف المرأة المتحضرة في القرن الاول للهجرة وسرفها في اللهو ولغتها الحميمة

(١) الدكتور احمد فريد رفاعي في كتابه عصر المأمون . الدكتور زي مبارك في كتابه حب ابن ابي ربيعة .

في التخاطب مع الرجل ، وفي رفته ولبنه يرينا صفة الشعر في القرى خصوصاً ،
وميزته بعد تطوره عموماً . فـ شعر ابن ابي ربيعة مرآة لنفسه اللطيفة المتهاكة على
الجمال ، ومرآة لما في عصره من هو ومجون . فاذا اردت ان تعلم حالة الحجاز
المتحضر في الصدر الثاني فعليك بشعر عمر (فان فيه البلاغ المبين) .

واذا كان ابن ابي ربيعة استاذ الغزل الحضري كما كان جميل استاذ الغزل
البدوي ، فان مذهب عمر كان اشد تأثيراً في ابناء عصره من مذهب الشاعر
العذري ، فاستهوى الشباب الحجازي المترف ، وتلهذوا له ، فأخرج منهم اساتذة كباراً
ولكنهم دون زعيمهم ، كالعرجي والاحوص والحارث بن خالد المخزومي وغيرهم ،
واستهوى النساء ايضاً ، فكان من اشد الاخطار على العفاف .

وقد قام هذا المذهب على ركنين من الغزل : احدهما التشبيب والآخر الحوار
والقصص ، وفي كليهما اجاد ابن ابي ربيعة ، ولا سيما فن القصص فقد ابدع فيه
ما شاء له الابداع .

وابن ابي ربيعة في غزله ناعم فرح ، مبتسم لعب ، اذا بكى فنادراً ، وربما
كان بكاءؤه رقية وعبثاً . ولماذا يبكي ؟ . . . وكل ما يحيط به ضاحك له : شباب
وجمال ، وثروة وجاه ، وخليل يبادلوه المودة والولاء
فلا تعجب له اذا رأيته يشب احياناً بنفسه اكثر من تشبيهه بصاحبته ، فهو
جميل معجب بالجمال ، يحب في وجهه كما يحبه في وجه غيره . وقد انتقد عليه ذلك
بعض معاصريه فلم يظفروا منه بباطل ، ولا استطاعوا ان يردوه عن غروره لانه في
وصفه نفسه لا يتكلف تصنعاً بل يتكلم بحسه . فمن ذلك قوله :

يَنْعَتَنِي أَبْصَرْتَنِي ، دُونَ قَيْدِ الْجَمِيلِ يَعْذُو بِي الْأَغْرُ^(١)
قَالَتِ الْكُبْرَى : « أَتَعْرِفُنَ الْفَتَى ؟ » قَالَتِ الْوُسْطَى : « نَعَمْ هَذَا عَمْرَا »
قَالَتِ الصَّغْرَى ، وَقَدْ تَعَمَّنَتْهَا : « قَدْ عَرَفْتَاهُ ، وَهَلْ يَخْفَى الْقَمْرَا »^(٢)

(١) قيد ميل : مقداره ومسافته . الاغر : الجواد عليه الغرة وهي بياض في الجبين .
يقول : بينما كن يصفني رأييني على اقل من مسافة ميل يعدو بي جوادي الاغر . (٢) تيمنها :
شغلت قلبها ، واستوليت عليها .

وسمعه ابن ابي عتيق ^(١) ينشد هذه الابيات فقال له : « انت لم تنسب بها وانما نسبت بنفسك ، كان ينبغي ان تقول : قلت لها فقالت لي ، فوضعت خدي فوطئت عليه . »

وقد تعابته النساء في الحرم فيصعد عنهن ، فيطارذنه ليفسدن عليه طوافه ، فاذا هو قنص لهن ، واذا هن يتبعنه بدلا من ان يتبعن فيريك نفسه قبلة انظار الحسان يتجنى عليهن وعن يسعين في أثره :

أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنَسَوْتُهَا ، يَمْشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ ^(٢)

قَالَتْ لِتَرْبِ لَهَا تُلَاطِفُهَا : « لَنْفَسِدَنَّ الطَّوْافَ فِي عُمْرٍ » ^(٣)

« قَوْمِي تَصَدِّيْ لَهُ لِيَعْرِفَنَا ، ثُمَّ أَعْمِزِيهِ يَا أُخْتَ فِي حَقَرٍ » ^(٤)

قَالَتْ لَهَا : « قَدْ غَمَرْتُهُ فَأَبَى ، ثُمَّ أَسْبَطْتَ تَشْتَدُّ فِي أَثَرِي » ^(٥)

على انك اذا اردت ان تستوعب خصائص عمر من تشبيب ، وقصص وتسمين خفة روحه وظرفه ، وما كان يجري بينه وبين صواحيبه من حوار يطلعك على حديث النساء الحجازيات ، وعلى طرف من اخلاقهن ومعاشراتهم ، فلا غنية لك عن درس رائيته الشهيرة فهي خير شعوره ، وبها اعترف له جوير بالشاعرية .

رأية عمر

يستهل الشاعر قصيدته بذكر صاحبه نعم ويكثر من تكرار اسمها تلهذا فيقول :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرٌ ، غَدَاةَ غَدٍ ، أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجِرٌ ^(٦)

(١) ابن ابي عتيق : من ادباء قریش له اخبار كثيرة مع عمر بن ابي ربيعة وغيره من الشعراء الغزلين . (٢) نسوحتها : منصوبة على المعية . المقام : مقام ابراهيم في الكعبة . الحجر : اي الحجر الاسود في الكعبة . (٣) الترب : اكثر ما يستعمل في المؤنث . يقال : ترب فلانة اذا كانت واياها في سن واحدة . الطواف : الدوران حول البيت الحرام . (٤) يا اخت : على حرف ياء المتكلم في المنسادی المضاف اليها . الحقير : الحياء الشديد . (٥) اسبطرت : اسرعت . تشتد : قعدو . (٦) غاد : سائر غدوة . مبكر : سائر بكرة

لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا ،
تَهَيُّ إِلَى نَعْمٍ ، فَلَا الشَّمْلُ جَامِعٌ ،
وَلَا قَرُبُ نَعْمٍ إِنْ دَنَتْ لَكَ نَافِعٌ ،
وَأُخْرَى أَتَتْ مِنْ دُونِ نَعْمٍ ، وَمِثْلَهَا ،
إِذَا زُرْتُ نَعْمًا لَمْ يَزَلْ دُونَ قَرَابَةٍ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ أَلِمَّ بِبَيْتِهَا ،
الْكُنْيَ إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ ، فَإِنَّهُ

فَتَبْلُغَ عُذْرًا ، وَالْمَقَالَةُ تُعَذِّرُ (١)
وَلَا الْحَبْلُ مَوْضُولٌ ، وَلَا الْقَلْبُ مُقْصِرٌ (٢)
وَلَا نَائِيهَا يُسْلِي ، وَلَا أَنْتَ تَصِيرُ (٣)
نَهَى ذَا النُّهَى ، لَوْ تَرَعَوِي أَوْ تَفَكَّرُ (٤)
هَآ ، كُلَّمَا لَاقَيْتُهُ ، يَتَنَمَّرُ (٥)
يُسِرُّ لِي الشَّحْنَاءُ ، وَالْبَغْضُ مُظْهَرٌ (٦)
يُشْهَرُ الْمَامِي بِهَا وَيُنْكَرُ (٧)

وهما الوقت بين ظهور الفجر وطلوع الشمس . الرائح : السائر في الرواح وهو العشي . المهجر : السائر في الهجرة وهي شدة الحر . وكان حقه ان يقول : ام مهجر فرائح . ولكن القافية حكمت عليه . بسأل نفسه اهو منصرف عن نعم في يوم من الايام . ولماذا يريد الانصراف ؟ حاجة نفس . . . البيت التالي .

(١) تعذر : تنفي العذر . يقول مخاطباً نفسه : أأنت منصرف يوماً عن نعم لحاجة بنفسك هي في غاية من السر اذا سلئت عنها لا تجيب عليها فتقدم عذرا ، وذلك لان الجواب عليها ينفي العذر عنك . والمراد انه لا يقبل له عذر في الكلام على هذه الحاجة لانه لا يجوز ان يباح بها . (٢) الشمل : ما تفرق من الامر وما اجتمع منه ، وهنا يقصد به المعنى الاول . وقوله : الشمل جامع : اي مجموع ، مجاز عقلي اسند فيه الى المفعول ما بني للفاعل كقولك : مكان عامر اي معمور ، وسر كاتم اي مكتوم . وقوله : الحبل موصول ، كناية عن الصلة بعد القطيعة . مقصر : من اقصى عن الشيء : كف عنه وامتنع . يقول : ولا يكف قلبي عن حبها . وتعريف القلب بأل ينوب عن ضمير المتكلم . (٣) يقول : لا ينفك قرب نعم منك لانك لا تستطيع الوصول اليها ، ونأجها عنك أي بعدها لا ينسبك حبها ، ولا انت تصبر على فراقها : (٤) وأخرى : اي وعقبة اخرى تحول دون الوصول الى نعم . ومثلها : اي ومثل هذه العقبة . النُهَى : العقل . ترعوي : ترجع عن غيك . يقول : ومثل هذه العقبة لو عرضت لرجل عاقل لنهته عن التعرض لنعم ولكنك انت لا ترجع عن غيك ولا تفكر في امرك . (٥) يتنمر : يغضب ويشور متشبهاً بالنمر الذي لا يلقي الا متكرراً غضبان . وهذا البيت بيان للعقبة الاخرى التي تعترضه . (٦) الم ببיתהا : امر به او ازوره . يسر : يضمّر في سره . الشحناء : العداوة والبغضاء . يقول : يعز عليه ان ازورها فهو يضمّر لي العداوة ولكن بغضه لي ظاهر على وجهه . (٧) يخاطب صاحباً له فيقول : الكني : اي احمل الوكعي وهي الرسالة . يشهر : يذاع . المامي : زيارتي . ينكر : يستنكر ويستغرب .

فهو يحاذر زيارتها، كما ترى، خشية التشهير، ولكنسه لا يلبث ان يشهر نفسه شيئاً فشيئاً، فيذكر اولاً حواراً جرى بين نعم وأخت لها، وقد رآته متغيراً لوحته وجهه الاسفار، فأنكرته نعم، وعرفته اختها. فاصبح هذا الحوار الذي يمثل لنا شيئاً من محاورات النساء عندما يبصرن رجلاً يعرفنه، ولكن تغيرت هيئته فاشتبهت عليهن معرفته :

بَيَّاتِي مَا قَالَتْ غَدَاةَ لَقِيْتَهَا ،
أَشَارَتْ بِمِدْرَاهَا ، وَقَالَتْ لِأَخْتِهَا :
« أَهَذَا الَّذِي أَطْرَيْتِ نَعْمًا ، فَلَمْ أَكُنْ ،
فَقَالَتْ : « نَعَمْ ، لِأَشْكُ غَيْرَ لَوْنِهِ
« لَنْ كَانَ إِيَّاهُ ، لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا
رَأَتْ رَجُلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ ،
أَخَاسَفَرُ ، جَوَابَ أَرْضٍ ، تَقَادَفَتْ

بِمَدْفَعٍ أَكْنَانٍ : « أَهَذَا الْمُشْهَرُّ »^(١)
« أَهَذَا الْمُغْيَرِيُّ الَّذِي كَانَ يُذَكِّرُ »^(٢)
وَعَيْشِكَ ، أَنْسَاهُ إِلَى يَوْمٍ أَقْبَرُ »^(٣)
سُرَى اللَّيْلِ ، يُجِيي نَصَهُ ، وَالتَّهَجُّرُ »^(٤)
عَنِ الْعَهْدِ ، وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ »^(٥)
فَيُضْحِي ، وَأَمَّا بِالْأَشْيِ فَيُخْصَرُ »^(٦)
بِهِ فَلَوَاتٌ ، فَهُوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ »^(٧)

(١) بَيَّاتِي : بسلامة . والباء متعلق بقوله الكني اي احملى اليها رسالتي بعلامة ما
قالت . . . مدفع اكنان : اسم موضع . والمدفع : مجرى الماء حيث يندفع السيل ويجمع
على مدافع . (٢) المادري : حديدة يحك بها الرأس . المغيري : يعني عمر نسبة الى المغيرة
جد ابيه . (٣) أهذا : الاستفهام للتعجب واسم الاشارة لمفعول به مقدم لاطريت . اطريت :
احسنت الثناء . نعمًا : وصفا منصوب لانه مفعول لاجله . تقول : اهذا الذي احسنت الثناء
من اجل وصفه فجعلتني ، وحق عيشك ، لا انساه الى يوم أقبر . وجملة اقبر في محل جر
بالاضافة الى يوم . (٤) السرى : السير ليسلا . يجيى : يصرف . النص : منتهى الشيء .
اي يصرف منتهى الليل بالسرى ، والنص الاسراع . التهجر : السير في الهجرة وهي شدة
الحر . (٥) حال : تغير . العهد : المعرفة اي تغير عما كنا نعرفه . وقد في قوله : قد يتغير
يفيد التكثر وان دخل على المضارع لان الانسان كثير التغير فلا وجه للتقليل . وقد ذكر
ميمونييه من معاني قد افادته التكثر مع المضارع . (٦) عارضت : قابلت ، والضهير فيه محذوف
اي عارضته . فيضحى : فيظهر للشمس . يخصر : يبرد . يقول : رأيت رجلاً لا يستقر به
مكان فهو يعرض نفسه للشمس اذا قابلته ، ويعرضها لبرد الليل . (٧) اخاسفر : صفة اولى
لرجل . جواب : قطاع ، من جاب الارض قطعها وهو صفة ثانية لرجل . الفلوات : جمع فلاة
وهي الصحراء الواسعة . وقوله تقادفت به فلوات : اي قذفته فلاة الى فلاة . اشعث :

قَلِيلًا عَلَى أَظْهَرِ الْمَطِيَّةِ ظِلُّهُ ، سِوَى مَا نَفَى عَنْهُ الرِّدَاءُ الْمُحْبَرُ ^(١)
وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَتِهَا ، وَرَيَّانُ ، مُلْتَفُّ الْحَدَائِقِ ، أَخْضَرُ ^(٢)
وَوَالِ كَفَّاهَا كُلَّ شَيْءٍ يَهْنُهَا ، فَلَيْسَتْ لِشَيْءٍ آخِرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ ^(٣)

ثم ينتقل الى ذكر زيارته لها، فيريد نفسه تشهيراً على تشهير، ويروي لنا خلد
هذه الزيارة الليلية بأسلوب قصصي شائق اختص به ابن ابي ربيعة ففاق اقرانه :

وَلَيْلَةُ ذِي دُورَانَ جَسْمَتِي السَّرَى ، وَقَدْ يَجْشُمُ الْهَوْلُ الْمُحِبُّ الْمُغَرَّرُ ^(٤)
فَتِ رَقِيماً لِلرَّفَاقِ عَلَى شَفَا ، أَحَاذِرُ مِنْهُمْ مَنْ يَطُوفُ ، وَأَنْظُرُ ^(٥)
إِلَيْهِمْ مَتَى يَسْتَمِكُنُ النَّوْمُ مِنْهُمْ ، وَلِي مَجْلِسٌ ، لَوْلَا اللَّبَانَةُ ، أَوْعُرُ ^(٦)
وَبَاتَتْ قُلُوصِي بِالْعَرَاءِ ، وَرَحَلَهَا ، إِطَارِقُ لَيْلٍ ، أَوْ لَيْلِنَ جَاءَ ، مُغَوَّرُ ^(٧)

مغبر الراس متلبد الشعر لبعده عهده بالدهن والفسل . اغبر : اي اغبر الوجه وهو ما كان في
لونه غبرة . وقوله : اشمت اغبر : اي من كثرة الاسفار .

(١) قليلاً : صفة نالته لرجل . المطية : الدابة . ظله : فاعل قليلاً . نفى الشيء عنه :
نجاه وابعده . الرداء : الثوب . المحبر : المزين . يقول : هو يخيل ضئيل الشخص على
ظهور مطيته لولا بقية نعمة تظهر عليه في ردائه المحبر فتفتي عنه شيئاً من ضآلته وحقارته .
(٢) ظل غرفة : اي ظل قصر تسكنه ، مجاز مرسل ، جزء من كل . الزيان : الاخضر الناعم
وهو صفة لمحدوف اي بستان ريان . الحدائق : جمع حديقة وهي الروضة ذات الشجر .
يقول : انكرتني اذ رأيتني على هذه الحال من التغير ، وهي تعودت الترف واعجبها العيش في
ظل قصر تحيط به الحدائق الخضراء الملتفة الاشجار . (٣) ووال : اي وزوج يتولى امرها ،
وهو معطوف على ظل . يقول : كفاهها بعلها كل شيء جمها فهي تنام قريبة العين لا تسهر آخر
الليل لشيء يسفل بالها فيدفع عنها الرقاد . (٤) ذو دوران : اسم موضع . جشمتني : كلفتني .
السرى : السير ليلاً . يجشم : يتكلف . المغرور : السذي يفر بنفسه اي يعرضها للمهلكة .
(٥) الشفا : حرف كل شيء وحده . وقوله بت على شفا : اي على حذر ، لان الواقف على
شفا الشيء يكون شديد الحذر لثلا يقع . وفي هذا البيت معاطلة او تضمين لان قافيته متعلقة
بالبيت التالي . (٦) اللبانة : الحاجة . اوعر : للمبالغة لا للتفضيل اي شديد الخشونة . يقول :
انظر اليهم حتي يتمكن منهم النوم ، وكان مجلسي وقتئذ شديد الخشونة ما كنت لاستطيعه لو لا
الحاجة التي في نفسي . (٧) القلوص : الناقة الفتية . العراء : الفضاء لا يستتر فيه بشي .
مغور : ظاهر . يقال : اعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب . يقول : باتت
ناقته في الفضاء العاري ورحلها ظاهر لاعين المارين .

- وَبِتُّ أَنَا جِي النَّفْسَ : « أَيْنَ خَبَاؤُهَا ؟ »
 فَدَلَّ عَلَيْهَا الْقَلْبَ رِيًّا عَرَفْتُهَا
 فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ ، وَأَطْفَيْتُ
 وَغَابَ قُمْيَرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ ،
 وَنَفَضْتُ عَيْنِي النَّوْمَ ، أَقْبَلْتُ مِشْيَةً أَا
 فَخَيْتُ إِذْ فَاجَأَتْهَا ، فَتَوَلَّهْتُ ،
 وَقَالَتْ وَعَضَتْ بِأَلْبَانِ : « فَضَحْتَنِي !
 « أَرَيْتَكَ ، إِذْ هُنَا عَلَيْكَ ، أَلَمْ تَخَفْ ؟ »
 وَكَيْفَ لِمَا آتَى مِنَ الْأَمْرِ مَضْرُورٌ^(١)
 لَهَا ، وَهَوَى النَّفْسَ الَّذِي كَادَ يَظْهَرُ^(٢)
 مَصَارِيْعُ ، سُبَّتْ فِي الْعِشَاءِ ، وَأَنُورُ^(٣)
 وَرَوْحٌ رُعِيَانٌ ، وَنَوْمٌ سُمُرٌ^(٤)
 حُبَابٍ ، وَرُ كُنِّي خَشْيَةَ الْقَوْمِ ، أَزُورُ^(٥)
 وَكَادَتْ بِمَخْفُوضِ التَّحِيَّةِ تَجْهَرُ^(٦)
 وَأَنْتَ أَمْرُؤُ ، مَيَسُورٌ أَمْرُكَ أَعْسُرُ^(٧)
 وَقَيْتَ ، وَحَوْلِي مِنْ عُدُوكَ حُضْرُ^(٨)

(١) المصدر : الرجوع عن الماء . يسأل نفسه عن خباياها وهو حائر لا يدري كيف يستطيع الرجوع من عندها إذا قدر له أن يصل إليها . (٢) الرياً : الرائحة الطيبة . (٣) منهم : أي من الرفاق . وهم الرهط والجماعة في السفر . شبت : أوقدت . الأنور : جمع نار . (٤) روح رعيان : عادوا بجواشيتهم إلى مراحيها أي مبيتها . نوم : نام ، التضييف للمبالغة لا للتعدية . السُمُرُ : جمع السامر وهو المحدث ليلًا . يقول : ظلمات منظر أحتي سكنت الأصوات وأطفئت الأنوار وغاب القمر ورجعت الرعيان ونام المتسامرون . (٥) ونفضت عيني النوم : أي نبت نفسي وفركت عيني بعد أن غشيها (انعاس) ، ونفض معطوف على ما قبله . مشية : منصوب على المصدرية ، أي امشي مشية الحباب . الحباب : الحية . أي أنه ينساب أنساب الحية فلا يسمع له حس . الركن : الجانب العظيم . أزور : مسائل ، من زور يزور . يقول : كنت أنساب كلحية ، والجانب العظيم من جسمي مائل من شدة الحذر . (٦) تولهت : تحمرت وتخرقت . يقول : صرخت متحسرة فكادت تفضح امرنا ، أي انسه حيًاها بصوت مخفوض فكادت تفضح هذه التحية بصرختها . (٧) البنان : الأصابع . وقوله : ميسور امرك أعسر : أي ما يبدو له من اليسر في الوصول إلى حاصته هو شديد العسر عليه لأنه هدف للرقباء . (٨) أريتك : أي أخبرني ، وإصلاها أرايتك ، حذف الهزة للخفة . والعرب تقول : أرايتك أرايتكما أرايتكم بمعنى أخبرني وأخبراني وأخبروني ، والهزة فيهن للاستفهام الإنكاري والتاء مفتوحة ، والكاف حرف خطاب أكد به الضمير . هُنا : سهلنا ، من هان عليه الأمر لان وسهل . وقيت : دعاء له أي وقاك الله . حُضر : جمع حاضر أي قسوم حاضر . يقول : قالت لي : أخبرني وقاك الله ألم تخف حين استسلمت للمجيء إلينا وأعدائك حولي حاضرون ؟

«فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي ، أَتَعْجِيلُ حَاجَةً ،
 قُلْتُ لَهَا : « بَلْ قَادِنِي الشَّقُّ وَالْهَوَى ،
 فَقَالَتْ ، وَقَدْ لَأَنْتَ وَأَفْرَخَ رُوعَهَا :
 « فَأَنْتَ ، أَبَا الْخَطَّابِ ، غَيْرَ مُدَافِعٍ ،
 فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَقَاصَرَ طَوْلُهُ ،
 وَيَا لَكَ مِنْ مَلَهَى هُنَاكَ وَمَجْلِسٍ ،
 يَمُجُّ ذِكِّي الْمِسْكِ مِنْهَا مُفْلَجٌ ،
 تَرَاهُ ، إِذَا تَقَبَّرْتُ عَنْهُ ، كَأَنَّهُ
 وَتَرْتَوِي بَعَيْنَيْهَا إِلَيَّ ، كَمَا رَنَا ،
 فَلَمَّا تَقَضَى اللَّيْلُ إِلَّا أَقْلَهُ ،
 سَرَتْ بِكَ ، أَمْ قَدْنَامَ مَنْ كُنْتَ تَحْدَرُ ؟ ^(١)
 إِلَيْكَ ، وَمَا عَيْنُ مَنْ النَّاسِ تَنْظُرُ
 « كَلَّاكَ بِحِفْظِ رَبِّكَ الْمُتَكَبِّرِ ! » ^(٢)
 عَلَيَّ أَمِيرٌ ، مَا مَسَكْتُ ، مُؤَمَّرٌ ^(٣)
 وَمَا كَانَ لِيْلِي قَبْلَ ذَلِكَ يَقْصُرُ ^(٤)
 لَنَا ، لَمْ يُكْدِرْهُ عَلَيْنَا مُكْدَرُ
 رَقِيقُ الْخَوَاشِي ، ذُو غُرُوبٍ ، مُؤَشَّرٌ ^(٥)
 حَصَى بَرْدٍ ، أَوْ أَقْحَوَانٌ مُنَوَّرٌ ^(٦)
 إِلَى رَبِّبٍ ، وَسَطَ الْحَمِيلَةِ ، جُوذُرُ ^(٧)
 وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمِهِ تَتَغَوَّرُ ، ^(٨)

(١) سرت بك : اي مشت الحاجة بك ليلاً . (٢) افرخ : هدا . روعها : قلبها . وفي اساس
 البلاغة : افرخ روعك : اي خلا قلبك من الهم خلوا البيضة من الفرخ . كلاك : اي كلاك
 تخفف في لغة قريش . ومعنى كلاك : رعى وحرس . المتكبر : من صفات الله ، والكبرياء
 له وحده . (٣) ابا الخطاب : منادى . غير مدافع : غير مزاحم . ما مكثت : اي مدة
 مكوثك عندي . مؤمر : اي لك الامر علي وهي صفة لامير . (٤) يقول : كان ليله قصيراً لانه
 انقضى ولم يشعر به لشدة سروره وكان قبلاً يطول لانه كان مهموماً وليل المهوم طويل .
 (٥) يمج : يقذف من فمه . مفلج : اي ثغر مفلج وهو ما تباعدت اسنانه . الخواشي : الجواب مفردها
 حاشية . ورقيق الخواشي كناية عن اللطف والنعومة . الغروب : جمع غرب . وهو مباء
 الثغر وبريقه . مؤشر : محرز الانسان ، وهو مستحسن عندهم ويكون خلقه او صنعة .
 (٦) تراه : اي ثغرها . تفر عنه : يتقسم . حصى برد : اي حبوب البرد لشدة يباضه .
 الاقحوان : نبت اصفر الزهر في وسطه ، ايضه في جوانبه . منور : يخرج نوره وهو الزهر
 الابيض . شبه اسنانهما بحبوب البرد ، ثم بنور الاقحوان . (٧) ترنو : تنظر في رقعة
 ونكسر . الررب : القطيع من بقر الوحش . الحميلة : الموضع الكثير الشجر . الجوذر :
 ولد البقرة الوحشية تشبه به الحسان لجمال عينيه . يقول : كانت تنظر الي برقة وانكسار
 كجوذر وسط خميلة طالته اشجارها فلم يستطع تناول ثمارها فأخذ يلتفت الى القطيع بانكسار
 كأنه يطلب المساعدة . (٨) التوالي : البواقي ، من نيلي يتلى بقي يقى . تتغور : تغيب

أَسَارَتْ : « بَانَ الْخَيَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمْ
فَمَا رَاعِنِي إِلَّا مُنَادٍ : « تَرَحَّلُوا ،
فَلَمَّا رَأَتْ مَنْ قَدْ تَنَبَّهَ مِنْهُمْ ،
فَقُلْتُ : « أَبَادِيهِمْ فِيمَا أَفْوَتْهُمْ ،
فَقَالَتْ : « أَتَحْقِيقًا لِمَا قَالَ كَاشِحٌ
« فَإِنْ كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ ، فَعَيَّرُهُ ،
« أَقْصُ عَلَى اخْتِيَّ بَدْءَ حَدِيثِنَا ،
« لَعَلَّهُمَا أَنْ تَطْلُبَا لَكَ مَخْرَجًا ،
فَقَامَتْ كَثِيبًا لَيْسَ فِي وَجْهِهَا دَمٌ ،
فَقَالَتْ لِاخْتِيَّهَا : « أَعَيْنَا عَلَى فِتْيَ ،
فَأَقْبَلْنَا ، فَأَرْتَاعَنَا ، ثُمَّ قَالَتَا :
« يَقُومُ فَيَمِشِي بَيْنَنَا مُتَنَكِّرًا ،
فَكَانَ مِجْتَبَى دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقِي ،

هُيُوبٌ ، وَلَكِنْ مَوْعِدُكَ عَزُورٌ » (١)
وَقَدْ لَاحَ مَفْتُوقٌ ، مِنْ الصُّبْحِ ، أَشْقَرُ (٢)
وَأَيْقَاطُهُمْ ، قَالَتْ : « أَشِرُّ كَيْفَ تَأْمُرُ؟ » (٣)
وَأَمَّا يَنَالُ السَّيْفُ ثَارًا فَيَنَارُ (٤) «
عَلَيْنَا ، وَتَصْدِيقًا لِمَا كَانَ يُؤَثِّرُ؟ » (٥)
مِنَ الْأَمْرِ ، أَذْنَى لِلْحَمَاءِ ، وَأَسْتَرُ (٦)
وَمَا لِي مِنْ أَنْ تَعْلَمَا مُتَأَخَّرُ (٧) «
وَأَنْ تَرَحَّبَا صَدْرًا بِمَا كُنْتُ أَحْصُرُ (٨) «
مِنَ الْخُزْنِ ، تُذْرِي عِبْرَةً تَتَحَدَّرُ (٩)
أَتَى زَائِرًا ، وَالْأَمْرُ لِلْأَمْرِ يُقْدَرُ (١٠) «
« أَقْلِي عَلَيْكَ أَلْوَمَ ، فَالْخُطْبُ أَيْسَرُ (١١) «
فَلَا سِرْنَا يَنْفُسُو ، وَلَا هُوَ يَظْهَرُ (١٢) «
ثَلَاثُ شُخُوصَ : كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ (١٣)

(١) هبوب : استيقاظ من النوم . عزور : جبل بين مكة والمدينة . تضرب له ،
موعداً للقاء في عزور . (٢) راعني : اخافني . ترحلوا : اي هلموا الى الرحيل .
مفتوق : منشق . اشقر : مشرب نور الشمس . (٣) الايقاظ : جمع يقظان . وهو معطوف
على من . (٤) اباديهم : اظهر لهم واجاهرهم بالعدوان . افوتهم : اسبقهم وانجو منهم .
فينار : اي فينثار لهم مني . (٥) الكاشح : المفيض . يثقل : ينقل ، ومنه الحديث الماثور
(٦) ادنى للمخفاء : اقرب له . (٧) بدء حديثنا : اي الخبر من اوله . متأخر : تأخر ،
مصدر جاء على وزن اسم المفعول . (٨) ترحبنا : تسعنا . احصر : اضيق ، اي اضيق به
صدراً يقول : لعلها تجدان حيلة للخلاص من امر ضاق به صدري . (٩) كثيباً : معقومة .
ليس في وجهها دم : اي صفراء . تذري : تسكب . عبرة : دموع . تتحدّر : تتساقط
من عينيها . (١٠) والامر للامر يقدر : يدبر ويهيأ . (١١) فالخطب ايسر : شديد اليسر ،
او ايسر مما تظنين . (١٢) يفسو : يشيع ويفتضح . (١٣) مجتبي : ترسي ؛ خبر مقدم لكان .
دون من كنت اتقي : اي دون اعدائي . شخوص : جمع شخص ، ويطلق على الذكر
والانثى لذلك قال : ثلاث شخوص . ولم يقل ثلاثة . الكاعبان : مثق الكاعب وهي الجارية
في اول ادراكها . المعصر : المرأة البالغة الشباب .

فَلَمَّا أَجْزَنَّا سَاحَةَ الْخَيِّ قُلْنَ لِي : «أَلَمْ تَتَّقِي الْأَعْدَاءَ وَاللَّيْلَ مُشِيرٌ؟»^(١)
 وَقُلْنَ : «أَهَذَا دَابُّكَ الدَّهْرَ سَادِرًا ، أَمَا تَسْتَحْيِي ، أَمْ تَرْغَوِي ، أَمْ تُفَكِّرُ؟»^(٢)
 إِذَا جِئْتَ فَأَمْنَحَ طَرْفَ عَيْنِكَ غَيْرَنَا ، لَكِي يَخْسَبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تُنْظَرُ»^(٣)

ويختتم هذه القصيدة البديعة واصفاً ناقته الصلبة القوية، وانطلاقه بها طلباً
 للماء في القفار الخالية . وليس في هذا القسم ما يعنينا درسه لان خاصة ابن ابي ربيعة
 محصورة في غزله ، بل في قصصه الغرامي الذي يريك في الادب العربي شيئاً جديداً،
 وفي ذلك الحوار اللذيذ الذي يدور بين النساء من ناحية، وبينه وبينهن من ناحية
 اخرى، حتى ليخيل اليك انك تقرأ في شعره قطعة تمثيلية تكاد تكون تامة . ومثل
 هذا الاسلوب القصصي كثير في شعر عمر، وعليه قامت شهرته . لان التشبيب وحده
 لا يجعل منه شاعراً متفرداً ممتازاً . فالشعراء الغزلون في الاسلام اجادوا جميعاً وصف
 الحبيبة ووصف العواطف والاهواء، ولكن لم يقيم فيهم واحد يستطيع ان يجاري عمر
 في قصصه الغرامي ومحاطبته النساء، وتصوير حركاتهن واساراتهن، ونزعات نفوسهن
 ولا بد انك تذكرت امرأ القيس، وانت تقرأ رائية فتى قريش، لان الصلة
 قوية بين الشاعرين، فكلاهما يتعبر في غزله، وكلاهما يتجشم الاخطار
 للوصول الى من يحب، وكلاهما يباغت حبيبته بالزيارة فتخاف وتلومه، وكلاهما
 يدركه الصباح عندها فيتمياً لملاقاة الحي مستميتاً . ولكن امرأ القيس يمتنع بسيفه
 وسهامه ويسخر بزوج صاحبه ويستهن به، واما ابن ابي ربيعة فيعمد الى الاستخفاء
 وكان مجننه . . . ثلاث شخصوس : كاعبان ومعصر .

على ان هذه الصلة بين الشاعرين لا تجيز لنا القول ان عمر جاء مقلداً امير الشعراء
 في قصصه الغرامي، فانما هو جاء مجدداً ومحسناً له، والقصص في غزل الشاعر القرشي

(١) أجزنا : قطعنا (٢) دابك : ديدنك وعادتك . الدهر : منصوب على الظرفية . سادرا :
 غير مبال ولا مهم بما يصنع ، وهو حال من الكاف في قوله دابك . ترغوي : ترجع عن غيك .
 تفكر : اي تفكر بامرك قبل الاقدام عليه . (٣) يقول : وقلن لي : اذا زرتنا فأدر لحاظك
 الى غيرنا من النساء فيحسب الناس ان هواك مع من تنظر اليهن فترفع التهمة عنا .

أتم منه في غزل امرئ القيس فهو صفة لازمة لشعر ابن أبي ربيعة وليس بصفة لازمة
لشعر امرئ القيس . ومن العدل ان نسمي هذا الفن : « اسلوب ابن أبي ربيعة »
لانه احتكره احتكاراً وان يكن شاعر كندة قد سبقه اليه .

وقد رأيت ما في هذا الاسلوب من روعة وجمال ، زفتها اليك رائيته الحسناء ،
فاطلعتك على تطفه في الوصول الى حاجته ، وانتظاره رقدة الحلي وسكون
الصوت ، وغيوب القمر ، ثم تنفيذه النوم عن عينيه ، وانسيابه كالحباب . ازور الركن
من الخوف والحذر . ورأيت ما جرى بينه وبين نعم من حوار للذي ترينه تعابير
قرشية لطيفة كأنها في نعومتها وجدت لتكون لغة السيدات : « أريتك إذ هنا
عليك ، ألم تحف ، وقيت . . . ، كلاك يحفظ ربك المتكبر . . . »

ولم يغفل ابن أبي ربيعة في هذه الزيارة عن التشبيب بنفسه ، وكيف يغفل عنها ؟
وهو معجب بجماله اعجابه بجمال صاحبه . فاذا هو يسمعنا نعباً تقول له :
فَأَنْتَ أَبَا الْخَطَّابِ ، غَيْرُ مَدَافِعٍ ، عَلَيَّ أَمِيرٌ ، مَا مَكَّثَ ، مُؤَمَّرٌ
وما اجمل الانتقال من الغيبة الى الخطاب في قوله :

أَسَارَتْ : « بَأَنَّ الْخَبِيَّ قَدْ حَانَ مِنْهُمْ هُبُوبٌ ، وَلَكِنْ مَوْعِدُ لَكَ عَزُورٌ »
وهي لم تنتقل هذا الانتقال الجميل الا لتضرب له موعداً جديداً .
وانظر الى ظرف القرشيات في توبيخهن الشاعر بعد أن كن له مجنناً : « أهذا
دأبك الدهر سادراً ؟ . . . اما تستحي أم ترعوي أم تفكر ؟ . . . » ثم الى قولهن
له بعد هذا التوبيخ :

إِذَا جِئْتُ فَأَمْنَحْ طَرْفَ عَيْنِكَ غَيْرَنَا ، لِكَيْ يَخْسَبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ

الا وان في هذه الوصية دهاء نساءياً ، ولكنه دهاء محبوب .

مصرته

كانت العرب تقرر لقريش بالتقدم في كل شيء عليها الا في الشعر ، فانها كانت
لا تقرر لها به حتى كان عمر بن أبي ربيعة ، فأقرت لها الشعراء بالشعر ايضاً ولم تنازعها شيئاً .

قيل : بينما كان عبد الله بن عباس ابن عم النبي في المسجد الحرام وعنده نافع
 ابن الازرق ^(١) وناس من الخوارج ، اذ اقبل عمرو بن ابي ربيعة في ثوبين مصبوغين
 موردين حتى دخل وجلس ، فاقبل عليه ابن عباس فقال : « أنشدنا » ، فأنشده :
 « أمن آل نعم . . . » حتى اتى على آخرها ، فاقبل عليه نافع بن الازرق فقال :
 « الله ^(٢) » يا ابن عباس ! إننا نضرب اليك اكباد الابل من اقاصي البلاد نسألك عن
 الحلال والحرام فتنأقل عنا ويأتيك غلام مترف من قريش فينشذك :
 رَأَتْ رَجُلًا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ ، فَيَخْزِي ، وَأَمَّا بِالْعِشِيِّ فَيَخْسَرُ
 فقال : « ليس هكذا قال ؛ » وأنشده البيت على صحته ، ثم أنشده القصيدة برمتها ،
 وكان قوي الملاحظة ، فلامه بعض اصحابه في حفظه اياها ، فقال : « إِنَّا نَسْتَجِيدُهَا
 وكان يسأل كثيراً عن عمر فيقول : « هل احدث هذا المغيرة شيئاً بعدنا ؟ »
 وروي عن نَصِيب الشاعر قوله « لعمر بن ابي ربيعة اوصفنا لربات الحجال ^(٣) »
 وقال هشام بن عروة : « لا ترووا فتياتكم شعر عمرو بن ابي ربيعة لا يتورطن في
 الزنا تورطاً . » وسئل حماد الراوية عن شعر عمر فقال : « ذاك الفسق المقتسر »
 وسمع الفرزدق شيئاً من نسب عمر فقال : « هذا الذي كانت الشعراء تطلمه فأخطأته
 وبكت الديار ، ووقع هذا عليه . » وقال ابو المقوم الانصاري : « ما عصي الله
 بشيء كما عصي بشعر عمرو بن ابي ربيعة . » وقال جرير : « ان انساب الناس الخزومي . »
 يعني عمر .

ورأى عبد الله بن مصعب بن الزبير مولاته ^(٤) داخله منزله ومعها دفتراء ، فسأها
 عنه ، فقالت : « شعر عمرو بن ابي ربيعة . » فقال : « ويحك اتدخلين على النساء
 بشعر عمرو بن ابي ربيعة ! ان شعره لموقعاً من القلوب ومدخلاً لطيفاً ، لو كان شعر
 يسحر لكان هو ، فارجمي به . » ففعلت . وقال الاصمعي : « عمر حجة في العربية
 ولم يؤخذ عليه الا قوله :

(١) هو زعيم الازارقة الذين خرجوا بالبصرة ايام عبدالله بن الزبير فحاربوه لانه ابي
 مساعدتهم وخالفهم . (٢) الله : منصوب بفعل محذوف اي خف الله او راقبه . (٣) الحجال :
 الحدود مفردة حجلة . (٤) مولاته : جاراته .

ثُمَّ قَالُوا: «تُحِبُّهَا؟» قُلْتُ: «بَهْوَ! عَدَدَ أَرْ مَلٍ وَالْحَصَى وَالْثَرَابِ»^(١)

وله في ذلك مخرج اذ قد اتى به على سبيل الاخبار^(٢) . وانشد عمر «رائيته» طلحة ابن عبد الله بن عوف الزهري ، وهو راكب ، فوقف وما زال شائعاً ناقته^(٣) حتى كتبت له . وكان جرير اذا انشد شعر عمر قال : «هذا شعر تهامي اذا انجد وجد البرد»^(٤) حتى انشد رائيته فقال : «ما زال هذا القرشي يهذي حتى قال الشعر .» وقال ابن ابي عتيق : «لشعر عمر نوبة»^(٥) في القلب وعلوق في النفس ليست لشعر . وسمع جميل بن معمر عمر ينشد لاميته :

جَرَى نَاصِحٌ بِالْأُودِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ، فَفَرَّبَنِي يَوْمَ الْحِصَابِ إِلَى قَتْلِي^(٦)

فقال «هيهات يا ابا الخطاب ! لا اقول والله مثل هذا سيجس الليالي»^(٧) ، والله ما يخاطب النساء مخاطبتك احد . ولمصعب بن عبد الله الزبيري رأي في ابن ابي ربيعة تجده في الاغاني يقدمه به على اقرانه باشياء كثيرة منها : سهولة الشعر ، وحسن الوصف ودقة المعنى .

فيتين من هذه الاقوال ما للشاعر القرشي من منزلة رفيعة في الغزل ؛ فقد اجمعوا على انه اغزل الشعراء ، وادخلهم شعراً في النفس ، واسحروهم للنساء . واذا نظرنا الى قول جرير فيه نعم ان شعره لم يقف على حالة واحدة بل تطور كثيراً حتى بلغ مرتبته من الحسن والجودة ، ويظهر لنا ذلك جلياً في درسه ، فاننا نجد فيه

(١) جهراً : منصوب على المصدرية اي احبها حباً جهراً اي غلبني غلبه . او تكون جهراً بمعنى عجباً اي عجباً لكم . او بمعنى تعساً اي تعساً لكم . عدد : منصوب على المصدرية اي حباً معدوداً عدد الرمل . (٢) وذلك لان حذف همزة الاستفهام غير جائزة على مذهب سيبويه الا في الضرورة وان كان غيره يحيزه في الاختيار عند أمن اللبس . (٣) يقال : شئق البعير من باب ضرب ونصر ، اذا جذبه بالشناق حتى يرفع رأسه ، والشناق : الزمام . (٤) انجد : اتى انجداً . يريد بذلك انه شعر ضعيف لين يصلح له العيش في سواحل تهامة ولا يصلح له في جبال نجد الباردة التي لا يحيا فيها الا الشعر الصلب المتين . (٥) النوبة : التملق . (٦) الحصاب : كالحصب : موضع رمي الجار في مناسك الحج . والجار : جمع الجمرة : الحصاة يرميها الحجاج في المناسك وهي ثلاث : الجمرة الاولى والوسطى والعقبة . (٧) سيجس : كلمة تستعمل للتأيد . وقوله : «لا اقول مثل هذا سيجس الليالي» اي لا ا قوله ابداً .

قسماً ضعيفاً بين الاسفاف واللين ، ثم نجد قسماً رشيماً حلوا الالفاظ سهلاً على غير
ضعف كأنه وضع للغناء ، ثم نجد قسماً آخر شديد الاسر حسن الديباجة ، وهو
الشعر الذي استهوى كبار الشعراء كالفرزدق وجريز .

واذا نظرنا الى قول الفرزدق وجميل بدا لنا ان ابن ابي ربيعة لم يصل الى
منزلته الادبية العالية الا بشعره القصصي ، فقد رأى فيه الناس شيئاً جديداً ليس في
غيره ، ولا سيما مخاطبته النساء فافتنوا به وراقهم اسلوبه . ونستطيع ان نعلم من
اقوال المقوم الانصاري وعبد الله بن مُصعب الزُبيري وهشام بن عروة ما كان لهذا
الشعر من التأثير في نفوس النساء حتى اصبحتوا يخافون عليهن منه ، وينعنونهن من
حفظه وروايته . فقد كان شعر ابن ابي ربيعة ، وهو الفستق المقشر ، كما وصفه
حماد ، خطراً على النساء لما فيه من تشبيب بليغ وقصص غرامي شائق ، ولكنه
بوأ صاحبه ارفع رتبة في هذا الفن ، فجعله شاعر قریش وفتاها ، واستاذ الغزل
الحضري ، وزعيم الغزلين على الاطلاق .

ازدهار الشعر السياسي

الاحزاب وشعراؤهم : قول الانصار : منا امير ومنكم امير . مقتل عثمان ايقظ الفتنة .
المضرية واليمانية . حزب الشيعة في العراق . الخوارج في الجزيرة .
الحزب الزُبيري . مقتل مُصعب وعبد الله ابني الزبير . موقف
الحزب الاموي امام احزاب المعارضة . شعراء الحزب الاموي .
شعراء حزب المعارضة . الهجوم المقذع يتناول سياسة الاحزاب
وغيرها . النعمان بن بشير والاخلط .

قصيدة النعمان : يتوعد معاوية . لا يعني بهجاء الاخلط . هي ثلاثة اقسام تظهر فيها
سياسة الانصار وسياسة النعمان . التهديد بالحرب . الافتخار بفزوة
بدر . سياسته ورأيه في الخلافة . جرأته . حلم معاوية .

تكلمنا على الشعر السياسي في الصدر الاول، وذكرنا الاسباب التي ساعدت على نشوئه وجعله فناً مستقلاً بنفسه، غير ان هذا الفن لم يتم ازدهاره الا في الصدر الثاني، لان الشعر الذي قيل في حياة النبي كان فاتحة لهذا الفن في صورته التامة . ولما قبض الرسول اصاب الشعر السياسي شيء من القصور كما اصاب غيره من الفنون الشعرية ، فانصرف العرب الى القرآن والجهاد، وكادوا يتناسون عصبيتهم الجاهلية، وما كان بين قبائلهم من منافرات ومخاصمات . على ان مقتل عثمان بن عفان ايقظ الفتنة من مضجعها، فاعصوب الشر، وتفرقت الجاهة شيعاً واحزاباً، ووجرت الدماء انهاراً بين علي وخصوم علي . ثم استقر الامر في بني أمية على كره من اعدائهم، فقبضوا على ناصية الملك بيد من حديد، وشددوا النكير على مناوئهم، فأصلوهم حرباً عواناً، فقاتلوا الشيعة، وقاتلوا الخوارج، وقاتلوا الزبيريين حتى وطدوا دعائم دولتهم بشعار السيوف .

ولا نستطيع ان نتفهم حقيقة الشعر السياسي في هذا العصر ما لم نلهم بتاريخ الاحزاب السياسية في الاسلام، ونعلم الاسباب التي ادت الى نشوئها وتنظيمها . وانه ليحسن بنا ان نعود قليلاً الى الصدر الاول، ونستعيد صور الحياة العربية بعد وفاة محمد، وقول الانصار للقرشيين : « منا امير ومنكم امير » . فالانصار يرون ان لهم الحق في الخلافة كما لقريش، فهم الذين جردوا سيوفهم على رؤوس المشركين، وآووا النبي واصحابه المهاجرين، وجعلوا ديارهم موطناً للاهوال في سبيل الاسلام ونصرة المسلمين . ولكن القرشيين ابوا عليهم هذا الحق، واستأثروا بالخلافة دونهم لان النبي منهم . ثم اراد الانصار ان تحصر الخلافة في بني هاشم لانهم اهل النبي الادنون، ودعوا الى مبايعة علي بن ابي طالب، فأبى قريش ذلك، واخفق الانصار في دعوتهم . فنبه هذا الاستثثار روحاً عصبياً جديداً بين القرشيين والانصار^(١)، او بين المضرية واليانية، او بين العدنانية والقحطانية .

(١) قريش مضرية عدنانية والانصار يمانية قحطانية .

على ان هذه العصبية بقيت ضعيفة حتى قتل عثمان وطولب علي بدمه، فشدد الانصار ساعد بني هاشم، وحازبهم على قريش كما حازبوا النبي من قبل . ولم تكن الحروب التي قامت بينهم الا نزاعاً عنيفاً بين المضرية واليمانية . ثم نشأ حزب الشيعة في العراق ^(١) واكثره يمني، ومنه الانصار، ورأيه ان تكون الخلافة في بني هاشم بل في ابناء علي اسباط الرسول وابناء عمه . ونشأ حزب الخوارج في الجزيرة وقد اتينا على سبب نشوئه في لمحتنا التاريخية، ورأيه ان تكون الخلافة شورى بين المسلمين، غير محصورة في قبيلة دون اخرى، وكان يرمي سائر الاحزاب بالكفر والمروق من الدين .

وانشقت قريش ثانية على نفسها، فقام آل الزبير في مكة ينكرون على بني أمية جعلهم الخلافة وراثية فيما بينهم دون سواهم من القرشيين . فنشأ الحزب الزبيري وعلى رأسه عبد الله بن الزبير يجاهد الامويين ويطالب بالخلافة، فبايعه بها اهل الحجاز في خلافة يزيد بن معاوية ^(٢) ثم بايعه اهل العراق واليمن ومصر . اما دمشق فثبتت على ولاء الامويين، فبايعت معاوية بعد موت ابيه يزيد، ثم بايعت مروان ابن الحكم ^(٣) فقاتل الزبيريين وفتح مصر، ثم بايعت عبد الملك بن مروان ^(٤) فافتتح العراق بعد مقتل مصعب بن الزبير اخي عبد الله، وارسل الحجاج بن يوسف في جيش عظيم الى الحجاز، فكانت بينه وبين اصحاب ابن الزبير وقائع كثيرة، وحاصر الحجاج مكة سبعة اشهر ورمها بالمنجنيق ^(٥)؛ فظل عبد الله بن الزبير يقاتل حتى قتل في سنة ٦٩٢ م و ٥٧٣ هـ . بعد خلافة تسع سنوات، وبوته صار الامر لعبد الملك بن مروان فبايعه اهل الحجاز واليمن وامحى حزب الزبيريين .

(١) كانت الكوفة وما يليها من العراق موئل علي بن ابي طالب وابنه الحسن في خلافتيهما فنشأ الحزب الشيعي في تلك الامصار . (٢) تولى الخلافة يزيد بن معاوية من سنة ٦٨٠ - ٦٨٤ م و ٦٠ - ٦٤ هـ . ثم تولاهما ابنه معاوية ولم يلبث ان تخلى عنها بعد اربعين يوماً . فانتقلت من آل معاوية بن ابي سفيان الى آل مروان بن الحكم وكلاهما من أمية . (٣) خلافة مروان بن الحكم سبعة اشهر او اكثر من ٦٨٤ - ٦٨٤ م و ٦٤ - ٦٥ هـ . (٤) خلافته من سنة ٦٨٤ - ٧٠٥ م و ٦٥ - ٨٦ هـ . (٥) المنجنيق : آلة تُرمى بها الحجارة، مؤنثة وقد تذكّر ، فارسية الاصل .

فهذه الأحزاب الثلاثة كانت تنأوى الحزب الأموي ، والأمويون يناوئونهم جميعاً ، مدعين أنهم أحق بالخلافة من غيرهم ، لأن الخليفة عثمان بن عفان الأموي قُتل ظالماً ولم يؤخذ بشأره ، فحق لهم المطالبة بدمه ، والاستيلاء على الملك من بعده . ولم يقتصر خصام هذه الأحزاب على الغزو والقتل ، بل أخذ منه الشعر قسماً كبيراً ، فكان لكل حزب شعراء يدافعون عنه ويؤيدون آراءه ويشتمون خصومه ، فعمل الشعراء المخضرمين في الصدر الأول للإسلام .

وكان شعراء بني أمية أكثر عدداً وابعداً صوتاً لأن الخلفاء الأمويين بسطوا لهم الأكف واسبغوا عليهم النعم ، وساعدتهم على البذل ما في بيت المال من فيء^(١) وفر ، فاقبلت عليهم طوائف الشعراء ، قمدحهم وتؤيد حقهم بالخلافة غير هيأبة جانب خصومهم . وأما شعراء المعارضة فكانت أصواتهم تقوى بقوة أحزابهم ، وتضعف بضعتها . فعبيد الله بن قيس الرقيّات القرشي كان زبيرياً يكره الأمويين ويهجوهم ، فلما قتل مصعب بن الزبير وأخوه عبد الله ، انحاز إلى عبد الملك بن مروان فدحه خائفاً ، فأمنه على حياته . والفرزدق كان يتشيع لعلي وابتاء علي ، ولكنه لم يستنكف عن مدح خلفاء بني أمية وعماهم رهبة منهم ، أو رغبة في نوالهم . وكذلك فعل الكعبي لما أمر هشام بن عبد الملك بقطع لسانه من أجل قصيدة رثى بها زيد بن علي^(٢) . والنعمان بن بشير كان أنصارياً من الخوارج ، ولكنه سائر معاوية ، فشهد معه واقعة صفين ، وقد اجتذبه معاوية بسخائه ودهائه . ولما افضت الخلافة إلى مروان بن الحكم كان النعمان على حمص فدعا أهلها إلى مبايعة عبد الله بن الزبير فلم يجيبوه ، فهرب منهم ، فتبعوه وادركوه وقتلوه .

والنعمان على مسأيرته معاوية وآله كان شديد التعصب للانصار . ولما دفع يزيد ابن معاوية الاخطل لهجاء الانصار فهجأهم بقوله :

(١) الفيء : الخراج والغنيمة . أو ما رده الله على المسلمين من أموال من خالفهم في الدين بلا قتال أما بالجلاء أو المصالحة على جزية أو غيرها . (٢) هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي العاشر ملك من سنة ٧٢٣ - ٧٤٣ م و ١٠٥ - ١٢٥ هـ . وفي أيامه خرج زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب طالباً للخلافة لنفسه فبايعه أهل الكوفة وكان عاملها من قبل هشام يوسف ابن عمر الثقفي فجمع العسكر وقاتل زيدا فانتصر عليه ، وقتل زيد بسهم أصابه في جبهته .

ذَهَبَتْ قُرَيْشٌ بِالْمَكَارِمِ كُلِّهَا، وَاللُّؤْمُ تَحْتَ عَمَائِمِ الْأَنْصَارِ
 دخل النعمان على معاوية غضبان ؛ وانشأ قصيدته التي يقول فيها :
 مُعَاوِيَّ ، إِلَّا تُعْطِنَا الْحَقَّ تَعْتَرِفْ ،
 إِعْنَى الْأَزْدِ مَشْدُوداً عَلَيْهَا أَلْعَمَائِمُ
 ثم حسر عمامته وقال : « يا امير المؤمنين ، اترى لؤماً ؟ » قال : « لا ، بل ارى
 كرمأ وخبرأ ^(١) » ، فإذا ؟ » قال : « زعم الاخطل ان اللؤم تحت عمامم الانصار ، »
 قال : « أو فعل ذلك ؟ » قال : « نعم . » قال : « لك لسانه . » فاستجار الاخطل
 بيزيد ، فمنعه منه ، وارضى النعمان حتى كف عنه .

ولعل من الخير ان ندرس قصيدة النعمان بن بشير في الدفاع عن الانصار فانها
 مظهر قوي لاستيقاظ العصبية في الاسلام ، واشتداد الخصومة بين المضوية واليانية .
 ثم نتقل الى درس الاخطل شاعر بني امية الاكبر ، فدرس الفرزدق وجريز ، وما
 كان بين الثلاثة من هجاء مقذع ؛ فان الهجو في هذا العصر لم يكن مقصوراً على
 سياسة الاحزاب ، بل تعداها الى اغراض خاصة بالشعراء منها ما يتصل بالعصبية
 القومية والمفاخرة بالآباء والجدود ، ومنها ما يقصد منه اظهار قوة الشاعرية وبراعة
 الشاعر في هجو خصمه واذلاله .

قصيدة النعمان

يستهل النعمان قصيدته متوعداً معاوية ، ذاكراً هجاء الاخطل للانصار ، ولكنه
 لا يعنى بالرد على شاعر تغلب ، بل يجعل همته في تهديد الخليفة الاموي ، ثم يفتخر
 عليه ويذكره يوم بدر وما فعلت الانصار بقريش ، ثم يختم ضارباً على الوتر الحساس
 الذي يرحف وقعه قلب السياسة الاموية ، وهو مصير الخلافة الى بني هاشم لانهم
 احق بها واولى .

فقصيدة النعمان بن بشير في اقسامها الثلاثة تظهر لنا سياسة الانصار ورأيهم في
 الخلافة وسخطهم على الامويين بعد ان استأثروا بها ، وتظهر لنا خصوصاً سياسة
 النعمان في مصانعته معاوية وابناء معاوية :

(١) الخير : الكرم والشرف والاصل .

مُعَاوِيَ إِلَّا تُعْطِنَا الْحَقَّ تَعْتَرِفْ ،
 أَيْشْتُمْنَا عِنْدَ الْأَرَاقِمِ ضَلَّةً !
 فَمَا لِي ثَارٌ دُونَ قَطْعِ لِسَانِهِ ،
 فَتَطْلُبُ شَعْبَ الصَّدْعِ بَعْدَ التَّامَةِ ،
 وَرَاعَ رُوَيْدًا ! لَا تَسْمُنَا دَنِيَّةً ،
 وَإِلَّا فَتَوْبِي لِأُمَّةٍ تُبْعِيَّةً ،
 وَأَسْمُرُ خَطِيئًا كَانَ كُعُوبُهُ ،
 لِحَى الْأَزْدِ مَشْدُودًا عَلَيْهَا الْعَمَائِمُ ^(١) ،
 وَمَاذَا الَّذِي تُجْدِي عَلَيْكَ الْأَرَاقِمُ ؟ ^(٢)
 فَدُونَكَ مَنْ يُرْضِيهِ عَنْكَ الدَّرَاهِمُ ^(٣) ،
 فَتُغْفِرُهُ فَإِلَّا لَانَ ، وَالْأَمْرُ سَالِمٌ ^(٤) ،
 لَعَلَّكَ فِي غَيْبِ الْخَوَادِثِ نَادِمٌ ، ^(٥)
 تَوَارِثُ آبَائِي ، وَأَبْيَضُ صَارِمٌ ، ^(٦)
 نَوَى الْقَسْبِ ، فِيهَا لَهْذَمِي خَثَارِمٌ ^(٧) .

(١) معاوي : منادى مرخم . إلا : مركبة من إن الشرطية الجازمة ولا النافية .
 تعترف : أي تعرف . الأزد : أبو قبيلة يمانية ينتسب إليها الانصار وينتهي نسبها إلى يعرب بن
 قحطان . يقول : إن لم تعطنا حقنا تعلم ما هي لحي الأزد وقد شددت عليها العمام . أي انصا
 شددت على كرم وإباء لا على لؤم كما زعم الاخطل : « واللؤم تحت عمام الانصار » .
 (٢) الاراقم : حي من قلوب قبيلة الاخطل . ضلة : على غير هدى . تجدي عليك : أي
 تفيدك . (٣) دون قطع لسانه : أي غير قطعه . فدونك : أي خذ . من يرضيه عنك الدراهم :
 يريد به الاخطل . يقول : إن الدراهم هي التي تجعله يرضى عنك ويمدحك فدونك إياه فاقطع
 لسانه . (٤) فتطلب : منصوب بان مضمره بعد الفاء لوقوعها في جواب الطلب في قوله :
 فدونك . شعب : متفرق . الصدع : الشق . التامة : اجتماعه . فتغفريه : فتصلحه وتجمعه .
 يقول : انتقم لنا من الاخطل فتصلح الفاسد وتجمع شقنا المتفرق بعد أن كان ملتئمًا . ويكنى
 بالصدع عن تفرق الجماعة وبالأمة عن جمع شاتها . والفاء في قوله : فالان ، زائدة . أي
 فتغفريه الآن والامر سالم : أي ونحن في حال السلام حيث لا يصعب اصلاح الصدع وجمعه .
 أو غير زائدة فيكون المعنى : فالان أفل ذلك والامر سالم بيننا . (٥) راع : من المراعاة
 أي المداواة . رويدا : مهلاً . لا تسمنا : لا تكلفنا . دنية : أي خطية دنية . القب :
 العاقبة . يقول : لا تكلفنا خطية دنية لئلا نندم . (٦) لامة : درع . تبعية : منسوبة
 إلى تبع واحد التبابعة وهم ملوك اليمن ولا يسمى به إلا من كانت له حمير وحضر موت .
 تواريث : جمع توارث وهو الارث . ابيض : صفة لل سيف . صارم : قاطع . يقول : راع الانصار
 والا فتوبني درع يمانية من تواريث ابائي التبابعة ، وسيف قاطع . يهدده بالحرب ، لان لبس
 الدرع والسيف دليل على الاستعداد لها . (٧) الاسمر : صفة للرمح . خطي : منسوب إلى الخط وهو
 مرفأ في البحرين تباع فيه الرماح . كعوبه : انابيه . التوى : جمع نواة . القسب : قر

مَتَى تَلَقَ مِنَّا عُصْبَةُ خَزْرَجِيَّةٌ ، أَوْ الْأَوْسُ يَوْمًا ، تَخْتَرِمَكَ الْمَخَارِمُ ،^(١)
وَتَلَقَّكَ خَيْلٌ كَالْقَطَا مُسْتَطِيرَةٌ ، سَهَاطِيظٌ ، أَرْسَالٌ ، عَلَيْهَا الشَّكَاثِمُ ،^(٢)
يُسَوِّمُهَا الْعُمَرَانُ : عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ ، وَعُمَرَانُ ، حَتَّى تُسْتَبَاحَ الْمَخَارِمُ ،^(٣)
وَيَبْدُو مِنَ الْخُودِ الْغَرِيزَةُ حِجْلُهَا ، وَتَبْيَضُّ مِنْ هَوْلِ السُّيُوفِ الْمَقَادِمُ ،^(٤)

الافتخار بفروزة بدر

فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَشْهَدْ بَبْدَرٍ وَقِيعَةً ، أَذَلَّتْ قُرَيْشًا ، وَالْأَنْوَفُ رُوعًا^(٥)

يابس صلب النواة . لهدمي : اي سنان حاد قاطع . خثارم : غليظ . يتابع التهديد بالحرب فيقول : وثوبي ايضا رمح خطي كأن كهوبه في صلابتها نوى الثمر اليابس وفيها سنان قاطع غليظ .

(١) خزرجية : نسبة الى الخزرج ، قبيلة النعمان بن بشير . الاوس : اسم قبيلة ومن الاوس والخزرج تتألف الانصار . تخترمك : تأخذك المنية وتودي بك . المخارم : المنايا ورأس السيف مفردا مخرم . (٢) القطا : جمع قطاة وهي طائر يحجم الحمامة صوته قطا قطا . وتشبه الخيل بالقطا في السرعة . مستطيرة : منتشرة بسرعة في الجري . سهايط : متفرقة . ارسال : جماعات ، مفردا رسل . الشكاثم : جمع الشكيمة وهي من اللجج الحديدة المعترضة في فم الفرس . يقول : تلقك خيل سريعة الجري تسير فرقا وجماعات وهي قوية لا يطلق لها عنان الا والشكاثم في اشداقها . (٣) يسومها : يقودها ويرسلها اي يقود فرسانها . (العمران : مثني عمرو ، واطلاقه على عمران من التغليب من باب اخراج الكلام على غير ما يقتضيه الظاهر وهو ان يطلق لفظ احد الصاحبين ترجيحاً له عليه ، كما في العمرين لابي بكر وعمر بن الخطاب فلفظ عمر اخف من لفظ ابي بكر . وهكذا لفظ عمرو اخف من عمران وكلاهما من الانصار . تستباح : تنتهك . المخارم : ما يحصى من كل شيء مفردا مخرم . (٤) يبدو : معطوف على تستباح منصوب مثله وسكنت الواو للشعر الخود : المرأة الحسناء الشابة . حجلها : خلخالها . المقادم : جمع مقدم وهو من الوجه ما استقبلت منه . او اراد به مقدم شعر الراس اي النواصي . يقول : تنتهك المخارم في هذه الحرب ، ويشد الفزع ، ويبدو خلخال الفتاة الحسناء اي انها تسرع عن ساقها للمهرب . وتبيض الوجوه : اي يذهب لونها من الخوف . او تشيب النواصي من شدة الهول . وقد وردت ابيات هذا القسم مرتبة على غير هذا النحو فخالقنا في ترتيبها مراعاة للمعنى والفن . (٥) وقية : حربا . ووقية بدر انتصر فيها المسلمون على مشركي قريش وقد مر ذكرها . الانوف : التعريف بأل نائب عن الضمير أي وانوفهم . رواغم : جمع راغم وهو اسم فاعل من رَغِمَ أَنْفُهُ : اي ذل فكأنه معفر بالرغام وهو التراب

فَسَائِلُ بِنَا حَيِّي لُوَيِّ بْنِ غَالِبٍ ،
 أَلَمْ تَتَبَدَّرْ يَوْمَ بَدْرٍ سَيُوفُنَا ،
 ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى تَفَرَّقَ جَمْعُكُمْ ،
 وَعَاذْتَ إِلَى أَلْبَيْتِ الْحَرَامِ عَرَائِسُ ،
 وَعَصَّتْ قَرِيشٌ بِالْأَنَامِلِ بِبَغْضَةٍ ،
 فَكُنَّا لَهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ نَكِيدُهُ ،
 فَمَا إِنْ رَمَى رَامٍ فَأَوْهَى صَفَاتِنَا ،
 وَأَنْتَ ، بِمَا يَخْفَى مِنَ الْأَمْرِ ، عَالِمٌ ^(١) ،
 وَلَيْلِكَ ، مِمَّا نَابَ قَوْمَكَ ، قَاتِمٌ ^(٢) ،
 وَطَارَتْ أَكْفُ مِنْكُمْ وَجَمَاجِمُ ،
 وَأَنْتَ عَلَى خَوْفٍ ، عَلَيْكَ أَلْتَمَائِمُ ^(٣) ،
 وَمِنْ قَبْلِ مَاعَصَتْ عَلَيْكَ الْأَدَاهِمُ ^(٤) ،
 مَكَّانَ الشَّجَا ، وَالْأَمْرِ فِيهِ تَفَاقُمُ ^(٥) ،
 وَلَا ضَامِنًا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ ضَامِنُ ^(٦) .

سياسته ورأيه في الخلافه

وَإِنِّي لِأَغْضِي عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ، سَتَرَقَى بِهَا يَوْمًا إِلَيْكَ أَلْسَلَامُ ^(٧) .

(١) فسائل بنا : اي سائل عنا • لوي بن غالب بن فهر : بطن من قريش • يقول :
 فسأل عنا بني لوي بن غالب يخبروك بما فعلنا بهم فتعلم ما يخفى عليك من امرنا • (٢) تبدر :
 لم نجد هذه اللفظة في المعاجم التي بين ايدينا كلسان العرب والقاموس وناج العروس ومحيط
 المحيط • فعل المراد منها : قشهد يوم بدر او لعلها تبدر فسقطت الالف في النسخ فيكون
 المعنى : ألم تتسابق يوم بدر سيوفنا • وقوله : ألم تبدر : استهزام انكاري اي تبدرت •
 ناب : أصاب • قاتم : مظلوم • يقول : اشتد عليك ظلام الليل لما اصاب قومك من الويلات •
 (٣) عاذت : لجأت واحتتمت • البيت الحرام : الكعبة • التائم : جمع تيمة وهي خرزة تعلق في
 عنق الصبي اتقاء للعين والاختار • يقول : ولجأت عرائس قريش من الفزع الى البيت الحرام
 وانت ألبست التائم من خوف عليك • (٤) الانامل : الاصابع واحدها أنملة • البغضة : شدة
 البغض • يقول : عصت اناملها حقدًا علينا • ما : زائدة • الاداهم : جمع ادهم وهو القيد •
 يقول : ومن قبل عصت عليك الاداهم اي أسرت وكبالت بالقيود • (٥) فكنا لها : اي
 لقريش • نكيدته : نعالجه • الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه فتنع من البلع •
 تفاقم : اشتداد • يقول : كنا نضايق قريشًا في كل امر نأيه ونعالجه كاننا مكان الشجا من
 حلقهم • وهذا الامر في حالة اشتداده • وقوله : تفاقم : فيه سناد الاشباع وهو من عيوب
 (القافية) وسناد الاشباع اختلاف حركات الدخيل • فهذه القصيدة مكسورة ما قبل رويها الا في
 قوله تفاقم فإنه مضموم • (٦) أوهى : اضعف • صفاتنا : صخرتنا ، استعارها للغميمة •
 ضامنًا : ظلمنا وقهرنا ونقص حقنا • (٧) أغضي : اي اغض طرفي واسكت • (السلام :

أَصَانَعُ فِيهَا عَبْدَ شَمْسٍ ، وَإِنِّي لَيْلِكَ أَلْتِي فِي النَّفْسِ مِثِّي أَكَاتِمُ ^(١)
فَمَا أَنْتَ وَالْأَمْرَ الَّذِي لَسْتَ أَهْلُهُ وَلَكِنْ وَلِيَّ الْحَقِّ وَالْأَمْرَ هَاشِمُ ^(٢)
إِلَيْهِمْ يَصِيرُ الْأَمْرُ بَعْدَ شَتَاتِهِ ، فَمَنْ لَكَ بِالْأَمْرِ الَّذِي هُوَ لَازِمُ ^(٣)
بِهِمْ شَرَعَ اللَّهُ الْهَدَى ، فَأَهْتَدَى بِهِمْ ، وَمِنْهُمْ لَهُ هَادٍ : إِمَامٌ وَخَاتِمُ ^(٤)

فهذه القصيدة بما فيها من وعيد وتعيير وفخر وانذار تمثل ألم الانصار لاختلافهم في الحياة السياسية بعد ان استبدت قريش بالخلافة والسلطان، فهم ساططون عليها لا يستثنون الا بني هاشم آل البيت . بيد انهم يوثرون من الهاشميين ابناء علي ويرونهم احق من غيرهم بالخلافة لانهم اسباط الرسول وابناء عمه . والنعمان بن بشير على مسيرته الامويين، لم يشذ عن الانصار في سياسته، بل كان يرى رأيهم، ولكنه يصانع معاوية رغبة في نواله :

أَصَانَعُ فِيهَا عَبْدَ شَمْسٍ ، وَإِنِّي لَيْلِكَ أَلْتِي فِي النَّفْسِ مِثِّي أَكَاتِمُ

ولا بد ان تدهشك جرأة الشاعر على الخليفة، ومخاطبته اياه بتلك الالهجة

جمع سلم وهو المراقبة يذكر ويؤث ، وهو هنا بمعنى سبب الوصول الى الشيء . يقول : انت تسومني امورا كثيرة اغض الطرف عنها ساكتا ولكن سيأتي يوم لا يحسن فيه الاغضاء فنقابلك بهذه الامور ونصعد الى عرشك العالي فنترك عنه .

(١) اصانع : اداري واداهن . فيها : اي في هذه الامور . عبد شمس : والد امية . اي اصانع في هذه الامور بني عبد شمس . لئلك : اي لحاجة نفسي وغايتها . اكاتم : اي اكاتم عبد شمس الحاجة التي في نفسي . (٢) الامر : اي الخلافة والسلطان . وقوله : والامر : منصوب على المعية اي فما انت تكون والامر . وهذا مثل قولهم : كيف انت وقصة من تريد ، وما انت وزيدا . الحق : من اسماء الله او من صفاته ، وضد الباطل ، والاسلام ، وكلها تناسب معنى البيت . هاشم : اي بنو هاشم . (٣) شتاته : تفرقه وتبدده . اي ان الخلافة ستعود الى بني هاشم بعد ان تبددت في بني امية . فن لك بالامر : اي من يضمن لك السلطان ؟ الذي هو لازم : اي ثابت لا يتحول عنك . يقول : ليس الامر مضمونا لك . (٤) بهم : اي ببني هاشم . شرع : سن . الهدى : ضد الضلال . الامام : هنا النبي . خاتم : اي خاتم الانبياء . يقول : سن الله الهدى ببني هاشم فاهتدى بهم الهدى وله منهم هادي نبي ختمت به الانبياء .

الشديدة التي لا تليق بالملوك ، ولا يسلم من مخاطبتهم بها مهما عظم خطوه . اجمل ، ان جرأة النعمان عجيبة غير مألوقة ، ولكن اعجب منها حلم معاوية واثاته ، بل سياسته ودهاؤه ، فهو يعلم ان ملكه قائم على كره من الانصار وغير الانصار ، ولا يستطيع تأييده الا بالحكمة والحلم وحسن تصريف الامور . فهذه الصفات السامية تمكن معاوية من تأسيس عرش بني امية وتوطيده .

فأما وقد عرفنا الآن شيئاً من الشعر السياسي الذي كان يناوئ به بني امية خصومهم ، فلننتقل الى درس الشعر الذي كان يؤيد سياسة الامويين ويرد على اعدائهم ، الى درس شعر الاخطل شاعر بني امية .

(١) الاخطل

٧١٠ م و ٥٩٢ هـ (?)

حياته : نشأ في قبيلة عزيزة الجانب لم تترك نصرانيتها في الاسلام . هجوه امرأة ابيه . تعرضه لكعب بن جعيل . هجوه الانصار واتصاله ببني امية . حرب قيس وتغلب . القيسية تراحم تغلب في عقر دارها ، وتناصر الزبيريين على الامويين . اتفاق امية وتغلب وافناء اليمن على قيس . تمسك الاخطل بدينه . حبسه في الكنيسة . عبد الملك يعرض عليه الاسلام . حبه الخمر . دأته على عبد الملك . تدخله في سياسة الخلافة لمصلحة قومه . حادثته مع زفر ابن الحرث . تحاجي الاخطل وجريز . الفرزدق ينحت من صخر وجريز . يغرف من بحر . موت الاخطل في خلافة الوليد . لم يدرك عمر بن عبد العزيز . ديوان كبير ، ونقائض جرير والاخطل . من اصحاب الملحمة .

آثاره : شعره السياسي . المدح والهجاء . دفاعه عن الخلافة . مدحه الخليفة والامويين . ميزته : سياسته لمصلحة قومه . هجوه قيس عيلان وجريزاً وقومه . طريقة هجوه . مدح قوم الفرزدق . صلته بالثبافة . صحة شعره وتدخل قوافيه . شاعر ملوك كالثبافة . تقليده اياه بوصف الفرات . تأثير الفرات في تخيلة

(١) الاخطل : الطويل الاذنين المسترخيها ، والخفيف السريع ، والاحق ، وذو المنطق الفاسد المضطرب ، والكلام الفاسد الكثير ، والانسان الطويل المضطرب .

الاخطل . تقليده اياه بوصف الناقة . وصف الحمر . ابتكاراته في وصف
السكران والزقاق وديب الحمر ولذعا وتأثيرها وما يأخذ شارحها من
زهو وخيلاء . منزلته : تفضيل أئمة اللغة له بصحة شعره وجزالته وطول
نفسه . لا يقل في الهجو عن جرير . نصرانية الاخطل ضيقت عليه القول .
اقتصاره على هجو كليب دون تميم ومضر . شاعر متصرف في المعاني .
متقدم في الشعر السياسي على سواه .

هياث

هو غياث بن غوث بن الصلت التغلبي من اهل الحيرة، ويلقب بالاخطل لخبث
لسانه، وبمذي الصليب لانه كان نصرانياً يعلق صليماً على صدره، وبدوبل^(١) لان
امه كانت ترقصه به في صغره، ويكنى ابا مالك، ومالك اكبر بنيه.

نشأ الاخطل في قبيلة عزيزة الجانب شديدة البأس، حافل تاريخها بالمفاخر
الكثيرة حتى قيل : « لو تأخر الاسلام لاكلت بنو تغلب الناس . » وكانت تدين
بالنصرانية، فلما ظهر الاسلام وانتحلّه العرب، أبت تغلب ان تنزل عن دينها،
ورضيت بالجزية تدفعها، فاقرها عمر بن الخطاب على نصرانيتها، وكانت منازلها في
الجزيرة والعراق فتعرّع الاخطل مزهواً بمناقب قومه، حافظاً اخبارهم واياهم، يُعد
منها ذخائر وأهباً لشاعريته التي بدأت تظهر منذ نعومة اظفاره .

ويحدثنا الرواة انه هجا امرأة ابيه طفلاً، وكانت تضيق عليه وتؤثر بنيتها باللبن
والتمر والزبيب، وتبعثه يرعي اعتراً . فلحظ ذات يوم شكوة^(٢) فيها لبن، وجراباً
فيه تمر وزبيب، وكان جائعاً، فقال : « يا أماه آل فلان يزورونك ويقضون
حقك وانت لا تأتينهم وعندهم عليل، فلو اتيتهم لكان اعمل واولى بك، »
قالت : « جزيت خيراً يا بني لقد نهبت على مكرمة . » وقامت فلبست ثيابها
ومضت اليهم . فمضى الاخطل الى الشكوة فشرب ما فيها والى الجراب فأكل
التمر والزبيب . فلما رجعت ورأت الشكوة والآناء فارغين، علمت انه قد دهاها

(١) الدوبل : الخنزير او ولده، وولد الحمار او الحمار الصغير لا يكبر، والذئب،
والثعلب . (٢) الشكوة : وعاء من جلد للماء واللبن .

فعمدت الى خشبة لتضربه بها فهرب وقال :

أَلَمْ عَلَى عَنَبَاتِ الْعَجُوزِ ، وَشَكْوَيْهَا مِنْ غِيَاثٍ لَمْ^(١) .
فَطَلْتُ تُنَادِي : أَلَا وَيْلَهَا ! وَتَلَعْنُ ، وَاللَّعْنُ مِنْهَا أَمَمْ^(٢) .

وكان تغلب شاعر معروف يقال له كعب بن جعيل ، فتعرض الاخطل لهجائه وهو حدث ما برح مُعْرِزِماً^(٣) فضربه ابوه وقال له : « أَبْعَرْزَمَتِكَ تَرِيدُ أَنْ تَقَاوِمَ ابْنَ جَعِيلٍ ! » ثم ليح الهجاء بينهما فأخمل الاخطل كعباً وصار شاعر تغلب غير مدافع .

ولكن ريحه لم يبدأ هبوبها الا في عهد معاوية ، وكان العداء قد اشتد بين الانصار والقوشيين وكثر الهجاء والتفاحش بين شعرائهم ولا سيما بين عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت وعبد الرحمن بن الحكم بن ابي العاصي حتى امر معاوية بان يجلد كل واحد منهما مائة سوط . ثم كان من امر عبد الرحمن بن حسان ان شبب برملة بنت معاوية ، فبلغ ذلك اخاها يزيد فغضب فدخل على ابيه فقال : « يَا امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَرَى أَنَّ هَذَا الْعَلِجَ^(٤) مِنْ أَهْلِ يَثْرِبٍ يَتَهَكَّمُ بِأَعْرَاضِنَا وَيَشَبُّ بِنِسَائِنَا ! » قال : « وَمَنْ هُوَ ؟ » قال : « عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانٍ ، » وأنشده ما قال ، فقال : « يَا يَزِيدُ لَيْسَتِ الْعَقُوبَةُ مِنْ أَحَدٍ أَقْبَحَ مِنْهَا مِنْ ذَوِي الْقُدْرَةِ ، وَلَكِنْ أَهْلٌ حَتَّى يَقْدَمَ وَفَدَ الْإِنصَارُ ثُمَّ ذَكَرْنِي . » فلما قدموا ذكروه به ، فلما دخلوا عليه قال : « يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَلَمْ يَبْلُغْنِي أَنَّكَ تَشَبُّ بِرَمْلَةَ بِنْتِ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ » قال : « بَلَى ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا أَشْرَفَ بِهِ شَعْرِي أَشْرَفَ مِنْهَا لَذَكَرْتُهُ ، » قال : « وَإِنَّ أُنْتَ عَنْ اخْتِهَا هِنْدُ ! » قال : « وَانْ لَهَا لَاحْتًا ؟ » قال : « نَعَمْ . » وانما اراد معاوية ان يشبب بهما جميعاً فيكذب نفسه . فلم يُرض يزيد ما كان من ابيه ، فارسل الى كعب بن جعيل

(١) اللمم : الذنب الصغير والجنون . فان كان المعنى الاول كان المراد اصيبت العنابت والشكوة بذهب صغير . وان كان الثاني كان المراد ألم بالعجوز جنون على عنباتها وشكوتها . وقوله : على عنبات العجوز من نوع القلب . (٢) الامم : القرب ، والشيء اليسير . يقول : اللعن على قرب منها ، اي يأتي اليها لانه ابن زوجها . او اللعن شيء يسير منها لانه تعود منها اكثر من ذلك . (٣) مُعْرِزِماً : مبتدئاً بقول الشعر . (٤) العليج : الرجل الضخم من كفتار المعجم وهو هنا الكافر على الاطلاق .

بان يهجو الانصار ، فاعتذر خوفاً ودله على الاخل ، ولعل كعباً اراد ان يلقي
خصمه في تهاكة لما ناله من شر لسانه ، فنفعه من حيث لا يريد . فدعا يزيد
الاخل وقال له : « اهج الانصار ؟ » فقال : « أفوق من امير المؤمنين ، » فقال :
« لا تخف شيئاً انا لك بذلك . » فجهلهم وكان ما كان من امره مع النعمان بن بشير
وانتصار يزيد له ، فانقطع اليه يدحه ولياً للعهد وخليفة ، ثم مدح الحلفاء بعده ،
وجاهد حزب الزبيريين خصوصهم ، ودافع عن مصالح قبيلته في حروب قيس وتغلب
فارتفع قدره ونبه ذكره .

مرب قيس وتغلب

ولا نستطيع ان نتفهم شعر الاخل السياسي ما لم نلهم باخبار الحروب التي
وقعت بين قيس وتغلب في ايام الامويين لان لها صلة متينة بمصير الخلافة وانحلال
الحزب الزبيري . وقيس هذه ، قبائل مضرية جاءت في الاسلام الى الجزيرة وما يليها
فزاحمت التغلبيين وهم من ربيعة في عقودارهم ، وزاحمت معهم بعض قبائل يمانية
كانت تناصر الامويين ^(١)

فلما هلك معاوية وبايع الناس يزيد ابنه أبت القيسية مبايعته وقالوا : « والله
لا نبايع ابن الكلبية ؟ » ف وقعت الحرب بين امية وقيس فكانت تغلب وكلب في
فجور القيسية مع ابناء ابي سفيان . ولما صارت الخلافة الى مروان بن الحكم بايعت
قيس عبد الله بن الزبير فخوجت اليهم أمية وافناء اليمن ^(٢) فالتقوا بمرج راهط
على مقربة من دمشق فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت القيسية وقتل رئيسها الصَّحَّاك
ابن القيس الفهري وقتل منها تسعة آلاف ومن اليمن الف وثلاثمائة . وفي ايام عبد الملك
ابن مروان استؤنفت الغارات بين اليمنية والقيسية فاقتتلوا مدة . ثم وقعت الحرب

(١) لما رأى معاوية ان اكثر اليمنية تشابح عليه عمد الى استالتهم ف قرب منهم قبيلة كلب
وتزوج منها مَيْسُون بنت بحدل الكلبي وهي أم يزيد . ثم استنصرهم على قتلة عثمان لان أم
عثمان كانت كلبية واستقوام بالمسال فحاربوا معه وناصروا ابنه يزيد من بعده لانهم اخواله .
وكانوا في جانب مروان بن الحكم على ابن الزبير وفي جانب ابنه عبد الملك من بعده .
(٢) افناء اليمن : اخلاط من قبائل اليمن .

بين قيس وتغاب لما كان بينهما من التنافس والشحناء ، فاتفقت امية وتغلب وافناء
اليمن على استئصال هذا الحي من مضر ؛ حتى تم النصر لعبد الملك بن مروان في
العراق وقتل مصعب بن الزبير .

تمسك الاخطل برببه

وكان الاخطل ، على حظوته عند الخلفاء المسلمين واشتماله بنعمهم ؛ شديد
التمسك بنصرانيته ، كثير الاحترام للقسيسين وان يكن ، كما ذكر الاب لامنس ،
رقيق الدين ، متهاف العقيدة شأن اهل البادية . حدث اسحاق بن عبد الله من بني
عبد المطلب ، قال : « قدمت الشام وانا شاب مع ابي فكنت اطوف في كنائسها
ومساجدها فدخلت كنيسة دمشق واذا الاخطل فيها محبوس فجعلت انظر اليه ،
فسأل عني فاخبر بنسي ، فقال : « يا فتى انك لرجل شريف واني اسألك حاجة ؛ »
فقلت : « حاجتك مقضية ؛ » قال : « ان القس حبسني ههنا فتكلمه ليخلي عني ، »
فأتيت القس فانتسبت له فرحب وعظم ، فقالت : « ان لي اليك حاجة ، » قال :
« ما حاجتك ؟ » قلت : « الاخطل تحلي عنه ، » قال : « اعينك بالله من هذا !
مثلك لا يتكلم فيه ، فاسق يشتم اعراض الناس ويهجوهم . » فلم ازل اطلب اليه
حتى مضى معي متكئاً على عصاه ، فوقف عليه ورفع عصاه وقال : « يا عدو الله ،
أتعود تشتم الناس وتهجوهم وتقذف اعراض المحصنات ؟ » وهو يقول : « لست
بعائد ولا افعال ، » ويستخذي^(١) له ، فقلت : « يا ابا مالك ، الناس يهابونك والحليفة
يكرومك وقدرك في الناس قدرك ، وانت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذي
له ! . . » فجعل يقول لي : « انه الدين انه الدين ! . »

واخبر ابو عبد الملك قال : « رأيت الاخطل بالجزيرة وقد شكى الى القس وقد
اخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو يصي^(٢) كما يصي الفرخ ، فقلت له : « اين هذا
مما كنت فيه بالكوفة ؟ » فقال : « يا ابن اخي اذا جاء الدين ذلنا . »

(١) يستخذي : يخضع بذلة . (٢) صأى الفرخ يصي صئياً ، مثله : صاح .

وقيل : كانت امرأته حاملاً فمر بها الاسقف يوماً فقال لها : « الحقية فتمسحي به . »
ومر بالكوفة في بني رؤاس ووذنبهم ينادي بالصلاة ، فقال له بعض فتيانهم :
« ألا تدخل ابا مالك فتصلي ؟ » فقال :

أَصْلِي حَيْثُ تُدْرِكُنِي صَلَاتِي ، وَلَيْسَ الْإِرُّ عِنْدَ بَنِي رُوَاسِ
وسمع هشام بن عبد الملك الاخطل يقول :

وَإِذَا أَفْتَقَرْتُ إِلَى الدَّخَائِرِ ، لَمْ تَجِدْ دُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
فقال : « هنيئاً لك ابا مالك هذا الاسلام » فقال له : « ما زلت مسلماً في ديني ^(١) . »
وعرض عليه عبد الملك الاسلام مراراً فكان يتخلص في جوابه الى الهزل
فعل من لا يريد ان يسيء الى رجل احسن اليه وآثره على جميع الشعراء المسلمين .
ومن ذلك ما روي ان عبد الملك قال له يوماً : « لم لا تسلم يا اخطل ؟ » قال :
« ان انت احللت لي الخمر ووضعت عني صوم رمضان أسلمت ، » فقال له عبد
الملك : « ان انت اسلمت ثم قصرت في شيء من الاسلام ضربت الذي فيه عنقك . »
وقال له مرة : « ألا تسلم فنفرض لك الفين في عطائك ، وتوصل بعشرة آلاف
درهم ؟ » قال : « فكيف بالخمر ؟ » قال . « وما تصنع بها وان اولها المر وان
آخرها اسكر ؟ » قال : « اما ان قلت ذاك فان بينها لمزلة ما ملكك فيها الا
كلعة من ماء الفرات بالاصبع ، » فضحك عبد الملك .

عبد الخمر

على ان الاخطل لم يكن كاذباً في حبه الخمر ، وان قصد الهزل وحسن
التخلص في جعله اياها حائلاً دون اسلامه ، فقد احبها كثيراً وبالغ في شربها
ووصفها بشعره يوم كان الشعراء المسلمون في كثرتهم يعرضون عن ذكرها فوقاً من
السلطان او تورماً من وصف شيء . نهى عنه القرآن . وكان يرى انها تنعش الفؤاد

(١) اضاف بعضهم الى ذلك قوله : « يا امير المؤمنين » وهذا خطأ لان الاخطل لم
يسدرك هشاماً وهو خليفة ليدعوه بأمر المؤمنين . وخلافة هشام من ٧٢٣ - ٧٤٣ م

وتنطق الشعراء ؛ وربما دعا غيره الى شربها لتجويد قريحته كما فعل بالمتوكل الليثي
اذ جمع شعره فقال له : « ويحك يا متوكل لو نبحت الحمر في جوفك كنت اشعر
الناس . »

وقد يستنشده الخليفة فما يطيق انشاداً إلم يبرد حلقه بالراح . فقد روي انه
دخل يوماً على عبد الملك فاستنشده ، فقال : قد يبس حلقى فمر من يسقيني ،
فقال : « اسقوه ماء ، » فقال : « هو شراب الحمار وهو عندنا كثير ، » قال :
فاسقوه لبناً ، » قال : « عن اللبن قد فطمت ، » قال : فاسقوه عسلاً ، »
قال : « شراب المريض ، » قال : « فتريد ماذا ؟ » قال : « خمرأ يا امير المؤمنين ، »
قال : « او عهدتني اسقي الحمر لا أم لك ؛ لولا حرمتك بنا لفعلت وفعلت . . . »
فخرج فلقي فراًشاً لعبد الملك فقال : « ويحك ان امير المؤمنين استنشدني وقد
صحيل ^(١) صوتي فاسقني شربة خمر ، » فسقاه رطلاً ؛ فقال : « اعدله بأخر ، »
فسقاه رطلاً آخر ، فقال : « تركتها يعتركان في بطني ! فاسقني ثالثاً ، » فسقاه ،
فقال : تركتني امشي على واحدة ، اعدل ميلي برابع ، » فسقاه رابعاً ، فدخل
على عبد الملك فأنشده رائيته الشهيرة : « خف القطين . . . »

وهذه الرواية على علاقتها لا تقتصر على اظهار حب الاخطل للخمر بل تظهر لنا
ايضاً دالته على عبد الملك بن مروان .

حرمه الاخطل

ولا نعجب لدالة الشاعر النصراني على الخليفة المسلم حتى ليبلغ به الامر ان
يستقيه الراح ، فلقد كان الاخطل موفور الحزمة عند عبد الملك ، مقرباً اليه دون
سائر الشعراء ، وكان يدخل عليه بغير اذن ولحيته تنفض خمرأ ، والشعر هو الذي
جعل للاخطل هذه الكرامة ، فقد كان الخلفاء الامويون مضطرين الى اصطناع شعراء
فيحول يقاومون خصومهم ، وكان الاخطل شاعراً فحلاً يجيد مدح الملوك ويجيد الهجاء ،
فاصطنعه بنو امية ورموا به اعداءهم فسقط عليهم سقوط الداهية الدهياء ، واولع

عبد الملك بشعره ولعاً عظيماً فرفع قدره ، ووالى نعمه عليه واقبه بشاعر بني امية
وشاعر امير المؤمنين واشعر العرب .

وقد بلغت الدالة بالاخطل ان يخاطب عبد الملك بقوله :

وَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمَضَانَ يَوْمًا ، وَلَسْتُ بِأَكِلِ لَحْمِ الْأَضَاحِي ، ^(١)
وَلَسْتُ بِزَاجِرٍ عَنْهَا بُكُورًا ، إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ لِلنَّجَاحِ ، ^(٢)
وَلَسْتُ بِقَائِمٍ كَالْعَيْرِ أَدْعُو قَبِيلَ الصُّبْحِ : حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ، ^(٣)
وَلَكِنِّي سَأَشْرِبُهَا شَمُولًا ، وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلَجِ الصَّبَاحِ . ^(٤)

ثم بقوله :

إِذَا مَا نَدِمِي عَلَيَّ ، ثُمَّ عَلَيَّ ثَلَاثَ زَجَاجَاتٍ ، لَهْزٌ هَدِيرٌ ، ^(٥)
خَرَجْتُ أَجْرُ الدَّيْلِ زَهْوًا كَأَنِّي عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرٌ ^(٦)

ولم تكن دالته تقف عند هذا الحد بل كانت تدفعه الى التدخل في سياسة
الحلابة من عقد صلح او مجاهرة بعداء ، فهو لا يقنع في شعره السياسي بالدفاع عن
بني امية وهجو اعدائهم ولكنه يطمح الى ابعاد من ذلك ، الى التأثير في مجرى
السياسة الاموية اي الى الفائدة الادبية مقرونة بالفائدة المادية . وربما سخر سياسة
الحليفة لمصلحة قومه بني تغلب .

(١) الاضاحي : جمع اضحية وهي شاة يضحي بها . و اراد بلحم الاضاحي ما يذبح
الحجاج من الشاة في عيد الاضحية . (٢) زجره : دفعه وصاح به . (المنس : المناقاة الصلبة
الفتية . بكورا : غدوة . وقوله : للنجاح : اي طلباً للنجاح من زيارتها . (٣) العير :
الحمار . حي على الفلاح : صلاة المسلم . وحي : اسم فعل بمعنى الامر مبني على الفتح . (الفلاح :
الفوز والنجاة . والمعنى : هلموا الى طريق النجاة والفوز . (٤) الشمول : الخمر
الباردة . منبلج الصباح : زمان انبلاجه اي اشراقه . يقول : انه يشرب الخمر ويصلي وهو
نشوان غير متقيد بالاية القرآنية التي تقول : « لا تقربوا الصلاة وانتم سُكَارَى » .
(٥) علي : سقاني تباعاً . الهدير : غليان الخمر عند تصفيقها . (٦) زهواً : تبهأً وتكبراً .

وحسبك ان تعلم خبره مع زُفر بن الحرث لتبتين مبلغ دهائه السياسي، وتدخله في شؤون الخليفة لمصلحة قبيلته. وزفر هذا رئيس القيسية، وكان قد اوقع بالتغلبيين في بعض الايام، وتحزب لعبد الله بن الزبير على بني امية ثم انقاد لهم بعد عصيانه فقربه عبد الملك بغية استمالة قومه. فدخل ابن ذي الكلاع يوماً على الخليفة فرأى زفر معه على السرير فبكى، فقال له عبد الملك: «ما يبكيك؟» فقال: «يا امير المؤمنين وكيف لا ابكي وسيف هذا يقطر من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافه عليك، ثم هو معك على السرير وانا على الارض»، قال: «اني لم اجلسه معي ان يكون اكرم علي منك ولكن لسانه لساني وحديثه يعجبني»، فبلغت الاخطل وهو يشرب فقال: «أما والله لا قومن في ذلك مقاماً لم يقمه ابن ذي الكلاع!» ثم خرج حتى دخل على عبد الملك فلما ملأ عينه منه قال:

وَكَأْسٌ مِثْلَ عَيْنِ الدِّيكِ صَرَفٌ، تُنْسِي السَّارِبِينَ لَهَا الْعُقُولَ ^(١)
إِذَا شَرِبَ الْفَتَى مِنْهَا ثَلَاثًا، بَغَيْرِ الْمَاءِ حَاوِلَ أَنْ يَطُولَ، ^(٢)
مَشَى قُرْشِيَّةً لَا شَكَّ فِيهَا، وَأَرَخَى مِنْ مَآزِرِهِ الْفُضُولَ ^(٣)

فقال عبد الملك: «ما اخرج هذا منك يا أبا مالك الا خطة في رأسك!» قال: «أجل والله يا امير المؤمنين حين تجلس عدو الله هذا معك على السرير وهو القائل بالامس:

فَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى وَتَبْقَى حَرَازَاتُ الصُّدُورِ كَمَا هِيَ ^(٤)

(١) وكأس: أي وخمرة حالته في كأس، مجاز مرسل. مثل عين الديك: حمراء صافية. صرف: غير ممزوجة بالماء. الساربين: مفعول اول لتنسي. العقولا: مفعول ثان. (٢) ثلاثاً: أي ثلاث زجاجات. ان يطول: أي ان يعلو ويهظم. (٣) قرشية: أي مشية قرشية. المآزر: جمع مثزر وهو كل ما سترك. الفضول: جمع فضل وهو ذيل الثوب وما يزيد منه. يقول: اذ شرب الفتى من هذه الحمرة زُرهي وطلب العظمة فيمشي مشية قرشية فيها تبختر وخيلاء. والقرشي شديد التيمه لان النبوة والخلافة فيه. وارخى من مآزره الفضولا: أي جر أذياله نيهًا ونكبراً. (٤) الدمن: جمع دمنة وهي آتار الدار وما

فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير وقال : « اذهب الله حزازات تلك الصدور . » وكان زفر يقول : « ما ايقنت بالموت قط الا تلك الساعة حين قال الاخطل ما قال . »

نراهبي الاخطل وجريير

قال ابن سلام وغيره : لما بلغ الاخطل تهاجي جوير والفردق قال لابنه مالك : « انحدر الى العراق حتى تسمع منها وتأتيني بخبرها . » فانحدر مالك حتى لقيها وسمع منها ثم اتى اياه ، فقال له : « كيف وجدت بها ؟ » قال : « وجدت جويراً يغرف من بحر ، والفردق ينحت من صخر ، » فقال الاخطل : « فجير اشعوها » ثم قال :

إِنِّي قَضَيْتُ قَضَاءً غَيْرَ ذِي جَنْفٍ لَّمَّا سَمِعْتُ وَلَمَّا جَاءَنِي الْجَبَرُ (١)
أَنَّ الْفَرْدُقَ قَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ ، وَعَصُهُ حَيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ ذَكَرُ (٢)

ثم قدم الاخطل الكوفة على بشر بن مروان فبعث اليه قوم الفردق بدراهم وحملان وكسوة وخمر ، وقالوا له : « لا تعن على شاعرنا واهج هذا الكلب الذي يهجو بني دارم » (٣) . فلما دخل الاخطل على بشر سأله عن الفردق وجريير ، فقال الاخطل : « اصالح الله الامير الفردق اشعر العرب . »

تلبد فيها من البعر والرماد وغير ذلك . يقول : قد ينبت المرعى على دمنة فيظهر مظهره حسناً ولكن باطنه يبقی خبيثاً ، وهكذا نحن وانتم نظهر الصلاح وصدورنا تبين الخقد الذي لا تزول حزازاته اي آلامه التي تحز في القلوب .

(١) الجنف : الجور والتعامل . يقول : حكمت حكماً ليس بذی جور وتعامل .
(٢) شالت : ارتفعت . النعامة : القدم او باطن القدم . وشالت نعامة : مات . مأخوذ من ارتفاع باطن القدم عند الموت . او من نفور النعامة وهي اشد الحيوان نفاراً . ولهذا قالوا للرجل اذا فرغ من شيء وارحل او مات : نفرت نعامة . ويقال للقوم اذا خلت منازلهم منهم او ارتحلوا عن منهلهم او تفرقوا او تفرقت كلمتهم او ذهب عزم : شالت نعامة . يقول : ان الفردق قد مات وذهب عزه بعد ان عصته حية ذكر من قومه . والحية يطلق على الذكر والانثى . وقوله : من قومه لان جريراً والفردق من بني قيم .
(٣) دارم : قبيلة الفردق من قيم .

فرداً عليه جوير بقوله :

يَا ذَا الْغَبَاوَةِ إِنَّ بَشْرًا قَدْ قَضَى ، أَنْ لَا تَجُوزَ حُكُومَةُ النَّشْوَانِ

ثم استطار بينهما الهجاء واضطربت نار العداوة ، واخبارهما كثيرة .

موت الاخطل

وَعَمِرَ الاخطل حتى شاخ وتَحَطَّم ، وكانت وفاته في خلافة الوليد بن عبد الملك وله فيه عدة قصائد امتدحه بها . وزعم بعضهم ان الاخطل ظل مقرباً عند خلفاء بني أمية حتى ملك عمر بن عبد العزيز فاقصاه ؛ ونقل هذه الرواية على علاقتها بعض كتابنا المعاصرين^(١) دون ان ينتبهوا الى تاريخ وفاة الشاعر وتاريخ خلافة عمر بن عبد العزيز^(٢)

وليس في ديوان الاخطل ما يثبتنا انه ادرك عمرو او ادرك قبله سليمان بن عبد الملك^(٣) ، ولو ادر كهما لذكرهما في شعره كما ذكر غيرهما من الخلفاء الامويين .

وربَّ معترض يقول : ان الاخطل مدح عمر بن عبد العزيز بأبياتٍ مثبتة في ديوانه ، ونحن لا ننكر ذلك ولكننا نعلم انه لم يمدحه بها وهو خليفة ، بل مدحه وهو امير من امراء بني أمية ومدح معه اخاه ابا بكر فخصه بالقسم الاوفر من ابياته ولم يذكر عمر الا في البيت الاخير حيث يقول :

فَرَعَانِ مَا مِنْهُمَا إِلَّا أَخُو ثِقَةٍ ، مَا دَامَ فِي النَّاسِ حَيٌّ ، وَأَلْفَتِي عُمَرُ

ومما يدلنا على ان الاخطل مات في خلافة الوليد ، ما رواه صاحب الاغانى من ان الوليد بن عبد الملك قال لجوير يوماً : « فما تقول في الاخطل ؟ » قال : « ما اخرج لسان ابن النصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات . »

(١) الاخ ساروفيم فيكتور في كتابه تاريخ الآداب العربية . الاب نعمسة الله العنباري

في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية . (٢) خلافة عمر بن عبد العزيز من ٧١٧ - ٧٢٠ م

٩٩٠ - ١٠١٠ م (٣) خلافة سليمان من ٧١٦ - ٧١٧ م و ٩٦ - ٩٩٠ م

ديوان كبير اكثره في المدح والهجاء . ووصف الحمرة وشاربها . وهو من اصحاب
الملححات ^(١) ومطلع ملحمة :

تَغَيَّرَ الرَّسْمُ مِنْ سَلَمَى بِأَحْفَارٍ ، وَأَقْفَرَتْ مِنْ سُلَيْمَى دِمْنَةُ الدَّارِ ^(٢)

وجمع ابو تمام الشاعر العباسي « نقائض جرير والاخلطل ^(٣) » وشرحها وصدره
بكلمة في حرب قيس وتغلب . والديوان والنقائض نشرهما في بيروت الاب
صالحاني اليسوعي .

مبرته

كان الائمة الاقدمون يشبهون الاخلط بالنابغة لصحة شعره ، ولكننا نرى ان
الصلة بين الشاعرين اقوى من ذلك ، فكلاهما شاعر بلاط خص مدائحه بالملوك
وحظي عندهم ، وكلاهما اجاد المدح وتفنن في معانيه ، بيد أن الاخلط كان يتوكل
احياناً على الشاعر الجاهلي وستجد آثار هذا التوكؤ ظاهرة في مدحه وفي وصفه
الثور الوحشي . فالاخلط يشبه النابغة بصحة شعره وباشياء أخر كما ستري ، ولكنه
ينفرد عنه بموقفه السياسي في المدح والهجاء . فالصفة السياسية هي الخاصة البارزة
في الاخلط سواء كان مادحاً او هاجياً . فينبغي لنا ان ندرسه الآن شاعراً سياسياً
ثم نلم بما بينه وبين النابغة من صلة ، ونعرض لخاصته في وصف الخمر ، فهو اشتهر
وصافياً في صدر الاسلام .

شعره السياسي — المدح والهجاء

كان الاخلط يعلم ان الامويين يهجمهم ان يعرف لهم الناس حقهم بالخلافة ،

- (١) الملححات : الملحكات النظم ، من قولهم : ألحم الشعر : اي احسن نظمه واحكم
لحمته . (٢) احفار : موضع في بلاد تغلب . الدمنة : آثار الدار وما تليد من الرماد والسواد .
(٣) النقائض : جمع النقيضة وهي القصيدة يقولها الشاعر فينقضها عليه خصمه اي يرد عليه
ملزماً مثله البحر والقافية ، ويعرض لمعانيه فينفذها او يقلبها او يفسدها .

وكان يعلمهم ايضاً انهم يستندون في تأييد هذا الحق الى مقتل عثمان بن عفان زاعمين انهم ورثته وان لهم الحق بان يطالبوا بدمه . فتراه اذا عرض للخلافة رمى الى هذا الهدف ، كقوله :

وَيَوْمَ صَفَيْنَ وَالْأَبْصَارُ خَاشِعَةٌ ، أَمَدُّهُمْ ، إِذْ دَعَا مِنْ رَبِّهِمْ مَدَدٌ ^(١)
عَلَى الْأُولَى قَتَلُوا عُثْمَانَ مَظْلَمَةً ، لَمْ يَنْتَهُمْ نَشْدُ عَنْهُ وَقَدْ نُشِدُوا ^(٢)
فَقَمَّ قَرَّتْ عُيُونُ الثَّانِيَيْنَ بِهِ ، وَأَذْرَكُوا كُلَّ تَبَلٍ عِنْدَهُ قَوْدٌ ^(٣)
وَأَنْتُمْ أَهْلُ بَيْتٍ لَا يُوَارِثُهُمْ بَيْتٌ إِذَا عُدَّتِ الْأَحْسَابُ وَالْأَعْدَدُ ^(٤)
ويختتمها مخاطباً يزيد بن معاوية :

وَالْمُسْلِمُونَ بِخَيْرٍ مَا بَقِيَتْ لَهُمْ ، وَلَيْسَ بَعْدَكَ خَيْرٌ حِينَ تُفْتَقَدُ

واذا عرض لمسحهم وصفهم باحسن ما توصف به الملوكة ، ثم انبرى الى هجو القيسية انصار الزبيريين واعداً قبيلته فقتلهم بهجاء مقذع اليم ، وهجا معهم احلافهم بني كليب قوم جرير . ولعل العداء السياسي هو الذي اثار الهجاء بين الشعراء وجعله حامى الوطيس .

ويحسن بنا ان نعلم في اظهار ميزة الاخطل على رائيته الشهيرة اولاً ، ثم على غيرها من شعره . فان الرائية تكاد تشتمل على اكثر خصائصه تفكيراً وتعبيراً ، ومطلعها :

خَفَ الْقَطِينُ قَرَا حِوَا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا ، وَأَزْعَجْتَهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ ^(٥)

(١) راجع يوم صفين في الملحمة التاريخية . يقول : أمد بني أمية مدد من رجم اد دعوه . ولعله يشير الى فوزهم وخسران علي بعد ان رفعوا المصاحف . (٢) على الاولى : الجار متعلق بأمدهم . مظلمة : ظلاماً . نشد : من نشده الله : أي اقسام عليه بالله . وقد نشدوا : أي نشدوا الله ان لا يقتلوه فلم ينتهم عنه هذا النشيد بل قتلوه ظلاماً . (٣) قرَّت العين : بردت سروراً وانقطع بكائها . ثار بالقتول : اخذ بثأره . التَّيْبَل : الثَّار . القود : القصاص . يقول : ادركوا ثأرهم وكان ذلك عقاباً لما اقترفه من الاثم قتل عثمان . (٤) يقول : انتم اعظم الناس احسباً واكثرهم عدداً . (٥) خف : عجل واسرع . القطين : القوم المجاورون . راحوا : ساروا مساءً . بكروا : ساروا بكررة . ازعجتهم : اقلقتهم وحملتهم على الرحيل . نوى : بعد . الصَّرف : نوائب الدهر وحدثاته . البغير : احداث الدهر ، تغير الناس من حال الى حال . يخاطب نفسه فيقول : ذهبت جبرتنا

وهذه القصيدة من النقائض قالها في عبد الملك بن مروان بعد فتحه العراق
واتصاره على مصعب بن الزبير : فمن قوله يهنته :

إِلَى أَمْرِي لَا تُعَرِّينَا نَوَافِلُهُ ، أَظْفَرُهُ اللَّهُ ، فَلَيْهِنَا لَهُ الظَّفَرُ (١)
الْحَائِضُ الْعُمْرَةَ ، الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ ، خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ (٢)

ومنها يصف فعله في الحرب واستيلائه على العراق :

مُقَدِّمٌ مَائِيَّ أَلْفٍ لِمَتَزِلِهِ ، مَا إِنْ رَأَى مِثْلَهُمْ جَنًّا وَلَا بَشَرًا (٣)
يَغْشَى الْقَنَاظِرَ يَبْنِيهَا وَيَهْدُمُهَا ، مُسَوِّمٌ ، فَوْقَهُ أَلْرَّايَاتُ وَالْقَتَرُ (٤)
حَتَّى يَكُونَ لَهُ بِالطَّفِّ مَلْحَمَةٌ ، وَبِالْثَوِيَّةِ ، لَمْ يُنْبِضْ بِهَا وَتَرُ (٥)
وَتَسْتَتِينَ لِأَقْوَامٍ ضَلَّاتُهُمْ ، وَيَسْتَتِيمُ الَّذِي فِي خَدِّهِ صَعَرُ (٦)
ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِأَثْقَالِ الْعِرَاقِ ، وَقَدْ كَانَتْ لَهُ نَقْمَةٌ فِيهِمْ وَمُدْخَرُ (٧)

وابعدتهم نوى في احداثها ما يغير الناس من حال الى حال . (١) لا تعرينا : لا تحل منا .
نوافله : عطايه الزائدة . فليهنأ له النظر . يقال : هنأه ذلك وهنأ له ، كما تقول : هنئاً
له . (٢) العمرة : الماء الكثير ومعظم البحر ، استعاره لشدة الحرب ولعظم الامور ، وشرح
الاستعارة بقوله : الحائض ، وقد رفع الحائض والميمون على انهما خبران لمبتدا محذوف
اي هو . الميمون : المبارك . وميمون الطائر : كناية عن انه مبارك (الطلمة . يستسقى به
المطر : اي انه مبارك اذا دعا الناس باسمه ينزل المطر . واستسقاء : طلب منه ان يسقيه .
(٣) يقول : هو مرسل امامه مائتي الف فارس الى مكان نزوله في العراق ، لم يشاهد مثلم
جن ولا انس . ومقدم : خبر لمبتدا محذوف . (٤) يغشى : يأتي ، وفاعله مستتر اي عبد الملك .
والجملة خبر ثان . مسوم : ملحم خيله بعلامات الغزو ، وهو خبر ثالث . القتر :
الغبار . يقول : يبني القناطر لتعبر جيوشه على انهر الجزيرة ويهدمها لمنع العدو العبور .
(٥) الطف : ما حول الكوفة وحول القادسية . الملحمة : واقعة يلتحم فيها الجيشان .
الثوية : موضع قريب من الكوفة . لم يُنبِضْ : لم يُجْرِكْ ، يقال : انبض القوس : اذا
جذب وترها ثم ارسلها فيسمع له طنين . يقول : هذه الملحمة ضعبسة ليس فيها رمي نبال
لشدة الالتحام وانما فيها الطعن والضرب . (٦) تستمين : تظهر وهي معطوفة على يكون .
الصعر : ميل الرأس من الكبرياء والنخوة ومنه قول الشاعر :

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدُّهُ ، أَقْمَنَّا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوْنَا

(٧) يقول : كانت له نقمة وتنكيل في الاعداء ومدخر ، اي ادخر لهم نكالا للمستقبل .

ولا يقصر مدحه على الخليفة بل يعنيه ان ترضى عنه امية كلها ، فاذا مدح
اميراً منها لا يفغل عن تخصيص جانب من مديحه بأسرته الاموية . وحق له ان
يفعل ذلك وهو مقرب اليها جميعاً ، واقف شعره للدفاع عنها ، والاشادة بمكارمها :

فِي نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصُونَ بِهَا ، مَا إِنْ يُوَاذَى بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ^(١) ،
تَعْلُو الْهَضَابَ ، وَحَلُّوا فِي أَرْوَمَتِهَا ، أَهْلُ الرِّبَاءِ ، وَأَهْلُ الْفَخْرِ إِنْ فَخَرُوا^(٢) ،
حُشِدٌ عَلَى الْحَقِّ ، عَيَافُو الْخَنَاءِ أَنْفٌ ، إِذَا أَلَمْتَ بِهِمْ مَكْرُوهَةً صَبَرُوا^(٣) ،
شَمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ ، وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَاماً إِذَا قَدَرُوا^(٤) ،
أَعْطَاهُمْ اللَّهُ جَدًّا يُنْصَرُونَ بِهِ ، لَا جَدًّا إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدَ مُحْتَقَرٍ^(٥) ،
لَمْ يَأْشُرُوا فِيهِ إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ ، وَأَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشْرُوا^(٦) ،

(١) النبعة : شجرة في الجبل تتخذ منها القسي وهي اجود الشجر . يعصبون بها : يجتمعون حولها . يوازي : يساوي . يقول : هو في امع قريش واعزهم فسائر قريش يجتمعون حولهم ويتمعون بهم وليس يوازي بهم قوم في الشرف والمنعة . استمار الشجر العالي للانساب الرفيعة والاصول العريضة . (٢) تعلقوا : اي نبعة قريش . الهضاب : جمع الهضبة وهي الجبل المنبسط على الارض والطويل الممتنع . وحلوا : الضمير يعود على بني امية . أهل : مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف . الرباء : الطول والمنة والفضل ، وضبطت هذه اللفظة في الديوان وفي النقائض بالياء المثناة والراء المفتوحة اي الرباء ، وفُصرت في الديوان بمعنى الرباء بكسر الراء اي « فعل الخير لاراء الغير او التظاهر بما ليس في الباطن » وفي ذلك تشويه لمعنى البيت ، فقرأنا تصحيحه كما ترى ، ونعتقد ان الشاعر اراد الرباء لا الرباء . (٣) حُشِدٌ : مخفف حُشِدٌ : جمع حاشد وهو الذي لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد ، ومن يدعى للتعاون فيلي مصرعاً . وقوله : حُشِدٌ عَلَى الْحَقِّ : اي يتعاونون على نصره الحق . عَيَافُو الْخَنَاءِ : من عاف الشيء : كرهه ، والخنا : الفحش . أَنْفٌ : جمع أنوف : الاي . أَلَمْتَ بهم : أصابتهم . مكروهة : داهية . يقول : هم يتعاونون على نصره الحق ، وحلوا يكرهون (الفحش) ، وأباة أعزاء ، اذا أصابتهم الشدائد صبروا لها ولم يجزعوا . (٤) شَمْسُ : جمع شمس وهو الرجل الصعب العداوة على من عانده . يستقاد لهم : يطاعوا ، من استقاد له : اعطاه مقادته اي انقاد له . الأحلام : جمع الحلم وهو الاناة وسعة الصدر مع المقدرة والقوة ، والعقل ضد الطيش . يقول : هم اوسع الناس صدورا واعظمهم عقلاً وأناة ، اذا تغلبوا على أعدائهم لا يستخفهم الظفر ولا ينتقمون ممن يستقيد لهم . (٥) الجَدُّ : الحظ . يقول : اعطاهم الله حظاً من الخير يُنْصَرُونَ به فكل حظ بعده صغير محتقر . (٦) لم يَأْشُرُوا فيه : لم يبطروا . مَوَالِيَهُ : اوليائه . أَشْرُوا : بطروا .

فعلى هذا النحو الجميل يعضي الاخل في مدح بني أمية وتعداد مناقبهم
وتصوير اخلاقهم وشمائلهم ، حتى اذا ارضى الحليفة وارضاهم جميعاً يفرغ الى نفسه
والى قومه فيذكر ما لهم من الايادي البيض على الامويين ، ويدس خلال ذلك
رأيه السياسي لمصلحة قبيلته فيحرض عبد الملك على اقضاء زفر بن الحرث وترك
الوثوق به :

• بَنِي أُمَيَّةَ قَدْ نَاضَلْتُ دُونَكُمْ أَبْنَاءَ قَوْمٍ ، هُمْ آوَا وَهُمْ نَصَرُوا ^(١)
• أَفْجَحْتُ عَنْكُمْ بَنِي النَّجَّارِ ، قَدْ عَلِمْتُ عَلِيًّا مَعَدًى ، وَكَانُوا طَالَمَا هَدَرُوا ^(٢)
• حَتَّى اسْتَكَانُوا وَهُمْ مِنِّي عَلَى مَضَضٍ ، وَأَقُولُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ إِلَّا بَرٌّ ^(٣)
• بَنِي أُمَيَّةَ إِلَيَّ نَاصِحٌ لَكُمْ ، فَلَا يَسِمَتَنَّ فِيكُمْ أَمِنًا زُفْرُ
• وَاتَّخَذُوهُ عَدُوًّا ، إِنَّ شَاهِدَهُ ، وَمَا تَغَيَّبَ مِنْ أَخْلَاقِهِ دَعَرٌ ^(٤)
• إِنَّ الضَّغِينَةَ تَلْقَاهَا ، وَإِنْ قَدُمْتُ ، كَالْعَرِّ يَكْمُنُ حِينًا ، ثُمَّ يَنْتَشِرُ ^(٥)
• وَقَدْ نَصَرْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَنًا ، لَمَّا رَأَتْكَ بَيْطُنَ الْغَوْطَةِ الْحَبْرُ ، ^(٦)
• يُعَرِّفُونَكَ رَأْسَ ابْنِ الْحُبَابِ ، وَقَدْ أَضْحَى وَلِلْسَيْفِ فِي خَيْشُومِهِ أَثَرٌ ^(٧)

(١) ابناء قوم : اراد بهم الانصار . هم آووا : اي هم آووا النبي وهم نصروه . يشير
الى هجائه الانصار دفاعاً عن بني أمية . (٢) أفجحت : أسكت عن قول الشعر . بني النجار :
قبيلة من الخزرج وهم قوم عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري الذي كان يشيب برملة
بنت معاوية بن ابي سفيان . معد : جد ربيعة ومضر . وعلياً معد : أعلاهم شرفاً وارومة
ويريد بهم قريشاً . هدر البعير : صوت من غير شفقة ، وتستعار لقول الشعر . يقول :
أسكتهم وطالما قالوا في نسائكم الشعر . (٣) استكانوا : ذلوا واطاعوا . مضض : ألم وحرقة ،
(٤) شاهده : حاضره . دعر : شر وفساد . (٥) الضغينة : الحقد . وان قدمت : اي
وان طال عهدا . العر : الحرب . يكمن : يخفي . (٦) الغوطة : الكورة التي منها
دمشق ، استدارتها ثمانية عشرة ميلاً يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ولا سيما شماليها فان
جبالها عالية جدا ومياها خارجة من تلك الجبال وتجري في الغوطة عدة انهر فتسقي بساكنيها
وزروعها ويصب باقيها في اجمة هناك وبحيرة ، والغوطة كلها أشجار وانهار متصلة .
(٧) يعرّفونك رأس ابن الحباب : اي يخبرونك اننا قتلناه وهو عمير بن الحباب من قيس
عيلان قتلته تغلب . الخيشوم : أعلى الانف . اي انهم ضربوا رأسه من أعلى انفه .

فاذا تم له ما اراد من مدح وغرض سياسي يرمي اليه انصرف الى هجاء قيس
 عيلان واحلافهم الكلبيين قوم جرير ، فيقذفهم بحميم من لواذع اقواله ، واذا
 افحش لا يتورط في الخنى تورط جرير والفرزدق ، بل يجعل همته في تعييرهم ووصف
 هزيتهم وما لقوا من مذلة وهوان ، فيبدو لنا حينئذ مؤرخاً وسياسياً دقيق
 النظر يلقى الذنب على اعدائه الذين كفروا نعمة الخليفة فجازاهم بكفرهم ، وزى
 فيه مصوراً بارعاً للحرب وللجيش عند الهزيمة والانكسار :

فَلَا هَدَى اللَّهُ قَيْسًا مِنْ ضَلَالَتِهِمْ ، وَلَا لَعَا لِبَنِي ذَكْوَانَ إِذْ عَثَرُوا ^(١)
 ضَجُّوا مِنَ الْحَرْبِ إِذْ عَصَتْ غَوَارِبُهُمْ ، وَقَيْسُ عَيْلَانَ مِنْ أَخْلَاقِهَا الضَّجْرُ ^(٢)
 كَانُوا ذَوِي إِمَّةٍ حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ ، بِهِمْ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ وَابْتَهَرُوا ، ^(٣)
 صُكُّوا عَلَى شَارِفٍ صَغْبٍ مَرَاكِبُهَا ، حَصَاءٌ لَيْسَ لَهَا هُلْبٌ وَلَا وَبْرٌ ^(٤)
 وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَلِمُ أَمْرُ جَاهِلِيهَا ، حَتَّى تَعَايَا بِهَا الْإِيرَادُ وَالصَّدْرُ ، ^(٥)
 إِذْ يَنْظُرُونَ وَهُمْ يَجْنُونَ حَنْظَلَهُمْ ، إِلَى الزَّوَايِ ، فَقُلْنَا : «بُعْدَ مَا نَظَرُوا» ^(٦)

(١) يقال : لعأ للعائر . اي لا اقامه الله . بنو ذكوان : رهط عمير بن الحباب .
 (٢) الغوارب : أعالي الاكثاف . يقول : ضجوا وضجروا لما عصتهم الحرب وارهقهم ،
 ومن عاداتهم ان يضجروا في الشدائد . (٣) الامة : النعمة والحال الحسنة . الحبائل :
 الاشراك واحدها حباله . ابتهروا : كذبوا ورموا الناس بها ليس فيهم . يقول : كانوا
 عائشين بنبطة حتى علقت بهم اشراك الشيطان فانتقصوا على الخليفة ورموا الامويين بها ليس
 فيهم . وجواب اذا علقت وما بعدها في البيت التالي . (٤) صكُّوا : حملوا . الشارف :
 الناقة الكبيرة المسنة . حصاء : لا شعر عليها . الهلب : شعر الذنب . شبه الخطة الصعبة
 بالناقة الهرمة التي يصعب الركوب عليها وقد ذهب وبرها لكبر سنها . يقول : حملوا على
 خطة صعبة مركبها خشن . (٥) جاهلها : أي عمير بن الحباب وهو ينسب الى ذكوان
 ثم الى سليم . تعاييا : اشتد . الإيراد : ورود الماء . الصدر : الرجوع عنه . يقول :
 لم يزل هم عمير حتى وقعوا في بلية لا يقدرون على التخلص منها . (٦) يجنون : يقطفون .
 الحنظل : نبت يتند كالبطيخ ثمره شديد المرارة . شبه الانكسار لمرارته بالحنظل . الزواي :
 جمع الزاب على غير قياس ، والزواي اخر اربعة وهي : الزاب الاعلى بين الموصل وإربل
 ومخرجه من بلاد مشكهر وهو حد ما بين أذر بيجان وبارقيش وفيض في دجلة ويسمى بالزاب
 لمجنون لشدة جريه . والزاب الاسفل ومخرجه من جبال السلق ما بين شهر زور واذربيجان

كُرُوا إِلَى حَرَّتَيْهِمْ يَمُوتُونَهُمَا ، كَمَا تَكُرُّ إِلَى أَوْطَانِهَا الْبَقْرُ ^(١)
 إِلَى أَنْ يَقُولَ يَهْجُو كَلْبِيَاً :
 أَمَّا كَلْبُ بْنُ يَرْبُوعَ فَلَيْسَ لَهُمْ ، عِنْدَ التَّفَارُطِ إِيَّادٌ وَلَا صَدْرُ ^(٢)
 مُلَطَّمُونَ بِأَعْقَارِ الْحِيَاضِ ، فَمَا يَنْفَكُ مِنْ دَارِمِيٍّ فِيهِمْ أَكْرُهُ ، ^(٣)
 قَوْمٌ أَنْابَتْ إِلَيْهِمْ كُلُّ مُخْزِيَةٍ ، وَكُلُّ فَاخِشَةٍ سَبَّتَ بِهَا مُضَرٌ ، ^(٤)
 أَلَّا كِلُونَ خَيْثَ الزَّادِ وَحَدَّهُمْ ، وَالسَّائِلُونَ بَطْهَرَ الْعَيْبِ : «مَا الْخَبْرُ؟» ^(٥)
 صَفَرُ اللَّحَى مِنْ وَقُودِ الْأَذْخَنَاتِ إِذَا رَدَّ الرِّفَادُ ، وَكَفَّ الْحَالِبُ ، الْقِرَرُ ^(٦)
 وَأَقْسَمَ الْمَجْدُ حَقًّا لَا يُخَالِفُهُمْ ، حَتَّى يُخَالِفَ بَطْنُ الرَّاحَةِ الشَّعْرُ ^(٧)

وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة ثم يمتد حتى يفيض في دجلة . وبين بغداد
 وواسط زابان آخران أيضاً ويسميان الزاب الأعلى والزاب الأسفل . وقوله : اذ ينظرون
 إلى الزواي : أي ينظرون إلى بلادنا متمنين الوصول إليها والتسفي بنا . لأن بني تغلب كانوا
 يسكنون بين الزواي . ثم قال : فقلنا : بعد ما نظروا : أي يا بعد ما أسلوا وطعموا .
 (١) كُرُوا : فرأوا ورجعوا . الحرة : موضع فيه حجارة حارة . وحررة بني سليم
 في عالية نجد ويقال لها : أم صَبَّار ، ومن عادة العرب تسمية المفرد . يعمرونها : يسكنونها .
 يقول : هربوا إلى بلادهم كما تحرب البقر الوحشية إذا طاردها الصيادون . (٢) كلب
 ابن يربوع : قوم جرير وهم من بني تميم . التفارط : التسابق إلى الماء . يقول : هم اذلاء
 ليس لهم في التسابق إلى الماء ورود ولا صدر أي يكونون في موخرة الناس عند الورود
 والصدور . أو هو مثل أي ليس لهم في أمور الناس خير أو شر . (٣) ملطَّمون : أي يلطمون
 على وجوههم . الأعقار : جمع عقر وهو مقام الشاربة من الحوض . الحياض : جمع الحوض
 وهو مجتمع الماء . دارمي : نسبة إلى بني دارم وهم قوم الفرزدق . يقول : هم اذلاء ، إذا
 وردوا الماء بالبله لطموا على وجوههم وأرجعوا عن الماء ولا يزال فيهم آثار من رجل دارمي
 يطمهم ويحرجهم . (٤) أنابت : رجعت . المخزية : الفضيحة . يقول : كل فضيحة
 وفاخشة سببت بها مضر تعود على بني كليب لأنهم أهلها . وكليب ينتهي نسبها إلى مضر .
 (٥) خيث الزاد : يعني لحم الضيائ وغيها من الطعام المكروه . ثم قال : انهم رعاء
 وفعله فهم يسألون الأشراف عن الأخبار ابتداءً لأن الأمور تقضى على غير علم منهم .
 (٦) الوقود : ما توقد به النار من الخطب ونحوه . الأذخنات : السرقين وهو الزبل .
 الرفاد : قدح ضخم . القرة : جمع القرة وهي البرد . يقول : يجيء الحبال بالرفاد
 ليحتلب فيه فيرده البرد خالياً لشدة البرد . والمراد انهم يستخذمون

فبمثل هذا الهجاء المؤلم الممض كان الاخطل يزمي جريراً وقوم جرير فيجملهم
خشارة تميم بل خشارة مضر اجمعين ، وينقرو عليهم ابناء عمهم من دارم قبيلة الفرزدق :
مُلْطَمُونَ بِأَعْقَارِ الْحِيَاضِ ، فَمَا يَنْفَكُ مِنْ دَارِمِيٍّ فِيهِمْ أَثَرُ
وأشدُّ الهجاء اقذاءً عند العرب ان تفضل قوماً على قوم ولا سيما اذا كانوا
اخواناً او ابناء اعمام . فبنو نعيم لم يضعهم الا قول جرير فيهم :

فَعَضَّ الطَّرْفَ إِذْكَ مِنْ نُمَيْرٍ ، فَلَا كَغَبَاً بَلَقْتَ وَلَا كِلَابَاً !

ونعيم وكعب وكلاب ثلاثة ابطن من عامر بن صعصعة . وقلما تخلو قصيدة
للاخطل في جرير من مدح بني دارم وتفضيلهم على بني كليب بن يربوع :

أَجْرِي ، إِنَّكَ وَالَّذِي تَسْمُو لَهُ ، كَأَسِيفَةٍ فَحَرَّتْ بِحَدَجِ حَصَانِ^(١)

فِي دَارِمٍ تَاجُ الْمُلُوكِ وَصَهْرُهَا ، أَيَّامَ يَرْبُوعٍ مَعَ الرَّعْيَانِ^(٢)

وَإِذَا وَضَعْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ ، رَجَحُوا ، وَسَالَ أَبُوكَ فِي الْمِيزَانِ^(٣)

وهو وان مدح دارماً واطنب في ذكرهم ، لا يغفل عن الافتخار بقومه بني تغلب
وتعداد ماكرهم . فقد رأيت فخره بهم وهو يدح عبد الملك بن مروان ، فأحر به ان
يفأخر جريراً عندما يريد هجو جرير :

إِنَّا نَعَجَلُ بِالْعَبِيطِ لِيُصِفَنَا ، قَبْلَ الْعِيَالِ ، وَنَقْتُلُ الْآبُطَالَ^(٤)

أَبْنِي كَلِيبٍ إِنَّ عَمِّيَ اللَّذَا ، قَتَلَا الْمُلُوكَ ، وَفَكَكَا الْآغْلَالَ^(٥)

لوقود النار في البرد الشديد فتصفر لحاهم من دخان الزبل . (٧) الراحة : الكف .

(١) الاسيفة : الأمة . الحدج : مركب للنساء . الحصان : العفيفة الحرة . يقول :
انت تسمو الى تميم مفتخرا كالأمة التي تفتخر بحدج مولاتها الحرة . (٢) أصهر اليهم وفيهم
صهرا : اي تزوج فيهم . يقول : ان الملوك يتزوجون في قبيلة دارم لشرفها . (٣) شال :
ارتفع . يقول : اذا وزنت مفاخرهم ومفاخر ابيك رجحت كفتهم لثقلها ، وارتفعت كفة
ابيك لخفتها . (٤) العبيط : الطري يوصف به اللحم والدم . (٥) اللذا : أي اللذان ، حذف
(انون) . وقوله : ان عمي : اراد بها عمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند واخاه مرة بن
كلثوم قاتل المنذر بن النعمان بن المنذر . قال الفرزدق يهجو جريراً ويمدح تغلب :

فاما وقد عرفنا ما للشاعر السياسي من ميزة في المدح والهجاء وخصائص في التفكير والتعبير ، فينبغي لنا ان نلقت الى تلك الصلة الوثيقة التي تربطه بالنابغة حتى جعلت الادباء الاقدمين يشبهونه به . فليست هذه الصلة مقصورة على صحة شعره كما ذكرنا ، بل تمتداه الى المعاني والتعبير ، وقد تقع على بعض الاساليب فما تدري أشعر النابغة تقرأ أم شعر الاخطل .

ونحن قبل ان نشعر في اظهار هذه الصلة نسلّم بان شاعر أمية يتأز في صحة شعره ورونق الفاظه وتخيّر معانيه كما امتاز في ذلك صاحبه النابغة ؛ ولا بدع ان تظهر هذه الميزة على شعر الاخطل فهو من الذين يتنخلون قوافيهم ويشقفون متونها ؛ فقد حدثنا الرواة انه كان يختار اجود ما ينظم فاذا اجتمع له تسعون بيتاً انتخب منها ثلاثين ، وانه اقام سنة في مدحته : « خف القطين . . . » ولكن هذه الصلة لا تكفي لتشبيهه بالنابغة ، فزهير عرف بصحة شعره وتنخل قوافيه ، والخطيئة عرف بذلك ، غير اننا لا نستطيع ان نشبه الاخطل باحدهما كما نستطيع ان نشبهه بالنابغة ، لان صحة الشعر لا تجعل وجهاً حقيقياً للشبه . فعلياً ان نلتبس هذه الصلة في اسلوب الشاعر وفي الفاظه ومعانيه . وقد ذكرنا ان الاخطل يت الى النابغة بصلة ادبية اجتماعية فكلاهما مدح الملوك وحظي عندهم ، ولعل هذه الصلة هي التي حملت الشاعر الاسلامي ^(١) على تحدي صاحبه الجاهلي فاغار على بعض اساليبه في المدح ووصف الوحوش . مثال ذلك قوله :

وَمَا أَلْفَرَاتُ إِذَا جَاسَتْ حَوَالِيَهُ ، فِي حَافَتِيهِ ، وَفِي أَوْسَاطِهِ الْعُشْرِ ، ^(٢)

قَوْمٌ هُمْ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ غَنُوءَ ، عَمَرًا ، وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى النَّمِئَانِ
الأغلال : جمع الفل وهو القيد يجعل في عنق الاسير . وقوله : وَفَكَسَّكَ الْأَغْلَالَا : أي اطلقا الاسرى واتخذاهم من اعدائهم قسراً عليهم .

(١) الشاعر الاسلامي : الذي عاش في صدر الاسلام . (٢) جاشت : غلت واضطربت .
حوالبه : امواجه . حافتيه : جانبيه . العُشْر : شجر . يقول : من شدة اضطراب امواجه يقطع الشجر فيرمي بها .

وَزَعَزَعَتْهُ رِيَّاحُ الصَّيْفِ ، وَأَضْطَرَبَتْ ، فَوْقَ الْجَاجِيِّ مِنْ آذِيَةٍ ، غُدُرٌ ،^(١)
 مُسْتَحْفِرٌ مِنْ جِبَالِ الرُّومِ يَسْتَشِرُّ ، مِنْهَا أَكْأَفِيفٌ ، فِيهَا دُونُهُ زَوْرٌ ،^(٢)
 يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ ، حِينَ تَسْأَلُهُ ، وَلَا بِأَجْهَرَ مِنْهُ ، حِينَ يُجْتَهَرُ^(٣)

ولا بد أنك تذكر هذه الصورة الشعرية في دالية النابغة التي اعتذر بها الى
 النعمان ؛ فالاسلوب واحد والالفاظ والمعاني متواطئة في اكثرها . وقد اولى الاخطل
 بهذه الصورة فرددها غير مرة ، فانت تجدها في قصيدة ثانية اذ يقول :

كَأَنَّهُ مُزْبِدٌ رِيَّانٌ ، مُسْتَجْعٌ ، يَغْلُو الْجَزَائِرُ ، فِي حَافَاتِهِ الزَّبْدُ^(٤)
 تَظَلُّ فِيهِ بَنَاتُ الْمَاءِ أَنْجِيَّةٌ ، وَفِي جَوَانِبِهِ الْيَنْبُوتُ وَالْحَضْدُ^(٥)

وتجدها ايضاً في قصائد أخرى لا نرى حاجة الى ذكرها ، ولا بدع ان يكثر
 الاخطل من هذه الصورة الاستطرادية في شعره ، فانها منطبعة على مخيلته . وهو
 وان يكن واطأ فيها النابغة فتكراره لها يدل على تأثيرها في نفسه ، وهذا التأثير
 لم يحدته شعر النابغة وحده بل شاركه فيه نشوء الشاعر في الجزيرة على شط الفرات
 يشاهد امواجه المتلاطمة ويسمع زمزماتها وهديرها . ونحن نعتقد ان نشأة الشاعر

(١) زعزعته : حركته شديداً . الجاجي : جمع الجوجو وهو الصدر واراد به صدر
 السفينة . آذيه : امواجه . غُدُرٌ : جمع غدير وهو النهر والقطعة من الماء يفادها السيل .
 يقول : اذا ضربت الريح الشديدة المياه انقضت كالقدر على جاجي السفن الجارية .
 (٢) مستحفر : سريع الجري . أكأفيف : جمع كفاف وكففة وهي التسلية . الزور :
 الميبل . يقول : هذا النهر يجري بسرعة من جبال الروم تستد من هذه الجبال تلال يمر في
 وسطها وهي مائلة عليه . (٣) اجهر : أحسن . يجتهر : يُنظر اليه . وهذا البيت متصل
 بقوله : فما الفرات ، أي فما الفرات وهو في مثل هذا الحال بأكثر جوداً بياحه من
 الممدوح اذا سأله فجاد عليك بعباياه ، ولا الفرات بأحسن منه منظرأ اذا نظرت اليه . (٤) المزبد
 الريان : اي الفرات في حال ازباده وارتفاع امواجه . المنتجع : الذي يقصد لمسا فيه
 من الخير . والانتجاع : طلب الكلأ في موضعه . وقوله : الريان : شديد الارتواء ،
 والمراد انه ممتلئ ماءً . (٥) بنات الماء : طيوره . أنجية : جماعة . الينبوت : ضرب من
 الشجر ذو شوك . الحضد : المتكسر من الشجر . يقول : تظل فيه طيور الماء مجتمعاً بعضها
 الى بعض من الخوف لشدة هيجانه وفي جوانبه زكام الشجر المتكسر .

لها اليد الطولى في اثبات هذه الصورة بخيلته ؛ ولذلك أكثر من ايرادها وتفنن فيها فابرزها لنا بأشكال جميلة مختلفة . ولكنه لا يُعد مبتكراً لها بل كان مقلداً . والبيك وصفه الثور الوحشي فتذكر النابغة مرة ثانية وتتمثل لك رائتته التي يعدّها بعضهم من المعلقات ؛ وقد مر بك ذكرها ورأيت ما فيها من وصف قصصي للثور بعد ان شبه به ناقته ، وسترى ان الاخطل جاره في البحر والقافية وترسم اسلوبه ناسجاً على منواله ، وواطأه بمعانيه والفاظه . قال في ملحمة يصف ناقته ويشبها بالثور :

كَأَنَّهَا بُرْجُ رُومِيٍّ يُسَيِّدُهُ ، لُزْزٌ بِحَصٍّ ، وَأَجْرٌ ، وَأَحْجَارٌ ^(١)
 أَوْ مُقَرَّرٌ خَاضِبُ الْأُظْلَافِ ، جَادَ لَهُ غَيْثٌ ، تَظَاهَرَ فِي مَيْثَاءٍ مَبْكَارٍ ^(٢)
 قَبَاتٍ فِي جَنْبِ أَرْطَاةٍ ، تُكْفِئُهُ رِيحٌ شَامِيَّةٌ ، هَبَّتْ بِأَمْطَارٍ ^(٣)
 يَجُولُ لَيْلَتُهُ وَالْعَيْنُ تَضْرِبُهُ ، مِنْهَا بَغِيثٌ أَجَشُّ الرَّعْدِ ، نِيَّارٌ ^(٤)
 حَتَّى إِذَا أَنْجَابَ عَنْهُ اللَّيْلُ ، وَأَنْكَشَفَتْ سَمَاوُهُ عَنْ أَدِيمٍ مُصْحِرٍ ، عَارٍ ^(٥)
 آنَسَ صَوْتَ قَنِيصٍ ، إِذَا أَحَسَّ بِهِمْ ، كَالْحَيْنِ يَهْفُونَ مِنْ جَرْمٍ ، وَأَنْغَارٍ ^(٦)

(١) كأنها : أي ناقته . لُزْزٌ : اللصق . الحَصٌّ : الحجارة المطبوخة من الجبس للبناء . الأَجْرٌ : تراب يُحكم عجنه وتقريبه ثم يحرق ليُبْنَى . يقول : ان ناقته قوية وثيقة الخلق كأنها برج رومي بناه بالحص والاجر . (٢) المقَرَّرُ : الثور يلزم القفر . الخاضب : الذي خضبت اظلافه من اكل الربيع . والاطلاف : جمع الظلف وهو للشاة والبقرة والظبي وشبهها بعتلة القدم للانسان وقيل كالظفر للانسان وكالخافر للفرس وكالحف للبعير . غيث : مطر . تظاهر : ظهر . الميثاء : الارض السهلة : مبكار : باكرها المطر . يشبهه هنا قوتها بقوة الثور الوحشي ثم يأخذ بوصف قوة هذا الثور وسرعته . (٣) ارطاة : شجرة . تكفيئه : تقلبه وتحوله . شامية : من ناحية الشام . (٤) العين : السحاب . اجش الرعد : غليظه . نيار : شديد الانصباب . (٥) اديم السماء : ما ظهر منها . مصحِر : احمر الى بياض . عار : لا غيم فيه . (٦) آنس : سمع . القنيص : الصياد . هم اي بالصيادين . يهفون : يسرعون . جرم وانغار : قبيلتان معروفتان بالصيد . وروي البيت في ديوانه : آنس صوت قنيص . بحيث يعود الضمير في آنس على الكلاب التي يدل عليها سياق الكلام . ثم يعود الضمير المستتر في أحس على الثور . وضمير هم على الصيادين . فلم نظمئن الى هذه الرواية لما في شرح البيت من التكلف فرأينا تصحيحها هكذا مراعاة للمعنى وقوة التركيب .

فَانْصَاعَ ، كَالْكَوْكَبِ الدَّرِيِّ مَبِيعَتُهُ ،
 فَأَرْسَلُوهُمْ يُذَرِّينَ الشَّرَابَ ، كَمَا
 حَتَّى إِذَا قُلْتُ : « نَأْتُهُ سَوَابِقَهَا ،
 أَنْجَى إِلَيْهِنَّ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ ،
 فَعَقَرَ الضَّارِيَاتِ اللَّاحِقَاتِ بِهِ ،
 غَضَبَانِ ، يَخْلِطُ مِنْ مَعْبَرٍ وَأَحْضَارٍ ،^(١)
 يُذَرِّي سَبَائِخَ قُطْنٍ ، نَذْفُ أَوْتَارٍ ،^(٢)
 وَأَرْهَقَتُهُ بِأَنْيَابٍ وَأَظْفَارٍ ،^(٣)
 وَطَعَنَ مُحَقِّقَ الْأَقْرَانِ كَرَارٍ ،^(٤)
 عَفَرَ الْغَرِيبِ قَدَاحًا ، بَيْنَ أَيْسَارٍ^(٥)

وحسبك ان تراجع وصف الثور في رائية النابغة حتى تعلم مبلغ تأثر الاخطل به . ولشاعرو امية قصائد غير هذه يصف بها الثيران وهي في اكثرها متشابهة الاسلوب ، على انها جعلت صاحبها اشهر وُصِّفَ الوحوش في الاسلام .

وصف الحمير

كان الاخطل سكبواً يدمن الشراب ولا يجد عنه صبراً فلا عجب ان تفوح رائحة الحمير من شعره كما فاحت قبله من شعر الاعشى ، فيسمعنا في وصفها ما تنطق به نفسه النشوى ؛ وما تنطق النفس الا عن هوى . وقد عرفنا في درسنا الاعشى ان الاخطل اخذ عنه بعض معانيه في الحمير ؛ ولكن الشاعر الاسلامي لم يقف في وصفها عند حد الشاعر الجاهلي بل تخطاه بعيداً ، وادخل على الشعر الحميري شيئاً

(١) انصاع : انفتل ومر مسرعاً . الكوكب الدري : المضيء . ميعته : اول جريه وهو مبتدأ مؤخر ، والخبر متعلق الجار في قوله : كالكوكب الدري . المعج : الاسراع في السير . الاحضار : الارتقاع في العدو . يقول : كان في اول جريه كالكوكب المنقض في الجو . (٢) فارسلوهم : أي الكلاب . يذرين : ينثرن ويثرن . السبائخ : جمع السبيخة وهي القطعة من القطن . أوتار : أي أوتار المندف وهي آلة لندف القطن . (٣) ارهقتها : الحقت به الاذى . (٤) انجى : أزال . وطعن : معطوف على قوله : عيناً . يقول : أزال اليهن عيناً غير غافلة وطعننا بقرنه كطعن باسل كرار يحتقر اقرانه . (٥) الضاريات : الكلاب المتعودة الصيد اي صرعا وعفرا بالتراب . الغريب : الذي يضرب السهام للمقامرين ، وإنما يجعل اميناً لانه غريب لا يجاني . القداح : جمع القِدَح وهو سهم الميسر . الأيسار : المقامرون . مفردا يسر . يقول : كان الثور يعقر الكلاب بعزيمة صادقة مستمسكاً بهن استمساك الغريب الامين بضرب القداح للمقامرين . والغريب لا قداح له فهو اشد استمساكاً من غيره .

جديداً لم نعهده في الجاهلية . فهو اول من تفنن في وصف السكران واحسن تصوير ديب الخمر في الاجسام ، وشبه زقاق الخمر برجال من السودان عراة .
ولسنا ننكر ان الاعشى وصف السكرارى وصور حالتهم ، غير ان الاخطل كان في ذلك اكثر فناً وابداعاً . واليك وصفه للسكران :

صَرِيعُ مُدَامٍ يَرْفَعُ الشَّرْبُ رَأْسَهُ ، لِيَحْيَا ، وَقَدْ مَاتَتْ عِظَامٌ وَمَفْصِلٌ ، ^(١)
نُهَادِيهِ أَحْيَانًا ، وَحِينَ نَجْرُهُ ، وَمَا كَادَ إِلَّا بِالْخُشَّاشَةِ يَعْمَلُ ، ^(٢)
إِذَا رَفَعُوا عُضْوًا ، تَحَامِلُ صَدْرُهُ ، وَآخِرُ ، مِمَّا نَالَ مِنْهَا ، مُخْبِلٌ ^(٣)

ثم يصف زقاق الخمر فيقول :

أَنَاخُوا ، فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ ، كَأَنَّهَا رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرَّبَلُوا ^(٤)
ويصف تعبد الشرب لها فيقول :

تَمُرُّ بِهَا الْأَيْدِي سَنِيحًا وَبَارِحًا ، وَتُرْفَعُ بِاللَّهِمَّ حَيٍّ ، وَتُنْزَلُ ^(٥)
ويصف مجلس الشراب والمغني فيوجز ولا يتعدى ما يقول فيهما الاعشى :

وَتَوَقَّفُ أَحْيَانًا ، فَيَفْصِلُ بَيْنَنَا غِنَاءٌ مُغْنٍ أَوْ شَوَاءٌ مُرْعَبِلٌ ^(٦)
ويصف فعلها في العظام فيرينا صورة رائعة لم يسبق اليها :

تَدِبُ دَيْبًا فِي الْعِظَامِ كَأَنَّهُ ، دَيْبٌ نِمَالٍ ، فِي نَقَا يَتَهَيَّلُ ^(٧)

(١) الشَّرب : جمع الشارب . المفصل : مكان انفصال بعض الاعضاء من بعض .
(٢) نُهَادِيهِ : نسوقه . الْخُشَّاشَةُ : بقية النفس . وقوله نُهَادِيهِ : التفتت من الغائب الى المتكلم بعد قوله : يرفع الشرب رأسه . (٣) تَحَامِلُ : تتأقل وتكلف الرفع بمشقة وعناء . صدره : أي صدر ذلك العضو . وآخِرُ : أي وعضو آخر . مِمَّا نَالَ مِنْهَا : أي من المدام . مُخْبِلٌ : فاسد به شال . (٤) أَنَاخُوا : أي ابركوا جاهلهم . الشَاصِيَات : زقاق الخمر لانها اذا امتلأت شالت اكارعها ، يقال شصا برجله اذا رفعها . لم يتسربلوا : لم يلبسوا ثياباً اي عراة . (٥) بَهَا : اي بالكؤوس . السنيح : ما جاء عن اليمين الى الشمال . البارح : ما جاء عن الشمال الى اليمين . وروي عجز البيت : « وَتَوَضَّعُ بِاللَّهِمَّ حَيٍّ وَتُجْمَلُ . »
فضلنا الرواية الاخرى لان رفع الكأس يكون قبل وضعها . (٦) وَتَوَقَّفُ : أي الكؤوس . شَوَاءٌ : لحم مشوي . مُرْعَبِلٌ : مقطَّع . نِمَالٌ : جمع غل . النقا : ما ارتفع من الرمل . يَتَهَيَّلُ : يتحدَّر . شبه ديب الخمرة في العظام بدبيب غل يتحدَّر في مرتفع من

فما ابدع هذا التشبيه الذي يصور لنا تمشي الحجرة في المفاصل ، وما اجدر لفظة الديب
بتأدية هذا المعنى ، ولا شك في ان ابا نواس نظر الى هذا البيت حين يقول :

وَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ ، كَتَمَشِّي الْبُرْءِ فِي الْبَقَمِ (١)
ويشربها فتلدع لسانه فيخيل اليه انه مصاب بالحمى فيقول :

وَكَأَنَّ شَارِبَهَا أَصَابَ لِسَانَهُ ، مِنْ دَاءِ خَيْرٍ ، أَوْ تَهَامَةٍ ، مُومٌ (٢)
وتهزه نشوتها فينالها منها زهو وخيلاء فيقول :

خَرَجْتُ أُجْرُ الذَّلِيلِ زَهْوَكَأَنِّي ، عَلَيْكَ ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمِيرُ
او يقول :

مَشَى قُرَشِيَّةً لَا شَكَّ فِيهَا ، وَأَرْخَى مِنْ مَازِرِهِ الْفُضُولَا
وقصارى القول ان الاخطل احب الحمر كما احبها الاعشى ووصفها مثله ، ولكنه
وصف شاربها وتأثيرها فيه بما لم يسبقه اليه شاعر قبله .

عمرته

عده ابن سلام في الطبقة الاولى بين الشعراء الاسلاميين . وكان حماد الراوية
يفضله على جرير والفوزدق فاذا سُئِلَ عنه قال : « ما تسألوني عن شاعر حَبَّبَ شعره
اليَّ النصرانية ! » وسأل جريراً ابنة : « يا ابنتِ أأنتِ اشعر أُم الاخطل ؟ »
فقال : « يا بني ادركت الاخطل وله ناب ، ولو ادركته وله ناب آخر لا كني . »
وقال فيه ايضاً : « الاخطل يحمى نعت الملوكة ويصيب صفة الحمر . » وقال عبد الملك

الرملي . ووجه الشبه ببطء السير وما يترك من الاثر ، فالنمل يترك اثراً في تحدره على
الرملي ، والحمر تترك اثراً في المفاصل عند ديبها وهو ما يعرف بالنشوة وما يصحبه من
ارتقاء في الاجسام . (١) تمشت : اي الحمر . (٢) خير : ناحية على ثمانية برد من المدينة
لن يزيد الشام وهي موصوفة بالحمى . تهامة : بلاد تسائر البحر وقتد مستطيلة بين الحجاز
والبحر . جاء في معجم البلدان عن ابن الاعرابي : سميت تهامة لشدة حرها وركود ريحها .
وهو من التهم اي شدة الحر وركود الريح . الموم : داء البرسام وهو التهاب يعرض
للحجاب الذي بين الكبد والقلب . يقول : كأن لسان شاربها اصابه التهاب على اثر حمى
أنته من خير او من تهامة .

للفردق : « من اشعر الناس في الاسلام ؟ » فقال : « كفاك بابن النضرانية اذا مدح . »

وقال الاصمعي وذكر جريراً : « كان ينهشه ثلاثة واربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره ويرمي بهم واحداً واحداً وثبت له الفردق والاخلط . » وقال صاحب الاغانى في جرير : « هو والفردق والاخلط المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدر كوا الجاهلية جميعاً ، ومختلف في ايهم المتقدم ولم يبق احد من شعراء عصرهم الا تعرض لهم فانفضح وسقط وبقوا يتصاولون . » واخبر ابو عبيدة قال : « جاء رجل الى يونس فقال له : « من اشعر الثلاثة ؟ » قال : « الاخلط ، » قلنا : « من الثلاثة ؟ » قال : « اي ثلاثة ذكروا فهو اشعرهم ، » ف قيل له : « وبأي شي فضله ؟ » قال : « بأنه كان اكثرهم عدد قصائد طوال جياذ ليس فيها سقط ولا فحش واشدهم تهذيباً للشعر . » وسأل سليمان بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز : « أجري اشعر ام الاخلط ؟ » قال : « ان الاخلط ضيق عليه كفه القول ، وان جريراً اوسع عليه اسلامه قوله ، وقد بلغ الاخلط منه حيث رأيت ، فقال له سليمان : « فضلت والله الاخلط . » وكان ابو عبيدة يقول : « شعراء الاسلام ثلاثة : الاخلط ثم جرير ثم الفردق . » وكان ابو عمرو يفضل الاخلط ويشبهه بالنابغة لصحة شعره ، ويقول : « لو ادرك الاخلط يوماً واحداً من الجاهلية ما فضلت عليه احداً . » وقال ابو عبيدة ايضاً : « الاخلط اشبه بالجاهلية واشدهم اسر شعر واكلهم سقطاً . » وحدث عمر بن شبة قال : « كان مما يقدم به الاخلط انه كان اخبثهم هجاء في عفاف من الفحش . » وقال الاخلط : « ما هجوت احداً قط بما تستحي العذراء ان تنشده اباه . » ولقبه عبد الملك بشاعر امير المؤمنين ، وشاعر بني أمية ، واشعر العرب .

والاقوال في الاخلط كثيرة متضاربة ، نكتفي منها بهذا القدر الذي يدلنا على ما لشاعرنا من منزلة رفيعة عند الاقدمين . وبوسعنا ان نعتمد على بعضها في اظهار ميزة الشاعر وفضله على اقرانه . فقد رأيت ان علماء اللغة كالي عمرو والي عبيدة ويونس وحماد كانوا يفضلون الاخلط ويشبهونه بشعراء الجاهلية ، ولهذا التفضيل سبب

وهو ان هؤلاء الأئمة وغيرهم كانوا يميلون الى جزالة اللفظ وشدة الأسر فراقهم في الاخطل فخامة شعره اكثر من رقة شعر جرير وطبعه ، وكانوا يغارون على صحة اللغة ويستنكرون اللحن ففضلوا الاخطل على الفرزدق لانه اصح شعراً وابعد به من الساقط المرذول . وكانوا معجبين بالسمع الطوال وغيرها من الشعر الجاهلي ، فأحبوا الاخطل لطول نفسه ومتانته . وكانوا يعدون له عشر قصائد طوال جياذ ليس فيها سقط ؛ وعشراً غيرها ان لم تكن مثلها فليست بدونها ؛ ولم يحدوا لجرير بهذه الصفة الا ثلاثاً . واجمعوا ، او كادوا ، على ان الاخطل احسنهم مدحاً ، وشهد له الفرزدق بذلك .

ونحن نرى انه لا يقل في الهجاء عن جرير وان قل عنه فحشاً ، فهو في هجوه لاذع مؤلم ؛ واذا درسنا « نقائض جرير والاخطل » وموقف الشعارين في ذلك العصر نعلم مبلغ براعة الشاعر التغلبي في هذا الفن . فالاخطل دخل بين جرير والفرزدق بعد ان اسنّ ونفذ اكثر عمره ، ومن المعلوم ان شاعرية الشيوخ اضعف من شاعرية الشباب ، ولكن الاخطل على كبره استطاع ان يقاوم فحشاً من مضر هابته فحول الشعراء في الاسلام . واذا نظرنا الى قول عمرو بن عبد العزيز بدا لنا فضل الاخطل في مقارنته جريراً ، فقد قال عمرو لسليمان بن عبد الملك : « ان الاخطل ضيق عليه كفره القول ، وان جريراً اوسع عليه اسلامه قوله ، وقد بلغ الاخطل منه حيث رأيت . » وهذا ما نستطيع ان نتبينه في تهاجي الشعارين ، فان جريراً يحول في عرض الاخطل جيئة وذهاباً فينال من دينه ويعيره نصرانيته ويقتخر عليه بالاسلام ، ويناله من قبيلته فيمنش اعراض تغلب واعراض ربيعة بن تزار جميعاً ، واما الاخطل فلم يكن يجرؤ ان يقابل جريراً بالمثل فيطعنه في ديانته وهو في كنف دولة اسلامية عزيزة الجانب ، ولو حدثته نفسه بذلك لما سلم الذي بين كتفيه وان يكن شاعر بني أمية وشاعر امير المؤمنين . وكان يقتصر على هجو كليب قوم جرير الاذنين فلا يجاوزهم الى بني تميم وهم قبيلة صاحبه الفرزدق واخوان بني قريش ، ولا يتناول مضر بكلمة سوء لان قريشاً من مضر والنبوة والخلافة في قريش . فانت ترى ان نطاق الاخطل كان ضيقاً في هجو جرير ، وهذا

ما اشار اليه عمر بن عبد العزيز في قوله : « ان الاخطل ضيق عليه كفره القول . »
ويروي لنا صاحب الاغانى ان رجلاً من بني شيبان جاء الى الاخطل فقال له :
« يا ابا مالك ان لك عندي نصحاً ، » قال : « هاتيه فما كذبت ، » فقال : « انك
قد هجوت جريراً ودخلت بيته وبين الفرزدق وانت غني عن ذلك ولا سيما انه
يبسط لسانه بما ينقبض عنه لسانك ويسب ربيعة سباً لا تقدر على سب مضر بمثله
والملك فيهم والنبوة قبله ، فلو شئت امسكت عنه ، » فقال : « صدقت في
نصحك وعرفت مرادك ، فوالصليب ، والقربان ، لا أتخلص الى كليب خاصة دون
مضر بما يلبسهم خزيه ويشملهم عاره ، ثم اعلم ان العالم بالشعر لا يبالي ، وحق
الصليب ، اذا مرت به البيت السائر الجيد امسلم قاله ام نصراني ! »

فالاخطل اذا لم يكن مطلق العنان فيتصرف في هجو جرير تصرف جرير في
هجوه ، ومع ذلك فقد بلغ من خصمه مثل ما بلغ خصمه منه ، وكان في هجائه
فتناً ممضاً فلم يترك شائنة الارمى بها بني كليب ورهط جرير .
وجماع القول ان الاخطل شاعر لعوب بالالفاظ والمعاني ، وله في الابتكار
باع طويل ، وهو مبدع في مدحه وهجائه ، متقن في وصف الخمر ، مقدم في الشعر
السياسي على سائر الشعراء في صدر الاسلام .

الفرزدق^(١)

٧٣٢ م و ١١٤ هـ (?)

حياته : ولد من اسره شريفة . جده صمصمة . احيا ثلاثائة وستين وثيدة . كان
فخوراً بقومه . جافي الطبع . نظم الشعر صغيراً . تعلم القرآن مقيداً .
تشييعه . مدح زين العابدين . حبسه . هجو هشام . اتصاله بالامويين .
كان يشكلف مدحهم رهبة او رغبة في نوالهم . اكثر مدحه في سليمان بن
عبد الملك . افتخاره في حضرته . كان يهجوهم مرة ويمدحهم اخرى
لذلك كان مجفوفاً لعلهم بتشيعه ، وكذب ولائه لهم . الفرزدق الطريد .
بنو فقيم ونهشل يستعدون عليه زياداً . هربه من البصرة الى المدينة .
مروان بن الحكم يخرج من المدينة . الصحيفة المختومة . خوف الفرزدق
منها . خبره مع النوار . هرجا منه . تطليقها . ندامته . حبسه ساعد
خصومه على التشتي به . نبوءة سيفه ، وقوله في ذلك . تعبير جرير له .
الفرزدق وجرير . سبب تهاجيهما . ظلاً اربعين سنة يتهاجيان . موته
بذات الجنب او بالدثيلة . وصيته بعق عبده . لم يبلغ المائة .
ديوان . نقائض جرير والفرزدق . من أصحاب الملاحات .
الهجاء والفخر : يفاخر بقبيلته وب نفسه ويحقر المهجو وقبيلته ويستعلي عليهم
ويحشوهم شتماً ويروي عنهم الاخبار الفاحشة ، ويعدد انكساراتهم . هجاءه
بؤرة فساد . مفرط في هجائه وفخره . فخره بالظلم . دفاعه عن تغلب
وتفجيرهم على كليب . يجعل كليباً خسارة تميم ، فيحصر فيها المخازي وفي
دارم الفاخر . هجو قيس عيلان وينفر عليهم تغلب ويهجو جريراً
معهم لدفاعه عنهم مع انهم ناصرُوا الزبيريين . مدحه : منكلف في مدح
الامويين صادق في مدح آل البيت . مدحه هشام بعد ان هجاه . مدحه زين
العابدين ، لا يستجديه بل ينوء بمناقبه ومناقب آله . تكرار لقطة هذا
وما فيه من اجلال وتيمن وتلذذ . ارتجال القصيدة وكثرة الاخطاء .
غزله : متصلب العاطفة جافي الالفاظ والمعاني . فاحش في غزله القصصي .
يقصر عن عمر وامرئ القيس في سرد الخبر والحوار ، ولا تنقاد له السهولة

(١) الفرزدق : الرغيف الضخم الذي تجففه النساء للفتوت . وقيل بل هو القطعة من
العجين التي تبسط فيخبز منها الرغيف .

والرقة . خروجه من المعاني الوحشية . رثاؤه : لا يحسن الرثاء لصلاية عاطفته . رثاؤه امرأته . زهده : ليس بشعر زهدي مستوفي الشروط ، ولكنه ندامة وهجاء لابليس لم يسبق اليه . كيف هجا ابليس ؟ . لم تكن ندامته صادقة . سرقاته : من الشمر دل وابن ميادة وجميل . خير السرقة ما لا يجب فيه القطع . مداخلته الكلام : سرور النجاة به . مقلداته : تشبيهه بزهير . قصاره وابتداءاته : يكثر من القصار . غلبت عليها الجودة . لا يعنى بمطالعه . لا يصبر عليها . واحياناً لا يوطئ بالغزل . منزلته : احد الثلاثة المقدمين في الاسلام . ينحت من صخر . تكلفه اللفظ الغريب في نحت شعره . شعره حفظ ثلث اللغة ، وحفظ كثيراً من ايام العرب وعاداتهم . انقسام الناس حزين معه ومع جرير . هو افخر الثلاثة . دون الاخطل في المدح . دون جرير في الغزل والرثاء . يجاريه في الهجاء . دونه تصرفاً في المعاني .

حياته

هو همام بن غالب بن صغصعة من دارم ثم من تميم ، لقب بالفززدق لغلاظة وجهه وجهوماته ^(١) وكنيته ابو فراس . وكانت ولادته في البصرة ونشأته في باديتها ، فشب خالص البدواة ، جاني الطباع قوي الشكيمة ، لا تلين قناته . وكان له من مناقب قومه ومآثرهم ما افعم نفسه زهواً وكبراً ، وفسح له في مجال الفخر على اقوانه ، فباهى الناس بآبائه وجدوده . وكان ابوه غالب من اجواد العرب المشهورين ، اذا نحو لا يجاريه منافس ، واذا اعطى لا يسأل عفاته : من هم ؟ . وجدده صغصعة له صحبة ولكنه لم يهاجر ، وهو الذي احيا الوئيدة ، وبه افتخر الفززدق في قوله :

وَجَدِّي الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ ، وَأَحْيَا الْوَيْدَ ، فَلَمْ يُوَادِّ ^(٢)

(١) الجهومة والجهامة : اجتماع الوجه وغلاظته وساجته . (٢) منع الوائدات : أي منع النساء من وأد بناتهن وهو دفن البنت حية حين ولادتها . الوئيد والوئيدة والموؤودة : البنت المدفونة حية . وقوله : لم يوَاد بالتذكير : حملاً على اللفظ . وكان العرب في الجاهلية أكثر ما يتدون بناتهم في الجذب ، ومنهم من يتدها تخلصاً من عار سبها . وكانت كندة تمّد بناتها .

قيل انه اشترى ثلاثمائة وستين مؤودة كل واحدة منهم بناقتين وجل . وأم
الفردق ليلى بنت حابس اخت الصحابي الاقرع بن حابس .

ونظم الفردق الشعر صغيراً فجاء به ابوه الى الامام علي وقال : « ان ابني
هذا من شعراء مضر فاصبر منه » قال : « عليه القرآن . » فلما كبر الفردق
تعلمه وهو مقيد لثلاثي يلهو عنه .

تبعه

وكان يتشيع لعلي وابناء علي ويجاهر بحبه لهم ، واذا مدحهم تدفق شعره
عاطفة وحماسة ، فما ترى فيه اثرأ لتكلف المادح المتكسب . وخير دليل على
صدق موالاته آل البيت قصيدته في زين العابدين فهي من ابلغ الشعر وخلصه
عاطفة ، انشدها في وجه هشام بن عبد الملك لما حج على عهد ابيه وطاف بالبيت ،
وجهد ان يستلم الحجر الاسود فلم يبلغه لكثرة الزحام ، فنصب له كرسي وجلس
عليه ينظر الى الناس وحوله جماعة من اهل الشام . فبينما هو كذلك اذ اقبل زين
العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، وكان من اجمل الناس وجهاً .
فطاف بالبيت حتي اذا انتهى الى الحجر انشقت له الصفوف ومكنته من استلامه .
فقال رجل من اهل الشام لابن عبد الملك : « من هذا الذي هابه الناس هذه
الهيئة ؟ » فقال هشام : « لا اعرفه . » وخاف ان يذكر اسمه فيرغبهم فيه . وكان
الفردق حاضراً فقال : « انا اعرفه » فقال الشامي : « ومن هو يا ابا فراس ؟ »
فقال كلمته :

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائَتُهُ ، وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ ، وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ ^(١)

فغضب هشام فحبسه بين مكة والمدينة فهجاه الفردق بقوله :

أَتَجَسُّبُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأَتِي ، إِلَيْهَا قُلُوبُ النَّاسِ يَهْوِي مُنْبِيهَا ^(٢)

(١) البطحاء : الارض المنبسطة التي في وسطها مكة . الوطأة : موضع القدم . البيت :
أي البيت الحرام . الحِلُّ : ما سوى الحَرَم من بلاد الله . الحَرَم : ما احاط بمكة من
الارض الى خط معلوم . يقول : ان زين العابدين تعرفه اهل الدنيا قاطبة . (٢) يهوي :

يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ ، وَعَيْنُ لَهُ حَوْلًا ، بَادِرٌ عِيُوبَهَا ^(١)
فبلغ شعره هشاماً فأمر باطلاقه خوفاً من لسانه .

انصاف الامويين

على ان تشيعه لآل البيت لم يصرفه عن التقرب الى الامويين ، فمدحهم رهبة
منهم او رغبة في نوالهم ، واكثر مدائحه في سليمان بن عبد الملك ، ولكنه لم ينل
حظوة الاخطل عندهم ولا استقام له ان يمدحهم بمثل شعره . فهم كانوا يعلمون
موضع هواه ، وهو كان يتكلف مدحهم على كره منه . وربما مرت به ساعة
لا يستطيع فيها ان يستخر عاطفته ، فيدعوه الخليفة الى مدحه فما يطيق ذلك ،
فيعمد الى الافتخار بنفسه فعله في حضرة سليمان بن عبد الملك لما استنشدته فيه او
في ابيه فأنشده مفتخراً عليه :

وَرَكِبَ ، كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدهُمْ لَهَا تَرَةً ، مِنْ جَذْبِهَا بِالعَصَائِبِ ^(٢)
سَرَوْا يَخْطُونَ اللَّيْلَ ، وَهِيَ تَلْفُهُمْ ، إِلَى شُعْبِ الْأَكْوَارِ ، مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ^(٣)
إِذَا اسْتَوْضَحُوا نَارًا يَقُولُونَ : لَيْتَهَا ، وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ ، نَارُ غَالِبٍ ^(٤)

يسرع ويمضي في سيره . منيها : نائبها ، من اناب الى الله رجع اليه وقاب . وقوله : التي ،
اراد بها مكة فعرف باسم الموصول تعظيماً لها . يقول : التحسني بين المدينة ومكة التي يسرع
اليها ذوو القلوب الثابتة . والضمير في منيها يعود على القلوب .

(١) باد : ظاهر . وكان هشام أخو ل . (٢) الركب : المسافرون فوق الابل .
ترة : نأراً . العصائب : جمع العصابة وهي العمامة . يقول : كأن الريح لها ناراً على هذا
الركب لشدة ما تجذب بعائمه جماعته . يصف قوة الريح . (٣) سروا : ساروا ليلاً . يخطون
الليل : يسبرون فيه على غير هدى ، مأخوذ من الخط : وهو الضرب على غير اناسق .
شعب الاكوار : نواحيها مفردة شعبة . الاكوار : جمع الكور وهو رحل البعير .
يقول : سرى هذا الركب يخطون على غير هدى لشدة الظلام والريح العاصفة تلفهم أي
تضمهم من كل جانب الى نواحي الاكوار . (٤) استوضحوا : وضعوا ايديهم على عيونهم
لينظروا الشيء من بعيد . خصرت : بردت . يقول : اذا نظروا ناراً من بعيد قال بعضهم
لبعض وقد بردت ايديهم : « ليتها نار غالب » وغالب : ابو الفرزدق . لانهم يمدون عندها
دفئاً وقرى .

فتبين غضب سليمان ، وكان نُصَيْبُ الشاعر حاضراً فأُشْهِدَهُ اِيَّاتاً يمدحه بها ، فقال الخليفة : « يا غلام أعطِ نُصَيْباً خمس مائة دينار ، وألحِقِ الفرزدق بنار ابيه . » فخرج الفرزدق مُغَضَباً يقول :

وَحَيْرُ الشَّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالاً ، وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ ^(١)

وقد يمدح عمال بني أمية ثم يهجوهم اذا وجد سبيلاً الى هجوهم ، او يهجوهم ثم يمدحهم اذا خشي شرهم . فقد رثى الحجاج بقوله :

فَلَيْتَ أَلَّا كُفَّ الدَّافِنَاتِ ابْنُ يَوْسُفَ ، يُقَطَّعْنَ ، إِذْ غَيَّبَ تَحْتَ السَّقَائِفِ ^(٢)

فلما بويع بالخلافة سليمان بن عبد الملك بعد اخيه الوليد مدحه الفرزدق وهجاً الحجاج وقومه ، ف قيل له : كيف تهجوه وقد مدحته ؟ فقال : « نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه ، فاذا تحلّى منه انقلبنا عليه . »

وهجاً آل المهلب فنقموا عليه ، فلما ولي سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب خواسان والعراق خاف الفرزدق فمدحهم . فلا تعجب اذا ان ترى الفرزدق مجفواً على سموة قدره في دولة الشعر ، فبنو أمية وعمالمهم لم يطعنوا الى ولائه ولطالما نالوا منه فحبسوه او ابعدوه ، واذا اجازوه احياناً فتقنّى لسانه او رغبة في شعره ليمدحهم به .

الفرزدق الطرير

وكان خبث لسانه وتعوره يساعدان اولى الامر على اذيتيه ، فاذا هجا قوماً او نال من حرمااتهم استعدوا عليه السلطان فيطارده فيفر من وجهه ، او يحبسوه او ينفيه فيكفي الناس شره ولو الى حين .

ويحدثنا صاحب الاغانى ان الفرزدق كان يهاجى الاشهب بن رُمَيْسَةَ النهشلي

(١) كان نصيب مولى حبشياً لبني كعب فاشتراه عبد العزيز بن مروان . وهو شاعر مجيد . يعرض الفرزدق به في قوله : وشَرُّ الشعر ما قال العبيد . (٢) السقائف : جمع السقيفة وأراد بها القبر . اي اذ غيبن ابن يوسف تحت سقائف الاجداث . وابن يوسف هو الحجاج توفي في اواخر خلافة الوليد بن عبد الملك في سنة ٧١٣ م و ٩٥ هـ . وكان والي العراقين وخراسان ومدة ولايته عشرين سنة . قيل انه احصى من قتلهم فكانوا مائة وعشرين ألفاً .

وبني فُقيّم وكلاهما من دارم ؛ فاستعدوا عليه زياد ابن أبيه وهو على البصرة من قبل معاوية ، ففرّ الفرزدق الى المدينة مستجيراً بعاملها سعيد بن العاص فأمنه . ثم ولي المدينة مروان بن الحكم فعلم ان الفرزدق يشرب الخمر ويدخل الى القيان ، فدعاه وتوعده وقال : « اخرج عني . » فعزم على الشخوص الى مكة ، فكتب مروان الى بعض عماله ما بين مكة والمدينة بان يصله بجائتي دينار فارتاب بكتاب مروان فجاء اليه يقول :

مَرَوَانُ إِنَّ مَطِيَّتِي مَعْقُولَةٌ ، تَرْجُو الْحَبَاءَ ، وَرَبُّهَا لَمْ يَيْئَسْ^(١)
أَتَيْتَنِي بِصَحِيفَةٍ مَخْتُومَةٍ ، يُخْشَى عَلَيَّ بِهَا حَبَاءُ الْقُفُوسِ^(٢)
أَلْقِ الصَّحِيفَةَ يَا فَرَزْدَقُ ، لَا تَكُنْ نَكْدَاءَ مِثْلَ صَحِيفَةِ الْمُتَلَمِّسِ^(٣)

ثم رمى بالصحيفة ، فضحك مروان وقال : « ويحك انك أُمِّي لا تقرأ فاذهب بها الى من يقرؤها ثم ردها حتى اختتمها . » فذهب بها فلما قرئت له اذا فيها جائزة فردها الى مروان فختمها .

وظل الفرزدق طريداً عن البصرة حتى هلك زياد .

خبره مع النوار

ولم تكن حظوته عند النوار بأحسن من حظوته عند الخلفاء وعمالهم . مع ان النوار بنت عمه ، والدها أعين بن ضبيعة المجاشعي ؛ وكان الفرزدق وليها . فخطبها رجل من دارم فرضيته وارسلت الى ابن عمها ان يزوجه اياه ، فقال : « لا افعل او تشهدني انك قد رضيت بمن زوجتك . » ففعلت ، فلما توثق منها وقف في مسجد بني مجاشع بن دارم فحمد الله واثنى عليه ثم قال : « قد علمتم ان النوار قد ولتني

(١) مطيقي : دابقي . معقولة : مجبوسة . الحباء : العطاء . ربها : صاحبها . يقول : ان مطيقي مجبوسة لا تستطيع السفر لانها تنتظر عطاءك وصاحبها لم يقطع رجاءه منك . (٢) النقرس : ورم في مفاصل الكمين واصابع الرجلين . يقول : اعطيتني كتاباً مختوماً اخشى ان يكون فيه عطاء موجه كداء النقرس . (٣) قوله : لا تكن : مجزوم بجواب الامر وهي بمعنى لئلا تكون ولا حرف نفي . يقول مخاطباً نفسه : ألق صحيفتك لئلا تكون مشؤومة مثل صحيفة المتلمس . راجع خبر صحيفة المتلمس في بحث طرفة بن العبد .

امرها وأشهدكم أنني قد زوجتها نفسي على مائة ناقة حمراء ، سوداء . الحديقة . « فنفرت منه وفزعت الى مكة وفيها عبدالله بن الزبير وقد بايعه العراق والحجاز ، فاستجارت بامراته خولة بنت منظور بن زبّان القزاري ، فتبعها الفرزدق ولما قدم مكة اشرب الناس اليه ، وتزل على بني عبدالله بن الزبير فاستنشده ثم شفّعوا له الى ابيهم ، فجعل يشفعهم في الظاهر حتى اذا صار الى خولة قلبته عن رايه . فقال الى النوار و اشار عليه بتطليقها فابى وهجاه . وظل يوقئها حتى اصطالحا على ان يرجعها الى البصرة ويحكمها في امرها بني تميم . فلما صاروا الى البصرة رجعت اليه النوار بحكم عشيقتها ، ومكثت عنده زماناً ترضى عنه حيناً وتخاصمه احياناً ، فاراد اغاظتها فتزوج عليها حدراء^(١) بنت زريق بن إسظام بن قيس الشيباني فخاصمتها النوار واخذت بلحيته وقالت : « تزوجت اعراوية دقيقة الساقين على مائة بعير » ، فقال يفضل عليها حدراء :

لَعَمْرِي ، لَأَعْرَائِيَّةٌ فِي مِظَلِّهِ ، تَظَلُّ بِرَوْقِي يَتِيهَا الرِّيحُ تَخْفِقُ^(٢)
أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ ضُنَاكِ ضِفْنَةٍ ، إِذَا وُضِعَتْ عَنْهَا الْمَرَاوِحُ تَعْرِقُ^(٣)

فشكته الى جريز فهجاه وهجا حدراء .

ولم يطب للنوار عيش في كنف الفرزدق فظلت ترققه وتستعطفه حتى اجابها الى طلاقها ، واخذ عليها ان لا تفارقه ولا تبوح من منزله ولا تتزوج رجلاً بمسده ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له ، واخذت عليه ان يشهد الحسن البصري على طلاقها ففعل وطلقها ثلاثاً ، ثم ندم وتحسّر وله فيها شعر كثير منه :

نَدِمْتُ نَدَامَةً الْكُسْعِيِّ ، لَمَّا غَدَتُ مِثِّي مُطْلَقَةٌ نَوَارُ^(٤)

(١) الحدراء : الحولاء . او من لها قرحة في باطن جفنها . (٢) المِظَلَّة : الخيمة . الرِّوق والرواق : سقف في مقدم البيت . تخفّق : تصوّت عند هبوبها . (٣) الضنّاء : المرأة المكتثرة الثقلية الجسم . الضفّنة : القصيرة الحقاء في عظم خلق . المرواح . جمع المروحة . يقول : يظل جسمها لضخامته يعرق اذا لم يُرَوِّح له بالمرّاح . (٤) الكُسْعِي : نسبة الى كسّع وهو حي باليمن او من بني ثعلبة ، ومنه غامد بن الحرث الكسعي الذي يضرب به المثل في الندامة لانه رمى كُسرّاً ليلاً فكانت السهام تنفذ منها وتصدم الجبل فتوري نارا فظن انه اخطأها جميعاً فحلق وكسر قوسه ، ولما اصبح نظر فاذا الحُرُ مصرعة واسهمه بالدم مضرحة فندم فقطع اجهامه .

وَكَانَتْ جَنَّتِي فَخَرَجْتُ مِنْهَا ، كَادَمَ حِينَ أَخْرَجَهُ الصِّرَارُ ^(١)
وَكُنْتُ كَفَاقِي عَيْنِي عَمْدًا ، فَأَصْبَحَ مَا يُضِيءُ لَهُ النَّهَارُ

جَبِينِهِ

وكان الفرزدق على اعجابه بنفسه ومباهاته باصله شديد الجبن لا يقاتل الا
بلسانه . وكان خصومه يتخذون من جبته ذريعة للضحك به والتشني من غيظهم ،
وله معهم اخبار كثيرة نكتفي بواحدة منها رواها ابو عبيدة عن روثبة بن العجاج
قال : حج سليمان بن عبد الملك وحجت الشعراء معه فلما جاء المدينة تلقوه بنحو
اربع مائة اسير من الروم فقعده يدفعهم الى الوجوه والى الناس فيقتلونهم حتى دفع
الى جويز رجلاً منهم فدست اليه بنو عبس سيفاً قاطعاً فضربه فابان رأسه ، ودفع
الى الفرزدق اسيراً فلم يجسد سيفاً فدسوا اليه سيفاً كليلاً فضرب الاسير فلم يصنع
شيئاً ، فضحك القوم به ومن سوء ضربته ، وشتم بنو عبس ، فغضب الفرزدق
وأشأ يقول :

إِنْ يَكُ سَيْفُ خَانَ ، أَوْ قَدْرُ أَبِي ، لِتَأْخِيرِ نَفْسٍ ، حَتْفُهَا غَيْرُ شَاهِدٍ ^(٢)
فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ ، وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ ، نَبَأَ بَيْدِي وَرَقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ ^(٣)
كَذَلِكَ سُيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا ، وَيَقْطَعْنَ أحياناً مَنَاطَ الْقَلَائِدِ ^(٤)

وقال ايضاً :

أَيَعْجَبُ النَّاسُ أَنْ أَضْحَكْتَ خَيْرَهُمْ ، خَلِيفَةَ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ ^(٥)

-
- (١) الضرار : المخالفة ، من ضارته : خالفه . وإراد بذلك مخالفة آدم وصية الله .
(٢) قوله : ان يك ، لحقه الحَرَمُ فحذفت فاء فعول فاصبح عُولُ فنقل الى فِعْلٍ .
الحتف : الموت . شاهد : حاضر . يقول : ابي القدر ان يقطع السيف ليوخر موت نفس
لم يحضر اجلها بعد . (٣) نبا : السيف : اذا لم يقطع . ورقاء : هو ابن زهير بن جذيمة العبسي
رأى والده تحت صدر خالد بن جعفر بن كلاب وخالد مكب عليه وقد ضربه بالسيف
فصرعه فجاء ورقاء لانقاذ والده فضرب خالداً ضربات فلم يصنع شيئاً وقُتل والده .
(٤) سيوف الهند : أي المصنوعة في الهند . الظُّبَات : جمع الظبة وهي حد السيف . مناط
القلائد : كناية عن الاعناق . ومناط : اسم مكان من ناط اي علق . القلائد : جمع القِلادة
وهي ما جعل في العنق من الخلي . (٥) خيرهم : اي سليمان . وعجز البيت للاختلال انتحله الفرزدق .

لَمْ يَنْبُ سَيْفِي مِنْ رُغْبٍ وَلَا دَهْشٍ ، عَنْ الْأَسِيرِ ، وَلَكِنْ أَخَوَ الْقَدْرُ ،^(١)
وَأَنْ يُقَدِّمَ نَفْسًا قَبْلَ مُدَّتِهَا ، جَمَعَ الْيَدَيْنِ ، وَلَا الصَّصَامَةَ الَّذِي كَرُّ^(٢)
ثم مضى وهو يقول :

مَا إِنْ يُعَابُ سَيِّدٌ إِذَا صَبَا ، وَلَا يُعَابُ صَارِمٌ إِذَا نَبَا ،
وَلَا يُعَابُ شَاعِرٌ إِذَا كَبَا ^(٣)

فشمت به جرير وعيّره بقوله :

بَسَيْفٍ أَلِي رَغْوَانٍ ، سَيْفٍ مُجَاشِعٍ ، ضَرَبْتُ ، وَلَمْ تَضُوبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ ،^(٤)
ضَرَبْتُ بِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ ، فَأَرَعَشْتُ يَدَاكَ ، وَقَالُوا : «مُحَدِّثٌ غَيْرُ صَارِمٍ» ^(٥)
فردّ عليه الفرزدق بقوله :

وَلَا نَقْتُلُ الْأَسْرَى ، وَلَكِنْ نَفَكُهُمْ ، إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْتَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ ^(٦)
فَهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيِّ جَاعِلَةٌ أَكْمَ ، أَبَا عَنْ كَلِيبٍ ، أَوْ أَبَا مِثْلٍ دَارِمٍ ؟ ^(٧)

الفرزدق وجرير

وكان السبب في تهاجي الفرزدق وجرير أن شاعراً من بني يربوع يقال له

(١) الدَّهْشُ : الخيرة والذهول . (٢) الصَّصَامَةُ : السيف القاطع . الذكر : السيف
اليابس الصلب . وقوله : جمع اليدين . أي الاسر والاعتقال ، وهو أن تكبّل اليدين إلى
العنق بالجوامع أي الاغلال مفردها جامعة . (٣) صَبَا : أي اذا صبت نفسه ومالت . كَبَا :
سقط على وجهه . وكبها الشاعر : اذا اخطأته جودة الشعر تشبهاً له بالفرس السكابي في
المضار . (٤) يقول : ان السيف الذي ضربت به لم يتعود القطع لانه سيف بني مجاشع بن دارم
الجبلاء لا سيف الحرث بن ظالم المرّي . وكان الحرث من فُتاك العرب فتك بخالد بن جعفر
وهو اذ ذاك نازل على النعمان بن المنذر ، وبنو مُرّة وبنو عبس ابناء اعمام كلهم من غطفان .
يرد جرير على الفرزدق لتعبيده بني عبس بسيف ورقاء فيشير الى سيف الحرث بن ظالم فتبنيهاً
الى ان بني عبس ادركوا ثارهم من خالد بن جعفر قاتل زهير . (٥) الإِمَامُ : الخليفة .
أَرَعَشْتُ : ارتعدت من الخوف . مُحَدِّثٌ : أي حديث العهد بحمل السيوف . غير صَارِمٍ :
غير قاطع أي لم يتعود القطع بالسيوف . (٦) المغارم : جمع المَفرَم وهو الفرامة . يقول :
نحن نفكّ الاسرى اذا عجزوا عن دفع الفرامة ليقصدوا انفسهم . (٧) كَلِيبٌ : قوم جرير .
وقوله : أَبَا عَنْ كَلِيبٍ : أي عوضاً عنه .

غَسَّانَ السِّلَيطِي هَجَا جَرِيرًا فَرَدَّ عَلَيْهِ جَرِيرٌ فَأَخْزَاهُ ، فَشَكَا آلُ يَرْبُوعَ إِلَى الْبَيْعِثِ الْمَجَاشَعِيِّ قَهَرَ جَرِيرٌ صَاحِبَهُمْ ، فَجَعَلَ الْبَيْعِثُ يَقُولُ : « وَجَدْنَا الشَّرَفَ وَالشَّعْرَ فِي بَنِي النَّوَارِ بَنَاتٍ مُجَاشِعَ » ، فَبَلَغَ ذَلِكَ جَرِيرًا فَهَجَا الْبَيْعِثَ وَقَوْمَهُ ، فَجَاءَ الْبَيْعِثُ إِلَى بَنِي الْحُطَفِيِّ رَهْطَ جَرِيرٍ ، وَقَالَ : « يَا قَوْمَ عَجَلْتُمْ عَلَيَّ » ، فَقَالُوا : « بَلَّغْنَا عَنْكَ أَمْرًا فَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ كَمَا قُلْنَا ، وَإِنْ شِئْتَ صَفَحْتَ » ، فَقَالَ : « بَلْ أَصْفَحْ . » فَأَقَامَ بِحَاوِرًا لَهُمْ ثَلَاثَ سِنِينَ ثُمَّ أَنَّهُ فَارَقَهُمْ رَاضِيًا ، فَقَدِمَ عَلَى نَاسٍ مِنْ بَنِي مَجَاشِعَ فَسَأَلُوهُ عَنْ بَنِي الْحُطَفِيِّ فَأَتَنِي عَلَيْهِمْ خَبِيرًا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : « أَحْسَنَ مَا جَازَيْتَهُمْ عَلَى الَّذِي قَالُوا لَكَ » ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ قَوْلَ جَرِيرٍ فِيهِ ، وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى اغْضَبُوهُ ، فَهَجَا بَنِي كَلَيْبَ . فَقَالَتْ بَنُو كَلَيْبَ لِعَطَاءَ بْنِ الْحُطَفِيِّ : « ارْكَبْ إِلَى بَنِي مَجَاشِعَ وَاسْتَنْهَمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَقَدْ قَالُوا كَمَا قِيلَ لَهُمْ . » فَأَتَاهُمْ عَطَاءٌ فَقَالَ : « أَيُّ بَنِي مَجَاشِعَ الْإِخْوَةَ وَالْعَشِيرَةَ ، وَقَدْ قُلْتُمْ كَمَا قِيلَ لَكُمْ فَاثْبُتُوا عَنَّا . » فَأَبَى الْبَيْعِثُ إِلَّا هَجَاءَهُمْ ، فَلَحِمَ الْمَهْجَاءَ بَيْنَ جَرِيرٍ وَالْبَيْعِثِ فَسَقَطَ غَسَّانُ . ثُمَّ اسْتَطَالَ جَرِيرٌ وَافْجَحَ الْقَوْلُ فِي نِسَاءِ مَجَاشِعَ . فَضَجَّ الْبَيْعِثُ إِلَى الْفُرَزْدَقِ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بِالْبَصْرَةِ وَقَدْ قَيَّدَ نَفْسَهُ وَآلَى الْأَلَيْفِكَ قَيْدَهُ حَتَّى يَقْرَأَ الْقُرْآنَ . وَاقْبَلَتْ عَلَيْهِ نِسَاءُ مَجَاشِعَ وَقُلْنَ لَهُ : « قَبِّحَ اللَّهُ قَيْدَكَ وَقَدْ هَتَكَ جَرِيرٌ عَوْدَاتِ نِسَائِكَ فَأُجِيتَ شَاعِرٌ قَوْمٌ » ، فَأَحْفَظْنَاهُ فَفَضَّ قَيْدَهُ وَقَالَ :

أَلَا اسْتَهْزَأَتْ مِنِّي هُنَيْدَةٌ ، أَنْ رَأَتْ
وَلَوْ عَلِمَتْ أَنَّ الْوَثَاقَ أَشَدُّ
لَعَمْرِي ، لَئِنْ قَيَّدْتُ نَفْسِي ، لَطَالَمَّا
ثَلَاثِينَ عَامًا ، مَا أَرَى مِنْ عِمَايَةٍ ،
أَسِيرًا يُدَانِي خَطْوُهُ حَلَقُ الْجَبَلِ (١)
إِلَى النَّارِ ، قَالَتْ لِي مَقَالَةٌ ذِي عَقْلِ (٢)
سَعَيْتُ ، وَأَوْضَعْتُ الْمَطِيَّةَ فِي الْجَهْلِ (٣)
إِذَا بَرَقَتْ ، إِلَّا أَشَدُّ لَهَا رَحْلِي (٤)

(١) هُنَيْدَةٌ : امْرَأَةُ الزُّبَيْرِ بْنِ عَمَّةِ الْفُرَزْدَقِ . الْجَبَلُ : الْقَيْدُ . وَقَوْلُهُ : أَسِيرًا يُدَانِي خَطْوُهُ : أَيُّ يَقْصُرُ خَطْوُهُ . (٢) قَوْلُهُ : أَشَدُّ إِلَى النَّارِ : أَيُّ خَوْفًا مِنْهَا ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أَشَدُّهُ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَشَدُّ الْوَثَاقِ وَثَاقُ النَّارِ . (٣) أَوْضَعْتُ الْمَطِيَّةَ : رَفَعْتُهَا فِي السَّيْرِ . وَقَوْلُهُ : أَوْضَعْتُ الْمَطِيَّةَ فِي الْجَهْلِ : أَيُّ سَرْتُ فِي الْجَهْلِ كُلِّ مَسِيرٍ . (٤) الْعِمَايَةُ : الْجِهَالَةُ . أَشَدُّ لَهَا رَحْلِي : أَيُّ أَقْصَدَهَا . يَقُولُ : أَنَّهُ أَوْضَعَهَا ثَلَاثِينَ عَامًا فَلَا حَتَّ لَهُ جِهَالَةً إِلَّا قَصْدَهَا .

أَتَنِي أَحَادِيثُ الْبَعِيثِ ، وَدُونَهُ . زَرُودٌ ، فَشَامَاتُ الشَّقِيقِ مِنَ الرَّمْلِ ^(١)
 قُلْتُ : أَظُنُّ ابْنَ الْحَيْثَةِ أَنِّي سَعَلْتُ عَنْ الرَّامِي الْكِنَانَةَ بِالنَّبْلِ ^(٢)
 فَإِنَّ يَكُ قَيْدِي كَانَ نَذْرًا نَذَرْتُهُ ، فَمَا فِي عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي مِنْ شُغْلٍ
 أَنَا الضَّامِنُ الرَّاعِي عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا ، أَوْ مِثْلِي ^(٣)

وهذا الفرزدق البعيث لعجزه عن مقاومة جرير فسقط البعيث . قال ابن سلام :
 « ولجَّ الهجاء بين جرير والفرزدق نحواً من أربعين سنة لم يغلب واحد منهما على صاحبه ، ولم يتهاج شعرا في الجاهلية ولا في الإسلام بمثل ما تتأجيا به . »

موته

يحدثنا صاحب الاغانى ان لَبَطَةَ بن الفرزدق قال : « ان اياه اصابته ذات الجنب فكانت سبب وفاته . ووصف له ان يشرب النفط الابيض فيجعلوه في قدح وسقوه اياه فقال : « يا بني عجلت لايبك شراب اهل النار . » وكان له عيب فأوصى بعتقهم بعد موته وبدفع شيء من ماله اليهم ، فلما احتضر جمع اهل بيته وانشأ يقول :

أَرُونِي مَنْ يَثُومُ لَكُمْ مَقَامِي ، إِذَا مَا أَلَا مُرْجَلٌ عَنِ الْخَطَابِ ^(٤)
 إِلَى مَنْ تَفْرَعُونَ ، إِذَا حَشُونُمْ بِأَيْدِيكُمْ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ ^(٥)

(١) زَرُودٌ : ماء لبنى مجاشع على طريق الكوفة . الشامات : اثار مختلف لون الارض .
 الشقيقة : الجد بين الرملتين وربما كان امبالاً . والجَدَدُ : الارض الغليظة المستوية . (٢) ابن الحَيْثَةِ : يعني جريراً . وقوله : الرامي الكنانة : يريد رجلاً من أسدٍ (تلقى رجلاً من فزارة وكانا راميين ومع الفزاري كنانة جديدة ومع الأسدي كنانة رثّة فقال له الأسدي : « انا أرمي او انت ؟ » قال الفزاري : « انا ارمي منك » فقال الأسدي : « فانا انصب كنانتي وتنصب كنانتك حتى نرمي فيها . » فنصب الاسدي كنانته فجعل الفزاري يرمي ويصيب حتى نفدت سهامه ، فرماه الاسدي بسهم فقتله واخذ كنانته . ضرب الفرزدق هذا المثل ليقول لجرير انه ليس بغافل عنه كما غفل الفزاري عن صاحبه الاسدي . (٣) يقول : لا يدافع عن احسابهم الا انا او رجل مثلي . (٤) جل : عظم . يقول : اذا اشتد الامر واصبح الكلام الغصّل لا يجدي نفعاً . (٥) تفرعون : تاجوون وتستغيثون . حثا التراب على الميت : صبه عليه ليواريه .

فقال له بعض عبیده : « الى الله ، » فأمر ببيعہ قبل وفاته وإبطل وصيته فيه .
 وذكر ابن قتيبة انه مات وقد قارب المائة ، وكانت علمته الدُّبيلة ^(١) وكان
 يسقى النفط الأبيض وهو يقول : « أتعجلون لي النار في الدنيا ! »
 وكانت وفاته في خلافة هشام بن عبد الملك ، وله قصيدة يلحده بها ويهنته
 بالخلافة ، منها قوله :

رَمَتْنِي بِالثَّمَانِينَ أَلْيَالِي ، وَسَهْمُ الدَّهْرِ أَصُوبُ سَهْمِ رَامِ
 وخلافة هشام تبدى في السنة الخمسين بعد المائة للهجرة ، فاذا كان الفرزدق يومئذ
 في الثمانين من عمره كما ذكر في شعره ، فلا يصح ان تكون سنه قد نيفت على
 التسعين يوم وفاته ، هذا اذا حسبنا ان القصيدة قيلت في السنة الاولى لخلافة هشام
 وان الشاعر كان في الثمانين دون زيادة او نقصان . وفي اي حال فان الفرزدق لم
 يبلغ المائة وانما مات في التسعين او دون التسعين او انه جاوزها قليلاً .

آثاره

آثاره ديوان مطبوع اكثره في المدح والفخر والهجاء ، وطبعت « نقائض جوير
 والفرزدق » في آيدن فجاءت في مجلدين ضخمين . وهو من اصحاب الملححات
 ومطلع ملحمة :

عَزَفْتُ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتُ تَعْرِفُ ، وَأَنْكَرْتُ مِنْ حُدْرَاءَ مَا كُنْتُ تَعْرِفُ ^(٢)

صيرته

لم يشغل الناس شاعر في الجاهلية ولا في الاسلام كما شغلهم جوير والفرزدق
 بتهاجيها ، فقد لبثا اربعين سنة يتشاقان والناس تسمع لهما ولا تتفق على تقضيل
 الواحد منهما على الآخر . ولقد كان يصح لنا ان نقتصر على درس خاصة الهجاء في
 الفرزدق ، وما يتبع هذا الهجاء من فخر ، لو لم تكن لشاعرنا خصائص اخرى لا ينبغي
 اغفالها ، وان تكن خاصة الهجاء اظهرها . فالفرزدق في تشييعه لآل البيت وفي

(١) الدُّبيلة : دُمْل كبير ، تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً . (٢) عزفت : أي
 رجعت عن باطلك . أعشاش : اسم موضع . حدراء : زوجته . يخاطب نفسه بصورة التمجيد .

اتصاله بالخلفاء الأمويين وعملهم شاعر مدّاح ولكن مدحه لهؤلاء يختلف عن مدحه لأولئك ، فهو في ذكر آل البيت صادق الالهجة ، بين الحماسة ، متدفق العاطفة ؛ وفي مدح الأمويين كذوب متكلف يظهر خلاف ما يبطن . والفردق في غزله يصطنع القصص الغرامية كابن ابي ربيعة ويتعمد مثله ، غير انه لا ينقاد له هذا الفن في الجودة والركة انقياده لعمر . والفردق اول شاعر مسلم نظم في الزهد وخطب ابليس وهجاء . وهو اكثر الشعراء الاسلاميين سرقة وانتحالا . فعلىنا ان ندرس به خاصة الهجاء في شيء من الاسهاب ، ثم نلم بسائر خصائصه لنعرف من هو الفردق وما هي ميزة شعره .

هجو وفخره

ولسنا نعجب اذا رأينا للفردق شعراً كثيراً في الهجاء بعد ان علمنا انه نتاج حرب عوان دارت بينه وبين جوير اربعين سنة ؛ وكان فيها كلا الشعارين يُعنى بنقض اقوال خصمه لئلا يُعدَّ مغلباً ، فالهجاء صفة لازمة لشعر الفردق كما انه صفة لازمة لشعر جرير .

واذا اراد الفردق ان يهجو وضع نفسه في مرتبة يتضاءل دونها خصمه ، وشرع يعدد مفاخر قومه ويذكر ما لهم من الايام وما هم عليه من كرم وخير ونجدة واباء . وكان له من شرف قبيلته واجداد آبائه ما فصح له في مجال الفخر والاستعلاء .

وهو على شدة اعجابه بقومه لا يغفل عن الافتخار بنفسه ، واكثر فخره بشاعريته ، وهي المفخرة الوحيدة التي نجدها فيه ونرى انه يحق له ان يباهي بها . ولا ينتهي الفردق من مفاخرة خصمه الا ليحشوه شتاً وتعييراً . فيعلن مخازيه ومخازي قبيلته ، ويطعن في اعراضهم طعناً قبيحاً مكثراً من الالفاظ الفاحشة والاحبار الشائنة ، حتى ليصبح شعره بؤرة فجور وفساد .

ومثل هذا الشعر ينافي الاخلاق ، وينفر الاذواق ، فلا ينبغي ان يروى . غير اننا نكتفي بقدر منه لنظهر ميزة الشاعر في هذا النوع ؛ وان هذا القدر لايسر

شيء يهجو به الفرزدق جديراً وانه ايضاً لأعفه وأرقه لفظاً :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ ، بَنَى لَنَا
بَيْتاً زُرَّارَةً مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ ،
لَا يَحْتَسِبِي بِفَنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلَهُمْ ،
ضَرَبْتَ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتَ بِنَسْجِهَا ،
بَيْتاً ، دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ ، (١)
وَمُجَاشِعٌ ، وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ (٢)
أَبْدَأُ ، إِذَا عُدَّ الْفَعَالُ الْأَفْضَلُ (٣)
وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ (٤)

ومنها :

وَإِذَا بَدَخْتُ ، وَرَائِي يَمْشِي بِهَا
أَلَّا كَثُرُونَ إِذَا يُعَدُّ حَصَاهُمْ ،
خُلِّلُ الْمُلُوكِ لِبَاسُنَا فِي أَهْلِنَا ،
أَحْلَامُنَا تَزْنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً ،
فَادْفَعْ بِكَفِّكَ ، إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءً ثَا ،
سُفْيَانٌ ، أَوْ عُدُسُ الْفَعَالِ ، وَجَنْدَلُ (٥)
وَأَلَّا كُرُمُونَ إِذَا يُعَدُّ الْأَوَّلُ (٦)
وَالسَّابِغَاتِ إِلَى الْوُغَى نَسْرَبِلُ (٧)
وَتَحَالُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ ، (٨)
تَهْلَانُ ذَا الْهَضْبَاتِ ، هَلْ يَتَحَالِلُ ؟ (٩)

١١

(١) سمك : رفع . الدعائم : العيدان التي تقيم البيت . أعز واطول : اي اعز واطول من بيتك ، فلما صار في موضع الخبر استغني عن من لقوة الخبر وخرج مخرج الله اكبر . يقول : ان الله اعطاهم شرفاً اعز وامنع من شرف جرير . (٢) زُرَّارَةُ بن عُدُس : من دارم . مُحْتَبٍ : أي جالس ، من الإحتباء وهو ان يجتمع الرجل بين ظهره وساقيه اذا جالس ليصير كالمستند . كانت العرب ليس لها في البوادي حيطان تستند اليها في مجالسها فكان الرجل يقيم ركبته في جلوسه فيضع عليها سيفاً او يدير بها ثوباً او يعتمد عليها يديه ويستريح اليها فيقوم له ذلك مقام الاستناد والاسم منه الحُيُوءَةُ . فاذا ارادوا التعبير عن القيام والقعود قالوا : حل حبوته اي قام ، ويقولون : عقد حبوته اي قعد ، وهو من باب الكناية . الفناء : ساحة امام البيوت او ما امتد من جوانبها . مُجَاشِعٌ : بن دارم . نخشل : بن دارم . يقول : بنى لنا بيتاً شريعاً فيه من بني دارم هؤلاء الاءاء الكرام . (٣) الْفَعَالُ : الافعال والاخلاق الكريمة . (٤) يعني أَن بيته في الوهن كبيت العنكبوت . ثم يقول : ان الكتاب المنزل قضى عليه بالوهن والذل . وقوله : به : اي بالوهن دل عليه نسج العنكبوت . (٥) بدخت : علوت . سُفْيَانٌ وَعُدُسُ وجندل كلهم من دارم . الْفَعَالُ : كرم الأفعال والاخلاق . (٦) حصاهم : عددهم . (٧) خُلِّلُ الْمُلُوكِ : ثيابهم . السابغات : الدروع الطويلة التامة . الوغى : الحرب . نَسْرَبِلُ : نللس . (٨) الاحلام : العقول . رزانة : ثقلاً ووقاراً . اذا ما نجهل : اي اذا حملنا على الجهل كما قال ابن كلثوم : « ونجهل فوق جهل الجاهليتنا » . (٩) تهلان : اسم جبل . الهضبات :

وَأَنَا ابْنُ حَنْظَلَةَ الْأَعْرَ ، وَإِنِّي
 فَرَعَانٌ قَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ ذُرَاهُمَا ،
 فَلَيْتَنِي فَحَرْتُ بِهِمْ ، كَيْمَلُ قَدِيمِهِمْ ،
 زَيْدُ الْفَوَارِسِ ، وَابْنُ زَيْدٍ مِنْهُمْ ،
 إِنَّ ابْنَ ضَبَّةَ لَهْوٌ أَكْرَمُ وَالِدَاءُ ،
 مِمَّنْ يَكُونُ بَنُو كَلَيْبٍ رَهْطُهُ ،
 وَهُمْ عَلَى فَلَكَ الْأَمِيلُ تَدَارَكُوا ،
 وَهُمْ الَّذِينَ عَلَوْا عُمَارَةَ ضَرْبَةَ ،
 يَا ابْنَ الْمَرَاغَةِ أَيْنَ خَالِكَ ، إِنِّي
 فِي آلِ ضَبَّةَ الْمُعِمْ الْمُخُولُ ،^(١)
 وَإِلَيْهِمَا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَلُ^(٢)
 أَعْلُو الْخَزُونِ بِهِ ، وَلَا أَسْهَلُ^(٣)
 وَأَبُو قَيْصَةَ ، وَالرَّئِيسُ الْأَوَّلُ^(٤)
 وَأَتَمُّ فِي حَسَبِ الْكِرَامِ ، وَأَطْوَلُ^(٥)
 أَوْ مَنْ يَكُونُ إِلَيْهِمْ يَتَحَوَّلُ^(٦) ،
 نَعْمَا ، يُسَلُّ إِلَى الرَّئِيسِ وَيُعْكَلُ^(٧) ،
 فَوْهَاءُ ، فَوْقَ سُوءِنِهِ ، لَا تُوصَلُ^(٨)
 خَالِي حَيْشُ ذُو الْقَعَالِ ، الْأَفْضَلُ^(٩) ،

الجبال الصغيرة . يتحلل : يتحرك . فادفع : الفاء رابطة لجواب اذا في قوله : واذا بذخت .
 يقول : اذا علوت فحق لي وقومي هم من عرفت وبقي راسخ كالجلجل فاذا اردت ان ترعزعه
 فكأنك تدفع بكفك ثهلان ذا الحضبات وهل يتحرك ثهلان اذا دفعته بيدك ؟

(١) بنوضبة : احوال الفرزدق وامه لينة بنت قرظة من ضبة . الثعم : الكرم
 الاعمام . المخول : الكرم الاخوال . وحنظلة : هو جد دادم . يقول : انه كرم
 الاعمام في حنظلة ، وكرم الاخوال في ضبة . (٢) فرعان : غصنان عاليان . الذري : جمع
 الذروة وهي اعلى الشيء . يعقل : يلجأ . (٣) قديمهم : اي حسيهم القديم . الخزون :
 جمع الخزن خلاف السهل وهو ما غلظ من الارض . اسهل : اسير في السهل . يقول : انه
 يجابه بحسيهم اعظم الاحساب ولا يخجل بصغارها . (٤) زيد الفوارس : هو زيد بن حصين بن
 ضرار ، وابن زيد هو الحصين . وابو قبيصة : هو ضرار بن عمرو بن زيد بن الحصين .
 الرئيس الاول : محمّد بن سويط من ضبة . (٥) يقول هو اكرم والداً ممن يكون . . .
 في البيت بعد . (٦) بنو كليب : قوم جرير . رهطه : اهله . يتحول : اي يدعيهم اخوالاً
 (٧) فلك الاميل : يوم لضبة على شيبان . والاميل : رمل يعرض ويستطيل مسيرة يوم او
 يومين . الثعم : الايل والشاء . يسَلُّ : يطرد . يعكَلُ : يردّ ويحبس . يقول : انضم
 تداركوا الابل فاستنقذوها وردوها الى الرئيس . (٨) عمارة بن زياد العبسي قتله ابن المثلّم
 وهو رجل من ضبة . فوهاء : اي ذات فم واسع . الشؤون : جمع الشان وهو موصل قبائل
 الرأس وملقاهها ، وقبائل الرأس : القطع المجموع بعضها من بعض . لا توصل : لا تلام .
 يقول : ضربوه على رأسه ضربة واسعة المنقرة لا تقبل الالتئام . (٩) ابن المراغة : لقب

خَالِي الَّذِي غَصَبَ الْمُلُوكَ نَفْسَهُمْ ، وَإِلَيْهِ كَانَ حَبَاءُ جَفَنَةِ يُنْقَلُ ^(١)

واليك افتخاره بشاعريته بعد ان افتخر باعمامه واخواله ، وهو يتخذ دائما من فخره وسيلة لتعظيم جرير وهجوه :

وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ إِذَا مَضَوْا ، وَأَبُو يَزِيدَ ، وَذُو الْقُرُوحِ ، وَجَرُولُ ^(٢)
وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ ، وَهَنْ قَتْلَنَهُ ، وَمُهَلِّهُ الشُّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ ^(٣)
وَالْأَعَشِيَانِ كِلَاهُمَا وَمُرْقَشُ ، وَأَخُو قُضَاعَةَ ، قَوْلُهُ يُتَمَثَّلُ ^(٤)
دَفَعُوا إِلَيَّ كِتَابَهُنَّ وَرَأَتْهُ ، فَوَرَّثَهُنَّ كَأَنَّهُنَّ الْجَنْدَلُ ^(٥)
فِيهِنَّ شَارَكَنِي الْمُسَاوِرُ بَعْدَهُمْ ، وَأَخُو هَوَازِنَ ، وَالشَّامِي الْأَخْطَلُ ^(٦)
إِنَّ أَسْتَرَا قَكَ يَا جَرِيرُ قَصَائِدِي ، مِثْلَ آدِعَاءِ سِوَى أَبِيكَ ، تَنْقُلُ ^(٧)
وَأَبْنُ الْمَرَاغَةِ يَدْعِي مِنْ دَارِمٍ ، وَالْعَبْدُ غَيْرَ أَبِيهِ قَدْ يَتَنَحَّلُ ^(٨)
لَيْسَ الْكِرَامُ بِنَا حَلِيكَ أَبَاهُمْ ، حَتَّى تُرَدَّ إِلَى عَطِيَّةٍ تُعْتَلُ ^(٩)

جرير لقبه به الفرزدق والاختل . والمرافة : مكان تمرغ الدابة ، فكان أمه ولدته في مراغة الدواب . حُبَيْش : هو ابن دُلْف الضبي .

(١) خاله امر عمرو بن الحرث بن جفنة النسائي واشترط ان يبعث اليه كل سنة بحباء حتى يموت ، والحباء : العطاء : العطاء . (٢) النوابع : النابغة الذبياني ، والنابغة الجعدي ، والنابغة الشيباني . ابو يزيد : النخبل الشاعر . ذو القروح : امرؤ القيس . جرول : الخطيئة . (٣) اخو بني قيس : طرفة . وهن قتلنه : اي القوافي . (٤) الاعشيان : أعشى قيس وأعشى باهلة . اخو قضاة : ابو الطمّحان القيني . قوله يتمثل : اي يستشهد به ويضرب مثلاً . (٥) دفعوا الي كتابهن : أي كتاب القوافي ، والمراد أوصوا الي بالقوافي . الجندل : الحجارة . يقول : ان قصائده متينة صلبة كالخجارة . (٦) فيهن : اي في القوافي . المساور : ابن هند بن قيس بن زهير العبسي . بعدم : اي بعد الشعراء الذين اوصوا له بالقوافي . اخو هوازن : الراعي . (٧) الاستراق : السرقة . التنقل : اكل النمل وهو ما يؤكل على الشراب من فستق وتقاخ وبجوها . يقول : ان جريراً يتنقل بسرقة قصائده كتنقله بالادعاء الى غير أبيه . (٨) يتنحله : ينسبه اليه . (٩) عطية : والد جرير . تعتل : تُساق قسراً . يقول : انت تنتسب الى غير ابيك والكرام لا ينسبونك اليهم بل يشكرونك حتى تردّ الى ابيك عطية وانت تساق اليه قسراً .

وقد يفراط الفرزدق في الفخر كما يفراط في الهجاء فيقول :

تَرَى النَّاسَ مَا سِيرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا ، وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا ^(١)

إِنَّ السَّمَاءَ ، لَنَا عَلَيْكَ نُجُومَهَا ، وَالشَّمْسُ مُشْرِقَةً ، وَكُلُّ هِلَالٍ

ومن افراطه في الهجو :

وَلَوْ تَرَمَى بِلُؤْمِ بَنِي كَلْبٍ ، نُجُومُ اللَّيْلِ ، مَا وَضَعْتَ لِسَارٍ ^(٢)

وَلَوْ لَيْسَ أَتْهَارُ بَنِي كَلْبٍ ، لَدَسَّ لَوْمُهُمْ وَضَحَ النَّهَارِ ^(٣)

وَمَا يَغْدُو عَزِيزُ بَنِي كَلْبٍ ، لِيَطْلُبَ حَاجَةً إِلَّا بِجَارٍ ^(٤)

واذا رأيت الفرزدق يفتخر بقوله :

وَلَا نَقْتُلُ الْآسْرَى ، وَلَكِنْ نَفَكُّهُمْ ، أَذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْعَارِمِ

فلا تتوهم انه يؤثر الرحمة على الظلم ، ولكنه اراد الرد على من عيره الجبن فلم يجد غير هذا السبيل . وربما افتخر بالظلم فقال :

إِذَا مُضِرُّ أَحْمَرَآ حَوْلِي ، تَعَطَّتْ عَلَيَّ ، وَقَدْ ذَقَّ اللَّجَامُ شَكِيمِي ^(٥)

(١) ما سیرنا : مدة سیرنا . وَقَفُوا : اي وقفوا ركابهم . (٢) الساري : السائر ليلاً .

(٣) الوضع : بياض الصبح والضوء . (٤) يقول : لا يسير عزيزهم في طلب حاجة الا معه جار يحميه فما قولك في ذلهم . (٥) مُضِرُّ الحمراء : هو احد اولاد تزار بن معد بن عدنان اختلف مع اخوته ربيعة وإياد وأغار على تركه ايهم فتجاكموا الى الافعى الجرهمي فاعطى ربيعة الخيل فقيل له ربيعة الفرس ، واعطى مُضِرُّ الذهب فقيل له مضر الحمراء ، واعطى إياداً الجوارى والامته المختلفة فقيل له إياد الشمطاء ، واعطى أغاراً الحمير والمواشي فقيل له أغار الحمار . تعطفت : مالت اليّ واحاطت بي . الشكيم : جمع الشكيمة وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس . واللجام يشتمل عليها وعلى السير . وقوله : ذق اللجام شكيمي : أي دقها بغمه اي وقعها عليه ليرسل في الرهان . شبه نفسه بالجواد . ويصح ان تروى ذق اللجام شكيمي فتكون ذق بمعنى كسر . اي ان شكيمته تقوتها كسرت لجأها فاصبح مطلقاً لا شيء يكبح جماحه .

أَبَتْ أَنْ أَسُومَ النَّاسَ إِلَّا ظَلَامَةً ، وَكُنْتُ ابْنُ مِرْغَامِ الْعَدُوِّ ظُلُومٌ ^(١)

ولا يقتصر الفرزدق في هجاء جوير على الدفاع عن بني دارم ، بل يدافع أيضاً عن تغلب قبيلة حليفه الاخطل ، ويفاخر بهم جويراً وقومه ، كما فاخر الاخطل ببني دارم ودافع عنهم :

لَوْلَا فَوَارِسُ تَغْلِبَ ابْنَةُ وَاثِلٍ ، نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكَانٍ ^(٢)

حَبَسُوا ابْنَ قَيْصَرَ ، وَابْتَنَوْا بِرِمَاحِهِمْ ، يَوْمَ الْكَلَابِ كَأَفْضَلِ الْبَنِيَانِ ^(٣)

قَوْمٌ هُمْ قَتَلُوا ابْنَ هَنْدٍ عَنُودَ ، عَمْرًا ، وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى الثُّغَمَانِ ^(٤)

إِنْ الْأَرَاقِمَ ، لَنْ يَنَالَ قَدِيمَهَا كَلْبٌ عَوَى ، مُتَهْتَمُ الْأَسْنَانِ ^(٥)

فعلى هذا النحو كان الفرزدق يهجو جويراً ويقتنخو عليه ، ويمزق عرضه واعراض بني كليب اجمعين ، ذاكراً سوءاتهم ، فاضحاً نساءهم معدداً انكساراتهم . وله في ذلك اسلوب خاص لا يتعداه ، فهو لا يستطيع ان ينكرو ان كليياً من تميم وانهم ابنا عمه على الرغم منه ، ولكنه يجعلهم اذل بني تميم واحقرهم ، واخسهم واجبنهم ثم يجعلهم يتناولون الى دارم ويتنحلون نسبها ، ودارم تربنهم ^(٦) عنها . وهو اذا افتخر بياوم بني تميم جعل الفضل فيها لبني دارم ، واذا ذكر ما عليها من الايام حصر مخازيها ببني كليب . فوهط جوير عند الفرزدق اعجز من ان يطاولوا دارماً وهو القائل :

أُولَاسِكَ آبَائِي فَجِئْتِي بِمِثْلِهِمْ ، إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَوِيرُ الْجَمَاعُ

(١) أسوم : اكلف . الظلامه : ما يتظلمه الرجل . مرغام : للمبالغة من رغبة : اذله . (٢) يقال : تغلب ابنة واثل باعادة الصفة على القبيلة ، وتغلب بن واثل باعادتها على الأب . يقول : ان العدو كان يتزل في كل مكان تنزل فيه او تهرب اليه . يشير الى يوم ساتيدما بين كسرى والروم وكان كسرى وجه اياس بن قبيصة لقتال الروم فهزمهم بساتيدما ولا يبعد ان يكون بنو تغلب أعانوا اياساً في هذه الواقعة لان ساتيدما جبل في ديارهم . والمعنى ان تغلب ردوا جيوش قيصر عن اكتساح بلاد العرب . (٣) حبسوه : اي ردوه على ان يبلغكم . وابتنوا : بنوا شرفاً . الكلاب : ماء لبني تميم وفيه كان يوم الكلاب وهو لتغلب على تميم . (٤) عمرو بن هند ملك العراق قاتله عمرو بن كلثوم التغلبي . عنود : اقتداراً . قسطوا : جاروا . وقوله : على النعمان : يشير الى مقتل المنذر بن النعمان ابي قابوس وقاتله مرة اخو عمرو بن كلثوم . (٥) الاراقم : حي من تغلب . قديمها : حسبها القديم . متهم : منكسر أي هزم فذهبت اسنانه . (٦) تربنهم : تدفعهم .

أُولَئِكَ أَهْلَاسِي فَجِئْتِي بِمِثْلِهِمْ ، وَأَعْبَدُ أَنْ أَهْجُو كَلْبِيَّ بَدَارِمَ ^(١)

.....

وَأَنْتَ إِنْ تَسْعَى لِثَدْرِكَ دَارِمًا ، لَأَنْتَ الْمُعْنَى يَا جَرِيرُ الْمُكَلَّفُ ^(٢)

.....

إِذَا قِيلَ : أَيُّ النَّاسِ شَرُّ قَبِيلَةٍ ؟ أَشَارَتَ كَلْبِيَّ بِالْأَكْفِ الْأَصَابِعِ ^(٣)

.....

فَإِنَّكَ كَلْبٌ ، مِنْ كَلْبٍ لِكَلْبَةٍ ، غَذَتْكَ كَلْبٌ ، فِي خَيْثِ الْمَطَاعِمِ .
وهو على عنايته بهجو كليب لا يعف عن قيس عيلان بل يهجوهم هجاء خبيثاً
وينفرو عليهم التغليبين :

وَمَا لَقِيتَ قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ وَقَعَةً ، وَلَا حَرَّ يَوْمٍ ، مِثْلَ يَوْمِ الْأَرَاقِمِ ^(٤)
ويندد بهم لمناصرتهم ابن الزبير على بني أمية ، ويعيروهم انكساراتهم ويشتم
جريراً معهم لانه كان يدافع عنهم :

تُعِيرُنَا أَيَّامَ قَيْسٍ ، وَلَمْ نَدْعُ لِعَيْلَانَ أَنْفًا ، مُسْتَقِيمَ الْحَيَاشِمِ ^(٥)

.....

وَأَقْبَيْتَ مِنْ كَفِّكَ حَبْلَ جَمَاعَةٍ ، وَطَاعَةَ مَهْدِيٍّ ، شَدِيدِ النِّقَائِمِ ^(٦)

.....

- (١) الاحلاس : جمع الحلاس وهو الكبير من الناس والكفؤ . أعبد : آف . وقوله :
اهجو بالتسكين للضرورة . (٢) المعنى : المتعب ، من عناء الامر اذا انصبه . المكلف :
اي المكلف ما لا تستطيع . (٣) اشارت كليباً : نصب على تزعم الحافض اي اشارت الى
كليب ، وتروى : اشارت كليبٌ : اي هذه كليب . وقوله بالاكف الاصابع : على القلب
اي الاكف بالاصابع . (٤) يقول : لم تلق قيس حرباً احمى وطيساً من حرب الاراقم .
(٥) الحياشم : جمع الحيشوم وهو من الانف ما فوق نخرته من القصبية : وما تحتها من خشارم
الرأس ، ونخرة الانف : مقدمته او ارنبته ، والقصبية : عظم الانف ، وخشارم الرأس : مارق
من غراضيف الحيشوم أي من العظم الرخص . وقوله : مستقيم الحياشم : اي انوفاً مرفوعة .
يقول جرير : تركنا قيس عيلان اذلاء مجدعي الانوف فما بالك تميرنا ايامهم (٦) المهدي :

يَلُودُونَ مِنِّي بِالْمَرَاغَةِ وَأَبْنَاهَا ، وَمَا مِنْهَا مِنِّي لَقَيْسٍ بِعَاصِمٍ (١)

صدم

عرفنا ان الفرزدق كان يشايح آل البيت وان الامويين كانوا يعرفون ذلك فيه ، فلم يحظ عندهم كما حظي الاخطل النصراني ، ولكنه مدحهم واجازوه على مدحه . ونستدل من شعره انه اخذ يتصل بهم في خلافة الوليد بن عبد الملك ؛ اذ ليس له في ابيه ما يستحق الذكر . على ان مدحه لهم لم يكن الا تكلفاً ، وسنجد اثر هذا التكلف في شعره الذي مدحهم به اذا قابلناه بشعره الذي مدح به آل البيت . فهو في مدح الامويين متكسب يستجدي او راهب يستعطف ، وفي مدح آل البيت عاطفي بحت ينطق عما في نفسه من هوى . فنحن لانستطيع ان نصدق شاعراً يتشيع لعلي وابنائهم ، حين نسمعه يخاطب الوليد بن عبد الملك :

أَمَّا الْوَلِيدُ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْزَعُهُ ، يَعْلِمُهُ فِيهِ ، مُلْكًا ثَابِتَ الدِّعَمِ ،^(٢)
خِلَافَةً لَمْ تَكُنْ غَضَبًا مَشُورَتُهَا ، أَرَسَى قَوَاعِدَهَا الرَّحْمَنُ ذُو النِّعَمِ ،^(٣)
كَانَتْ لِعُثْمَانَ لَمْ يَظْلِمْ خِلَافَتُهَا ، فَأَنْتَ هَكَ النَّاسُ مِنْهُ أَعْظَمَ الْحَرَمِ^(٤)

أفصح لنا ان نحسب الفرزدق مخلصاً في هذا المدح ، صادقاً في جملة الخلافة حقاً من الله لبني أمية ، وفي قوله انهم اخذوها شورى لا غضباً ، وان مقتل عثمان ابن عفان اعطاهم هذا الحق الموروث ؟ وقد علمنا ان اصحاب آل البيت ينكرون على الامويين هذه الدعوى ، ولا يرون احداً احق بالخلافه من ابناء بنت

يريد به الخليفة الاموي : النقايم : النقبات . يقول : خرجت على الجماعة في دفاعك عن قيس عيلان وقد ناصرت ابن الزبير وعصيت خليفة شديد النقبات .

(١) يلودون : يهتمون . المراغة : لقب أم جرير . وابنها : اي جرير . عاصم : مانع . يقول : لجأت قيس عيلان الى المراغة وابنها جرير محتمية بهما ولكن ابن المراغة وامه لا يمتنعان قيساً مني . (٢) الدعم : جمع الدعمة وهي عماد البيت يسند اليه ويستمسك به وقوله : بعلمه فيه : اي لما يعلم فيه من الحق . (٣) خلافة : بدل من قوله مُلْكًا . يقول : ان بني أمية اخذوها بالشورى ولم يأخذوها غضباً . (٤) انتك الحرمة : تناولها لا يحل . الحرمة : جمع الحرمة وهي ما لا يحل انتهاكه ، والذمة ، والمهابة .

الرسول . والفردق نفسه كان يأبى احياناً ان يدح الامويين على ما فيه من ميل الى التكسب ، وقد اوردنا خبره مع سليمان بن عبد الملك . ورأيناه في مكان آخر لا يحجم عن التعريض بهشام بن عبد الملك وهو حاضر لانكاره زين العابدين . ثم رأيناه يهجو هشاماً بعد ان حبسه ، فيقول فيه :

يُقَلَّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيْدٍ ، وَعَيْنٌ لَهُ حَوْلَاءُ بَادٍ عُيُوبُهَا

ولكنه لم يستنكف عن مدحه لما تبوأ سدة الخلافة ، فقصده اليه في الرصافة ^(١) وانشده قصيدة يقول فيها :

أَقُولُ لِنَاقَتِي لَمَّا تَرَامَتْ بِنَا يَبِيدُ ، مُسْرِبَلَةٌ أَلْقَتَامِ : ^(٢)

أَغِيثِي مَنْ وَرَاءَكَ ، مِنْ رَبِيعِ أَمَامِكَ ، مُرْسَلٌ بِيَدِي هِشَامِ ^(٣)

إِلَامَ تَلَفَتَيْنِ وَأَنْتِ تَخْتِي ، وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَمَامِي ^(٤)

مَتَى تَرِدِي الرُّصَافَةَ ، تَسْتَرِيحِي ، مِنْ التَّهْجِيرِ ، وَالذَّبْرِ الدَّوَامِي ^(٥)

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكُمْ نَعِشْنَا ، وَجَدَّ حَبَالُ آصَارِ الْأَثَامِ ^(٦)

رَأَاكَ اللَّهُ أُولَى النَّاسِ طَرًّا ، بِأَعْوَادِ الْخِلَافَةِ ، وَالسَّلَامِ ^(٧)

افيمكن ان يخلص الفردق في مدحه لهشام ويصدق في زعمه انه اولى الناس بالخلافة وهو القائل فيه : « تَبَيَّنَ فِيهِ الشُّؤْمُ وَهُوَ غُلَامٌ ؟ » وحسبك ان تقابل قوله في هشام بقوله في زين العابدين لترى الفرق بينهما ، وتعلم ان الشاعر لم يدح

(١) الرصافة : مدينة في البرية بقرب الرقة احدثها او جدّد بناءها هشام بن عبد الملك لما وقع الطاعون بالشام ، ولما مات هشام دفن فيها . (٢) البعيد : جمع البسداء وهي القلاة . مسربة : لابسة . القام : السواد والظلام . يقول : انه كان يسير في الظلام . (٣) أغيثي : اطلي الغيث لمن وراءك من امامك . يقول : ربيع امامك ، ويريد به الغيث ، وذلك اذ ربيع مرسل بيدي هشام . وأراد بالغيث والربيع خير هشام ونداه . (٤) إلام تلتفتين : أي خوفاً . (٥) التهجير : السير في شدة الحر . الذبر : جمع الذبرة وهي الفرحة في الدابة . الدوامي : جمع الدامية وهي التي يخرج منها الدم . (٦) جدّ : قطع . آصار : انقال ، الواحد أضر . الأثام : الإثم . (٧) بأعواد الخلافة : أي بأريكتها . وقوله : والسلام : أي انت اولى بأن يسلم عليك بالخلافة .

هشاماً الا خائفاً ، او مستجدياً يستمطر الربيع لعياله ، فكان شعره متكلفاً خالياً من العاطفة . وانه لم يدح زين العابدين الا مشغولاً بمناقبه ومناقب آلِه ، فجاء شعره عاطفياً صرفاً لا اثر للتكلف عليه . وأتى يكون التكلف في قصيدة جاش بها صدر الشاعر فقدذفها بيتاً إثر بيت ، والتأثر النفسي عليك عليه . فلا تعجب لها ان تكون بنت العاطفة المجردة بل أعجب بها غرة من غور الشعر العربي اذ يقول :

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَأَّتَهُ ، هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كَلِمِهِمْ ، هَذَا ابْنُ فَاطِمَةٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ ، وَلَيْسَ قَوْلُكَ : « مَنْ هَذَا ؟ » بِضَائِرِهِ ، كَلِمَتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا ، سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ ، حَمَالُ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا فُدِحُوا ، مَا قَالَ : لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهِيدِهِ ،	وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ ، وَالْجِلُّ وَالْحَرَمُ ^(١) ، هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ ، الطَّاهِرُ الْعَلَمُ ^(٢) ، يَجِدُهُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ ، وَالْعَجَمُ ^(٣) ، يُسْتَوُ كِفَانٍ ، وَلَا يَعْرِوهُمَا عَدَمُ ^(٤) ، يَزِينُهُ أَثْنَانِ : حُسْنُ الْخَلْقِ ، وَالشِّيمُ ^(٥) ، حُلُوُ الشَّمَائِلِ تَحُلُو عِنْدَهُ نَعَمُ ^(٦) ، لَوْلَا التَّشْهَدُ كَانَتْ لَاءَهُ نَعَمُ ^(٧) ،
--	--

(١) البطحاء : الارض المنبطحه التي في وسطها مكة . الوطأة : موضع القدم . البيت : اي البيت الحرام . الحِل : ماسوى الحرم من بلاد الله . الحرم : ما احاط بمكة من الارض الى خط معلوم . يقول : ان الممدوح تعرفه اهل الدنيا قاطبة . (٢) العلم : السيد . (٣) الضائر : المضر . (٤) الغياث : العون والغيث . يستوكفان : يستقبران . يعروهما : يصيبهما . المدم : الفقر وفقدان الشيء . (٥) الخليفة : الطبع . البوادر : جمع البادرة وهي ما يبدو من الانسان عند الغضب . يقول : هو حليم لا يخشى غضبه . حسن الخلق : اي حسن الشكل . الشيم : الاخلاق مفردا شيمه . (٦) فدحوا : تزلت بهم فادحة اي مصيبة . الشائل : الخصال . يقول : هو يحمل اثقال الناس اذا تزلت بهم المصائب ، ويلذ له ان يقول : نعم اي ان يجيب بالاجاب من يسأله المعونة . (٧) التشهد : ان يتلو المسلم شهادته فيقول : « أشهد ان لا اله الا الله » يقول : ان زين العابدين لا يرد سائلاً ، ولا يعرف ان يقول : لا الا حينما يتلو شهادته . وقوله : كانت لاءه نعم : من القلب فهو يريد : كانت لاءه نعماً .

عَمَّ الْبَرِّيَّةَ بِالْإِحْسَانِ ، فَأَنْقَشَتْ
 إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا :
 يُغْضِي حَيَاءً ، وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ ،
 يَكَادُ يُمَسِّكُهُ ، عِرْفَانُ رَاحَتِهِ ،
 اللَّهُ شَرَفُهُ قَدَمًا ، وَعَظَمُهُ ،
 مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعُهُ ،
 مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ ، وَبُغْضُهُمْ
 مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرُهُمْ ،
 إِنْ عُدَّ أَهْلُ الثَّقَى كَانُوا أَثَمَّتُهُمْ ،
 أَوْ قِيلَ : « مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ ؟ » قِيلَ : « هُمْ أ » (١)

(١) البريَّة : الخليقة . انقشعت : انكشفت . الفياهب : الظلمات . الاملاق : الفقر .
 العدم : فقدان الشيء والفقر . (٢) يقول : نفر له قريش بالكرم . وقريش أكرم العرب .
 (٣) يغضي : يخفض بصره . يقول : انه يغضي بصره من الحياء وهو مع ذلك عظيم الهيبة فلا
 يرفع الناس اليه ابصارهم ولا يقدمون على محادثته الا اذا ابتهم لهم تنشيطاً وابتساحاً . (٤) الراحة :
 الكف . الركن : الجانب . الخطيم : حجر الكعبة او جداره . يستلم الحجر . يلمسه
 اما بالتقبيل او باليد . يقول : ان حجر الكعبة يعرف كف زين العابدين فيكاد يمسه
 أي يحبسه عنده شغفاً به ، اذا ما جاء يستلمه . نصب عرفان على انه مفعول لاجله . ومنهم من
 يروي البيت :

يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ ، رُكْنُ الْخَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

اي ان راحته تعرف الخطيم فكاد تمسه عنده اذا جاء يستلم ، ولكفنا بفضل الرواية الاولى .
 (٥) قدماً : اي في الزمان القديم . اللوح : اي الكتاب الذي يسطره القضاء والقدر لكل
 انسان ويوجهه الى حد معلوم . والضمير في لوحه عائد على زين العابدين . يقول : كتب
 له هذا التظيم والتشريف في لوحه منذ القديم . وقوله : القلم : اي قلم القضاء والقدر .
 (٦) النبعة : شجرة تصنع منها القسي وهي اجود الشجر . مفارسه : مواضع غرسه . الحيم :
 الطبيعة والسجية . يقول : ان شجرته من اصل شجرة النبي وقد طابت مفارسه وطابت سجيته
 واخلاقه . (٧) من معشر : من قوم ، الجار متعلق بمشتقة اي مشتقة من رسول الله من معشر .
 مُعْتَصِمٌ : ملتجئاً . (٨) اي ان المسلم يحمده الله في بدء كلامه وختامه ثم يصلي ويسلم على النبي وآله .
 فلذلك قال : ذكرهم بعد ذكر الله . (٩) أئمة : جمع إمام وهو من يؤتم به اي يقتدى به .

ونعتقد أنك تنبئت لجمال التعريف باسم الإشارة وما في قوله : « هذا » من تعظيم وتكبير ، وما في تكرار تلك اللفظة من وقع حسن ملؤه تلذذ وتيمن واجلال . ورأيت اختلاف اسلوب الشاعر في هذه القصيدة عن اسلوبه في مدح هشام ، فهو لا يسأل زين العابدين ولا يستجديه ، ولكنه يث عاطفة متقدمة بحب آل البيت ، عاطفة نفس تؤمن بكرامتهم وترجو بهم الثواب في الآخرة .

وإذا علمت ان زين العابدين ارسل الى الفرزدق اربعة آلاف درهم لما بلقته القصيدة ، فردها الفرزدق عليه وقال له : « انما مدحتك بما انت اهله » ، اذا علمت ذلك تبين لك صدق الفرزدق واخلاصه في مدحه ابناء بنت الرسول .

وقد شك بعضهم في زعم الرواة ان هذه القصيدة قيلت ارتجالاً ، ولكننا لا نرى وجهاً للشك يصح الاعتماد عليه ، ولا سيما ان ادلة الارتجال متوافرة . فالقصيدة قصيرة لا تبلغ الثلاثين بيتاً ، وفيها من الايطاء ^(١) شيء كثير مما يدل على انها لم تُعكَك في النظم بل جاءت عفواً خاطراً . وليس بعجيب ان يرتجلها شاعر في صدر الاسلام كالفرزدق ، له من ملكته الشعرية وبلاغته ، وصفاء ذهنه ما يهون عليه الارتجال ، وخصوصاً في موقف كان التأثير على العاطفة ، والعاطفة تكتب .

غزله

لم يكن الفرزدق على تعهره ممن يحسنون الغزل والتشبيب بالنساء ، فاذا نسب جاء قوله غليظاً جافياً لا يرتاح اليه النفوس . وكان يشعر بتصلب عاطفته وخشونة تشبيهه فيقول : « ما اخرج جريراً مع عفته الى صلابة شعري ، وما احوجني الى رقة شعره مع شدة فسقي . »

وقد يخرج في غزله الى المعاني الوحشية السمجة التي تنبؤ عنها الاذواق كقوله :

فَيَا لَيْتَنَا كُنَّا بَعِيرَيْنِ ، لَا نُزَى عَلَى مَنَهْلٍ ، إِلَّا نُشَلُّ وَنُقَذَّفُ ، ^(٢)

(١) الإيطاء : تكرار القافية بلفظها ومعناها ، وهو مستكره يدل على قصر يد الناظم ، وجوزوا تكرير القافية لفظاً ومعنى فيما زاد على سبعة أبيات لانهم يعدون كل سبعة أبيات قصيدة .

(٢) بعيرين : جمالين . المنهل : مورد الماء . نُشَلُّ : نُطْرَدُ : نُقَذَّفُ : نرمى بالحجارة .

كِلَانًا بِهِ عَرٌّ ، يُخَافُ قِرَافُهُ ، عَلَى النَّاسِ ، مَطْلِي الْمَسَاعِرِ ، أَخْشَفُ ^(١)

وتجد في ديوانه قصيدة من القصص الغرامي ، يروي فيها خبر زيارة ليلية هي
اشبه بزيارة ابن ابي ربيعة او زيارة امرى القيس ، ولكنه يقصر عنها في السرد
والحوار ، ولا يجاريها في الرقة ولطف التعبير . فمنها قوله :

فَمَا زِلْتُ حَتَّى أَصْعَدْتُ حَبَالَهَا إِنِّهَا ، وَلِيْلِي قَدْ تَحَامَصَ آخِرُهُ ^(٢)

فاذا بلغ اليها لا يسمعك حواراً بينهما كما اسمعك الملك الضليل وفنى قويس .
بل يلتقيها صامتة ما تنبس ببنت شفة . فيصف مجلسه بابيات ثلاثة ، ثم يقول
ذاكراً تخوفه الرجوع :

أُحَاذِرُ بَوَابِينَ قَدْ وَكَلَا بِهَا ، وَأَسْمَرَ مِنْ سَاجٍ تَنْطُ مَسَامِرُهُ ^(٣)

وهنا يسألها : « وكيف النزول ؟ » فتجيبه مظهرة له المصاعب التي تكتنفه ، فيطلب
اليها ان تُدَلِّيَهُ بِالْحَبَالِ كما اصعدته . فتفعل وتساعدنا على اتزاله رفيقة لها :

فَقُلْتُ : « أَقْعُدَا ، إِنَّ الْقِيَامَ مَزَلَّةٌ ، وَشُدًّا مَعًا بِالْحَبْلِ ، إِنِّي مُخَاصِرُهُ » ^(٤)
إِذَا قُلْتُ : « قَدْ نِلْتُ الْبَلَاطَ » ، تَذْبَذَبْتُ حَبَالِي فِي نَيْقٍ مَخُوفٍ مَخَاصِرُهُ ^(٥)
فَلَمَّا اسْتَوَتْ رَجُلَايَ فِي الْأَرْضِ ، قَالَتَا : « أَحْيِ يُرْجَى أَمْ قَتِيلٌ نُحَاذِرُهُ ؟ » ^(٦)
فَقُلْتُ : « أَرْفَعَا الْأَسْبَابَ لَا يَشْعُرُوا بِنَاءِ » ، وَكَلَيْتُ فِي أَعْجَازٍ لَيْلٍ أَبَادِرُهُ ^(٧)

(١) العَرَّ : الجرب . قِرَافُهُ : مخالطته . المساعر : اصول الفخذين والابطين . اخشف .
يابس الجلد من الجرب . يقول : ليتني ومن احبها بهيران جريبان يُخَشَى عَلَى النَّاسِ مَخَالَطَتُهُمَا ،
فاذا وردا المناهل طردا وقدفا بالحجارة ، وهما لشدة جرحهما يبس جلدهما وعليت مساعرها
بالقطران . والمراد انه يتعنى الانفراد بحبيبه عن العالم فاشتتهى لها وله هذه الشهوة المحقوقة .
(٢) تحامص الليل : رقت ظلمته عند السحر . (٣) واسمر : صفة لموصوف محذوف وهو
الباب . الساج : الخشب . تَنْطُ : تصوت . مسامر : جمع مسامر . يقول : اذا فتح الباب
يحدث صوتاً . (٤) مزلة : موضع الزلل . مخاصره : اي شاده على خصره . (٥) نلت :
بلغت . البلاط : الارض . تذبذبت : اضطربت . النيق : الجبل والمكان العالي : تخاصره :
مساكه . يقول كما عللت نفسي بالتوصل الى الارض اضطربت الحبال بي في ذلك المكان
العالي الخطر المسالك . (٦) استوت : استقرت . يُرْجَى : اي يؤمل به .
(٧) الاسباب : الحبال . وكليت : رجعت هارباً . اعجاز الليل : اواخره . ابادره :

هَذَا دَأْتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً ، كَمَا أَنْقَضَ بَارُ أَقَمُ الرِّيشِ ، كَالسَّرَةِ (١)
رَأُوهُ

ولم تكن عاطفته في الرثاء. اقلّ تصلياً منها في الغزل ، فقد مات ابوه فراثه ،
فكان في رثائه اياه جافياً . ومات ولداه فأراد رثاءهما فتصلبت عاطفته ، فاخذ يعزي
نفسه بذكر من مات قبلهما من كرام الرجال ، وختم مراثيه بقوله :

فَمَا ابْنَاكَ إِلَّا ابْنُ مَنْ النَّاسِ ، فَأَصْبِرِي ، فَإِنْ يُرْجِعَ الْمَوْتُ حَيْنَ الْعَاتِمِ (٢)
وماتت زوجته ، وكان يُحبها ، فلم يستطع رثاءها فبكتها النوادب بشعر جدير
وقيل له ان يزور قبرها فقال :

وَلَسْتُ ، وَإِنْ عَزَتْ عَلَيَّ ، بِزَائِرٍ تُرَاباً عَلَى مَرْمُوسَةٍ قَدْ تَضَعَضَا (٣)
وَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ ، إِذَا الْمَوْتُ نَالَهُ ، عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، مَنْ تَقَنَّعَا (٤)

فكيف ترجو ان تلين عاطفته ، فيرثي زوجها رثاءً حسناً ، وهو يرى ان المرأة اهون
مفقود على الرجل .

زهد

قد نكون مسرفين اذا وصفنا الغرزدق بالزهد ، وجعلنا لشعره ميزة من
هذه الناحية . فالزهد في حقيقته لم يعرفه الشعر العربي الا في خلافة العباسيين ؛
هذا بصرف النظر عما أضيف الى علي بن ابي طالب من الاشعار الزهدية لان الامام

اسابقه . يقول : انه ولي يسابق الليل في السير مخافة ان يولي الليل قبله فيفتضح امره .
(١) انقضّ الباز على فريسته : سقط عليها . القاتم : الأسود . الكاسر : الذي لا يكسر
جناحيه عند انقضاضه . يشبه نفسه في سقوطه على الارض بالباز الاسود الكاسر ريشه في
الانقضاض . (٢) المآثم جمع المأثم وهو المناحة . يقول للنوار : ان ابنك كسائر الناس
فاصبري ولا تجزعي ، وان النواح في المآثم لن يرجع الموتى الى الحياة . (٣) المرموسة :
المدفونة في الرمس وهو القبر . تضعضع : انتثر عليها وتبدد . (٤) تقنع : لبس القناع .
يقول : أهون فقيد على المرء من اصحابه فقيد يلبس قناع ، ويريد به المرأة . وقوله : اذا
الموت ناله : أي نال المفقود .

علياً لم ينظم الشعر وإنما كان خطيباً ، بليغاً ، وله في الزهد اقوال نثرية مشهورة وليس له في الشعر شيء ثابت .

ولكن الفرزدق على ضعف الخاصة الزهدية في شعره حتى نكاد لا نشعر بها ، هو اول شاعر اسلامي اخذ باهداب هذا الفن فنظم قصيدة يهجو بها ابليس ويتوب الى ربه نادماً على ذنوبه . وهي وان تكن لا تستوعب شروط الشعر الزهدي من ذم الدنيا وملاذها ، وايراد المواعظ والحكم والامثال ، فانها تنضم اليه بما فيها من اقرار بالخطيئة ، وتوبة الى الله ، وخطاب للشيطان لم يسبق اليه . فن قوله فيها :

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي ، فَإِنِّي أَبِين رِتَاجٍ قَائِمٌ وَمَقَامٌ ^(١) ،
عَلَى قَسَمٍ لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا ، وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي سُوءِ كَلَامٍ ^(٢)

ومنها يخاطب ابليس :

أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ سَبْعِينَ حِجَّةً ، فَلَمَّا أَتَيْتَنِي شَيْئِي وَتَمَّ قَامِي ^(٣) ،
فَرَرْتُ إِلَى رَبِّي ، وَأَيَقَنْتُ أَنَّي مُلَاقٍ لَيَّامِ الْمُنُونِ حَمَامِي ^(٤) ،
أَلَا طَالَمَا قَدِ بَيْتٌ يُوضَعُ نَاقِي ، أَبُو الْجَنِّ إِبْلِيسُ بِغَيْرِ خَطَامٍ ^(٥) ،
يُبَشِّرُنِي أَنَّ أَنْ أَمُوتَ ، وَأَنَّهُ سَيُخَلِدُنِي فِي جَنَّةٍ وَسَلَامٍ

ثم يشرع يذكر ابليس اعماله في خداع البشر واغوائهم ، حتى يصل به الى آدم وحواء فيقول :

وَأَدَمُ قَدْ أَخْرَجْتَهُ ، وَهُوَ سَاكِنٌ وَزَوْجَتُهُ ، مِنْ خَيْرِ دَارٍ مُقَامٍ ^(٦)

الريتاج : الباب العظيم ويريد به باب الكعبة . المقام : مقام الكعبة ، وكان الفرزدق حج فعاهد الله بين الباب والمقام أن لا يهجو أحداً . (٢) على قَسَمٍ : الجار متعلق بعاهدت . (٣) حِجَّة : سنة . تم قامي : اي بلغت اجلي وخاتي . (٤) المنون : الدهر . حمامي : موتي . يقول : اني ملاق موتي لما يدور علينا من حوادث الدهر وصروفه . (٥) يوضع ناقتي : يرفعها بالسير . أبو الجن : اي ابو العفاريت كنية ابليس . خطام : زمام . يقول : طالما طارحني ابليس كل مطرح ، واطلق لي زمام شهواتي ، وسار بي في سبل الضلال . (٦) من خير دار مقام : اي من الفردوس .

وَأَقْسَمْتَ يَا إِبْلِيسُ ، أَنْكَ نَاصِحٌ لَهُ وَلَهَا ، إِقْسَامَ غَيْرِ إِثَامٍ ^(١)
 فَظَلًّا يَخِيطَانِ الْوَرَقَ عَلَيْهَا ، بِأَيْدِيهِمَا مِنْ أَكْلِ شَرِّ طَعَامٍ ^(٢)
 وَمَا أَنْتَ يَا إِبْلِيسُ بِالْمَرْءِ أَتَّبِعِي رِضَاهُ ، وَلَا يَقْتَادُنِي بِزِمَامٍ ^(٣)

ويجمل بك ان تنبته لما في تكراره لفظ ابليس من تشفٍ وتحقير ، ولما في قصة آدم وحواء من جمال واليجاز .

واما توبة الفرزدق فغير حورية بالتصديق والاعجاب ، لانه لم يتمسك بها كثيراً بل ارتد عنها بعد حين . ومعاصروه انفسهم لم يتلقوها بالاطمئنان لما يعهدون به من فحش وفجور . فان ابن سلام يحدثنا بان الفرزدق اتى الحسن ^(٤) فقال له « اني قد هجوت ابليس فاسمع » فقال : « لا حاجة لنا بما تقول » قال : « لتسمعن او لأخرجن فأقول ان الحسن ينهى عن هجاء ابليس » فقال الحسن : « اسكت فانك عن لسانه تنطق » .

سرفاته

اشتهر الفرزدق بسرقة الشعر فكان لا يسمع بيتاً عائراً ^(٥) الا قال لصاحبه : « لتتركن هذا البيت لي اولتتركن عرضك » فيتركه له خوفاً من لسانه ، فينتحلّه الفرزدق ويدبجه في شعره . وكان يقول : « خير السرقة ما لا يجب فيه القطع » ^(٦) يعني سرقة الشعر . ويروي لنا صاحب الاغاني : ان الفرزدق مر يوماً بالشمر دَل وهو ينشد قصيدة حتى بلغ الى قوله :

وَمَا بَيْنَ مَنْ لَمْ يُعْطِ سَمْعًا وَطَاعَةً ، وَبَيْنَ تَمِيمٍ غَيْرُ حَزَرٍ الْغَلَاصِمِ ^(٧)

(١) الإثام : الاثم . وقوله : غير إثم : اي غير ذي إثم . يشير الى اغرائه اياها بالاكل من الشجرة المحرمة . (٢) الورق : جمع الورق . يقول : خدعتها فأكلت من الشجرة فظهرا عريانين فاخذ ابليس الورق ليشترها بها . وقوله : من اكل شر طعام : اي من اجل اكله . (٣) يقتادني بزمام : اي يخذلني فانقاد اليه . (٤) الحسن البصري : قاضي البصرة وفقهها . (٥) العائر : السائر بين الناس . (٦) القطع : اي قطع اليد وكان السارق يقطع يده عملاً بالشرع الاسلامي . (٧) الغلاصم : جمع الغلاصمة وهي اللحم بين الرأس والعنق او رأس الخلقوم . يقول : بين تميم ومن يعصيهما حز الاعناق .

فقال : « والله لتتركن هذا البيت او لتتركن عرضك ، » قال : « خذه على كره مني . » فأخذه الفرزدق وهو في إحدى قصائده .

ومرّ بـابن ميّادة وهو يمشي :

لَوْ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ كَانُوا بِرَبْوَةٍ ، وَجِئْتُ بِجَدِّي ظَالِمٍ وَأَبْنِ ظَالِمٍ ،^(١)
لَظَلَّتْ رِقَابُ النَّاسِ خَاضِعَةً لَنَا ، سُجُوداً عَلَى أَقْدَامِنَا بِالْجَمَاجِمِ .

فقال : « اما والله يا ابن الفارسية لَتَدَعَنَّهُ لي او لَأَنْبَشَنَّ امك من قبرها ، » فقال له ابن ميّادة : « خذه لا بارك الله لك فيه » فانتحل الفرزدق البيتين ووضع دارماً مكان ظالم فقال : « وجئت بجدي دارم وابن دارم . »

واخذ للملحمته من جميل بشينه أسير بيت فيها وهو قوله :

تَرَى النَّاسَ مَا سَرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا ، وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ ، وَقَفُوا

مراحمته الكلام

وكان يداخل الكلام ويجوز في شعره ما لا يجوز في غيره . فرويت له ابيات كثيرة خالف فيها القواعد النحوية والبيانية ، فأخذها النحاة وعلماء البيان شواهد في مجوهرتهم . ونقم بعضهم عليه من اجلها وسرّ بها البعض الآخر ولا سيما اصحاب النحو . لانها كانت تشغلهم في تحمل اوجه اعرابها . فمن ذلك قوله يمدح ابراهيم بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا ، أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

والشاهد فيه التعقيد ، وهو ان لا يكون الكلام ظاهر المراد . والمعنى : وما مثله في الناس حيّ يقاربه الا مُمْلَكًا ابو امه ابوه ، اي ابن اخته هشام . فالضمير في أمه يعود على المملّك يعني هشاماً والضمير في ابوه يعود على الممدوح يعني خاله ابراهيم . ففصل بين ابو أمه وهو مبتدأ ؛ وابوه وهو خبر بلفظ اجنبي وهو حي . وكذا فصل بين حي ويقاربه وهو نعته بأجنبي آخر وهو ابوه . وقَدَّم المِثْلُ على المِثْلِي منه ، فهو كما تراه في غاية التعقيد . وكان من حقه ان يقول : وما مثله في الناس

حي يُقاربُه الاممَلَك ابو أمه ابوه . ورفع مملك اشهر لان ما يبطل عملها اذا انتقض خبرها بالآ . وعدم ابطاله لغة حجازية .

وقوله :

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنْ الْمَالِ إِلَّا الْمُسْحَتَا، أَوْ مُجَرَّفُ^(١)

فنصب مسحتاً على انه مفعول لم يدع ، ورفع بعده مجرّف مع انه معطوف عليه . فجعله النحاة خبراً لمبتدأ محذوف . واما ابو عبيدة فانه فسر لم يدع بمعنى لم يثبت ويستقر من الدعة ، فارتفع مسحت ومجرّف بفعلهما . وفي ذلك ما فيه من تعسف وتحل . وللفرزدق شعر كثير من هذا النوع .

مقلداته

قال ابن سلام : وكان الفرزدق اكثرهم بيتاً مقلداً . والمقلد البيت المستغني بنفسه ، المشهور الذي يضرب به المثل . فمن ذلك قوله :

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ ، ضَرْبَنَاهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ الْأَخَادِعُ^(٢)

وقوله :

تَرَى كُلَّ مَظْلُومٍ إِلَيْنَا فِرَارُهُ ، وَيَهْرُبُ مِنَّا جَهْدُهُ كُلُّ ظَالِمٍ

وقوله :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ ، كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِيهِ نَهَارُ^(٣)

وله غير ذلك كثير . ولعلّ مقلداته هي التي جعلت الادباء الاقدمين يشبهونه بزهير بن ابي سلمي .

فصاره وابنداته

وكان الفرزدق يكثر من القصائد القصيرة ويفضلها على الطويلة فسئل يوماً : « ما بال قصارك اكثر من طوالك ؟ » فقال « لاني رأيتها اثبت في الصدور ، وفي

(١) المُسْحَت من المال : المذهب المتلف . مجرّف : اي مجروف ذاهب كله .

(٢) صعر خده : لواه تجبراً . الاخادع : جمع الأخدع وهما اخدعان : عرقان في صفحتي

العنق . يقول : نضربه حتى تستقيم اخدعه ويذهب صعره وكبره . (٣) ينهض في الشباب :

المخالف أجول . « وغلبت الجودة على قصاره ولم تخل طواله من الجميل الرائع .
ومما يجدر ذكره ان الفرزدق كان لا يُعنى كثيراً باختيار مطالعته ، فليس له
ابتداءات تذكر كما لغيره . واكثر ابتداءاته خالية من التصريح ^(١) فكأنه كان
يميل الى التملص من قيود طالما رسف بها الشعراء في ايامه ، وقبله وبعده . وكثيراً
ما تناول موضوعه مدحاً او هجاء دون ان يوطئه بالغزل ١ .

مصرنم

عده ابن سلام في الطبقة الاولى من الاسلاميين وقدمه في الذكر على جوير
والاخطل . وقال : « كان يونس يقدم الفرزدق بغير افراط ، وكان المفضل
يقدمه مقدمة شديدة . » وقال جوير : « الفرزدق نبعة الشعر ^(٢) » وقال ابو عبيدة :
« كان الفرزدق يشبه من شعراء الجاهلية بزهير . » وقال ايضاً : « لولا شعر
الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب . » وقال ابو الفرج الاصفهاني : « والفرزدق مقدم
على الشعراء الاسلاميين هو وجير والاخطل ، ومحلّه في الشعر اكبر من ان يُنَبّه
عليه بقول ، او يُدلّ على مكانه بوصف . اما من كان يميل الى جزالة الشعر وفخامته
وشدة اسره فيقدم الفرزدق ، واما من كان يميل الى اشعار المطبوعين والى الكلام
السمح السهل الغزل فيقدم جويراً . » وقال الفرزدق : « قد علم الناس اني افحل
الشعراء وربما اتت علي الساعة وقلع خرس من اضراسي اهون علي من قول بيت
وقال مالك بن الاخطل : « جوير يغرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر . »
وهذا الحكم يصف لنا ادق وصف صلابة شعر الفرزدق وخشونة الفاظه . وفي
كلام الفرزدق على نفسه ما يعلمنا ان الشعر كان يعصيه احياناً فما ينقاد له الا بعد نصب .
واجهاد النفس في قرض الشعر يحتاج الى النحت ، والشعر المنحوت يكثر فيه التكلف
اللفظي ويقل الطبع . وقد افراط الفرزدق في استعمال الوحشي من الكلام حتى قال
فيه ابو عبيدة : « لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب . » وحفظ لنا شعره كثيراً من
ايام العرب وعاداتهم واخلاقهم ، فقلما تقرأ له نقيضة الا وجدتها حافلة بطائفة من الاخبار .

اي يقوم فيه . كأنه : اي كأن الشباب . (١) التصريح : ان يكون لعروض البيت قافية
كضربه . (٢) النبعة : شجرة من اجود الشجر واصلبه .

ومثله الفرزدق قائمة على نقائضه ، فان مهاجراته لجريز جعلت الناس في صدر الاسلام ينقسمون حزبين : حزباً فوزدياً وآخر جريزياً . وكان كل واحد منهما ، يتعصب لشاعره ويفضله على قومه ، حتى بلغ من احد الفرزدقيين انه عقد جائزة قيمتها ٤٠٠٠ درهم ، وفرس لمن يفضل الفرزدق على جريز .

ومجمل القول ان الفرزدق لم يبلغ شأوا الاخل في المدح ، غير انه اناف عليه وعلى جريز بالفخر ، وثبت لجريز في الهجاء . ولكنه تضائل عنه بالغزل والثناء لتصلب عاطفته . ولم يتصرف مثله في المعاني ، فاذا انت قرأت فخره وهجاءه رأيتـه يحول في دائرة معلومة لا يتعداها الى سواها . ومع ذلك فضله على الشعر لا يقل عن فضل صاحبيه .

(١)

جريز

٧٣٢ م و ١١٤ هـ (٦)

حياته : ولد في بادية البامة . من قم ، ولكن اسرته دون اسرة الفرزدق . ابوه مضموف بنجل . جريز يعق اباه وابنه يعق . فركته زوجته لحشونة عيشه . نظم الشعر صغيراً . صفاته وتدينه : متعفف . لا يشرب الخمر . متعصب للاسلام . محب للخصام . انوف بنج في كلامه . اتصاله بالامويين : وفادته الى يزيد بن معاوية . اتصاله بالهجاج ثم بعبد الملك . لم يحظ حظوة الاخل . جريز وخصومه : هاجي ثلاثة واربعين شاعراً ، ولم يثبت له غير الفرزدق والاخل . كانوا يتحرشون به للشهرة ، فخلدوا باسمه . ماذا قال للهجاج في خصومه . غسان . البغيث . الفرزدق . الاخل . الراعي . ميل جريز الى الشر . التميمي . الصلح بينهما ، واستمرار جريز على هجائهم . جرو هراش . هرو ه فوجدوه عند الهراش نائماً . انقسام الناس بينهما . قولهم في وحدة شيطانها . موته : مات بالبامة . اربت سنه على الثمانين . شهد موت خصميه وهجاءها ، ثم رثى الفرزدق . مات بعد الفرزدق بستة اشهر .

(١) الجريز : الحبل الذي يُجر به . زعموا ان أمه رأت في نومها وهي حامل به كأنها ولدت حبلاً من شعر اسود فيجعل يترق فيقع في عنق هذا فيخفه حتى فعل ذلك برجال كثيرين فانتهت مرعوبة فقيل لها : تلدين غلاماً شاعراً ذا شر وبلاء على الناس فلما ولد سمته جريزاً .

آثاره : ديوان في جزئين . نقائض جرير والفرزدق في مجلدين . نقائض جرير والاخلط . من اصحاب الملححات .

ميزته : هو والاخلط والفرزدق يتنازعون امسارة الشعر . كان اطعمهم شعراً ، واخصبهم مادة ، وأوتي من الرقة والهلالة ما جعل شعره سيّاراً سهل الحفظ . احسنهم في الغزل والرثاء . طرق ابواب الشعر كلها الا الوصف والقصص . شغله الهجاء . هجأوه بؤرة فجور وفساد كشعر الفرزدق . لم يكن تفقه ينميه من الفحش والافذاع . أسلوبه يختلف عن أسلوب الفرزدق . يتبع مثالب عدوه ، واذا اعيتته اخترعها . هجوه الفرزدق : هو ابن القين . بنو مجاشع كلهم قيون . الكير والعلاء . الخزيرة . قفيرة . جعثن . الزبير . تعصبه لدينه . اتهم الفرزدق بالنصرانية . يتبع زلاته . يعيره الجبن والفجور وطرده من المدينة ويشبهه بالقررد . هجوه الاخلط : يتناول تغلب حتى ربيعة بن تزار ، ويقضح اعراضهم ، ثم ينفر عليهم قيس عيلان ، وينفر عليهم بني بكر ويعيرهم مقتل كليب . يعني كثيراً بالافتخار عليه بدينه . يعيره النصرانية ، وشرب الخمر واكل لحم الخنزير . يشبهه ويشبه قومه بالخنازير . ويدعوه بصيغة التصغير ، او يلقبه بدوبل . يعرض بالصليب والقديسين والقسيسين . فخره : شديد الفخر بتميم . يفاخر الفرزدق ببني كليب ولكنه لا يجاريه . خاصته بالفخر والاستخفاف بالشعراء وجعلهم جميعاً مغلبين مشددين في حبل واحد . هجوه الراعي : ابلغ قصيدة تظهر لنا ميزة جرير في الفخر ، وغير الفخر كالرقصة والهلالة والرنة الموسيقية . التحقير في تكرار كلمة غير . مدحه : الاعتذار الى بني أمية واسترضائهم . تعريضه بآل الزبير . شاعر ذو عصبية مضرية في مدح قيس . شاعر متكسب في مدح الامويين . مدحه ديني اكثره . يكاد يشغلهم بالاخيرة عن الاولى . غزله : رقيق العاطفة لطيف المعاني . يخلط الفن القديم بالجديد . يتغزل غزلاً صادقاً لا تكلف فيه . غزل عفيف لا فحش فيه . هو من طبقة المجددين بالغزل . رثاؤه : رقيق شجي . رثاؤه لامرأته . نظره في المرأة غير نظر الفرزدق . منزلته : احد رجال الطبقة الاولى في الاسلام . تتحرش الشعراء به طمعاً في الشهرة . تشيبيه بالاعشى . لينة واضطراب شعره في بعض القصائد الطويلة . قول الفرزدق فيه . سبب ذلك . اخصبهم قريحة . ابعدهم عن تكلف . اقدرهم على التصرف في المعاني . دون الاخلط في المدح والوصف . دون الفرزدق بالفخر . كما يذمها بالهجاء . فاقها بالغزل والرثاء . اجمعهم لابواب الشعر .

هو جرير بن عطية بن الخطمي ، والخطمي لقب جده حذيفة بن بدر من كليب ابن يربوع ثم من تميم . وأمه حمة بنت معبد الكلبية . وكان يكنى أبا حزره وحزره ولده ، وله غيره سبعة ذكور وابنتان .

نشأ جرير في بادية اليمامة في اسرة دون اسرة الفرزدق جاهلاً وثروة وشرفاً . وكان ابوه مضعوفاً لا يقاس بالي الفرزدق في الشهرة والجود وعلو القدر . وقد نستطيع ان نعرف مكانة والده من حديث لبال بن جرير قال : « قال رجل لوالدي : « من اشعر الناس ؟ » قال : « قم حتى اعرفك الجواب . » فاخذته بيده وجاء به الى ابيه عطية ، وقد اخذ عتراً له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها ، فصاح به : « يا ابت ! » فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال ابن العترة على لحيته . فقال ابي للرجل : « أترى هذا ؟ » قال : « نعم ، » قال : « أفتدري لم كان يشرب من ضرع العترة ؟ » قال : « لا ، » قال : « مخافة ان يُسمع صوت الحلب فيطلب منه لبن . » ثم قال : « اشعر الناس من فاخر بمثل هذا الاب ثمانين شاعراً وقارعهم به وغلبيهم جميعاً . »

على ان جريراً لم يكن برأ بابيه ، فالرواة يحدثننا بانه كان اعق الناس له . وتحذاه بلال فعمه فلم ينكر جرير ذلك عليه . وشتمه مرة فقاتلت له أمه : « يا عدو الله اتقول هذا لايبك ! » فقال جرير : « دعيه ، فوالله لكانني به معها وانا اقولها لابي . » فيبين لنا اذاً ان نشأة جرير تختلف عن نشأة الفرزدق والاخلط ، فقد كان عيشه لا يخلو من شظف وبؤس وشقاء . ويحدثنا ابن سلام ان جريراً اشترى جارية من رجل من اهل اليمامة يقال له زيد ، ويعرف بابن النجار ، ففركته ^(١) وكهرت خشونة عيشه فقال :

تَكَلَّفَنِي مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ ، وَمَنْ لِي بِالْمُرَقِّقِ وَالصَّنَابِ ؟ ^(٢)

(١) فركت المرأة زوجها : ابغضته فهي فارك . (٢) المرقيق : الخبز الرقيق . الصناب : صباغ يتخذ من الخردل والزبيب . والصباغ : جمع الصبغ وهو ما يصطبغ به في الطعام أي ما يؤتد به من الأدام ، لان الخبز يغمس ويلون به ، كالحل والزيت .

فقال الفرزدق :

أَتِنُ فَوْرَكَتِكَ عِلْجَةً آلِ زَيْدٍ ، وَأَعْوَزَكَ الْمَرْقُقُ وَالصَّنَابُ ، ^(١)

أَقْدَمًا كَانَ عَيْشُ أُبَيْكَ جَذْبًا ، يَعِيشُ يَمَا تَعِيشُ بِهِ الْكِلَابُ ^(٢)

ولكن هذا الرجل الوضع الحسب ، الحشن العيش ، الحامل الابوين ، أعطي شاعرية بوأته اعلى مرتبة في الادب العربي . وقد نظم الشعر صغيراً كما نظمه الاخطل والفرزدق .

صفاته ونزبه

كان جرير متعففاً لا يتعهر ، ولا يشرب الخمر ، ولا يشهد مجالس القيان . وكان شديد التعصب للاسلام ، كثير التظاهر بالدين ، وستجد اثر ذلك باديأ على شعره . فاخلاقه من هذا القبيل تختلف كل الاختلاف عن اخلاق الفرزدق . وكان انوفاً يأبى الضيم ، ولا يغمض على القذى ، حادّ اللهجة ذا مُشارّة ^(٣) ومهارة ^(٤) . لا يحجم عن مقارعة خصومه ومهاجاتهم . هما كثير عدد هم عليه . وكان اذا تكلم يخجن في كلامه ^(٥) .

انصالة بالاصوين

كان جرير حدثاً لما وفد الى يزيد بن معاوية وهو خليفة في الشام . فلم يؤذن له بالدخول وجاء الجواب : ان امير المؤمنين يقول : « لا يصل اليينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره . » فقال جرير : « قولوا له : انا القائل :

وَإِنِّي لَعَفُ الْفَقْرِ ، مُشْتَرِكُ الْغَنَى ، سَرِيعٌ ، إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي ، أَنْتَقَالِيَا ^(٦)

وكان يزيد في خلافة ابيه قد انتحل بضعة ابيات من قصيدة لجرير وعاتب بها اباه في غرض له ، فاعتقد معاوية ان الابيات لابنه . فلما أنشد يزيد البيت أذن

(١) العِلْجَة : الضخمة الغليظة والكافرة . (٢) جَذْبًا : ماحلاً . (٣) المُشارّة :

المخاصمة . (٤) المهارة : من هارة اي هرّ في وجهه كما يهرّ الكلب ، والمراد بذلك انه كان يحب الخصام والتزاع . (٥) يَخْجِنُ في كلامه : يخرج صوته من خياشيمه . (٦) عَفُ الْفَقْرِ : هي يعف عن المسألة اذا افتقر . مشترك الغنى : اي يشارك بماله غيره اذا اغتنى . ثم يقول : واذا ضاقت عليّ داري اسرعت بالانتقال الى سواها .

جوير فدخل عليه ، فاستنشه القصيدة فأنشده ، فقال يزيد : « لقد فارق ابني الدنيا وما يحسب الا اني قائلها . » وامر له بجائزة .

وهذه القصيدة قالها جوير في صباه يعاتب بها جده الخطافي ، وكان ذا ابل ومال ، فلما وُلد جوير اعطيه اخذ ينحله ^(١) من ابله وماله . فولد للخطافي صبياً فوجع في ما كان نحل جويراً ، فعاتبه جوير بايات رقيقة منها يقول :

وَإِنِّي لَمَعْرُورٌ أُعْلَلُ بِالْمُنَى ، غَدَاةَ أَرْجِي أَنَّ مَالَكَ مَالِيَا
وَإِنِّي لَأَعَفُّ الْفَقْرَ مُشْتَرِكُ الْغِنَى ، سَرِيعٌ إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي ، أَنْتَقَالِيَا
بِأَيِّ سِنَانٍ تَطْعَنُ الْقَوْمَ ، بَعْدَ مَا تَزَعَّتْ سِنَانًا مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا ^(٢)

ولكن جوير لم يُعرف في بلاط الامويين الا بعد ان طارت شهرته في خلافة عبد الملك بن مروان . وكان اتصاله اولاً بالحجاج بن يوسف ، وهو على العراقيين ، فمدحه ونال جوائزه ، فأوفده الحجاج في صحبة ابنه محمد الى عبد الملك . وكان لا يسمع لشعراء مضر ، ولا يأذن لهم لانهم كانوا زُبيرية . فلما دخل عليه جوير بعد لاي ، قال له عبد الملك : « ماذا عسى ان تقول فينا بعد قولك بالحجاج عاملنا :

مَنْ سَدَّ مُطْلَعَ التِّفَاقِ عَلَيْكُمْ ، أَوْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِ ! ^(٣)

ان الله لم ينصرنا بالحجاج وانما نصر دينه وخليفته ! » فظهر الغضب في وجه عبد الملك ، فتوسط ابن الحجاج في الرضى ، فاستأذن جوير في الانشاد وانشد كلمته التي يقول فيها :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ، وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ ! ^(٤)

(١) نَحَلَهُ : اعطاه شيئاً من غير عوض . (٢) تجد هذه القصيدة في ديوان جوير في عداد النقااض ، فيظهر ان جويراً اضاف اليها ابياتاً في هجاء الفرزدق بعد ان كبر والتجم الهجاء بينها . وقوله : تَزَعَّتْ سِنَانًا مِنْ قَنَاتِكَ : شبه نفسه بسنان في رمح جده وقد تزعج جده هذا السنان ورماه عنه . ماضياً : قاطعاً وهو نعت سنان . (٣) المَطْلَعُ : المأنى . يقال : ما لهذا الامر مَطْلَعٌ اي مأنى . التَّفَاقُ : ستر الكفر والتظاهر بالايمان . (٤) المطايا : جمع المطية وهي الركوبة . أندى : اسخى : الراح : الراحة وهي الكف .

فتبسم عبد الملك وقال: «كذلك نحن». وأمر له بجائنة من الابل وثمانية ابدل لرعايتها .
 وكان بين يديه صحاف من فضة ، فقال جرير : « والمَلْحَب يا ابي المؤمنين ؟ »
 فنبت اليه بواحدة منهم ، فلذلك يقول جرير في قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك :
 أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثَمَانِيَّةٌ ، مَا فِي عَطَائِهِمْ مِنْ وَلَا سَرَفٌ ^(١)
 وصار يقد الى عبد الملك من ذلك الحين ، ويأخذ الجوائز ، وكانت جائزته اربعة
 آلاف درهم وتوابعها من الحملان والكسوة . ومدح جرير من تولى بعد عبد الملك من
 الخلفاء فأجازوه ، غير انه لم يحظ حظوة الاخلط عندهم .

جرير وفصومه

لم يتصد لشاعر في الجاهلية ولا في الاسلام خصوم يقارعونه مثل ما تصدى لجرير ،
 فقد قال الاصمعي عنه : « كان ينهشه ثلاثة واربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره
 ويرمي بهم واحداً واحداً ، وثبت له الفرزدق والاخلط . » وسواء صح هذا العدد
 كله او بعضه ، فانه كاف للدلالة على ان شاعرنا كان محسداً ، وان شعراء عصره
 كانوا يتحرشون به اما طلباً للشهرة او تشفيماً للغض من شأنه . فنحن نرى طائفة من
 الاسماء التي هاجى جرير اصحابها وخذلهم قد بقيت خالدة باسم جرير ، ولو لم يلتفت
 لفتها لاندثرت ولم يُسمع لها خبر . واذا استثنينا الاخلط والفرزدق وراعي الابل ^(٢)
 نجد ان سائر الشعراء الذين هاجاهم مدينون له بالخلود . فمن هو غسان السليطي ؟
 ومن هو البعيث واشباههما ليقفوا في وجه جرير ؟ ولكنهم ارادوا الشهرة فعرضوا له ،
 فرد عليهم ، فجعل لهم ذكراً .

واكثر الشعراء الذين هاجوا جريراً كانوا هم البادئين بمعاداته فقد حدث جرير

(١) هُنَيْدَةُ : اسم للمائة من الابل ، لم يصرفها باعتبار كونها علماً مؤثراً . وقوله : يحدوها
 ثمانية : أي يسوقها ثمانية رعاة . مَنْ : تكدير العطفية بذكرها ، فكأن المعطي يعير بها من
 اعطاه ليكسر قلبه . سَرَفٌ : اغفال وخطأ . اي لا يخطئون في العطاء بأن يعطوه من لا يستحق
 ويحرموه المستحق . (٢) هو عبيد بن الحصين النميري الملقب براعي الابل من فحول الشعراء ،
 عدّه ابن سلام في الطبقة الاولى بعد الفرزدق وجرير والاخلط ، وجعله ابو زيد القرشي من
 اصحاب اللعنات وملحمتة مثبتة في الجمهرة .

عن نفسه قال : « لما دخلتُ على الحجاج قال : « إيه ^(١) يا عدوَّ الله علامَ تشتم الناس وتظالمهم ؟ » قلت : « جعلني الله فداء الأمير ، والله اني مسا اظلمهم ولكنهم يظلمونني فانتصر . ما لي ولا بن أم غسان ، وما لي وللبعيث ، وما لي وللفرزق ، وما لي والاخلط ، وما لي وللتيم . حتى عدهم واحداً واحداً وذكر كيف كان اعتداؤهم عليه . وقد علمت في كلامنا على الفرزدق ان جريراً هجا غسان السليطي ، ولكنه لم يكن البادئ بالهجا ، فان غسان هو الذي تعرَّض له وهو من قومه ، فهجا وهجا عشيرته ، فردَّ عليه جرير فاخزاه . فانتصر له البعيث وهو من مجاشع قوم الفرزدق ، فأحلقه جرير بابن أم غسان وفضح مجاشعاً . فلم يجد الفرزدق بداً من الدفاع عن قومه ، فاصطلى معمعان الهجاء فاحمى وطيسه .

وشاق الاخلط وقعُ اللسنة حداداً فبعث ابنه مالكا يكشف الخبر . فانحدر الى العراق ، ثم عاد اليه بحكمه : « جرير يغرف من بحر ، والفرزدق ينحت من صخر . » فقضى الاخلط لجرير ونعى الفرزدق . ولكن بني مجاشع تداركوه واكرموه واستعانوه على خصمهم . ولم يشأ جرير ان يقول له كلمة خير بعد ان فضَّله على الفرزدق . فعَيَّر ابو مالك رأيه وتحرش بجرير فزادت النار به اشتعالا .

وكان عبيد الراعي بغنى عن مهاجاة جرير ، ولكنه احب ان يضلّى بناره فأحرقته ، ولم يستطع الثبوت له كما ثبت الفرزدق والاخلط ، فخزي واخزى قومه بني نَمير ، روى ابن سلام ان الذي هاج الهجاء بينهما ان الراعي كان يُسأل عن جرير فيقول : « الفرزدق اكرمها واشعرهما . » فلقية جرير وطلب اليه ألا يدخل بينهما وقال : « انا كنت اولي بعونك اني لأمدحكم وانه ليهجوكم . » قال : « أجل ولست لمساءتك بعائد . » ثم بلغ جريراً انه عاد في تفضيل الفرزدق عليه ، فلقية بالبصرة ، وجرير على بغلته ، فعاتبه وقال : « زعمت انك غير داخل بيني وبين ابن عمي . » فأخذ الراعي يعتذر اليه ، واذا بابنه جندل قد اقبل فقال لابيه : « اني لأراك تعتذر لابن الأتان . والله لنفضِّلن عليك ولتروين هجاءك

(١) إيه بالتونين : اسم فعل بمعنى حدثنا . وإيه بالبناء على الكسر : اسم فعل بمعنى زدني من الحديث المهوديينا .

عليه ، وللهجوزك من تلقاء انفسنا . » وضرب وجهه بغلته ، فانصرف جريز مغضباً . فقال الراعي لابنه : « اما والله ليهجوني واياك . » وكان جريز نازلاً بالبصرة على امرأة من بني كليب ، فبات في عِلْيَّة لها وهي في سفلى دارها ، فقالت المرأة : « فبات ليلته لا ينام ، يتردد في البيت حتى ظننت ان قد عُرض^(١) » حتى فُتح له : أَقْلِي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعَتَابَا ، وَقُولِي ، إِنْ أَصَبْتُ ، : أَقْدَ أَصَابَا

ثم اصبح بالمربد^(٢) فقال : « يا بني تميم ، قِيدُوا قِيدُوا^(٣) . » وأنشدها ثمانين بيتاً . والراعي والفوزدق يسمعان ، فلم يحبه الراعي ولم يهجه جريز بغيرها . ولكنهما كانت كافيّة لاختراء بني نُمير ، فصاروا ينتسبون بالبصرة الى عامر بن صعصعة ، ويتجاوزون اباهم نُميراً الى ابيه هرباً من ذكر نُمير ، وفواراً بما وُسم به من الفضيحة والوصمة . وتشاءوا بعُبيد الراعي ، وسبوه وابنه .

قال بعضهم : « كان الراعي فحل مضر فضغمه^(٤) الليث ، » يعني جريزاً . على اننا وان قلنا ان الشعراء كانوا يتعرضون لجريز بغضة ، او حسداً ، او رغبة في الشهرة فلسنا نعي ان جريزاً كان يكره هذه الملاحظات او يتجنبها ، فلطالما عرض نفسه لها وابتاعها ان لم يجد لها شازياً . فعمر بن لُجَأ التيمي لم يتحرش بجريز ، ولكن جريزاً عاب عليه بيتاً من شعر ، فعاب عليه التيمي بيتاً من قصيدة له ، فهجاه جريز فردّ عليه التيمي ، فالتحم بينهما الهجاء . وما كان التيمي بمستطيع ان ينافس جريزاً لو اهمله جريز ، ولكنه قارعه فشهره ، حتى ان الفوزدق أنف جريز ان يتعلق به التيمي فهجا اخا التيم بقوله :

وَمَا أَنْتَ ، إِنْ قَرَّمَا تِمِيمٍ تَسَامِيَا ، أَخَا التَّيْمِ ، إِلَّا كَالْوَشِيطَةِ فِي الْعَظَمِ^(٥)

ولقي عمر بن عطية اخا جريز فقال له : « قل له : ويلك انت التيمي من عل كما اصنع بك انا . »

(١) عُرض : جُنَّ . (٢) المربد : سوق في البصرة كانت مجتمعاً للشعراء في الاسلام كما كانت عكاظ في الجاهلية . (٣) قِيدُوا : اي اكتبوا . (٤) ضغمه : عضه . (٥) القرم : الفحل والسيد . تساميا : تفاخرا . الوشيطة : قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم . يقال : هم وشيطة في قومهم : أي حشو فيهم .

ويحدثنا ابن سلام ان رجال تميم مشت بين جرير والتميمي ، وقالوا : « والله ما شعراؤنا الا بلاء علينا ، يثيرون مساوئنا ، ويهجون احياءنا وامواتنا . » فلم يزالوا بهما حتى اصلحوا بينهما بالعهد والمواثيق المغلظة ، ان لا يعودا في هجاء . فكف التيمي ، وكان جرير لا يزال يسئل الواحدة بعد الواحدة ، فيقول التيمي : « والله ما نقضت هذه ولا سمعتها ، » فيقول جرير : « هذه كانت قبل الصلح . » فن هذه الرواية وغيرها نعلم مبالغ ميل جرير الى الشر والحصام ، ورغبته في ملاحاة الشعراء . وقد قال فيه الحجاج لما سمع اخباره مع خصومه : « قاتله الله أعوايياً انه لجرو هراش ^(١) . » ولعل ابلغ وصف لجرير في مهاجاته الشعراء قول الفرزدق فيه : « قاتله الله ! ما احسن ناجيته ^(٢) واشرد قافيته ^(٣) ، والله لو تركوه لابكى العجوز على شبابها ، والشابة على احبابها ، ولكنهم هروه ^(٤) فوجدوه عند الهراش نابجاً ، وعند الجدة قادحاً ^(٥) . »

وقد رأينا في درسنا الاخطل والفرزدق ان اشد الهجاء كان بينهما وبين جرير ، ولا سيما جرير والفرزدق . فقد علمت كيف انقسم الناس حزبين معهما ، فناصر كل حزب شاعره وفضله على الآخر وبلغ من هوس الناس بهما ان جعلوا لهما شيطاناً واحداً يلقنهما ، ولكل شاعر عند العرب شيطان يوحى اليه . ونقل الرواة لنا اخباراً كثيرة عن وحدة شيطانها ، نكتفي منها بواحد نورد له ايماناً بصحته ، ولكن لنظهر ما كان لشعرهما من التأثير في نفوس ابناء عصرهما :

زعموا ان جريراً والفرزدق خرجا من العراق يطلبان الرصافة لهشام بن عبد الملك ، وقد مدحاه ، فلما كانا ببعض الطريق نزل جرير في حاجة له ، فتلفت ناقة الفرزدق فضربها بالسوط وقال :

إِلَامَ تَلَقَّتَيْنِ وَأَنْتِ تَخْتِي ، وَخَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَمَامِي ؟

(١) الهراش : من هارشت الكلاب اذا تحرش بعضها على بعض وتواثبت . (٢) الناجية : الناقة السريعة تنجو بصاحبها ، واراد بها سرعة خاطره وخصب قريحته . (٣) اشرد قافيته : اي اسير شعره . (٤) هروه : نبجوه . (٥) الجدة : الاجتهاد في السير ، والمراد السباق . قادحاً : اي يوري زنده ، وهي كناية عن ان به خيراً عند السباق . يقال : هذا لا يوري له زند : اي لا خير فيه .

مَتَى تَرِدِي الرُّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي ، مِنْ التَّهْجِيرِ ، وَالذَّبْرِ الدَّوَامِي ^(١)
ثم قال لرواتها : « السَّاعَةُ لِحِي ، ابْنُ الْمُرَاغَةِ ، فَاَنْشُدْهُ الْبَيْتَيْنِ فَيَنْقُضُهَا بِأَن يَقُولُ :
تَلَقَّتْ أَنْهَا تَحْتَ ابْنِ قَيْنِ ، حَلِيفُ الْكَبِيرِ ، وَالْفَأْسُ الْكَهَامِ ، ^(٢)
مَتَى تَرِدِ الرُّصَافَةَ تَخْزُ فِيهَا ، كَخَزَيْكَ فِي الْمَوَاسِمِ كُلِّ عَامٍ ^(٣)
فَرَجَعَ جَرِيرٌ فَوَجَدَ الْقَوْمَ يَضْحَكُونَ فَقَالَ : « مَا الْحُجْرُ ؟ » فَقَالَ أَحَدُ الرُّوَاةِ : « يَا أَبَا
حُزْرَةَ إِنَّ أَخَاكَ أَبَا فِرَاسٍ وَقَعَ لَهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، » وَأَنْشُدْهُ الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ .
فَارْتَجَلَ الْبَيْتَيْنِ الْآخَرَيْنِ ، فَتَعَجَّبَ الْقَوْمُ مِنْ ذَلِكَ الْإِتْفَاقِ وَقَالُوا : « وَاللَّهِ يَا أَبَا
حُزْرَةَ لَهَكَذَا زَعَمَ أَنَّكَ تَقُولُ ، » فَقَالَ : « أَوْ مَا عَلِمْتُ أَنَّ شَيْطَانَنَا وَاحِدٌ . »
فَالِاصْطِنَاعُ فِي هَذِهِ الرُّوَايَةِ ظَاهِرٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ ، وَأَمَّا الْبَيْتَانِ الْآخَرَانِ
فَهُمَا لَجُورِيرٍ مِنْ قَصِيدَةٍ نَقَضَ بِهَا الْقَصِيدَةَ الَّتِي قَالَهَا الْفَرَزْدَقُ فِي هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
وَقَدْ مَرَّرَ ذِكْرَهَا .

موت

عُمَيْرُ جَوِيرٍ حَتَّى أَرَبْتَ سَنَّهُ عَلَى الثَّمَانِينَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْيَمَامَةِ وَفِيهَا قَبْرُهُ .
وَقَدْ هَلَكَ بَعْدَ أَنْ شَهِدَ هُلُكَ خَصْمِيهِ : الْإِخْطَلُ وَالْفَرَزْدَقُ . فَلَمَّا مَاتَ الْإِخْطَلُ
هَجَّاهُ بِقَوْلِهِ :

زَارَ الْقُبُورَ أَبُو مَالِكٍ ، فَكَبَّكَ كَأَلَامِ زَوَارِهَا

وَلَمَّا مَاتَ الْفَرَزْدَقُ قَالَ فِيهِ :

مَاتَ الْفَرَزْدَقُ بَعْدَ مَا جَدَّعْتُهُ ، لَيْتَ الْفَرَزْدَقَ كَانَ عَاشَ قَلِيلًا ^(٤)

(١) راجع شرح البيهقي في بحث الفرزدق . (٢) القين : الحداد وكل صانع . وكان جرير يلقب
بني مجاشع بالقين . الكبير : ما ينفخ فيه الحداد . الكهام : الكلل . يقول : تلتقت
ناقثك من الخوف لاختصا تحت ابن حداد لا يعرف غير الكبير وليس بذي سيف فمطمئن اليه
ولكنه ذو فأس كليل لا تقطع ، جعله حداداً وحطاباً . (٣) الرصافة : رصافة هشام وقد
مر ذكرها في اخبار الفرزدق . تخز : تفضخ . المواسم : أي المواسم التي تقربها الشراء إلى
الحلفاء لمدحهم واخذ جوائزهم وكان لهم في كل سنة موسم . (٤) جدعته : قطعت انفه .

فقيل له : « لبئس ما قلت ، أتهجو ابن عمك بعد ما مات الو رثيته كان احسن بك . »
فقال : « والله اني لاعلم ان بقائي بعده لقليل ، وان كان نجمي موافقاً لنجمه
فلأرثينه ! » ثم قال فيه :

فَلَا وَلَدَتْ بَعْدَ الْفَرَزْدَقِ حَامِلٌ ، وَلَا ذَاتُ بَعْلٍ مِنْ نِفَاسٍ أَبْلَتْ ^(١)

وبين وفاة الفرزدق ووفاة جرير بضعة اشهر وعدّها بعضهم ستة .

أما

ديوان طبع في القاهرة في جزئين اكثره في الهجاء والمدح ، و « نقائض جرير
والفرزدق » طبعت في مجلدين كبيرين بليدين ، و « نقائض جرير والاختل » نشرها
الاب صالحاني اليسوعي في بيروت . وهو من اصحاب الملححات ، ومطلع ملحمتيه :
حَيِّ الْعَدَاةَ بِرَأْمَةٍ الْأَطْلَالَا ، رَسْمًا ، تَحْمَلُ أَهْلُهُ ، فَأَحَالَا ^(٢)

مبترنة

كان جرير والفرزدق والاختل يتنازعون امارة الشعر في عصر الامويين ،
ولكل واحد منهم ميزة رفعت الى الدرج الاعلى فتبوا من دولة الادب سدة عالمة .
ولكن لا بد لنا ان ننصف جريراً فنقول : انه كان اطعمهم شعراً ، واخصبهم
مادة ، وابعدهم من تكلف . فكانك به وهو يهاجي اربعين شاعراً ونتيقاً ^(٣) ،
بركان مشتعل لا تحمد ناره ولا يهود حميمه . فتراه يتنقل من شاعر الى شاعر غير
عالي ولا حافل ، يدعو الشعر فيجيبه ، ويهيب بالمعاني فتترامى على اسئلة ^(٤) لسانه ،
فيتصرف فيها كيف شاء .

(١) النفاس : الولادة . أَبْلَتْ : شفيت . (٢) رامّة : ماء لقيس على اثنتي عشرة
مرحلة من البصرة آخر بلاد بني قيم . الاطلال جمع الطلل : ما شخص من الآثار . الرسم :
ما ليس له شخص ، ورسماً بدل من الاطلال . أحال : انت عليه احوال اي سنون وتحول
من حال الى حال . وقوله : تحمّل اهله : اي رحلوا . وروي : رسماً تقادم عهده : اي
قدم اللقاء به . (٣) النيف : من الواحد الى الثلاثة ولا يستعمل الا بعد المقود . (٤) أسئلة
لسانه : طرفه .

ألا وان الشاعر الذي تتألب عليه جمهرة من الشعراء تنهشه نهشاً ، وهو لا يبالي ، ولا يعجز ان يرد عليهم جميعاً ، فيسلقهم واحداً بعد واحد ، دون ان تنضب قريحته او يحف معينها ، ان هذا الشاعر لكما قال فيه مالك بن الاخطل : « يعرف من بحر . » فجوير كان ينظم الشعر بطبعه لا يحكمه كالاخطل ، ولا يدحرج الفاظه كالفرزدق ، فغلبت عليه السهولة . والشاعر المطبوع لا يأنس بالتكلف وانما يرخي العنان لقوافيه فتنتطق إرسالاً .

وأوتي جوير من الرقة والمهلهلة ما جعل لشعره علوقاً في الحافظة اكثر من شعر صاحبيه ، فسارت قصائده كل مسير في بوادي العرب وامصارها .

ورقة جوير فضلته على الاخطل والفرزدق بالغزل والرتاء ، ولو لم يكن همه مقارنة الشعراء الذين يهاجونه لما ترك باباً من الشعر الا فتحه . ولكنهم « هروه فوجدوه عند المهراش ناجياً ، » فشغلوه عن كثير من فنون الشعر : كالوصف والقصص . ولم ينظم في الغزل الا ما كان يوطئ به قصائد المدح والهجاء . على ان ما نظم كافر للدلالة على مهارته في هذا الفن ، وتمكنه من التأثير في النفس . فغزله اللطيف يختلف عن غزل الفرزدق الجافي ، وعن غزل الاخطل الذي هو اقرب الى الاسلوب الجاهلي منه الى الاسلوب الاسلامي .

ونحن في درسنا شعر جوير سنحلل اولاً خاصته في الهجاء وما يتبعها من فخر وهي اظهر خاصة فيه ، ثم نتناول مدحه فغزله ورتاءه .

هجاءه

قد يُخيل اليك ، وانت تقرأ ما كتبناه عن تعفف جوير وتدينه ، ان جويراً في هجائه اظهر لساناً من الفرزدق او اقل فحشاً واقذاءً ، في حين ان الفرزدق على تعمره يكاد لا يجاريه في حومة الحثي . وربما كان هجو جوير افحش وافجر من هجو الفرزدق ، ونقول : ربما لاننا نزعم ذلك في شيء من الاحتياط .

ولا تعجب لجوير ان يقذع في كلامه ويفحش على ما عرفت من تحرجه وصدق اسلامه ، فالرواة يحدثننا بان الناس في ذلك العهد لم يكونوا يتأثمون من رواية

الشعر او نظمه ، وان خبثت الفاظه . ولابن سيرين خبر يؤيد هذا القول ، تجده في طبقات الشعراء لابن سلام ؛ وفي العمدة لابن رشتيق . ويؤيد ذلك ايضاً ما نعلم من ان طائفة من نقائض جرير والفوزدق مدح بها الخلفاء ، وسموها دون ان يتحرجوا من سمائها على ما فيها من هجو في القول ، وتقزيق الاعراض . فهجو جرير بؤرة فجور وفساد كهجو الفوزدق ، ولكن اسلوبه يختلف عن اسلوب صاحبه . فقد عرفت ان ابا فراس يأتي خصمه من عل فيرفع نفسه الى الذروة العليا ، ويحط مهجوه في الحضيض . واما ابو حنزة فانه يتبع مثالب عدوه واحدة واحدة ، فيعلنها ، ويبالغ في تقبيحها ، واذا اعياه وجودها لم يعيه الاختلاق ، فهو اقدر الشعراء على اصطناع العيوب في خصومه ، فتراه ينشر عنهم اخباراً مخزية لا مصدر لها الا قريحته الجهنمية .

هجو الفوزدق

واذا اراد جرير ان يهجو الفوزدق لقبه بابن القين^(١) وبنو مجاشع جميعاً قيون على زعمه ، ولا يغفل عن ذكر الكبير والعلاء^(٢) والقُدوم وهنّ للقيين عدة لا يستغنى عنها . ويعبره قُفْجَة أم جده صعصعة لانها بنت أمة ، ويعيبه ويعيب قومه بالخزيرة^(٣) وذلك ان ركباً من مجاشع مروا برجل من تغلب فسألهم ان يستولوا ؛ فحمل اليهم خزيرة فجعلوا يأكلون وهي تسيل على لحاهم ، وهم على رواحهم . ويشهر جمعاً اخته راوياً عنها خبراً شائناً . ويندد بيني مجاشع زاعماً انهم خانوا الزُبَيْر بن العوام حين فرغ اليهم يوم الجمل فقتل^(٤) . وقلماً تخلوله قصيدة في الفوزدق من ذكر القيون وجمعين والزُبَيْر :

(١) القين : الحداد وكل صانع . كان لصعصعة جد الفوزدق قيون فلذلك جعل جرير مجاشعاً قيوناً ، وكانت العرب لا تعد اصحاب الصناعات من كرام الناس لان العربي الانوف يكسب رزقه من غزواته ومما عنده من مال ونعم . (٢) العلاء : السندان . (٣) الخزيرة والخزير : دقيق يذر على لبن او ماء فيطبخ ثم يؤكل بهجر . (٤) الزُبَيْر بن العوام : من الصحابة وأمه صفيّة بنت عبد المطلب وقد ذكرنا خبر مقتله يوم الجمل ، وكان قد قاتل ساعة ثم هرب فاتبعه عمر بن جرموز بن الذبّال حتى ادركه في مكان يقال له وادي السباع فقتله واخذ سيفه وخاقه وترسه وذلك سنة ٣٦ هجرية وعمره ٦٧ سنة .

تَقُولُ نَوَارُ : « فَضَحْتَ الْقِيُونَ ، فَلَيْتَ الْفَرزدَقَ لَمْ يُؤَلِّدِ ا » ^(١)
 فَرَّقَ لِحْدَيْكَ أَكْيَاسَهُ ، وَأَخْلَجَ مَتَاعَكَ لَا تُفْسِدِ ^(٢)
 وَأَذِنَ الْعَلَاةَ ، وَأَذِنَ الْقُدُومَ ، وَوَسَّعَ لِكِهْكَ فِي الْمَقْعَدِ ^(٣)
 قَرَنْتُ الْبَيْثَ إِلَى ذِي الصَّلِيبِ ، مَعَ الْقَيْنِ فِي الْعَوَسِ الْمُحْصَدِ ^(٤)

....

أَلَا قَبِحَ إِلَاهُ بَنِي عِقَالٍ ! وَزَادَهُمْ بِغَدْرِهِمْ أَرْتِيَابًا ^(٥)
 أَجِيرَانِ الزُّبَيْرِ بَرِئْتُ مِنْكُمْ ، فَأَلْقُوا السِّيفَ وَاتَّخِذُوا الْعِيَابَا ^(٦)
 لَقَدْ غَرَّ الْقِيُونَ دَمًا كَرِيمًا ، وَرَحَلَا ضَاعَ ، فَأَنْتَهَبَ أَنْتَهَابَا ^(٧)
 وَقَدْ قَعَسْتَ ظُهُورَهُمْ بِحَيْلٍ ، تُجَاذِبُهُمْ أَعْنَتَهَا جِدَابَا ^(٨)
 عَلَامَ تَقَاعُسُونَ ، وَقَدْ دَعَاكُمْ ، أَهَانُكُمْ الَّذِي وَضَعَ الْكِتَابَا ^(٩)
 تَعَسُّوا مِنْ خَزِيرِهِمْ فَتَأَمُّوا ، وَلَمْ تَهْجِعْ قَرَانَهُ أَنْتَحَابَا ^(١٠)

وجرير كثير الافتخار بدينه ، شديد التعصب له ، لا يحترم غير الاسلام .
 وكان له من صداقة الفرزدق والاخلط وسيلة لانتهام الفرزدق بالنصرانية وتعيبه
 الكفر ، فيقول :

لَقَدْ لَحِقَ الْفَرزدَقُ بِالنَّصَارَى ، لِيَنْصُرَهُمْ ، وَلَيْسَ بِهِ أَنْتِصَارُ

(١) نوار : زوجة الفرزدق وكان جرير يدافع عنها بعد ان شكت اليه الفرزدق وتزوجه
 حذراء عليها . (٢) المتاع : الادوات التي ينتفع بها . (٣) الْقُدُوم : آلة للنجر والنحت .
 والقَيْن في الفسحة يطلق على الحداد والنجار وكل صانع . (٤) ذي الصليب : الاخلط .
 الْمُحْصَد : المشدود القتل . (٥) عِقَال : جد صمصمة ، وصمصمة جد الفرزدق . اَرْتِيَابًا :
 قلقًا وازعاجًا . (٦) العِيَاب : جمع العيبة وهو ما يوضع فيه الثياب . يقول : انتم نساء
 فاتركوا السيف واتخذوا العياب بدلًا منه فانها اجدر بكم . (٧) غَرَّ : خدع . دَمًا كَرِيمًا :
 أي دم الزبير . وَرَحَلَا ضَاعَ : اي رحل الزبير الذي انتهب بعد مقتله . (٨) قَعَسَ : خرج
 صدره ودخل ظهره وهو ضد الحدب . يقول : يريدون الانحزام والتأخر والحيل تريد
 التقدم وهي تجاذبهم اعنتها لذلك قعست ظهورهم . (٩) تَقَاعُسُونَ : تتأخرون . دَعَاكُمْ :
 اي الزبير دعاكم لنصرته . ثم يدعوا عليهم بقوله : اهانكم الله الذي انزل القرآن . (١٠) تَهْجِعُ :
 ترقد . قَرَانَهُ : ازواجه اي ازواج الزبير .

وَيَسْجُدُ لِلصَّلِيبِ مَعَ النَّصَارَى ، وَأَفْلَحَ سَهْمُنَا ، وَلَنَا الْخِيَارُ ^(١)
 او يتهمة بالنصرانية واليهودية معاً فيقول :

خَرَجْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ غَيْرَ عَافٍ ، وَقَامَ عَلَيْكَ بِالْحَرَمِ الشُّهُودُ ^(٢)
 تُجَبِّكَ يَوْمَ عِيدِهِمُ النَّصَارَى ، وَيَوْمَ السَّنَتِ شِيعَتُكَ الْيَهُودُ ^(٣)
 فَإِنْ تُرْجِمَ ، فَقَدْ وَجِبَتْ حُدُودُ ، وَحَلَّ عَلَيْكَ مَا أَقْبَتَ ثُمُودُ ^(٤)

ولا يفتأ يتتبع زلاته لينسدد به ويعيره اياها ، فاذا نبا سيفه شهرة واستهزأ منه ، وقد مر بك شيء من ذلك في بحث الفرزدق . واذا طرد من مكان فجوره او لحب لسانه ، اخذه بالصيحة من ورائه وراح ينقته باقبح النعوت ، ويلذعه باحر الشتائم . فمن ذلك قوله فيه بعد ان طرد من المدينة :

إِذَا دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَأَرْجُمُوهُ ، وَلَا تُدْنُوهُ مِنْ حَدَثِ الرَّسُولِ ^(٥)
 وقوله يعيره الفجور واخراجه من المدينة :

لَقَدْ وَكَلَدْتَ أُمُّ الْفَرَزْدَقُ فَاجِرًا ، فَجَاءَتْ بِزُوزٍ قَصِيرِ الْقَوَائِمِ ^(٦)
 يُورِقِي إِلَى جَارَاتِهِ بِالسَّلَامِ ، لِيَرْقَى إِلَى جَارَاتِهِ بِالسَّلَامِ ^(٧)
 أَتَيْتَ حُدُودَ اللَّهِ مُذْ أَنْتَ يَا فَعُ ، وَشَبَّتَ ، فَمَا يَنْهَكَ شَيْبُ الْهَازِمِ ^(٨)

(١) افلح سهمنا : فاز . ويروى : افلح سهمنا : فيكون المعنى افلح الله سهمنا اي افازه . خيار الشيء : افضله . يقول : ولنا خيار الاديان او خيار العواقب لان الله افاز نصيبنا وأعطانا الاسلام ديناً . (٢) يشير الى طرده من المدينة . (٣) يقول : ان النصراني تحب الفرزدق لانه يشاركهم في اعيادهم ، وهو ايضاً يشايع اليهود ويسبهم . (٤) الحدود : جمع الحد وهو عند الفقهاء عقوبة مقدرة تجب حقا لله سميت به لانها تمنع من المساودة . يقول : فان ترجم بالحجارة فقد وجبت عليك حدود الله . ثمود : قبيلة من العرب ومنهم قداد عاقر ناقة صالح وقد اهلكوا بالرجفة اي بالزلزال . وفي ذلك تقول الآية : « فَأَخَذْنَاهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِينَ » . يقول : ان امر الله اصبح حالاً عليه أي واجباً كما حل على ثمود . (٥) الحدث : القبر . (٦) الفاجر : الفاسق . الزوز : الطيأش الخفيف . قصير القوائم : اي قصير الرجلين ، (٧) جن : اظلم . بالسلاط : أي بالخيال . (٨) البافع : الغلام اذا ناهز البلوغ . يقول : وجب عليك الحد وانت غلام يافع . الهازم : جمع الهزيمة وهي عظم ناتئ في الأحي تحت الاذن وهما لهزمتان واراد بشيب الهازم : شيب شعر الوجه . يقول : شبت ولم ينهك الشيب فترند عن غوايتك .

هُوَ الرَّجْسُ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَأَحْذَرُوا مَدَاخِلَ رَجْسٍ ، بِالْخَبِيثَاتِ عَالِمٌ !^(١)
 لَقَدْ كَانَ إِخْرَاجُ الْفَرَزْدَقِ عَنْكُمْ ، طُهوراً لِمَا بَيْنَ الْمُصَلَّى وَرَاقِمٍ^(٢)
 تَدَلَّيْتُ تَرْنِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً ، وَقَصَّرْتُ عَنْ بَاعِ الْعُلَى وَالْمَكَارِمِ^(٣)

و كثيراً ما يشبه الفرزدق بالقرود ، ثم يذكر فجوره وما يسترك وراءه من عار اذا
 حلّ بدار قوم ، كقوله :

وَهَلْ كَانَ الْفَرَزْدَقُ غَيْرَ قَرْدٍ ، أَصَابَتْهُ الصَّوَاعِقُ ، فَاسْتَدَارَا !
 وَكُنْتُ إِذَا حَلَلْتُ بَدَارِ قَوْمٍ ، طَعَنْتَ بِخَزِيَّةٍ ، وَتَرَكْتَ عَارَا^(٤)

هجو الاخطل

واذا انهى جرير لهجاء الاخطل تناول تغلب بالخرزيات حتى يصل بهم الى ربيعة
 ابن نزار ، فما يدع يوماً عليهم الا عيرهم اياه ، وكثيراً ما يعيرونهم مقتل كليب وائل ،
 وينقرو عليهم بني بكر ، او يذكر لهم الايام التي قهرتهم فيها قيس عيلان ، ثم ينقرو
 عليهم قيس عيلان ، ويدافع عنها ناقضاً ما قال الاخطل في هجائها .

واشد ما يعني به جرير في هجو الاخطل وقبيلته تعيرونهم النصرانية والافتخار
 عليهم باسلامه ، فهم الحثانيص ، وهم الاذلاء الذين يؤدون الجزية ، ويشربون
 الخمر ، ويأكلون لحم الخنزير . ويمعن احياناً في ذكر الصليب والقديسين والقسيسين
 مُعْرِضاً ومصرحاً . واكثر ما يدعو الاخطل بصيغة التصغير ، او يلقبه بدوبل او
 بذى الصليب . فمن ذلك قوله وهو اهون ما يقول له :

وَلَقَدْ وَسَّمتُ مُجَاشِعاً ، وَلَتَغْلِبَ ، عِنْدِي مُحَاضِرَةٌ ، وَطُولُ مِتَانٍ^(٥)

(١) الرَّجْسُ : القَذَرُ . (٢) الْمُصَلَّى : موضع الصلاة . راقم ورقم : موضع
 في المدينة . يقول : ان المدينة طهرت باخراج الفرزدق منها . (٣) الباع : قدر مدّ اليدين .
 ويعبر عن الباع بالشرف والمجد والفضل . وقوله : باع العلا : استعارة . يقال : رجل طويل
 الباع : اي واسع الخلق كريم ، ورجل قصير الباع : اي ضيق الخلق لئيم . يشير هنا الى
 قول الفرزدق : «ها دلتاني من ثمانين قامة» . (٤) طَعَنْتَ : سرت . (٥) وَسَّمتُ : كويت
 أي كويت بالهجوم . المحاضرة : المجازاة . المِثَانُ والمِثَانَةُ : المعارضة في جدل او خصومة .

عَمْدًا جَدَعْتُ أَنْفَ تَغْلِبَ ، بَعْدَ مَا
 إِنَّ الْقَصَائِدَ يَا أَخِيظِلُ فَأَعْتَرِفْ ،
 وَعَلَقْتُ فِي قَرْنِ الثَّلَاثَةِ رَابِعًا ،
 إِنَّ الْفَوَارِسَ مِنْ رَبِيعَةِ كُلِّهِمْ ،
 وَالتَّغْلِيَّ مُغْلَبٌ ، قَعَدْتُ بِهِ
 بَكْرًا أَحَقُّ بِأَنْ يَكُونُوا مَقْتَعًا ،
 قَتَلُوا كُلَّيْكُمْ بِلَفْحَةٍ جَارِهِمْ ،
 وَالتَّغْلِيَّ عَلَى الْجَوَادِ غَنِيمَةً ،
 يَا ذَا الْعَبَاوَةِ ، إِنَّ بَشْرًا قَدْ قَضَى
 فَدَعُوا الْحُكُومَةَ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا ،

ومنها :

وَالذَّابِحِينَ إِذَا تَقَارَبَ فِصْحُهُمْ شُهْبَ الْجُلُودِ ، خَمِيسَةَ الْأَثْمَانِ ،^(١٠)

(١) المَوَاسِم : جمع المَيْسَم وهو اسم للآلة التي يوسم بها . أَنْف : جمع أنف . الاقيان : جمع القَيْن . (٢) القصائد : أي قصائد الهجاء . مُجَرَّةُ الارسان : أي مَخْلَعة الطريق لا تجس عنك . (٣) الْقَرْن : الحبل . الثَلَاثَةُ : الفرزدق والبعيث وعمر بن لُجَأ . الْبَكَار : جمع الْبَكْرَة وهي الجماعة من الابل . لُزْزَن : شُدْدَن . الاقْران : الحبال . (٤) الْمَدَى : الفأية . الضَّحْيَان : أي عامر الضَّحْيَان وهو رجل من النمر بن قاسط كان يقعد لقومه في الضحاء يقضي بينهم . (٥) يقول : التغلي مغلوب ابدأ لقلته ، وهمة قاعدة به عن السعي الى الغلاء ، وهو لذلك مستعبد في كل مكان . (٦) مقنعاً : أي عدلاً بين الناس يمنع الناس بحكومتهم . الحقيقة : ما تجب على الانسان حمايته . (٧) لفحة جارهم : أي ناقة البسوس خالة جساس ، وكانت نازلة في بني شيبان ، راجع حرب البسوس في اخبار المهمل . الْخُزْر : جمع الْأَخْزَر والخزراء وهو من خُزِرَتْ عينه اذا كسرت بصرها اوصارت ضيقة وصغيرة . الْحِجَان : جمع الحجين وهو الكرم . (٨) بَشْرًا : أي بشر بن مروان وكان على الكوفة من قبل اخيه عبد الملك . النشوان : السكران . يشير الى حكم الاخطل عليه للفرزدق . (٩) بنو شيبان : قوم جساس بن مرة قاتل كليب يفرمهم على التغليين ويجعل الحكومة فيهم . (١٠) الشهب : جمع الاشهب والشهباء : وهو ما كان ابيض اللون يتخلله سواد . وقوله : شُهْبَ الجلود : أي الخنازير

- تَفَشَى مَلَانِكَةُ الْإِلَهِ قُبُورَنَا ، وَالنَّغْلِيُّ جَنَازَةُ الشَّيْطَانِ ^(١) ،
يُعْطَى كِتَابَ حِسَابِهِ بِشِمَالِهِ ، وَكِتَابُنَا بِأَكْفَانِ الْإِيمَانِ ^(٢) ،
وَإِذَا وَزَنْتَ يَجِدُ قَيْسٌ تَغْلِيًا ، رَجَعُوا عَلَيْكَ ، وَسُلْتَ فِي الْمِيزَانِ ^(٣) ،
عَرَفُوا الْكِتَابَ ، وَصَدَّقُوا بِمُحَمَّدٍ ، وَرَضِيَتْهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْتَانِ ^(٤) ،
وَطِطْتَ سَنَابِكَ خَيْلَ قَيْسٍ مِنْكُمْ ، قَتَلِي ، يُقَبِّحُ رُوحَهَا الْمَلَكَانِ ^(٥) ،
فَتَرَكْتُمْ جَزَرَ السَّبَاعِ ، وَفُلُكُمُ يَتَسَاقُطُونَ تَسَاقُطَ الْحَمْنَانِ ^(٦) ،
يَا عَبْدُ تَغْلِبَ مَا تَرَالُ مُغْلَبًا ، فَانْخَسَأْ بِدَارٍ مَذَلَّةٍ وَهَوَانٍ ^(٧) !

ولا تخلو قصيدة لجريز في الاخطل من الطعن على ديانتهم ، والدفع عن قيس
عيلان وتنفيهم على تغلب .

فخره

وجريز شديد الافتخار ببني تميم ، يباهي بهم الشعراء ، ويعدد ايامهم مزهواً

- (١) نفشى : تأتى وتزور . الجنازة : الميت . يقول : لا يغشى جنازة التغلبي الا الشياطين .
(٢) الإيمان : جمع اليمين . يقول : اذا مات التغلبي ووقف للحساب امام الله اعطى كتابه
بيده الشمال لانه ذاهب الى النار . والعرب تشاءم من كل ما يأتي عن الشمال . ثم قال : ونحن
نعطى كتاب حسابنا بيميننا لاننا ذاهبون الى الجنة . والعرب تتفاعل بكل ما يأتي عن اليمين .
(٣) قيس : اي قيس عيلان . سُلْتَ : اي ارتفعت لحفة بجهد تغلب . (٤) الكنتاب :
أي القرآن . (٥) السنابك : جمع السُنْبُك وهو طرف الحافر . يقول : ان ارواحهم
اذا رفعت الى السماء فمرتها الملائكة قبحوهم . والمثنى في قوله : الملكان : يراد به
الجمع . وقوله : يُقَبِّحُ رُوحَهَا : اي يبعدها عن الخير . (٦) جزر السباع : فريسة
الوحوش . فُلُكُمُ : منهزموكم . الحمنان : ضرب من القردان مثل حبة الغنم تكثر
في الابل في الصيف اذا كانت ترعى بلداً وخيماً . والقردان : جمع القرداد وهو دويبة تعلق
بالعير ونحوه كالقمل في الانسان . شبه بني تغلب في الذل والقدارة بصغار القردان عندما
تلقى عن الابل فتساقط الى الارض . (٧) فانخسأ : اي فابعد واتزجر ، وهو من خسيء
الكلب : اذا بعد واتزجر .

بفأخزهم . وما أكثر ما التميم من المفاخر، وهي من أكرم القبائل وأكثرها حصى .
 وإذا هاجى الفرزدق ، وهو مثله من تميم ، افتخر عليه بقومه بني كليب بن يربوع ،
 وذكر أيامهم ، وعيَّره الأيام التي خذلت فيها بنو دارم ، والأيام التي خذلت فيها بنو
 ضبة أخواله . ولكنه يقصر عنه فما يستطيع أن يجاريه في هذا الميدان .

على أننا إذا أردنا أن نبين الخاصة التي يمتاز بها جرير في الفخر، فإننا نجد لها في
 استخفافه بالشعراء المتألمين عليه فتراه يردد أسماءهم مباهياً بقهره إياهم . وهو لا يهجو
 شاعراً إلا نعى إليه نفسه، وجعله مغلباً مشدوداً في جبل واحد مع سائر الشعراء
 الذين هاجاهم . مثال ذلك قوله للاخطل :

وَعَلَّثَ فِي قَرْنِ الثَّلَاثَةِ رَابِعاً ، مِثْلَ الْكَارِ لُرْزَنَ فِي الْأَقْرَانِ
 أو قوله :

أَعْدَدْتُ لِلشُّعْرَاءِ مِمَّا نَاقِعاً ، فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الْأَوَّلِ ^(١)
 لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسَمِي ، وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ ^(٢)

وإذا فخر جرير الشعراء احتكم إلى قريش لتقضي بينه وبين هؤلاء الخصوم ،
 فيقول :

فَإِنْ قُرَيْشَ الْحَقِّ لَنْ تَتَّبَعَ الْهَوَى ، وَلَنْ يَرْهَبُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَنَّهُمْ ^(٣)
 فَإِنِّي لَرَاضٍ عَبْدَ شَمْسٍ وَمَا قَضَتْ ، وَرَاضٍ بِحُكْمِ الصَّيْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ^(٤)

وربما احتكم إلى شيبان ثم إلى بكر واثقاً بهم بعد أن نقرهم على تغلب .
 ولعلَّ أبلغ قصيدة تظهر لنا ميزة جرير في الفخر تلك التي هجا بها عبيداً الراعي
 فأخزاه . وهي لا تقتصر على خاصة الفخر، بل تشمل على شيء من خصائص
 شاعرنا في الهجاء وغير الهجاء، وحسبك منها تلك السهولة والسهولة، أو قل :

(١) سم ناقع : أي بالغ ثابت . (٢) الميسم : آلة الكي، والمراد القوافي . ضفا إليه :
 استخذى وتذلل ، والسنور ونحوه : صاح . (٣) قريش الحق : أي التي شأها قول الحق .
 يقول : لا تتبع قريش ميل النفس بل تتبع الحق ، ولا يخشون في طاعة الله لومة لائم .
 (٤) عبد شمس : أبو أمية . الصيد : جمع الاصيد وهو الرجل الذي يرفع رأسه كبراً ، والمملك .

تلك الرنة المطربة التي امتاز بها شعر جرير ، فساغته النفوس ، فسهل حفظه ، فسار كل سيرة .

وكان جرير يسمي هذه القصيدة الدامغة ^(١) لانها دمغت خصمه ، وقضت عليه قضاء سريعاً . واليك منها هذه الابيات :

أَعَدَّ اللَّهُ لِلشُّعْرَاءِ مِنِّي	صَوَاعِقَ ، يَخْضَعُونَ لَهَا الرِّقَابَا
قَرَنْتُ الْعَبْدَ عَبْدَ بَنِي نُمَيْرٍ ،	مَعَ الْقَيْنَيْنِ ، إِذْ غُلِبَا وَخَابَا ^(٢)
أَنَا الْبَازِي الْمُطْلُ عَلَى نُمَيْرٍ ،	أُتِيحَ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا أَنْصَبَابَا
تَرَى الطَّيْرَ الْعِتَاقَ تَظَلُّ مِنْهُ ،	جَوَانِحَ لِلْكَلاكِيلِ أَنْ تُصَابَا ^(٣)
فَلَا صَلَّى إِلَّا لَهُ عَلَى نُمَيْرٍ ،	وَلَا سُقِّيتُ قُبُورَهُمُ السَّحَابَا !
وَلَوْ وَرِثْتُ حُلُومَ بَنِي نُمَيْرٍ ،	عَلَى الْمِيزَانِ ، مَا وَرِثْتُ ذُبَابَا ^(٤)
أَلَمْ تَرَنِي صَبَبْتُ عَلَى عَمِيدٍ ،	وَقَدْ فَارَتْ أَبَاجِلُهُ ، وَسَابَا ^(٥)
فَغَضَّ الظَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ ،	فَلَا كَغَبَا بَلَقْتُ ، وَلَا كَلَابَا ^(٦)
إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ ،	حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا

واعتقد ان هذه الابيات لا تحتاج الى تحليل فان ميزة الشاعر فيها واضحة تمام
الوضوح من استخفاف بالشعراء ، الى الحكم عليهم بالذل والقهر ، وشدهم بقرن

(١) الدامغة : الشجبة التي تبلى الدماغ فتقتل لوقتها . (٢) عبد بني نمير : الراعي . القينين : البيعت المجاشعي والفرزدق . (٣) الطير العتاق : الجوارح . جوانح : موائل . للكلاكل : للصدور . أن تصابا : أي تخافه ان تصابا . يقول : تظل الجوارح لاصقة بالارض مخافته . شبه نفسه في انقضاضه على الشعراء بالبازي المنقض على الجوارح وهي تلتصق بالارض خوفاً منه . (٤) حلوم : عقول . (٥) صبيت : اي انصبت لازم متعد . فارت : تعقدت وورمت . الاباجل : جمع الأجل وهو عرق غليظ في البدن او في الرجل . يقول : تعقدت عروق يديه ورجليه فما يستطيع حراكاً ، وشاب من الخوف . (٦) هذا البيت اخري جرير نميراً لانه فضل عليهم كعباً وكلاباً ، وهم ثلاثة ابطن من عامر بن صعصعة من قيس . واشد الهجاء ايلاماً عند العرب ان تقضل قوماً على قوم وخصوصاً اذا كانوا اخوة ، او ابناء اعمام فكأنك تخرج المفضول من قومه وتنكر عليه حسبهم ونسبهم .

واحد . ولكنني الفت نظرك الى ما في تكرار كلمة غير من تحقير وامتهان ، واوصيك
خيراً بالبيت الاخير ، فانه من فرائد ابيات الفخر .

مرمه

علمنا ان عبد الملك بن مروان كان لا يأذن لشعراء مضر لانهم زبيريون ، وعلمنا
ايضاً ان جريراً لم يتصل ببني أمية الا بشفاعسة الحجاج ، فهو اذن لم يكن بجاهل
سخط الأمويين عليه وعلى قومه . وهذا السخط لم يقتصر على عبد الملك بل تعداه
الى خلفائه من بعده ، ولولا ذلك لما رأينا جريراً يلج في الاعتذار عن قومه كلما انشأ
يمدح امراء أمية ، ولا يحجم عن التعريض بعبد الله بن الزبير واخيه مصعب ،
وانكار حق عبد الله بالخلافة . مع انك تراه في هجو الفرزدق والاخلط
يؤيد قيس عيلان ويدافع عنها ؛ وقيس عيلان كانت في حروبها تناصر ابناء الزبير .
فيتبين لنا من ذلك ان جرير خطتين متباينتين : احدهما ترمي الى الدفاع عن القيسية
وتنفيرها على اعدائها ، والرد على الشعراء الذين يهجونها ، ويطعنون في اعراضها ، فهو من
هذا النحو شاعر ذو عصبية مضرية لا يستطيع الا اظهارها . والاخرى ترمي الى
التكسب والانتفاع ، وما من سبيل اليهما الا في الاتصال بالأمويين والتعلق لهم ،
اذ لم يكن للشعراء منهل اغزر من منهلهم ، ولا ماء اعذب من مائهم . وخصوصاً
بعد ان انهارت خلافة ابن الزبير واصبح شعراء مضر لا يرتجون نجمة الا في بني أمية .
وحسبك ان تقرأ شيئاً من مدح جرير لهم لتعلم اسلوبه في استرضائهم ،
والاعتذار اليهم . وسترى ان مدحه لهم ديني اكثر مما هو دنيوي حتى ليكاد
يشغلهم بالآخرة عن الاولى . والعاطفة الدينية شديدة الظهور في شعر جرير . قال
في هشام بن عبد الملك :

إِنَّ الرُّصَافَةَ مَزَلْ لِحَلِيفَةٍ ، جَمَعَ الْمَكَارِمَ ، وَالْعَزَائِمَ ، وَالْأَثَمَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَاكُمْ حُسْنَ الصَّنَاعِ ، وَالْدَّسَائِعِ ، وَالْعُلَى ^(١)

(١) الصنائع : جمع الصنيعة وهي الاحسان . الدسائع : جمع الدسيعة وهي العطية الجزيلة .

لَا تَجْفُونَ بَنِي تَيْمٍ ، إِنَّهُمْ
تَابُوا النَّصُوحَ ، وَرَاجِعُوا حَسَنَ الْهَدَى (١)
وقال في عبد الملك :

أَوَّلَا الْخَلِيفَةُ وَأَقْرَأُ يَفْرَاهُ ،
أَنْتَ الْأَمِينُ أَمِينُ اللَّهِ ، لَا سَرْفُ
أَنْتَ الْمُبَارَكُ ، يَهْدِي اللَّهُ شِعْبَهُ ،
فَإِنْ عَفَوْتَ فَضَلْتَ النَّاسَ عَافِيَةً ،
مَا كَانَ دُونَكَ مِنْ مَقْضَى لِحَاجَتِنَا ،
مَا قَامَ لِلنَّاسِ أَحْكَامٌ ، وَلَا جَمْعُ (٢)
فِيهَا وَلَيْتَ ، وَلَا هَيَابَةُ وَرَعُ (٣)
إِذَا تَفَرَّقَتِ الْآهَوَاءُ وَالشَّيْعُ (٤)
وَأِنْ وَقَعْتَ ، فَمَا وَقَعُ كَمَا تَقَعُ (٥)
وَلَا وَرَاءَكَ لِلْحَاجَاتِ مُطْلَعُ (٦)

وقال يدح ايوب بن سليمان بن عبد الملك ، ويعرض بعبد الله ومصعب ابني الزبير :
لَمَّا رَأَيْتُ قُرُومَ الْمَلِكِ سَامِيَةً ،
كَانَتْ لَهُمْ شَيْعٌ طَارَتْ بِهَا فِتْنُ ،
طَاحَ الْخُنَيَّانِ ، وَالْمَكْذُوبُ مَكْذُوبُ (٧)
كَمَا تُطَيِّرُ فِي الرِّيحِ الْيَعَاسِبُ (٨)

غزله

وقد يعجبك ان تسمع هذا الشاعر يتعفف بغزله ، بعد ما سمعته يهتك الاعراض
بهجوه . فجزير على شدة فحشه في الهجاء لا ينطق في نسيه الا باطو من ماء
الغمام . وهو اول غزل طرد الحبيب الزائر ليلاً خوفاً من الريبة ، فقال :

(١) تابوا النصوح : اي التوبة النصوح وهي التوبة الصادقة . (٢) الجمع : جمع الجمعة
وهي اليوم السادس من الاسبوع . يقول : لولا الخليفة ولولا القرآن الذي يقرأه ويقيم احكامه
لما كانت هناك احكام ولا قامت صلاة الجمعة في الناس . (٣) السرف : الغافل المخطئ .
وليت : ملكيت من الامر . هيباة : كثير الخوف . الورع : الجبان والضعيف
لا غناء عنده . (٤) الالهواء : الميول . الشيع : الاحزاب . وعجز البيت تعريض بالاحزاب
المناوئة للامويين . (٥) عافية : خاتمة وعاقبة . وقعت : بالفت في تقتيل الاعداء . يقال :
وقع بالعدو وقعاً ووقعةً : بالغ في تقتيلهم . يقول : اذا عفوت فقت الناس جميعاً في
خاتمة هذا العفو وعاقبته لانك تختتمه بالاحسان على من تعفو عنه ، وان وقعت بعدوك فلا وقع
مثل وقعت . (٦) دونك : امامك . مقضى : مكان القضاء . مطلع : مأني . (٧) القروم :
جمع القرم وهو الفحل والمظلم . طاح : هلك وتاه في الارض . الخنبيان : عبد الله ومصعب ابنا
الزبير . (٨) اليعاسيب جمع اليعسوب : طائر اصفر من الجراد اذا هبت عليه الريح قذفته
فما يقر له قرار . يقول : انتشرت فتن آل الزبير كما تنتشر اليعاسيب اذا طيرتها الريح .

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ ، وَلَيْسَ ذَا وَفَتْ الزَّيَّارَةَ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ ! ^(١)

وهو في غزله رقيق العاطفة لطيف المعاني ، اين الالفاظ ، يخلط الفن القديم بالجديد ، فيجيد كل الاجادة ، حتى لتحسبه احد اولئك المتيمن الذين نشأوا في البادية واشتهروا بغزلهم العفيف . على حين انه لم يكن في عداد المتيمنين ، ولكنه أوتي من الرقة وبراعة الفن ما جعل شعره ميرة في الغزل فاق بها صاحبيه .

وإنا ، وان قلنا ان جريراً لم يكن في عداد المتيمنين ، لنأبى ان نخاري بعض الرواة في زعمهم انه لم يعشق . فمثل هذا الغزل الناعم ، لا يصح صدوره الا عن قلب متأثر ملتاع . وسنجد في رثائه لامراته انه كان يهواها ويتألم لفراقها . أجل إن صاحبنا لم يهيم على وجهه كجميل بشينة وقيس بن ذريح ، ولم يتهتك كابن ابي ربيعة والعرجي . ولكنه احب حباً صادقاً ، وتغزل غزلاً صادقاً لا تكلف فيه . فأحجب به متغزلاً حين يقول :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِبُيُوتِكَ ، غَادَرُوا وَشَلَّا بِعَيْنِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا ، ^(٢)

غَيْضُنَ مِنْ عِبْرَاتِهِنَّ ، وَقُلْنَ لِي : « مَاذَا لَقِيتَ مِنْ أَهْوَى وَلَقِينَا ؟ » ^(٣)

فهل رأيت ما في عجز البيت الثاني من لوعة لم تستطع صاحبه الافصاح عنها ، فاكثفت باستفهام حائر ملؤه يأس وتحسر وتأنيب : « ماذا لقيت من الهوى ولقينا ؟ » واسمعه يقول :

يَا أُمَّ عَمْرٍو جَزَاكَ اللَّهُ مَغْفَرَةً ! رُدِّي عَلَيَّ فُؤَادِي مِثْلَمَا كَانَا

يُلْقَى غَوِيكُمْ مِنْ غَيْرِ عُسْرَتِكُمْ ، بِالْبَذْلِ بُخْلًا ، وَبِالْإِحْسَانِ حِرْمَانًا ^(٤)

(١) طرقتك : زارتك ليلاً . وقوله : وليس ذا وقت : اي وليس ذا الوقت وقت

الزيارة . (٢) غدوا بليك : اي ذهبوا بعقلك يوم رحيلهم . غادروا : تركوا . وشلا : ماء والمراد به الدمع . معيناً : جارياً . وقوله : غدوا ، بصيغة المذكر : أي اهل الحبيبة ذهبوا بها فذهبوا بعقله معها . (٣) غيظن : حبسن . عبراتهن : دموعهن . وقوله : غيظن : انتقال الى الحبيبة بعد الكلام على اهلها ، وصيغة الجمع هنا يراد بها المفرد . (٤) الغريم : الدائن والمراد المحب الموعود المخطول . العسرة : ضد البصر . الحرمان : الفقر وفقدان الشيء . يقول : وعدم محبتكم باللقاء فاصبح هذا الوعد ديناً له عليكم ، وانتم غير معسرين

أَلَقَدْ كَتَمْتُ أَلْهَوَى حَتَّى تَهَيَّئَنِي ،
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا ، إِذَا انْقَطَعَتْ
يَا أُمُّ عُمَانَ إِنَّ أَلْحَبَّ عَنْ عَرْضِ ،
كَيْفَ التَّلَاقِي ، وَلَا بَالُ الْقَيْظِ مَحْضَرُكُمْ
إِنَّ أَلْعُيُونَ أَلَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ ،
يَضْرَعْنَ ذَا أَلَلْبِ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ ،
يَا حَبْدًا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ ،
وَحَبْدًا نَفَحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَةِ ،
لَا أَسْتَطِيعُ لِهَذَا أَلْحَبٍ كَشْمَانًا ^(١)
أَسْبَابُ دُنْيَاكَ مِنْ أَسْبَابِ دُنْيَانَا ^(٢)
يُضْيِي أَلْحَلِيمُ ، وَيُبْكِي أَلْعَيْنَ أَحْيَانًا ^(٣)
مِنَّا قَرِيبًا ، وَلَا مَبْدَاكَ مَبْدَانًا ؟ ^(٤)
قَتَلْنَنَا ، ثُمَّ لَا يُحْيِينُ قَتْلَانَا ، ^(٥)
وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانًا ^(٦)
وَحَبْدًا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مِنْ سَاكِنَا ^(٧)
تَأْتِيكَ مِنْ قَبْلِ الرِّيَّانِ أَحْيَانًا ! ^(٨)

فيمثل هذا الشعر الرقيق يتغزل جريو فتزوب عاطفته على ابياته ، فما تجد فيه لفظاً نافراً ولا معنى جافياً ، وتلقى العفة محدقة به من كل جانب . ويربك الشاعر في ذاته صورة جديدة لطيفة ، تحجب عنك تلك الصورة الرهيبة التي طبعها هجاؤه في نفسك ، وتحسب انك امام بدوي رقيق الشعور عفيف النفس ، لا امام اعراي فاجر يهتك الحرمات وينهش الاعراض .

أي لا يصعب عليكم وفاءه ، ولا يمنعكم شيء من ذلك . ولكن هذا الغريم لا يلقي منكم ، مع قدرتكم على وفاء دينه ، الا بدل البذل بخلا وبدل الاحسان حرماناً .

(١) تهيئته الحب : حمله على الهيام وهو من الحب كالجنون . (٢) اسباب : حبال والمراد بها الصلة بين المحبين . (٣) عن عرض : عن غير قصد . بصي : يشوق ويدعو الى جهة الفتوة . الحليم : العاقل . وقوله : يا أم عثمان بعد قوله يا أم عمرو : كنتان استعارهما للاسم الحقيقي الذي لم يصرح به ، او ان أم عثمان هي أم عمرو نفسها . (٤) القَيْظ : الحر . محضرُكم : مكان تزولكم في الحاضرة . مبداك : مكان تزولك في البادية . يقول : كيف لي ان ألقاك وانت تقطنين في الصيف حاضرة بعيدة عن الحاضرة التي أقطن فيها ، وتأتين في الشتاء بادية غير باديتنا . (٥) الطرف : اسم جامع للبصر لا يجمع لان اصله مصدر . الحَوْر : اشتداد سواد العين وبياضها واستدارة حدقتها ورقة جفونها . (٦) اللب : العقل . اركاناً : جوانب . يقول : هذه العيون تصرع الرجل العاقل حتى تتركه لا حراك به فكيف يكون فعلها بالغير الجاهل ، ومن عجب ان يكون لها هذه القوة وهي اضعف خلق الله جوانب ، يريد بذلك ذبولها ونكسر جفونها . (٧) الرِّيَّان : جبل في بني عامر . (٨) نفحات : اي هبات الريح ودفعاتها . يمانية : نسبة الى اليمن على غير قياس ، والمراد ريح يمانية .

ولا نرى حاجة للإشارة الى ما في هذه القصيدة من جمال وجدة في الفن الغزلي .
فحسبك ان تنظر الى عناية الشاعر ببيت شكواه ، وذكر ما يلاقيه من ألم البعد ،
وتلطفه في استرداد فؤاده ، ووصفه قوة العيون وضعفها ، لتعلم ان جريراً كان من
طبقة المجددين في النسيب ، ولولا انصرافه الى الهجاء لترك لنا من بدائع غزله
شيئاً كثيراً .

ان هجر اعظم مشاعر عربي بعد المتنبي

رثاه

وهو بعد قبل الفرزدق ولا مثل

وجريري في رثائه مثله في غزله ، يذوب رقة وعاطفة . واذا كان الميت من اهله
رأيت على شعره مسحة من الكآبة والحزن تترك في نفسك اثرأً بايعاً ، فيخيل
اليك ان القوافي تُسعد الشاعر على بكائه .

وهو يرى المرأة بغير العين التي يراها بها الفرزدق ، فما يحسبها أهون فقيده على
الرجل ، ولا يأنف من التولهُ على زوجه بعد موتها . وقد تحدثه نفسه بزيارة قبرها
فيمسكه الحياء ، ولا تعجب لحياثه ، فالبكاء على قبور النساء غير مألوف عندهم ،
فيوتد عن قصده وهو يقول :

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَعَادَنِي اسْتِغْبَارُ ، وَلَزُرْتُ قَبْرَكَ ، وَالْحَيِيبُ يُزَارُ ^(١)
وَلَهَتْ قَلْبِي إِذَا عَلَتْنِي كَبْرَةٌ ، وَذَوُّ التَّائِمِ مِنْ يَنِيكِ صَغَارُ ^(٢)
فَسَقَى صَدَى جَدَثٍ بِرُقَّةٍ ضَا حَكْ ، هَزَمُ أَحْشُ ، وَدَيْمَةُ مِذْرَارُ ^(٣)
وَلَقَدْ أَرَاكَ كُسَيْتٍ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ ، وَمَعَ الْجَمَالِ سَكِينَةُ وَوَقَارُ ،
صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُحْجَرُوا ، وَالطَّيُّونَ عَلَيْكَ ، وَالْأَبْرَارُ

(١) عادي : انتابني ثانياً . استغبار : بكاء وحزن . (٢) ولهت : احزنت . التائم :
جمع التميمجة وهي خرزة تعلق في عنق الصبي دفعاً للعين والاختطار . يقول : احزنت قلبي
بموتك لانني اصبحت كبيراً في السن وبنوك الذين تركتهم لا يبرحون اطفالاً يلبسون التائم .
(٣) الصدى : جثمان الميت وعظامه . الجدث : القبر . البرقة : مكان في بوادي العرب اختلط
ترابه بججارة او حصى ، وبرقة ضاحك : موضع باليامة لبني عدي . هزم : غيث راعد
متهمق لا يستمسك . احش : اي أبج الصوت . الديمة : المطرة الدائمة . المذرار : الكثيرة
السيلان .

لَا يَأْتِ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ، لَيْلٌ يَكْرُ عَلَيْهِمْ ، وَنَهَارٌ (١)

ولا تغفل عما في هذه الايات من نفحة دينية، ورنة موسيقية عُرف بهما شعر جرير .

مفرقة

هو احد الثلاثة المقدمين في الاسلام . ذكره ابن سَلام بعد الفرزدق وقبل الاخطل . وسُئِلَ عنه الاخطل فقال : «دعوه ، اخزاه الله ! فانه كان بلاءً على من صبَّ عليه . » وقال مالك ابن الاخطل : « جرير يغرف من بحر . » وقال الفرزدق : « انا واياه لنغترف من بحر واحد ، وتضطرب دلاؤه عند طول النهر . » وقال بعضهم : « بيوت الشعر اربعة : فخر ، ومديح ، ونسيب ، وهجاء ، وفي كلها غلب جرير . في الفخر قوله : « اذا غضبت عليك بنو تميم ، » وفي المديح قوله : « الستم خير من ركب المطايا ، وفي الهجاء قوله : « فغض الطرف انك من نُمير ، » وفي النسيب قوله : « ان العيون التي في طرفها حور . » قال ابن سَلام : « الى هذا يذهب اهل البادية . » وسأل عكرمة بن جرير اياه عن نفسه : « دعني فاني نخرت الشعر نخراً . » وحَدَّثَ ابن سَلام عن يونس : « ان الفرزدق كان يتصور (٢) ويجزع اذا انشد لجرير ، وكان جرير اصبرهما . » وسُئِلَ نُصَيْب الشاعر عن شعر الناس فقال : « اخو بني تميم ، » يعني جريراً . وكان ابو عمرو يشبه جريراً بالاعشى . وقال الاخطل للفرزدق : « انك واياي لا شعر من جرير ولكنك اوتي من سائر الشعر ما لم نؤته . » وسمع راعي الابل انساناً يتغنى بشعر جرير فقال : « لعنة الله على من يلومني ان يغلبني مثل هذا . » وحكم بين الثلاثة مروان بن ابي حفصة (٣) فقال :

ذَهَبَ الْفَرَزْدَقُ بِالْفَخَارِ ، وَإِنَّمَا حُلُوُ الْكَلَامِ وَمُرَّةُ الْجَوْرِ
وَلَقَدْ هَجَا فَأَمَضَ أَخْطَلُ تَغْلِبَ ، وَحَوَى إِلَهَى بِمَدِيحِهِ الْمَشْهُورِ (٤)

فقد حكم للفرزدق بالفخار ، وللأخطل بالمدح والهجاء ، وبجميع فنون الشعر

(١) لا يلبث : لا يؤخر . القرناء : جمع القرين وهو الزوج . يقول : ان كرور الليل والنهار لا يبطئ بان يجعل الأزواج يفرقون . (٢) يتصور : تلوَّى من وجع الضرب والجوع . (٣) مروان بن ابي حفصة : من شعراء العصر العباسي الاول . (٤) الإلهى : جمع الأهوة وهي افضل العطايا .

الجريز . وقال بعضهم : « كان جريز ميدان الشعر من لم يحجر فيه لم يرو شيئا ،
وكان من هاجي جريزاً فغلبه جريز ارجح عندهم من هاجي شاعراً آخر فغلب . »
وهجا بشار جريزاً وكان حدثاً فاستصغره جريز فلم يحبه ، فقال بشار : « لم اهج
لاغلبه ولكن ليحيني فاكون من طبقته ، ولو هجاني لكنت اشعر الناس . »

فمن كلام بشار نعلم كيف كان الشعراء يتحرشون بجريز طمعاً في الشهرة لا طمعاً
في التغلب عليه ، ولا سيما ان مغلب جريز ارجح عندهم من مغلب سواه . وفي حكم
ابن ابي حفصة ما يؤيد زعمنا من ان جريزاً اقدرهم على التصرف في جميع فنون
الشعر . وهو بشهادة الاخطل اسيرهم شعراً . ونرى ان تشبيهه بالاعشى يتناول
سيرورة شعره من ناحية ، ثم رفته وطبعه من ناحية اخرى . ولا ينبغي ان ننسى ان
كلا الشاعرين هجاً مداح ، وان كليهما من اليامة ، ولعل السهولة والانسجام من
خصائص الشعر اليامي . فان في نعمة لغة جريز ووضوح معانيه وسلاسة قوافيه
ما يذكرنا بالشاعر الجاهلي ، بالاعشى الكبير . ولكن رقة جريز قد تنحدر به الى
اللين في بعض قصائده الطويلة فتضطرب قوافيه ويسف شعره . وهذا ما نستطيع
ان نفسر به قول الفرزدق : « وتضطرب دلاؤه عند طول النهر . » على ان ذلك
لا يضير شاعريته وله من بدائع الشعر ما يرفعه الى اعلى ذروة في الادب .
ويمكننا ان نعزو هذا الاضطراب او اللين الى الاكثار من النظم ، فقد كان
مضطراً اليه ليرد على خصومه . وهذا وان رقة الشعر نفسها لا تخلو احياناً من
لين واسفاف .

وبعد ، فان الشاعر الذي يهاجي اربعين شاعراً ونيفاً ، ويومي بهم واحداً
واحداً ، ولا ينكص عن مقارعة قومين كالاخطل والفرزدق تضافوا عليه وهما
لا يقلان شاعرية عنه ، ان هذا الشاعر لأخصب الشعراء قريحة ، واقدرهم على
الاختراع ، والتلاعب بالمعاني ، وابعدهم من تكلف . وهو وان يكن قصر عن
الاخطل في المدح والوصف ، وعن الفرزدق في الفخر ، فقد كاد يبذهما في الهجاء ،
وفاقهما بالغزل والرثاء ، وانه لأجمعهم لابواب الشعر بلا مرأ .

النثر الاسلامي

القرآن

- نزوله وكتابته : **تزل منجماً سوراً وآيات في مدة ٢٣ سنة . منها ١٣ سنة في مكة و ١٠ سنوات في المدينة . كتبه الصحابة في سعف النخل ورقاع الجلود والعظام والحجارة المسطحة . حروب الردة . مقتل حفظة القرآن . امر ابو بكر بجمعه وحفظه عنده . ثم حفظ عند عمر . ثم عند حفصة . اختلافهم على قراءته في عهد عثمان . كتابته واحراق النسخ الباقية .**
- اقسامه : **السور المكية عددها ٩٣ . السور المدنية عددها ٢٢ . رتب باعتبار الطول والقصر . الاسورة الفاتحة مع قصرها في صدر الكتاب . المكية غالباً أقصر من المدنية . قسمته ٣٠ جزءاً .**
- اغراضه : **يخاطب في السور المكية شعباً غير مؤمن فيدعوه الى عبادة الله ويبين له فساد عبادة الاصنام . ويخاطب في السور المدنية جماعة مؤمنة تجهل طرق عبادتها ونظمها . فيعلمها ويسن لها الشرائع : تعرضه لليهود والمنافقين . قلة تعرضه للنصارى .**
- انشاؤه : **مثال أعلى للبلاغة . يرافق اغراضه في الشدة واللين . رننه : مقاطعه القصيرة ومقاطععه الطويلة . سجنه وموازنته .**
- تأثيره : **هذب اللغة . وحد لهجاتها . نشرها . تأثيره في الشعر والنثر . لاجله وضع علم النحو وعلم المعاني ، وجمعت اشعار العرب . دفاعه عن العربية في غارات التتر والأتراك . وحفظه فصاحتها مع انتشار اللهجات العامية .**

نزوله وكتابته

القرآن كتاب الوحي الذي أنزل على النبي محمد . وكان نزوله حسب مقتضى الحال ، منجماً ^(١) سوراً ، سوراً ؛ وآيات آيات . وقد ظلّ ينزل عليه ثلاثاً وعشرين

(١) منجماً : مقسّطاً ينزل نجوماً اي وقتاً بعد وقت .

سنة ، منها نحو ثلاث عشرة سنة في مكة ، وعشر سنوات في المدينة . وأول ما أوحى الى النبي في غار حراء : « إقرأ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . إقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »^(١) . وآخر ما أوحى اليه : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا . »

وكان كلما نزل شيء منه تلاه النبي على من حضر من صحابته فيحفظه بعضهم ، ويكتبه البعض الآخر في سَعَف النخل او في رقاع من الجلود ، او في عظام مسطحة ، او حجارة رقيقة .

ولما مات النبي واستعرت الحرب بين المسلمين والمُرتدين ، قُتِل كثير من حَفَظَةِ القرآن ، فخاف عمر بن الخطَّاب عليه من الضياع ، فأشار على أبي بكر بجمع الرقاع المكتوبة ، وكتابة ما حُفظ في صدور الرجال ، ولم يُكتب في الرقاع . فعهد ابو بكر بذلك الى زيد بن ثابت احد كتبة الوحي ، فجمع الآيات المكتوبة ، وكتب الآيات المحفوظة في صدور الرجال ، وسلمها الى ابي بكر فحفظها في بيته . فلما توفي حفظت في بيت عمر ، فلما توفي حفظت في بيت حَفْصَة زوج النبي وبنت عمر . وفي خلافة عثمان انتشر حفظ القرآن في حواضر البلاد المفتوحة ، وعند بعضهم نسخ رتبها كل واحد على هواه . فاختلَفوا في قراءة بعض آياته ، فبلغ ذلك عثمان ، فتلافى الامر وجاء بالرقاع المحفوظة عند حفصة ، وعهد الى زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام بنسخها في الصحف ، وقال لهم : « اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش ، فاذا انزل بلسانهم . » ففعلوا ذلك ، وكتبوا اربعة مصاحف ، ارسلها عثمان الى مكة والبصرة والكوفة والشام ، واثنين ابقاها في المدينة : واحداً لاهلها وواحداً

(١) « العَلَق » : جمع العَلَقَة وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ . « وربك الاكرم » : الذي لا يوازيه كرم ، حال من ضمير اقرأ . « الذي عَلَّمَ بِالْقَلَم » : اي عَلَّمَ الحَط بالقلم . « عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » : اي قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها .

لنفسه . ثم امر باحراق ما كان قبل ذلك من المصاحف والصحف ، فاحرقت جميعا
الا بعض نسخ ذكر منها صاحبُ الفهرست مصحف عليّ ، ومصحف عبد الله
ابن مسعود ، ومصحف أبي بن كعب ، وكان لكل واحد منها ترتيب خاص في
سوره . اما القرآن اليوم فنسخة عن مصحف عثمان المعروف بالإمام .

اقسامه

يُقسم القرآن فصولاً تُعرف بالسُور ، والسُور مقاطع تعرف بالآيات ، وفيها
الناسخ والمنسوخ^(١) . وتسمى السور باعتبار نزولها مكّيّة وعددها ثلاث وتسعون
سورة ؛ ومدنيّة وعددها اثنتان وعشرون . والمكّيّة غالباً اقصر من المدنيّة . وقد
وتبها جامع الكتاب باعتبار الطول والقصر ، فالسُور الطوال في اوله ، والقصار في
آخوه ؛ إلا سورة الفاتحة فانها مع قصرها في صدر الكتاب .
ويقسم المسلمون القرآن ثلاثين جزءاً يقرأون منه قسماً في كل حفلة ، او صلاة .

اغراضه

يخاطب القرآن في سوره المكّيّة شعباً غير مؤمن ، فيدعوه الى ترك عبادة
الاصنام ، وان يعبد الله وحده ، ويؤمن بالرسول وبالكتاب المنزل . فيظهر له
عظمة الخالق ، ويحثه على التأمل بعجيبة خلق الانسان وسائر المخلوقات : كالشمس
والقمر والنجوم والرياح والليل والنهار . ويرشده ان في الآخرة لثواباً ، وان في
الآخرة لعقاباً ؛ فيقص عليه اخبار الانبياء والمرسلين واخبار شعوبهم ، وكيف كان
جزاء المؤمنين وكيف كان عقاب الكافرين .

وهو في انشاء ذلك يتناول صنائيد قريش فيسفه آراءهم ، ويردّ على الذين
يحادلون النبيّ او يستهزئون منه فيهددهم ، ويحقّر اصنامهم ، ويبين لهم انها لا تجدي
عابدها نفعا ، ولا تضر من يكفر بها . ويفيض في وصف الجنة ، وما أعدّ فيها الذين آمنوا

(١) الناسخ : ان يرد دليل شرعي متراخياً عن دليل شرعي مقتضياً خلاف حكمه ،
فالدليل الشرعي المتأخر يسمى ناسخاً والمتقدم يسمى منسوخاً .

من نعم خالد ؟ ويفيض في وصف النار ، وما أُعدَّ فيها للذين كفروا من عذاب خالد . فترى في وصف الجنة ارفع تأميل ، وترى في وصف النار ارفع تهويل .

ويخاطب في سورة المدنية جماعة مسلمة تؤمن بالله ورسوله ، وبكتابه المنزل . ولكنها تجهل شرائعها وطرق عبادتها ، فيعلمها ما لم تعلم ، ويفرض عليها الصوم والزكاة والحج ، ويبين لها ما حرم عليها وما أحلَّ لها . ويسنُّ نظم الزواج والطلاق والميراث ، وحجاب المرأة ، والجihad في سبيل الله ورسوله .

وكان في المدينة يهود يجاهدون النبي ويؤلبون عليه ، ويفرون ضعيفي الايمان بالارتداد عن الاسلام ، فتعرض القرآن ، وذكَّروهم ما انعم الله على آبائهم بني اسرائيل ، وتوعدهم لتكذيبهم بالرسول ، ودعاهم الى تصديق دعوته .

وكان فيها منافقون يبطنون الكفر ويظهرون الايمان ، وكانوا يذيعون الاخبار عن حروب المسلمين فيتأذى النبي ، وتضعف قلوب المؤمنين ؛ فتناولهم القرآن وندَّ بهم وهدَّدهم .

واذا رأى في المسلمين تقهقراً ، او ضعفاً ، او شقاقاً دعاهم الى الالفه ، وانبهم على الانهزام ، وحصَّهم على القتال ، وذكَّروهم ان الموت في الجهاد مغفرة ورحمة . ولم يكن في الحجاز نصارى يقاومون الدعوة ، فلم يتعرض لهم القرآن كثيراً ، وهو في كلامه عليهم ارفق بهم منه باليهود .

والقرآن في السور المدنية كما في السور المكية يردّد ذكر الانبياء واخبارهم ، وما انزل اليهم . ويدعو الناس الى الايمان ؛ واصفاً لهم الجنة والحجيم ، مظهرأ قدرة الله في مخلوقاته .

النساء

القرآن مثال اعلى للبلاغة ، سواء في ايجازه ، او في قوّة تعبيره ، او في ائتلاف الفاظه وانسجام كلماتها . ويمتاز برقته وسهولته ، وبعده من الغريب المستهجن . لمقاطعته رنة لذينة ، ظنها الاعراب في اول امرهم شعراً ، حتى نزلت الآية : « وَمَا

عَلَّمَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ . « وَقَدْ يوازن القرآن ويسجع ، ولكنه لا يتكلف السجع ولا الموازنة .

وانشاء القرآن يرافقه اغراضه في الشدة واللين . فهو في المواقف العاطفية ، مواقف الوعد والوعيد ، قصير الآيات ، فيه لفظ مكرر لزيادة التهويل ، او لزيادة التقرير ؛ كثير السجع ، قوي الرنة عند المقاطع . واغلب ما يكون ذلك في السور المكية ، ولا سيما السور القصار كسورة القارعة :

« الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ . وَمَا أَذْرِيكَ مَا الْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ . فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ . وَمَا أَذْرِيكَ مَا هِيَةٌ . نَارٌ حَامِيَةٌ . (١) »

وهو في غير المواقف العاطفية طويل الآيات ، قليل السجع ؛ خفيف الرنة عند المقاطع . واغلب ما يكون ذلك في السور المدنية ؛ ولا سيما آيات الاستدراج ، وما كان منها في غير الغزوات ، وفي غير الوعد والوعيد . كقوله يشوع الصوم في سورة البقرة :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ

(١) « القارعة » : اي القيامة التي تفرع القلوب بأهوالها . « ما القارعة » : تحويل لشأخا وهما مبتدأ وخبر ، خبر القارعة . « وما اذريك » : أعلمك . « ما القارعة » زيادة تحويل لها ، وما الاولى مبتدأ ، وما بعدها خبره . وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدري . « يوم » : ناصبه دل عليه القارعة اي تفرع . « يكون الناس كالفرش المبعوث » : كغواء الجراد المنتشر يوج بعضهم في بعض للحيرة الى ان يُدعوا للحساب . « وتكون الجبال كالهن المنفوش » : كالصوف المندوف في خفة سيرها حتى تستوي مع الارض . « فاما من ثقلت موازينه » : بأن رجحت حسناته على سيئاته . « فهو في عيشة راضية » : في الجنة ، اي ذات رضى بان يرضاه أي مرضية له . « واما من خفت موازينه » : بان رجحت سيئاته على حسناته . « فأمه » : فسكنه . « هاوية وما اذريك ما هية » اي ما هاوية هي . « نار حامية » : شديدة الحرارة . وهاء هية للسكت تثبت وصلاً ووقفاً . (تفسير الجلالين)

فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ^(١) . وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ^(٢) فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا^(٣) فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ^(٤) إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

تأثيره

للقرآن فضل عظيم على اللغة العربية فهو الذي هذب عبارتها ، ووجد لهجاتها ونشرها شرقاً وغرباً بانتشار الدين الاسلامي .

وسحر الناس ببيانه فحفظوه . واثّر فيهم اسلوبه ، فرقت ألفاظهم ، ولطفت معانيهم . وظهر هذا التأثير في الشعر والنثر معاً ولا سيما الانشاء الخطابي .

ومن فضله على اللغة ان علم النحر وضع خدمة له واشفاقاً من اللحن في قراءته ، وان علم المعاني وضع توصلاً لمعرفة اسراره ، وان اشعار العرب في الجاهلية وصدر الاسلام جمعت ليستعان بها على تفسير آياته .

ولولا القرآن لتلاشت العربية بغارات التتر والاتراك ، بعد ان أدب من سلطان بني العباس . ولكنه وقف في وجه الفاتحين والمكتسحين ، يدافع عن لغته الفصحى ، فلم يجوزوا ان يتعرضوا لها بسوء بعد ان اسلموا ، فظلت لغة الدين والدواوين والمراسلات . ولم يؤثر فيها انتشار اللهجات العامية ، وطُمُطْمانية الاعاجم . فاللغة ، كما ترى ، مدينة بأدابها وحياتها للقرآن .

(١) « فعدة من ايام أخر » : أي فعليه عدة من ايام أخر يصومها بدلاً من الايام التي افطر فيها . (٢) « وعلى الذين يطيقونه » : اي الذين لا يطيقونه لكبر او مرض لا يرجي برؤه . (٣) « فمن تطوع خيراً » اي بالزيادة على القدر المذكور في الفدية . (٤) « وان تصوموا خير لكم » : اي خير لكم من الافطار والفدية . (تفسير الجلالين)

الخطابة

- اسباب ازدهارها : انقلاب ديني وسياسي . حروب ، وفتوح ، وخروج ، واحزاب .
 الخطب الدينية . الخطب العسكرية . الخطب السياسية . الحاجة الى
 الخطباء . اختيار الولاة منهم .
 عاداتهم في الخطابة : وقوفهم . بماذا يشيرون . وعلى ماذا يعتمدون . اول منبر . الوليد
 اول من خطب جالسا . ماذا يعيرون في الخطيب وماذا يمدحون .
 ميزة الخطابة : طلاوة اسلوب . جمل قصيرة . الفاظ مختارة . الخطب الطوال والقصار .
 استهلالها بالحمدلة . اعتمادها على الآيات . كثرة عدد الخطباء .

اسباب ازدهارها

لم تزد الخطابة العربية في عصر من العصور مثل ازدهارها في صدر الاسلام . فقد كانت العوامل متوافرة لشيوع هذا الفن وتقدمه . فمن فصاحة فطرية في العربي ، الى براعة التصرف في ضروب الكلام . ومن انقلاب ديني عظيم ، الى انقلاب سياسي عظيم . ومن حروب وفتوح ، الى خروج وعصيان واحزاب . فقد جاء الاسلام ، وهو دين اجتماعي ، فكانت الخطب الدينية تلقى في الجوامع . ثم استعوت حروب الفتح والحروب الداخلية ، وانقسمت الجماعة احزاباً من اجل الخلاف ، فكانت الخطب العسكرية تُضرم بها الحماسة في صدور الرجال ، وكانت الخطب السياسية يلقيها الزعماء على احزابهم لتشد ازهم ، او يردوا بها على خصومهم لبدحوا اقوالهم ، او يخاطبوا بها بلداً عاصياً ليدعوه الى الطاعة . فلا عجب اذاً ان يكون للخطابة شأن عظيم في ذاك العهد وهي تعتمد على الدين من ناحية ، وعلى السياسة من ناحية اخرى . ولا عجب ايضاً ان تكون الحاجة الى الخطيب اشد منها الى الشاعر ، فيعني الخلفاء باختيار ولاتهم ممن عرفوا بالفصاحة ومضاء اللسان . لان الخطيب المصنوع يستطيع ان يستفيض في غرضه منطلقاً من القيود ، فيتوصل الى غايته من اقناع الجمهور اكثر مما يستطيع الشاعر المكبل بالوزن والقافية .

عادة امرهم في الخطابة

كان العربي اذا وقف خطيباً قام على نَشْرٍ^(١) من الارض او على ظهر دابة ، واخذ بيده مِخْصَرَةً^(٢) يشير بها ، او اعتمد على سيف او قوس او قناة .
وَصُنِعَ للنبي اول منبر في مسجد ، صنعه قيم الداري وكان قد رأى منابر الكنائس في الشام .

وروي ان الوليد بن عبد الملك اول من جلس خطيباً في الناس واقتدى به بعض الخلفاء والعلماء ، ولكن عادة الوقوف ظلت اكثر شيوعاً واتباعاً .
وكان العرب اذا خطبوا يشيرون برفع اليد ووضعها على غير اكثار ، ولا يبالغون في الاهتزاز .

وكانوا يعميرون في الخطيب التشديق^(٣) ، والتعير^(٤) ، والتفنيق^(٥) ، والتزييد في جبهة الصوت ، وهذل الشفاء^(٦) ، والهذر ، والتكلف ، والاسهاب ، والاكثار ، والتوعر لانه يُسَلَم الى التعقيد ، والتعقيد يستهلك المعاني ويشين الالفاظ . ويكوهون اللحن ، والتردد ، واضطراب اللسان ، وفساد مخارج الحروف ، والتنحنج ، والسعال ، ومسح اللحية ، وكل حركة يستعان بها على البيان .

وكانوا يمدحون شدة العارضة^(٧) ، وظهور الحجة ، وثبات الجنان ، وكثرة الريق ، والعلو عن الحُصم . ويجبون الطلاقة ، والتجبير^(٨) ، والبلاغة ، والتخلص ، والرشاقة .

مبرة الخطابة

تمتاز الخطابة في صدر الاسلام بطلاوة اسلوبها وقصر جملها ، وتخير الفاظها ، والخطب على ضربين : منها الطوال التي كثر فيها الاطناب ، ومنها القصار التي

(١) النَشْر : المكان المرتفع . (٢) المِخْصَرَة : كالسوط ، وما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها ، وما يأخذ الخطيب ليشير به اذا خطب . (٣) التشديق : اخراج الكلام من الشدق . (٤) التعير : اخراج الكلام من قعر الفم . (٥) التفنيق : التنطع والتوسع في الكلام كأن الخطيب ملاه به فمه . (٦) هذل الشفاء : ارخاؤها الى اسفل . (٧) العارضة : البيان واللسن والقدرة على الكلام . (٨) التجبير : تحسين الكلام .

غلب عليها الإيجاز مع بلوغ القصد . وقصارها أكثر شيوعاً من طولها ، وكانت تبدأ بالحمدلة ^(١) ، وكثيراً ما تعتمد على الآيات ، لما للقرآن من التأثير في نفوس المسلمين . وربما جاءت الخطبة برمتها مجموعة آيات كخطبة مُصعب بن الزبير لما قدم العراق داعياً أهله إلى مبايعة أخيه عبد الله .

وكثر عدد الخطباء في هذا العصر لكثرة الحاجة إليهم . وكان النبي خطيباً ، والخلفاء الراشدون جميعاً خطباء وأخطبهم الإمام علي ^(٢) . واشتهر الخوارج بجزالة الفاظهم ، وبلاغة منطقتهم ، ومنهم قطري بن النجاعة وله خطبة بليغة في ذم الدنيا . وضرب المثل بفصاحة سحبان وائل ، ولكن لم يصل إلينا من آثاره إلا شيء قليل ، وكان يطيل الخطبة حتى يسيل عرقاً ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ من غرضه .

ونكتفي بدرس خطيبين شهيرين ، يمثلان ميزة الخطابة في عصرهما أحسن تمثيل إلا وهما زياد ابن أبيه والحجاج .

زياد ابن أبيه

٦٧٢ م و ٥٣ هـ (؟)

- | | |
|---------|---|
| حياته : | لم يُعرف أبوه . أمه سُمَيَّة مولاة الحرث بن كلدة . خطبته في حضر عمر . ادعاء أبي سفيان أياه . ولايته على فارس . ولايته على البصرة . ولايته على الكوفة . موته . |
| آثاره : | خطب سياسية وإدارية أشهرها البتراء . |
| ميزته : | الخطبة البتراء . جلاء ، وبلاغة وإيجاز ووضوح وحسن تنسيق . واعظ في القسم الأول . قاض ومشترع في القسم الثاني . عادل تزيه في القسم الثالث . سياسي داهية يبث الدعوة للامويين في القسم الأخير . مترلته : عبقري في فصاحته وحزمه ودهائه . قول ابن العاص : ساق العرب بعصاه . |

(١) الحمدلة : حمد الله . (٢) أرجأنا درس الإمام علي إلى كتاب آخر نخص به حكماء العرب .

هو زياد ابن أبيه ، وزياد ابن سُميّة ، وزياد بن ابي سُفيان ، وزياد بن عُبيد^(١) لانه لم يكن له اب شرعي يعرف به . ولد بالطائف في السنة الثامنة للهجرة ، وقيل في السنة الاولى . وأمه سُميّة مولاة للطبيب الحرث بن كَلْدَة الثَّقَفي .

وظهرت النجابة على زياد منذ حدثته فعرف بالفصاحة والدهاء ، والحزم والشدة . ولما نشأ استكتبه ابو موسى الأشعري ، وهو على البصرة من قبل عمر ، فأعجب به الناس . ثم عهد اليه عمر بمهمة فأحسن القيام بها ، ولما عاد خطب في حضرة عمر ، وعنده المهاجرون والانصار ، فدهشوا لفصاحته وقال عمرو بن العاص ، وكان حاضراً : « لله در هذا الغلام ! لو كان ابوه قرشياً لساق العرب بعصاه ! » فقال ابو سفيان : « اني اعرف اياه » فقال عمر : « من هو ؟ » قال : « انا هو » وبهذا القول تمسك معاوية حين استلحق زياداً بابيه .

ولادته على فارس

ولما استخلف عليّ استعمل زياداً على فارس فأخذ ثورتها وضبطها وحمى قلاعها فساء ذلك معاوية فكتب الى زياد يتوعده ويعرض بولادة ابي سفيان اياه . فلما قرأ زياد كتابه قام في الناس خطيباً وقال : « العجب كل العجب من ابن آكلة الاكباد ، ورأس التفاق ! يخونني بقصده اياي ، وبينني وبينه ابنُ عم رسول الله في المهاجرين والانصار . ولو أذن لي في لقائه ، لوجدني أحمر^(٢) محشياً ضرأباً بالسيف . » وبلغ ذلك علياً فكتب اليه : « اني وليّك ما وليّك وانا اراك له اهلاً . وقد كان من ابي سُفيان فلتة من امانى الباطل ، وكذب النفس ، لا توجب له ميراثاً ، ولا يُجزل له نسباً . وإن معاوية يأتي الانسان من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله . فاحذر ثم احذر والسلام ! »

ولادته على البصرة

فلما قُتل عليّ صالح معاوية زياداً ، واستلحقه بنسبه ليستميله ويستصفي مودته .

(١) عُبيد : غلام رومي للحرث بن كَلْدَة قيل انه تزوج سمية أم زياد (٢) الاحمر : الموت الشديد

ثم ولاة البصرة واعمالها : خراسان وسجستان . ثم جمع له الهند والبحرين وُعمان .
 فقدم زياد البصرة والمعارضة مستفحلة ، والفسوق عن الدين متفشٍ فيها . فخطب
 في الناس خطبته البتراء ^(١) وجدَّ في اقامة الشرائع التي قرررها . فكان اول من
 شدَّد امر السلطان ، وأخذ بالظنَّة ، وعاقب على الشبهة حتى هابه الناس ، واذعن
 المعارضون ، وساد الامن فكان الشيء يسقط من يد المرأة او الرجل فما تَمَدَّ اليه يد
 حتى يعود صاحبه فيجده في مكانه فيأخذه . واصبح الناس لا يغلقون ابوابهم
 اطمئناناً . وقيل انه اول من سَيَّر بين يديه بالحراب والعمد .

ولادته على الكوفة

ولما مات المنصور بن شعبة امير الكوفة استعمل معاوية زياداً عليها فكان اول
 من جُمع له العراقيان ، فكان يقيم في البصرة ستة اشهر وفي الكوفة مثلها .
 ولما دخل الكوفة وخطب في الناس ، حصوه ، فأمسك حتى فرغوا . ثم اسرَّ
 الى اصحابه ان يسكروا الابواب ، واخذ كرسياً وجلس على باب المسجد ، وقبض
 على من وقعت الشبهة عليهم وقطع ايديهم .

موته

أصيب زياد بالطاعون فقضى على حياته . وزعموا ان السبب في ذلك انه كتب
 الى معاوية : « اني قد ضبطت العراق بشالي ، وعيني فارغة فاشغلها بالحجاز . » فكتب
 له عهده على الحجاز ، فأنف اهل الحجاز من ذلك ، فاجتمع نفر منهم ودعوا عليه ،
 وكان من دعائهم : « اللهم اكفنا شر زياد . » فخرجت طاعونة في اصبع يمينه .
 فلما حضرته الوفاة دعا سُريحا القاضي وقال : « أمرتُ بقطعها فأشر عليّ ؛ » فقال
 سُريح : « اني اخشى ان يكون الاجل قد دنا فتلقى الله أجذَم ^(١) وقد قطعت
 يدك كراهة لقائه . او ان يكون في الاجل تأخير فتعيش اجذم ويعيِّرُ وُلْدُكَ . »
 فقال : « لا ابيت والطاعون في حافر واحد . » واراد قطعها ، فلما رأى النار

(١) الخطبة البتراء : التي لم يذكر فيها الحمد لله والتسليم أي ان تستهل بحمد الله والصلاة

على النبي . (٢) الاجذم : المقطوع اليد .

والمكاوي جزع وعدل . وقيل : بل أتبع رأي شريح .
فلما بلغ موته عبدالله بن عمر بن الخطاب قال : « اذهب ابنُ ميمّة الاخرة
ادركت ، ولا الدنيا بقيت عليك . »

ورثاه مسكين الدارمي ، فردّ عليه الفزدق هاجياً ، وكان يومئذ طريد
زياد ، ولكنه لم يحسر ان يهجوّه في حياته لشدة سطوته وطول يده .
وظلّ ابناؤ زياد يُعدّون من قريش حتى استخلف المهديّ العباسي فردّهم
على عبيد .

أما

خطبٌ عديدة سياسية وإدارية ، متفرقة في كتب الادب ، أشهرها الخطبة
البتراء .

ميرته - الخطبة البتراء

يبدأ زياد خطبته بذكر ما يأتي اهل البصرة من المنكرات في عصيانهم الله جل جلاله
فيعدد لهم مساوئهم ، ويؤنبهم على فسوقهم فيقول :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجَهْلَالَ الْجَهْلَاءَ ^(١) ، وَالضَّلَالَةَ الْعَمِيَاءَ ، وَالْغِيَّ ^(٢)
الْمُوفِي ^(٣) بِأَهْلِهِ عَلَى النَّارِ ، مَا فِيهِ سَفَهَاؤُكُمْ ^(٤) ، وَيَشْتَمُلُ عَلَيْهِ حُلَاؤُكُمْ ^(٥)
مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ ، يَنْبُتُ ^(٦) فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَلَا يَتَخَاشَى عَنْهَا الْكَبِيرُ .
كَأَنَّهُمْ لَمْ تَقْرَأُوا كِتَابَ اللَّهِ ، وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ ^(٧)
الْكَرِيمِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ فِي الزَّمَنِ السَّرْمَدِيِّ
الَّذِي لَا يَزُولُ . أَتَكُونُونَ كَمَنْ طَرَفَتْ عَيْنِيهِ الدُّنْيَا ^(٨) ، وَسَدَّتْ مَسَامِعُهُ

- (١) الجَهْلَاءَ : تأكيد للجَهْلالة ويشترق من اسمها كالليلة الليلاء والداهية الدهياء ونحوهما .
(٢) الغي : الاضحاك في الجبل والضللال . (٣) الموفي : المشرف . (٤) سفهاؤكم : جهلاؤكم .
(٥) حلأؤكم : عقلاؤكم . (٦) ينبت : ينمو شبابه . (٧) الثواب : الجزاء . (٨) يقول :
طرفت عينيه الدنيا الغرور بزخارفها فما ييصر ما امامه .

الشَّهَوَاتُ ، وَاخْتَارَ الْفَانِيَةَ عَلَى الْبَاقِيَةِ ؟ وَلَا تَذْكُرُونَ أَنَّكُمْ أَحَدْتُمْ فِي
الْإِسْلَامِ الْخَدَثَ الَّذِي لَمْ تُسَبِّقُوا إِلَيْهِ ، مِنْ تَرْكِكُمْ الضَّعِيفَ يُقَهَّرُ وَيُؤْخَذُ
مَسْأَلُهُ : مَا هَذِهِ الْمَوَاحِيرُ ^(١) الْمَنْصُوبَةُ ^(٢) ؟ وَالضَّعِيفَةُ الْمَسْلُوبَةُ فِي النَّهَارِ
الْمُبْصِرِ ؟ وَالْعَدَدُ غَيْرُ قَلِيلٍ !

ثم يعلن قانوناً جديداً للعقوبات ، فكان فيها أول والٍ مسلم جاوز الحدود
في أحكامه :

إِنِّي رَأَيْتُ آخَرَ هَذَا الْأَمْرِ لَا يَضِلُّهُ إِلَّا بِمَا صَلَحَ أَوَّلُهُ : لَيْنٌ فِي غَيْرِهَا
ضَعْفٌ ، وَشِدَّةٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ . وَإِنِّي لَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لَا أَخْذَنَ الْوَلِيَّ ^(٣) بِالْمَوْلَى ^(٤) ،
وَالْمُقِيمَ بِالطَّاعِنِ ^(٥) وَالْمُقِيلَ بِالْمُذْبِرِ ، وَالْمُطِيعَ بِالْعَاصِي ، وَالصَّحِيحَ
مِنْكُمْ فِي نَفْسِهِ بِالسَّقِيمِ . حَتَّى يَلْقَى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ فَيَقُولَ : « أَنْجُ
سَعْدُ ، فَقَدْ هَلَكَ سَعِيدٌ » ^(٦) أَوْ تَسْتَقِيمَ قَنَاتُكُمْ ^(٧)

إِنَّ كَذِبَةَ الْمَنْبَرِ بَلْقَاءُ ^(٨) مَشْهُورَةٌ ، فَإِذَا تَعَلَّقْتُمْ عَلَيَّ بِكَذِبَةٍ فَقَدْ حَلَّتْ
لَكُمْ مَعْصِيَتِي ، فَإِذَا سَمِعْتُمُوهَا مِنِّي فَأَعْتَمِزُوهَا فِيَّ ^(٩) ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِنْدِي
أَمْثَالَهَا ^(١٠) . مَنْ نُقِبَ مِنْكُمْ عَلَيْهِ فَأَنَا ضَامِنٌ لِمَا ذَهَبَ مِنْهُ ^(١١) . فَإِيَايَ
وَدَلَجَ ^(١٢) اللَّيْلُ ! فَإِنِّي لَا أُوتِي بِمُدْلَجٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَقَدْ أَجَلْتُكُمْ
فِي ذَلِكَ بِمِقْدَارِ مَا يَأْتِي الْخَبَرُ الْكُوفَةُ وَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ .

وَإِيَايَ وَدَعَوَى الْجَاهِلِيَّةِ ! فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ

(١) المَوَاحِيرُ : بيوت الريبة مفرد ما خور . (٢) المنصوبة : المرفوعة . (٣) الولي :
السيد . (٤) المولى : العبد . (٥) الطاعن : الراحل . (٦) مثل يضرب في تتابع الشر .
(٧) القناة : عود الرمح . واستقامتها كناية عن الطاعة والالتقياد . (٨) البلقاء : موث الأبلق
وهو الفرس فيه سواد وبياض والمججل الى الفخذين . والكذبة البلقاء : اي التي لا تحفى كما
لا تحفى التحجيل في الفرس . (٩) اعتمزوها في : أي اطعنوا علي هذه الكذبة . (١٠) امثاله :
أي كذبات غيرها كثيرة . (١١) مَنْ نُقِبَ عَلَيْهِ : اي من خرق بيته للسرقة . (١٢) فايأي
ودلج الليل : اي اياي فاحذروا ، واحذروا دلج الليل اي السير في آخر الليل .

لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحَدْتُمْ أَحْدَاثًا ^(١) لَمْ تَكُنْ ، وَقَدْ أَحَدْتُنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ
عُقُوبَةً . فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَقْنَاهُ . وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقْنَاهُ ، وَمَنْ نَقَبَ
بَيْتًا نَقَبْنَا عَنْ قَلْبِهِ . وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنَاهُ حَيًّا فِيهِ . فَكُفُّوا عَنِّي أَيْدِيَكُمْ
وَأَلْسِنَتَكُمْ أَكْثَفْ عَنْكُمْ يَدِي وَلِسَانِي . وَلَا تَظْهَرُ مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ رِيْبَةٌ
بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ عَامِلُكُمْ ^(٢) إِلَّا ضَرْبُ عُتْقَةٍ .

ثم يظهر لهم انه لا يحمل الحقد لاحد ممن كان بينه وبينهم عداوة ، وانه لا
يُمالي مبغضيه ولا يناظرهم ، ويدعوهم الى استئناف اعمالهم فيقول :

وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ إِحْنٌ ^(٣) فَجَعَلْتُ ذَلِكَ دُبُرٌ ^(٤) أَذُنِي وَتَحْتَ
قَدَمِي ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ إِحْسَانًا ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسِيئًا
فَلْيَتَرَعْ ^(٥) عَنْ إِسَاءَتِهِ .

إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَهُ السِّلُّ مِنْ بُغْضِي ، لَمْ أَكْشِفْ لَهُ
قِنَاعًا ، وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبْدِيَ لِي صَفْحَتَهُ ^(٦) ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ
أُناظِرُهُ . فَاسْتَأْنِفُوا أُمُورَكُمْ ، وَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ . قُرْبٌ مُبْتَسِرٌ بِقُدُومِنَا
سَلِيَسِرٌ ، وَمَسْرُورٌ بِقُدُومِنَا سَلِيَتَسِرٌ .

ثم يدعوهم الى طاعة بني أمية ، والاذعان الى سلطان الله الذي اعطاهم فيقول :
أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَاسَةً ، وَعَنْكُمْ ذَادَةٌ ^(٧) ، نَسُوسُكُمْ
أَبْسلُطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَا ، وَنَذُودُ ^(٨) عَنْكُمْ بَقِيَّةُ ^(٩) اللَّهِ الَّذِي خَوَّلَنَا ، فَلَنَّا
عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي مَا أَحْبَبْنَا ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِي مَا وَلَيْنَا ^(١٠) .

(١) الاحداث : جمع حدث وهو الامر المنكر الذي ليس معتاداً ولا معروفاً في السنة .
(٢) عاملكم : واليكم ويريد بذلك نفسه . (٣) إحن : جمع إحنة وهي الحقد . (٤) دُبُر :
خلف . (٥) ترع عن الامر : انتهى عنه . (٦) صفحته : وجهه . (٧) الذادة : جمع
الذائد وهو الخامي . (٨) نذود : ندافع . (٩) البقية : مال الخراج والفتح والجزية .
(١٠) ولينا : اي ما قولينا من الامر .

فَلَسْتُ وَجِبُوا عَدْلَانَا وَفِينَا بِمُنَاصَحَتِكُمْ إِنَّا . وَأَعْلَمُوا أَنِّي مَهْمَا قَصَرْتُ عَنْهُ ^(١)
 فَلَنْ أَقْصَرَ عَنْ ثَلَاثٍ ^(٢) : لَسْتُ مُحْتَجِبًا عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ مِنْكُمْ وَلَوْ أَتَانِي
 طَارِقًا بَلِيلٌ ، وَلَا حَاسِبًا عَطَاءً وَلَا رِزْقًا عَنْ إِبَانَةِ ^(٣) وَلَا مُجَبَّرًا ^(٤) لَكُمْ
 بَعَثًا ^(٥) . فَادْعُوا اللَّهَ بِالْصَّلَاحِ لِإِثْمَتِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ سَأَسْتَكْمُ الْمُؤَدِّيُونَ لَكُمْ ،
 وَكُهُفُكُمْ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوُونَ ، وَمَتَى يُضْلَحُوا تُضْلَحُوا ، وَلَا تُشْرَبُوا قُلُوبَكُمْ
 بُغْضُهُمْ فَيَشْتَدَّ لِدَلِكْ غَيْظُكُمْ ^(٦) ، وَيَطُولَ لَهُ حُزْنُكُمْ ، وَلَا تُذَرِكُوا
 لَهُ حَاجَتَكُمْ ^(٧) ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ اسْتَجِيبَ لَكُمْ فِيهِمْ لَسَكَانَ شَرًّا لَكُمْ ^(٨)

وقد كانت هذه الخطبة كافية لارهاب البصريين . فان الفاظها انقضت على
 رؤوسهم انقضاء الصواعق ، فوجوا لها وقت في عضدهم ، وهالهم ما فيها من
 تهديد ووعيد . وما ان همس هامس : « أنبأنا الله بغير ما قلت » ، واراد بذلك
 الاحكام التي جاوز فيها السنة ، حتى سمعه زياد فقال : « إِنَّا لَا نَبْلُغُ الْمَرَادَ فِيكَ
 وَفِي صَحَابِكَ حَتَّى نَخُوضَ إِلَيْكُمْ الْبَاطِلَ خَوْضًا . »

ولم يكن زياد هازلاً في كلامه ، فانه لم يلبث ان قرن القول بالعمل . فكان
 رهيباً في خطبته ، ورهيباً في تنفيذ احكامه .

وقد رأيت ما في معاني هذه الخطبة من جلاء وبلاغة ، على ايجاز كثير في
 اللفظ ، وما في تنسيقها من فن وجمال . فانه وقف في القسم الاول منها موقفاً واعظ
 يذكر للقوم ذنوبهم ، ويذكرهم كتاب الله وما فيه من وعد طيب للمتقين ، ووعيد
 راعب للفاسقين .

ثم انه وقف في القسم الثاني موقف القاضي المشتزع ، فبين للقوم انهم احدثوا في
 الاسلام احداثاً غير مألوفة ، فأحدث لهم عقوبات غير مألوفة . ونستدل من هذا

(١) عنه : اي عن شيء والضمير عائد الى مها . (٢) ثلاث : اي ثلاث مسائل . (٣) إبانة :
 وقته . (٤) مجبراً : حاسباً في ارض العدو . (٥) بعثاً : جيشاً . (٦) فيشتد لذلك غيظكم : اي لانكم
 تقهرون انفسكم اذا افضتموه . (٧) يقول : يطول حزنكم من القهر ولا تلبسون ما دبركم
 منهم . (٨) يقول : لو استجيب دعائكم عليهم للاقتم شرّاً لانكم لن تجدوا سلطاناً خيراً من سلطانهم .

القسم ان العرب في صدر الاسلام ظالوا يحنون الى جاهليتهم ويدعون بها ، لانهم رأوا في الاسلام نظاماً وقيوداً لم يتعودوها . واراد زياد ان يفهم البصريين انه جاد في تنفيذ شرائعه ، فأحلّ لهم معصيته ان تعلقوا عليه بكذبة : « ان كذبة المنبر بقاء . . . » ويختم هذا القسم بدعوتهم الى الاقتداء به والاضرب ساعناقهم .

ووقف في القسم الثالث موقف الحكم التزيه العادل ، المصقّي من الحزازات والضعائن ، المرتفع عن الاحزاب : « فربّ مبتئس بقدمنا سيّسر ، ومسرور بقدمنا سيبتئس . »

ووقف في القسم الاخير موقف سياسي داهية يث الدعوة للامويين . فطلب من البصريين السمع والطاعة ، ووعدهم بقضاء حاجاتهم ، واعطائهم الرزق في وقته ، وعدم حبس الجليش في ارض العدو .

ثم افهمهم انهم اعجز من ان يبلغوا مأرباً من اثمهم اذا ابوا الخضوع لهم ، وان بني أمية خير لهم من غيرهم . وكان ختام خطبته وعيداً ليظل صوت التهديد يطن في آذانهم : « إن لي فيكم لصراً كثيراً ، فليحذر كل امرئ منكم ان يكون من صرعاي ! . . . »

صرته

قال الشعبي : « ما سمعتُ متكلماً على منبر قط تكلم فأحسن إلا احببت ان يسكت خوفاً من ان يسيء إلا زياداً فإنه كان كلما اكثّر كان اجود كلاماً . » وقال الحسن البصري : « أوعد عمرُ فعفا ، وأوعد زياد فابتلى . » وقال عمرو بن العاص ، وقد سمعه يخطب وهو فتى : « لله درّ هذا الغلام ! لو كان ابوه قرشياً لساق العرب بعصاه ! » وكأنّ الاقدار ارادت ان تحقق قول ابن العاص فيه ، فما استلحقه معاوية وولاه البصرة حتى لمعت عبقريته ، فصاحة وحزماً ودهاء ، فساق العرب بعصاه ! . . .

١٢٧/٢٥٥

الحجاج

٧١٣ م و ٩٥ هـ (؟)

حياته : نشأته في الطائف . اتصاله بالامويين . احراقه فساطيط رَوح . ولايته على الحجاز : حصار مكة . ضرب الكعبة بالمنجنيق . مقتل ابن الزبير . تجديد بناء الكعبة . ختم ايدي الصحابة . ولايته على العراقيين : قدومه الكوفة وخطبته . قتله عمير بن ضابئ . قدومه البصرة . قتله شريك ابن عمرو . محاربة الخوارج . وصية عبد الملك فيه . موته : في اواخر خلافة الوليد . عدد قتلاه ١٢٠ ألفاً ، ترك في السجن بعده ٥٠ ألف رجل و ٣٠ ألف امرأة .

آثاره : خطب اكثرها في التهديد . اكثر من نسخ مصحف عثمان . امر باعجام الحروف .

ميزته : براعة في تصوير الكلام . جمل قصيرة مقطعة قوية ، فيها خشونة البداوة . يقتبس من القرآن ، ويتمثل بالاشعار . ظاهر الحجّة . يستهوي سامعيه ، ويفلبهم على ارادتهم . مترلته : وطد ملك بني أمية . قلبه ولسانه يجريان الى نخور اعدائه فرسي رهان .

حياته

هو الحجاج بن يوسف الثقفي ، وُلد في ايام معاوية سنة ٤١ هجرية ، وقيل بل سنة ٤٢ . ونشأ في الطائف ، وعلم فيها الغلمان ، ثم جاء الشام واتصل بروح بن زنباع الجذامي وزير عبد الملك بن مروان ، فكان في شرطته .

وأحسن الخليفة ان عسكره ينحل ويتراخي عنه فشكا الامر الى رَوح ، فقال : « ان في شرطي رجلاً لو قلّده امير المؤمنين امر عسكره لأرحل الناس برحيله ، وانزلهم بنزوله ، يقال له الحجاج بن يوسف ، » قال « قد قلّدتاه ذلك . » فما ان تولى الحجاج إمرة العسكر حتى اخذ يشدد عليهم ، ويكرههم على الطاعة . فاذعنوا له ولم يعصه الا اعوان رَوح بن زنباع . فأمر بهم فجُلدوا بالسياط وطوّقهم

بالعسكر ، ثم امر بفساطيط ^(١) رَوْح فأحرقته . فدخل رَوْح على عبد الملك شاكياً ، فقال : « عليّ به . » فلما دخل قال له : « ما حملك على ما فعلت ؟ » قال : « انت فعلت فانما يدي يدك وسوطي سوطك ، وما على امير المؤمنين الا ان يخلف على روح عوض الفسطاط فسطاطين ، وعوض الغلام غلامين ، ولا يكسرني في ما قدمتني . » فأعجب به عبد الملك ، وفعل ما قال . وكان ذلك اول ما عُرف من جرأته وحزمه ، فوجد بعده منهلاً عذبا لارواء آماله ومطامعه .

ولادته على الحجاز

فلما افتتح عبد الملك العراقيين بعد مقتل مصعب بن الزبير ، لم يبق دونه غير الحجاز وفيه عبد الله يدعي الخلافة . فقال الحجاج : « اناله يا امير المؤمنين ، فلقد رايت في منامي اني سلخته من جلده . » فجهّز له جيشاً عظيماً فرحف به في السنة الثانية والسبعين للهجرة ، فجرت بينه وبين عبد الله وقائع كثيرة ، دارت فيها الدائرة على ابن الزبير . ثم حاصر الحجاج مكة سبعة اشهر ، ونصب المنجنيق على ابي قُبَيْس ^(٢) ورمى به الكعبة ، وكان يأخذ الحجر بيده ويضعه في المنجنيق لان اصحابه خافوا هتك حرمة البيت . وشدّد الحصار حتى تضايق ابن الزبير ، واصاب الناس مجاعة شديدة ، فتفرقوا عنه وخرجوا الى الحجاج مستأمنين . فلم ير عبد الله بداً من القتال ، فخرج بن بقي معه ، وحارب مستبسلًا حتى قُتل . فارسل الحجاج رأسه الى عبد الملك ، واصل جثته . وصار الامر بعد ذلك لعبد الملك وبايعه اهل الحجاز واليمن . فأقر الحجاج اميراً على الحجاز ، فجدّد بناء الكعبة بعد ان هدمها ، ثم اقام بالمدينة مدة فأساء الى اهلها ، وختم ايدي جماعة من الصحابة بالرصاص . وكانت ولايته على الحجاز من سنة ٧٣ الى سنة ٧٥ هـ . و ٦٩٢ الى ٦٩٤ م .

ولادته على العراقين

ثم ولاه عبد الملك العراقيين ، وقد عانت فيها الحروب الداخلية ، فسار من المدينة الى الكوفة في اثني عشر راكباً على النجائب ، فدخل المسجد وصعد المنبر

(١) الفساطيط : جمع الفسطاط وهو السرداق من الابنية . (٢) ابو قُبَيْس : جبل مشرف على حرم مكة من جهة الشرق .

وهو متلثم بعمامة خز^(١) حمراء، وقال: «عليّ بالناس!» فحسبوه خارجياً وهشوا به، وهو جالس على المنبر ينتظر اجتماعهم. فاجتمع الناس وهو ساكت قد اطل السكوت. فتناول احدهم حصي الكبي يوميه بها، فلما تكلم جعلت الحصى تتناثر من يده وهو لا يشعر رعباً ومهابة.

ثم امر بان يلحق الناس بجيش المهلب لقتال الحورية^(٢) فجاءه عمير بن ضابئ الحنظلي فقال: «اصلى الله الامير، انا في هذا البعث^(٣) وانا شيخ كبير عليل، وابني هذا أشبُّ مني.» فقال الحجاج: «هذا خير لنسا من ابيه.» ثم قال: «من انت؟» قال: «انا عمير بن ضابئ.» قال: «ألست الذي غزا عثمان بن عفان؟» قال: «بلى.» قال: «يا عدو الله أفلا الى عثمان بعثت بدلاً وما حملك على ذلك؟» قال: «انه حبس ابي وكان شيخاً كبيراً.» قال: «أو لست القائل:

هَمَمْتُ، وَلَمْ أَفْعَلْ، وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَالُهُ؟

اني لأحسب ان في قتلك صلاح المضرين.» وامر به فضرب عنقه وأذهب ماله. ثم سار الحجاج الى البصرة وخطبهم، وتوعد من لا يلحق منهم بالمهلب بعد ثلاثة ايام. فأثاه شريك بن عمر اليشكري وكان اعور وبه فتق، فقال: «اصلى الله الامير إن بي فتقا وقد رآه بشر بن مروان فعذرني.» فأمر به فضرب عنقه. فلم يبق بالبصرة احد من عسكر المهلب الا لحق به. فقال المهلب: «اقد اتى العراق رجل ذكر. اليوم قوتل العدو.»

ثم شغب عليه اهل البصرة وعلى رأسهم عبد الله بن الجارود فاخضعهم وقتل ابن الجارود. وخرج عليه شبيب الخارجي فكانت بينهما وقائع كثيرة كتب النصر في نهايتها للحجاج. فتفرقت انصار شبيب عنه، وتردّى به فرسه من فوق

(١) الخز: ما نسج من الصوف والحرير او الحرير فقط. (٢) المهلب بن صفرة: عامل لبني أمية حارب عنهم الخوارج، ثم تولى خراسان من قبل الحجاج وظل عليها حتى توفي سنة ٨٣ هـ. و ٧٠٢ م واشهر اولاده يزيد بن المهلب، والمغيرة بن المهلب، قاتل الخوارج وكانت له معهم وقائع مشهورة. (٣) البعث: الجيش.

جسر فسقط في الماء وغرق .

ثم خرج عليه ابن الاشعث باكثر من مئتي الف ، فاستولى على العراق ، فأمد عبد الملك الحجاج بجيش لجب . فقاتل ابن الاشعث ثمانين وقعة في ستة اشهر حتى هزمه بدير الجماجم ^(١) واستنقذ العراق من يده ، وقتل خلقاً كثيراً من اصحابه .

ولما حضرت عبد الملك الوفاة قال لبننيه : « اكرموا الحجاج فانه الذي وطأ لكم المناير ، ودوخ لكم البلاد واذل الاعداء . » فأقره الوليد بعد ابيه على امارته في العراقين والمشرق .

موته

قيل انه هلك بأكلة ^(٢) في بطنه ، واصيب بالزهرير فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة ناراً وتُدنى منه حتى تحرق جلده وهو لا يحس بها . وشكا ما يجده الى الحسن البصري فقال : « قد كنت نهيتك ان لا تتعرض للصالحين . » فقال : « يا حسن لا أسألك ان تسأل الله ان يفرج عني ، ولكن ان يعجل قبض روحي ، ولا يطيل عذابي . » واقام الحجاج على ذلك خمسة عشر يوماً ، ثم توفي وله من العمر ٥٤ سنة . ومدة امارته على العراق ٢٠ سنة . مات بواسط ^(٣) فدفن بها ، ثم عفي قبره واجري عليه الماء لكي يخفي اثره . وكان هلكه في اواخر خلافة الوليد وقد جعله بعضهم سنة ٧١٦ م و ٩٨ هـ . وهذا خطأ ظاهر لان الحجاج مات قبل الوليد والوليد توفي سنة ٧١٤ م و ٩٦ هـ .

وقد ضرب المثل بجور الحجاج ، وروي انه اُحصى من قتلهم فكانوا عشرين ألفاً ومائة الف وكان في سجنه بعد موته خمسون الف رجل ، وثلاثون الف امرأة .

(١) دير الجماجم : دير بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر للسالك الى البصرة . (٢) الاكلة : علة صورتها صورة القروح الا انها تسمى في زمان يسير في مواضع كثيرة ولها رائحة . او هي داء في العضو يأكل منه . (٣) واسط : مدينة بناها الحجاج بين الكوفة والبصرة سنة ٨٣ هـ و ٧٠٢ م .

خطب عديدة أكثرها في التهديد . وأشهرها خطبة عند قدومه العراق ، وأخرى بعد واقعة دير الجماجم . ومن مآثره أنه أكثر من نسخ مصحف عثمان ، وأوغز إلى كاتبه نصر بن عاصم بأعجام الحروف للتمييز بين المتشابه منها .

صيرته

ليست حجارة المنجنيق بأشدّ وقعاً على الناس من خطب الحجاج في تهديده ووعيده . فلقد أوتي براءة عجيبة في تصريف الكلام ، على جرأة نادرة تتضاءل دونها جرأة زياد . فترى في جملة القصيرة المقطعة قوة لا تراها في غيره . ويبدو لك في الفاظه شيء من خشونة البداوة ، يزيد تعابيره عنفاً على عنف .

وهو في خطبه كثير الاقتباس من القرآن ، كثير الاستشهاد بالإشعار ، ظاهر لحنه ، يستهوي سامعيه ويملك أراذلهم ، فيريهم ظلمه عدلاً ، وعقابه رحمة حتى يتوهموا أنه مصيب في دعواه ، وأنهم هم القوم الظالمون .

فإذا اردت أن تتبين بلاغة الحجاج ودهاءه وشدة بأسه ، فعليك بخطبه في أهل العراق فإنها اصدق صور لنفس ذلك الطاغية الداهية الملسان . وما قولك برجل قدم الكوفة في اثني عشر راكباً على النجائب ، فجمع الناس في مسجدتها وقام على المنبر يخطبهم بقوله :

أَنَا ابْنُ جَلَا ، وَطَّلَاعُ الثَّنَايَا ، مَتَى أَضْعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي^(١)
إِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى أَبْصَاراً طَامِحَةً ، وَأَعْنَاقاً مُتَطَاوِلَةً ، وَرُؤُوساً قَدْ أَيْنَعَتْ
وَحَانَ قِطَافُهَا ، وَإِنِّي أَصَاحِبُهَا . وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الدِّمَاءِ تَرَفُّقُ بَيْنَ
الْعِمَامَةِ وَاللَّحَى .

هَذَا أَوْ أَنَّ الشَّدَّ فَاسْتَدَى زَيْمٌ ، قَدْ لَقَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمَ^(٢)

(١) ابن جلا : اراد به الواضح الامر . الثنايا : جمع الثنية وهي العقبة في الجبل ، واطلاع الثنايا : كناية عن يقدم على مشاق الامور . (٢) الزيم : جمع الزيمة وهي قطعة من الابل

لَيْسَ بِرَأْيِي إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ ، وَلَا يَجْزَارُهُ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمٌ ^(١)
 أَلَا وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَثَرَ كِنَانَتَهُ ^(٢) وَعَجَمَ عِيدَانَهَا ^(٣) فَوَجَدَنِي
 أَصْلَبَهَا عُوداً ، وَأَشَدَّهَا مَكْسِيراً ، فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ ، وَرَمَسَاكُمْ بِي .

مُزَنَّتُهُ

قال الحسن البصري : « تشبه زيادٌ بعمر فأفوط ، وتشبهه الحجاجُ بزياد فأهلك
 الناس . » وقال عبد الملك لبننيه لما حضرته الوفاة : « اكرموا الحجاج فإنه الذي
 وطأ لكم المنابر ، ودوخ لكم البلاد ، وأذلَّ الأعداء . » الا وان في كلا القولين
 لأصدق وصف للحجاج ، فان هذا الجبار كان شديد الإعجاب بزياد ، فتحداه
 مقتفراً ^(٤) آثاره ، ففاقه في تهديده ، وفاقه في احكامه ، ولولا هو لذهب ملك بني
 أمية بعد معاوية وبنيه . فانه الذي وطد لهم العرش وازال خلافة ابن الزبير ، ورد
 عنه الحوارج . وكان قلبه ولسانه يجريان الى نخور أعدائه فرسي رهان .

اقلها بعيران او ثلاثة واكثرها خمسة عشر ونحوها . وقوله : اشتدي زم : خطاب لاهل
 العراق شبههم بقطع الابل . ثم انتقل من الخطاب الى الغيبة فقال : قد لقيها الليل : أي لف
 الابل . السواق : السائق . الحطم : الظلوم للماشية يحشم بعضها ببعض . شبه نفسه بسائق
 ظلم يسوق اهل العراق . (١) الجزار : اللحم . الوضع : خشبة الجزار يقطع عليها اللحم .
 يقول : ليس هذا السائق راغياً او جزاراً فيرحم الماشية ويدارها . والمراد بذلك انه يسوقهم
 بلا شفقة ولا رحمة فعل السائق الحطم .

(٢) الكنانة : وعاء النبل ، والمراد انه عرض رجاله وفحص عنهم . (٣) عجم الود :
 عضه بسننه ليعرف صلابته من رخاوته . (٤) مقتفراً : متبغماً .

الكتابة

قلنا في كلامنا على النثر الجاهلي : ان الانسان الفطري لم يحتاج الى الكتابة ، لان هذا الفن انما ينشأ بنشوء الجماعات المنظمة ، وينمو بنمو القوى المفكرة ، ويعظم بعضهم الحاجة اليه . وقد ظل العرب في جاهليتهم لا يصطنعون الكتابة الا قليلاً ، حتى جاء الاسلام بفتوحاته ، وانشأ دولة منظمة مترامية الاطراف ، فمست الحاجة الى الكتابة ، لان مصالح المملكة قضت بان يكون لها دواوين تضبط شؤنها ، وان يكون الخلفاء على اتصال بعلمهم ، والعمال بخلفائهم ، وما من سبيل الى ذلك الا بالكتابة ، فجعل للدواوين كتاب يتوفرون على تنظيمها . ولم يكن للعرب يومئذ من الثقافة ما يمكنهم من الاضطلاع بهذه الامور ؛ فجعلت الدواوين على عهد الموالى ابناء الشعوب الاعجمية المتحضرة التي قهرها المسلمون وافتتحو بلادها . وكان هؤلاء الموالى لا يحسنون العربية في اول امرهم ، فنظموا شئون الدولة بلغاتهم ، فكانت اليونانية في الشام ، والقبطية في مصر ، والفارسية في العراق وفارس . وظلت كذلك حتى خلافة عبد الملك بن مروان ، فشرع في نقلها الى العربية شيئاً فشيئاً . وكان الموالى قد تعلموا لغة العرب وانقنوها ، فاستمرت ادارة الدواوين في ايديهم لبراعتهم في تنظيمها ، ولان العرب كانوا لا يرتاحون الى هذه الصناعات ، وربما أنفوا منها .

واما لغة الرسائل بين الخلفاء والعمال فكانت عربية خالصة ، قصيرة الجمل ، بليغة التعبير ، لا فوق بينها وبين لغة الخطابة . وكانت موجزة ، وربما اقتصرت على جملتين او ثلاث تامة المعنى ، كما في رسالة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص يستنجد به في مجاعة : « من عبد الله عمر امير المؤمنين الى العاصي ابن العاصي سلام . اما بعد ، فلعمرى يا عمرو ، ما تبالي اذا شيعت انت ومن معك ان اهلك انا ومن معي . فيا غوثاه ! ثم يا غوثاه ! »

ثم في جواب ابن العاص له :

« الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب من عمرو بن العاص . اما بعد ، فيا أيميك ! »

ثم يا لَيْلِكَ ، قد بعثتُ اليك ربيعاً^(١) اولها عندك وآخرها عندي والسلام !
ولم تطل الرسائل ، وتوضع لها الاصول الا بعد ان نبغ عبد الحميد بن يحيى^(٢) ،
وكتب لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية فكان هذا المولى طليعة المنشئين البلقاء .

العلوم

كان من اثر اختلاط العرب بالموالي وتراوجهم ، أن فسدت ملكة اللغة ،
وفشا اللحن في الكلام . وكان الخلفاء جد حِرَاص على صحة قراءة القرآن ،
فأشققوا من ان يفضي هذا اللحن في اللفظ الى افساد المعنى ؛ فشرعوا في ضبط اعراب
الكلمات ، وتحريك الحروف واعجابها . واول من اشتغل بالنحو ابو الأسود الدؤلي ،
جرى فيه على نحو اللغة السريانية ؛ ويقال ان اول باب وضعه كان التعجب . وهو
ايضاً اول من وضع الحركات على شكل نقط فجعل الفتحة نقطة فوق الحرف ،
والضمة نقطة بين يدي الحرف ، والكسرة نقطة من تحت الحرف . وكانوا ينقطون
هذه الحركات بمداد من غير لون المداد الذي يكتبون به الكلمات .

وظلت الحركات كذلك حتى زمن الحجاج بن يوسف فجعلت النقط لإعجام
الحروف المشابهة ، ثم كتبت الحركات بصورتها المعروفة الآن . (نحو اعراب؟)

ولم يقتصر اختلاط العرب بالموالي على وضع النحو والحركات والنقط ، بل
تعداه الى ابعد من ذلك ؛ فان هؤلاء الاعاجم من روم وفرس حملوا الى الامة العربية
حضارة عادية ، وعلوماً مزدهرة ، فنبهت بها كامن الفكر على طلب العلم ، وكان
لها من القرآن والحديث حافز على ذلك ، فتوَلَّد في نفسها نزوع الى التحضر والاستغلال
بالعلوم . فعُتِنَت اولا بدراسة القرآن وتفهم اسرارها ، واستنباط الاحكام منه ،
فنشأ علم التفسير ممهداً لطريق علم الفقه . وقد اشتهر من علماء التفسير طائفة من

(١) العير : القافلة . عبد الحميد بن يحيى : من اهل الشام الاصليين ، وكان مولى
لبنى عامر ، قتله السفاح بعد سقوط خلافة الامويين . ولم يصل اليها من آثاره سوى بضع
رسائل منها رسالة الى ولي العهد عبد الله بن مروان كثيرة الطول ولكنها غاية في البلاغة .

الصحابة وغير الصحابة . وكان الهوالي حظ وافر منه ، فنبت منهم ائمة كبار كالحسن البصري ، وابن سيرين ، ومجاهد بن جبر وغيرهم .

ثم عُنيت بالتاريخ رغبة في الاطلاع على احوال الامم القديمة ، فكان القصاصون من عرب وموال يروون لها اخبار الملوك والعظماء . ذكر المسعودي : « ان معاوية كان يجلس لاصحاب الاخبار في كل ليلة بعد العشاء ، فيقصون عليه اخبار العرب واياها ، والعجم وملوكها وسياستها في رعيتهما ، وسائر ملوك الامم وحروبها ومكايدها ، ثم ينام ثلث الليل ويقوم فيأتيه غلمان وعندهم كتب قد وكلوا بحفظها وقراءتها ، فيقروا ن عليه ما في تلك الكتب من سير الملوك ، واخبار الحروب ومكايدها ، وانواع السياسات . وعني المسلمون ايضاً بتدوين سيرة النبي ، واعمال صحابته . وكان يعرف علم التاريخ عندهم « بعلم اخبار الماضين . »

وعرف العرب في العصر الاموي شيئاً من العلوم الدخيلة كالفلسفة ، والطب ، والنجوم والكيمياء . ويرجع الفضل في ذلك الى المدارس السريانية كمدرسة الرها ونصيبين ، فان المسلمين بعد ان افتتحوا تلك البلاد تركوا هذه المدارس تتابع اعمالها فاستفادوا من علومها . واخرجت لهم اطباء عرفوا في ذلك العهد كابن اثال النصراني وكان طبيباً لمعاوية وماسرجويه ، وكان سرياني الجنس يهودي المذهب . قيل انه نقل كتاباً في الطب في ايام مروان بن الحكم .

وكان اول من اشتغل بهذه العلوم من العرب خالد بن يزيد بن معاوية ، فانه درس صناعة الكيمياء على راهب رومي يدعى مريانس ، فلما تعلمها امر بنقلها الى العربية ، فنقلها له رجل اسمه اسطفان . وذكر صاحب الفهرست ان سالماً كاتب هشام بن عبد الملك نقل رسائل ارسطو الى الاسكندر .

بيد ان صدر الاسلام لم يترك لنا من العلوم الدخيلة وغير الدخيلة الا اخبارها ، فلا يصح لنا ان نبحث عنها في هذا العصر ، ولكن في عصر بنى العباس .

الرواية

كان لكل شاعر في الجاهلية رواية يروي شعره ويؤويه غيره ، لان الكتابة لم تكن شائعة في ذاك العصر . ولولا الرواية لما وصل الينا شيء من الشعر الجاهلي . ثم شاعت الكتابة في الاسلام بعد ان تم الامر لبني أمية ولكن الشعر ظل محفوظاً في صدور الرواة ، ولم يُدَوَّن الا في العصر العباسي الاول . على ان الرواة كثر عددهم في العصر الأموي ، لان المسلمين لما شرعوا بتفسير القرآن وضبط ألفاظه ، اضطروا الى جمع اشعار العرب وامثالهم ليستعينوا بها على تفهم الآيات وادراك اسرارها . وكان ابن عباس يقول : « اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله لم تعرفوه ، فاطلبوه في اشعار العرب لان الشعر ديوان العرب . »

وكان لتنافس الاحزاب السياسية يد في التزديد من الرواية ، فكانت كل فئة تفاخر الاخرى بشعرائها وعظماؤها ، وتروي اخبارهم واقوالهم . وآنس الرواة من الامويين ارتياعاً الى معرفة نوادر الاعراب واشعارهم ، فراحوا يتلقفونها بين الحيام من كل قبيلة خالصة البدابة ، ويأتون بها اليهم فيصيرون عليها نوالاً عظيماً .

غير ان هذه الروايات لم تسلم من النحل والكذب ، لان الرواة لم يتورعوا من اضافة شعر الى غير قائله ، واختراع قصة لا اصل لها ، إما للاتيان بشاهد يعتمد عليه في المعاني او في النحو ، وإما لارضاء شخص او حزب بذكر اجدادهم ينتمي اليه ، او لمفاكة الخلفاء والامراء وسواهم من الناس . فنشأ عن ذلك الشعر المنحول ، ونشأ ايضاً فن القصص الخيالية كاخبار مجنون ليلي ، وجميل بثينة ، وعنترة وسواهم . واذا كان الرواة اساءوا الى التاريخ بما اصطنعوه من الاشعار والاخبار ، فقد خدموه اجل خدمة بما حفظوا من اقوال اهل الحيام وعاداتهم واخلاقهم .

ومن الرواة من عرف يصدق الرواية كقتادة بن دعامة السدوسي^(١) وأبي عمرو ابن العلاء^(٢) . ومنهم من عرف بالكذب والنحل كحماد ، وهو اشهر الرواة الامويين .

(١) قَتَادَةُ : عالم من اهل البصرة توفي سنة ٧٣٥ و ٥١١٧ . (٢) ابو عمرو بن العلاء : من اشراف العرب واعلمهم بالقراءات واللغة والايام . وكان له شغف بالرواية يأخذها عن

حماد

٧٨١ م و ١٦٥ هـ

- حياته : ديلملي كوفي من موالي بني بكر . يلقب بالراوية لسمة روايته . حظي عند الامويين . لم يحظَ عند العباسيين . موته في خلافة المهدي . تاريخ وفاته . عمره تسعون لا ستون .
- مترننه : اول من جمع السبع الطوال واكثر اشعار العرب ، ولكن ضاعت مجموعاته . قوة حافظته . كذبه . نخله . لحنه . قول الضبي فيه . قول ابن سلام . المهدي يبطل روايته .

حياته - مترننه

هو ابو القاسم حمّاد بن ميسرة الديلمي الكوفي من موالي بكر بن وائل ، ويلقب بالراوية لانه كان اعلم الناس بايام العرب واشعارها ، واخبارها ، وانسابها ولغاتها . وكان في اول امره يصحب الصعاليك والاصوص ، فنقب ليلة على رجل فاخذ ماله ، وكان فيه جز . من شعر الانصار فقرأه حمّاد فاستحلاه وتحفظه . ثم طلب الشعر وايام العرب ولغاتهم ، وترك ما كان عليه ، فبلغ من العلم مرتبة سامية . واكنه كان كثير اللحن ضعيف اللغة . واشتهر بقوة الحافظة فرويت عنه اخبار كثيرة لا تحلو من الغلو ، منها : انه كان يروي سبع مائة قصيدة ، اول كل واحدة منها بانت سعاد . وانه سمع الطرمّاح الشاعر ينشد قصيدة عددها ستون بيتاً ، فقال له : « ليست لك » ، قال : « كيف لا ؟ » قال : « اني انشدتها بزيادة عشرين بيتاً لتعلم انها ليست لك . » ثم انشدتها وزاد فيها من نظمه .

وحظي حمّاد عند الأمويين فكانوا يستقدمونه ويسألونه عن ايام العرب واشعارها ولغاتها ، فبروي لهم وينال جوائزهم . قيل : سأل الوليد بن يزيد يوماً : « بم استحققت ان تلقب بالراوية ؟ » قال : « اني اروي لكل شاعر تعرفه او

اعراب ادركوا الجاهلية . وكان يقول : « ما انتهى اليكم مما قاله العرب الا اقله » توفي سنة ٧٨٠ م و ١٥٦ هـ .

سمعت به، ثم اروي لاكثر منهم ممن تعرف انك لا تعرفه ولم تسمع به . ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً او حديثاً الا ميزت بينهما . « فقال له : « كم مقدار ما تحفظه من الشعر ؟ » قال : « كثير ، ولكني انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات ، وذلك من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام . » قال : « فاني ممتحنك . » ثم امره بالانشاد فجعل ينشد حتى ضجر الوليد فوكل من يسمع بقية القصائد واستحلفه ان يصدقه ، فانشد حماد ٢٩٠٠ قصيدة للجاهلية .

ومهما كان في هذا الخبر وما قبله من المبالغة فانه يدل على حافظة عجيبة ، ورواية واسعة عرف بها حماد .

وادرك راويتنا دولة العباسيين ، ولكنه لم يحظ عندهم حظوته عند الامويين فحُمل ذكره . وكانت وفاته في خلافة المهدي ، وزعم قوم انه مات وله من العمر ستون سنة ؛ ونحن نرى انه جاوز الثمانين او بلغ التسعين ، لانه اشتهر بالرواية في خلافة يزيد بن عبد الملك ^(١) وكان منقطعاً اليه ، وبين موت يزيد وموت حماد ستون سنة . ولا يصح عندنا ان يعرف بالرواية قبل الثلاثين من عمره ، والرواية يحدوثنا انه قضى شطراً من حياته يصحب اللصوص والصعاليك . وجعل بعضهم وفاته سنة ١٥٦ للهجرة ، وجاراهم بعض كتابنا المعاصرين ^(٢) مع انهم ذكروا انه ادرك المهدي ، وان الخليفة العباسي كان يستدعيه ويستنشده ، ولكنه كان يؤثر عليه المفضل الضبي لصديق روايته . وخلافة المهدي تتبدى سنة ١٥٨ للهجرة اي بعد سنتين من وفاة حماد على زعمهم ، فالخطأ واضح كما ترى .

وكما عُرِف بالعلم وسعة الرواية ، عرف بالكذب والوضع ، فكان يزيد في الاشعار التي يرويها لغيره من شعره ، او ينتحل من شعر غيره مما هو قديم لا يرويهِ احد غيره يضمه الى شعره ، فيختلط بعضه ببعض . قال المفضل الضبي : « قد سَاط على الشعر من حماد الرواية ما افسده ، فلا يصلح ابداً . » فقل له : « وكيف

(١) خلافة يزيد بن عبد الملك من سنة ٧٢٠ - ٧٢٤ م و ١٠١ - ١٠٥ هـ . (٢) جرحي

زيدان في كتابه تاريخ اداب اللغة العربية .

ذلك ، أخطئ في روايته ام يلحن ؟ » قال : « ليته كان كذلك ، فان اهل العالم يردون من اخطأ الى الصواب ، وايكنه رجل عالم بلغات العرب واشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر ، يشبه به مذهب رجل ، ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط اشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد ، واين ذلك ؟ »

واستحلف المهدي حماداً في امر الزيادة في اشعار الناس ، فاقر له بابيات اضافها الى زهير بن ابي سلمى ، فأمر المهدي بابطال روايته ، ووصل المفضل صدقه وصحة روايته .

قال ابن سلام : « وكان اول من جمع اشعار العرب وساق احاديثها حماد الراوية ، وكان غير موثق به ، وكان ينحل شعر الرجل غيره ، ويزيد في الاشعار . » وقال يونس : « العجب لمن يأخذ عن حماد ، كان يكذب ويلحن ويكسر . »

وحامد اول من جمع السبع الطوال ، وجمع اشعار اكثر القبائل ، واكثر شعراء بني أمية ، وجعل شعر كل قبيلة او شاعر في كتاب . فكان عنده كتاب لشعر قويس ، وآخر لشعر ثقيف ، وآخر لغيرهم ، واكثرها ضاعت كلها وروى الناس عنه . غير ان الادباء المدققين الذين جاؤوا بعده لم يعتمدوا على الروايات التي انفرد بها دون غيره . وقد اظهر ابن سلام والاصفهاني وسواهما كثيراً من منتحلاته واكاذيبه .

فقد رأيت ان الصدر الثاني للاسلام كان عصر يقظة وتفكير وعمل ، عصر تنعم وترف ، ولكن لم يطل عمره فتم ما بدأ به ، بل اديل منه العصر العباسي ، عصر حضارة الاسلام ، ونهضة العلم والادب ، عصر التدوين والتأليف .

ARABIC
LITERATURE
الفهرست

صفحة		٢١٤	النثر في الجاهلية
٣	العصر الجاهلي	٢٢١	صدر الاسلام
٩	شعراء الجاهلية	٢٢١	لمحة تاريخية
٩	الشفوي	٢٢٨	الشعراء المخضرمون
١٣	المهمل	٢٣١	كعب بن زهير
٢٢	المعلقات او السبع الطوال	٢٤٥	حسان بن ثابت الانصاري
٢٣	امرؤ القيس	٢٦٣	الشعراء الاسلاميون
٤٣	طرفة بن العبد	٢٦٤	نهضة الغزل
٦٠	زهير	٢٦٧	جميل بن معمر
٧٩	لبيد	٢٧٨	عمر بن ابي ربيعة
٩٣	عمرو بن كلثوم	٣٠٢	ازدهار الشعر السياسي
١٠٩	غنوة	٣١١	الاختل
١٢٦	الحارث بن حازم	٣٣٩	الفردق
١٢٩	لائ الشعراء المشهورين	٣٧٠	جرير
١٤٠	للحج	٣٩٧	النثر الاسلامي - القرآن
١٤٠	الغائبة النيباني	٤٠٣	الخطابة
١٦٠	الفهر الحري	٤٠٥	زياد ابن ابيه
١٦٠	الدعني	٤١٣	الحجاج
١٧٨	الزنا	٤١٩	الكتابة
١٧٨	الغناء	٤٢٠	العلوم
١٩٥	الرجاء	٤٢٢	الرواة
١٩٥	الخطبة	٤٢٣	حماد

Schulte
Helger

Johanniskung



[illegible]



A.U.B. LIBRARY

